

إِبْرَاهِيمُ الْوَأْفِي

الدراسات القرآنية عيسى بالمغرب

فِي الْقَرْنِ الرَّابِعِ عَشَرَ الْهَجْرِيَّ



2011-02-24

www.tafsir.net

www.almosahm.blogspot.com

الدراسات القرآنية بالملخص خِطَابُ الْقُرْنِ الرَّابِعِ عَشَرَ الْهَجْرِيِّ

تأليف
إبراهيم الوافي

جامعة ابن زهر
كلية الآداب - أكادير

الدراسات القرآنية بالمغرب



- الكتاب : الدراسات القرآنية بالمغرب خلال القرن الرابع عشر الهجري.
المؤلف : إبراهيم الوافي.
الطبعة : الأولى 1420هـ/1999م.
الحقوق : © حقوق الطبع محفوظة للمؤلف.
الناشر : المؤلف.
الخطوط : بلعيد حميدي.
الغلاف : عمر أفا.
الطبع : مطبعة النجاح الجديدة — الدار البيضاء.
ردمك : ISBN 9954-0-1822-0.
الإيداع القانوني : 1999/1104.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للناس أجمعين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد، فإن الحديث عن الدراسات القرآنية بالمغرب بصفة عامة وفي القرن الأخير بصفة خاصة لمن شأنه أن يوجج المشاعر، ويبعث على تحريك الهمم، ويدعو إلى ترابط الصلات وتجديد العهود، ويذكر الخلف برسالة السلف؛ علما بأن بلاد المغرب الأقصى — أدام الله عليها النعم بلا عدّ ولا إحصاء — قد عرفت عبر تاريخها الطويل ومجدها العريق بخدمة كتاب الله عز وجل، وسنة رسوله ﷺ، وكان لها كبير الأثر في الذب عن الشريعة الإسلامية، والتعهد بحمل رايته، والدفاع عن حوزتها بما يضمن صيانتها واستمراريتها، وذلك عن اقتناع تام وتلقائية في أداء هذا الواجب حتى طَفَحَتْ بلاد المغرب بدور العلم ومجالس الدّرس ومقرات الدراسات القرآنية من جامعات ومساجد ومدارس ومعاهد، وزوايا وكتاتيب، وخزائن علمية زاخرة.

ولولا فضل الله ورحمته وحسن عونه وتوفيقه إلى هذه الجهود المبذولة في هذا الميدان المبارك، والاعتصام الصادق بكتاب الله وحبله المتين وسنة نبيه الأمين، ما أمكن لهذه البلاد أن تصمد هذا الصمود، وأن تقف هذا الوقوف الملتحم، وأن تظل حصنا حصينا وركنا متينا في وجه الأخطار المحدقة والمتنوعة من كل جانب. ولم تقف بلاد المغرب عند هذا الحد، وإنما أصبحت — بحمد الله — تمثل رمزا للوحدة والتماسك والتضامن والتآزر بين كافة أبنائها وطاقاتها الحية، وتسعى إلى مد هذا الاشعاع وتمديده ليكون استمدادا للأمم والشعوب في وقت هي أخرج ما تكون إليه.

ولاشك أن المغرب قد قُصِدَ في تسميته وإطلاقه الأول أن يكون مقابلا للمشرق، باعتبار أن كلاً منهما يُشكّل صمام أمن وأمان للأمة. في دينها وكيانها، مما جعل المغرب في موضع يتطلب منه أن يبذل قصارى الجهود عساه أن يكون من جهته مكافئا لذلك الكل المتعدد والنبع المتجدد الذي هو المشرق، علما بأن الأمة لا نهوض لها إلا بِشَقِيْهَا شرقها وغربها.

وقد وجدنا عبء النهوض بهذا الواجب حاضراً في همه الأجداد والأسلاف، ولذلك ما تخلف المغرب على أيديهم في تحقيق هذا التكافؤ والتوازن العلمي والحضاري المنشود.

لذلك قدمت بلاد المغرب الأقصى وما إليها، المزيد من العطاءات والتضحيات، وأبانت عن النماذج الحية من الطاقات، وحمى الديار، وصانت الثغور، وتحملت بالصمود على كل الواجهات، وما ادخرت وسعا ولا جهداً في سبيل العزة والنصرة.

وفي الجانب العلمي الذي يكاد يكون مسكوتاً عنه في جوانبه المهمة، فقد كان للمغرب الدور الكبير في المحافظة على الإرث العلمي الغزير للأجداد وصون كنوزه الدفينة، وذخائره الثمينة، ومخطوطاته النفيسة، ووثائقه الغميسة حتى اشتدَّ تَلَهُّفُ الناس جُرياً وراءها، وما عرفوا لها سبيلاً إلا في محفوظات هذا البلد الأمين وخزائنه العامة والخاصة ودواوينه ؛ وقد ضرب المغاربة المعاصرون المثال في الجود بهذه الذخائر بأريحية وسخاء، كما جاد بها آباؤهم بالأمس، ضاربين الصفح عن الحزازات الإقليمية والمحسوبة وما إلى ذلك مما يعد محظوراً في عقيدتنا وديننا الخفيف، خصوصاً إذا تعلق الأمر بالعلم وطلبه ونشره في الناس، ومد العون للمتلهفين على تحصيله والساعين إلى خدمته.

ولم يعد خافياً في الأوساط العلمية والجامعية ما تميز به المغرب أولاً وأخيراً من الإبقاء على الأبواب مفتوحة مجانياً في وجه طلاب العلم من كافة الأجناس والجنسيات ومختلف القارات إيماناً منه بالدور الحضاري لهذه المؤسسات التي ينبغي أن تبقى لها هذه الصبغة لأن العلم إرث مشاع بين الناس لا يتقيد بالحدود والأوطان، وهذه هي ميزة المغرب وكافة بلاد الإسلام، لأنها رائدة نشأة العلم، وحاملة مشعله، ومن خريجي جامعاتها وقع التلاحق العلمي في كافة العلوم والفنون. فكيف تتنكر لواجب لا يتم الواجب إلا به ؟ وكيف تتحول إلى مُحتَكِرَةٍ لِلْعِلْمِ بعد أن كانت مديرةً لَهُ !؟

إن الثقافة الحققة للأمم العريقة والشعوب المتحضرة لا تخضع للنظرة الأحادية والأفق الضيق، والتكليف في التوجيه، ونزعة تضارب الأذواق والأمزجة وإصدار الأحكام المسبقة، وإنما تخضع لمعيار الإنصاف وحصول العدل والتوازن في كافة المظاهر والمكونات، مع الإيمان بحق التفاوت والاختلاف ولذلك أرى ألا يصرفنا صارف، ولا يصدنا صاُدٌّ عن الاقتناع التام بضرورة الوقوف عند كل مظهرٍ من مظاهر هذه الثقافة، وكل مكون من مكونات المنظومة العلمية والثقافية للأمم، ومحاولة فهمه وإفهامه بكل جدية وموضوعية إن لم تتمكن من سبر أغواره، واستكناه أسرارِهِ، لعلنا بذلك نعطي لهذه الثقافة ما تنتظره منا من الإمداد والاستمداد.

إن الشخصية المغربية في كيانها ووجدانها قد انبنت على منهج الكتاب والسنة ومن هذا

المعين الخالص استلهمت روح الإسلام ودعوته إلى توحيد الوجهة ولم الشمل وجمع الشتات والتعاون والتآزر والتسامح الذي يطبع علاقات هذه الأمة فيما بينها وبين غيرها من الأمم والشعوب.

ولاشك أنها أضافت إلى رصيدها الإيماني والرباني بهذه الحقيقة حصيلتها الوافرة من مقارعة الخطوب عبر التجارب المريرة والمواقف الدقيقة التي عرفتها عبر تاريخها الطويل، وما كان لها أن تمحي أو تنسى لأن ذاكرة الشعوب البقطة تبقى حية بحياتها.

إن المغاربة قد عُرِفوا بأنهم لا يراهنون إلا على القرآن، وعندهم حس خاص للاستجابة لندائه ودعوته لأنه لا يدعوهم إلا إلى ما يحبيهم من وحدة الدين والعقيدة وجمع الكلمة ووحدة الصف... ولذلك فإنهم ما عرفوا جهاداً قط خارجاً عن راية القرآن منذ أن دخلوا في الإسلام إلى الآن. ومن ثم فإن الحديث عن صلة المغاربة بالقرآن وعن عراقة عنايتهم به، واستمرار هذه العناية لا يعني إلا الحديث عن الشخصية المغربية في كافة وجوه مظهرها ومخبرها، لأن هذا القرآن الكريم قد كان له الفضل الأكبر في إعادة تشكيلها وصهر عناصرها في بوثة الإيمان والتوحيد والتوحد، وطبع عقليتها وفكرها وسلوكها، وكافة مظاهر حياتها الخاصة والعامة بالطابع القرآني والمنهج الرباني الذي شعاره: ﴿وَأَنْ هَذِهِ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُون﴾⁽¹⁾.

وإسهاماً مني في القيام بهذا الواجب ومراعاة لحق كتاب الله الذي هو أمانة في أعناقنا والذي من خدمه فكأنما خدم الأمة الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها جعلت من واجبي في هذا البحث أن اضع خطة منهجية وتصميماً محكماً اصل منه إلى الكشف عن عناصر ومكونات موضوع لم أر من سبقني إليه في الكتابة وتناول قضاياها على النحو الذي سلكته، مع العلم بأن هناك مجالات أخرى كثيرة ومتنوعة قد جالت فيها الأقلام، وتواردت عليها الأبحاث والاهتمامات إلا موضوع الدراسات القرآنية في القرن الأخير، على الرغم من طرافة الموضوع المدرّس، وغزارة الجهود التي بذلت في كافة وجوهه وواجهاته، وذلك لارتباطه بفترة حاسمة من فترات تاريخنا المعاصر، تلك هي فترة الصدمة الحضارية المعاصرة كما يُراد لها.

وحاولت أن يكون هذا البحث بمثابة استقصاء لما هو كائن من أجل معرفة ما ينبغي أن يكون، وأن يضع هذا البحث الجميع أمام الأمر الواقع في مجال التعامل مع القرآن الكريم في كافة وجوه التعامل، وإن كنت لم أتعهد بمرحلة ما بعد إعداده إذ كتبته بالرباط وقدمته رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في الدراسات الإسلامية من جامعة محمد الخامس في ماي 1989م.

(1) سورة «المونون»، الآية : 53.

كما أردته أن يسهم في الإجابة عن مجموعة من التساؤلات من بينها : كيف واجه المغاربة المسلمون المد الحضاري المهول في مطالع القرن الرابع عشر الهجري ؟ وهل اعتبروه مداً حضارياً أو شيئاً آخر ؟ وكيف استوعبوا مكونات الفكر الحضاري الغربي ؟ وكيف كانت تجاوباتهم مع أصدقاء اخوانهم في المشرق ؟

وهل استطاع علماء التفسير أن يوفقوا إلى الأجوبة عن التساؤلات التي فرضتها المستجدات ؟ وهل حافظوا على مقوماتهم الشخصية والحضارية أم انسلخوا جرياً وراء السراب ؟

لاشك أن القارئ الألمي والباحث المتفحص يمكنه أن يجد فيه ما يساعده على الإجابة عن مثل هذه التساؤلات وغيرها. لأنني جعلته حافزاً للمتطلع، ومساعداً للمستطلع، وعملت على تجميع ما تفرق من جهود. في مختلف المصادر والمراجع والحواليات والدوريات والمجلات والجرائد، فضلاً عن اللقاءات العلمية والاستجابات.

كما أنني لم أجد بدا في هذه الدراسة من تنويع المنهج بحسب ما يقتضيه المقام من تاريخي إلى استقرائي إلى وصفي ثم تحليلي مع مزجِه بالتقويم عند الاقتضاء.

والله العلي القدير أسأل أن يجزي بالفضل والثوبة كل من أفادنا علماً وأعاننا على تخطي الصعاب، وأن يجزينا بالحسنى ويجعل أعمالنا كلها خالصة لوجهه الكريم إنه سميع مجيب.

وكتبه إبراهيم بن أحمد الوالي أستاذ
بجامعة ابن زهر — كلية الآداب
والعلوم الإنسانية بأكادير يوم
الاثنين 25 ذي الحجة 1419 هـ
موافق 12 ابريل 1999 م.

الباب الأول

عناية المغاربة بالقرآن الكريم

تمهيد :

لقد كانت عناية المغاربة بالقرآن الكريم عبر التاريخ، عناية فائقة ومتميزة فمنذ أن دخل المسلمون الفاتحون أرض المغرب ورسخوا عقيدة الاسلام فيه، والمغاربة يولون كبير الاهتمام لكتاب الله⁽¹⁾، ويحرصون على إعطائه المكانة التي يستحق، فقرأوه وأقرأوه، ودرسوا ما فيه، ولقنوه لناشئتهم، وأثر في كثير من مجالات حياتهم، وانعكس على تفكيرهم، واهتموا بكتابته ورسمه وقواعد تجويده، واستقروا منذ عدة قرون على قراءة نافع بن أبي نعيم المدني برواية ورش⁽²⁾ عن طريق الأزرق وأعطوا أولوية خاصة لهذه القراءة بهذه الرواية من هذا الطريق، ودرسوها دراسات مستفيضة، وضبطوها رسماً وأداءً ولم يتركوا فيها زيادة لمستزيد بعد أن دققوها واقفين عند النقط والشكل والوقف والابتداء، ومعرفة الأصلي والزائد، والممدود والمقصور، والمحرك والممال، والرام والمشم، والمفخم، والمرق، والمهموز، والمسهل، والمفك، والمدغم، والمظهر، والخفي، والمثبت، والمخدوف، والمعجم والمهمل وغيرها..⁽³⁾.

وهكذا شملت اهتماماتهم كل هذه الفروع وخصّوها بالشرح والبيان، كما أولوا عناية فائقة لباقي القراءات المتواترة، وأسسوا المؤسسات المختصة فيها، وأقاموا فيها الشيوخ المنقطعين لتلقيها وضبطها وتحفيظها للعام والخاص، وتركوا فيها المؤلفات التي تعكس تمكنهم من ضوابط هذا الفن، ومعرفة وجوه أدائه، وما زالت آثار علماء الغرب الاسلامي في هذا الفن مصدر كل وارد، وهي تشهد على كبير الجهود ووافر العناية، وحسبنا من ذلك ما تزخر به خزائن المغرب والمشرق من تراثهم العلمي المخطوط والمطبوع.

ولكن لا ينبغي أن يفهم مما ذكر أن المغاربة لم تتجاوز اهتمامهم بالقرآن الكريم الجوانب الشكلية منه، فهم قد تجاوزوا ذلك إلى الاعتناء بمضامينه ومعانيه وأقصد علم التفسير، ولكن حظهم في التأليف في هذا المجال كان أقل إذا ما قورن بجهودهم في الحفظ والتلقين والرسم

(1) النبوغ المغربي للأستاذ عبد الله كنون 1 : 42.

(2) ترتيب المدارك للقاضي عياض 4 : 435 — 436.

(3) مقال الاستاذ سعيد اعراب «بين يدي مصحف الحسن الثاني» دعوة الحق ع : (2، 3) ربيع الأول والثاني

1398هـ فبراير مارس 1978، صفحات (62-66).

والقراءات، وإذا ما قورن أيضا بمجهود علماء آخرين في جهات اسلامية اخرى، ولذلك شاعت بين الناس المقولة التي تخص كل جهة من جهات العالم الاسلامي بما يغلب على اهلها من العناية بالقرآن، فقالوا نزل القرآن بلسان العرب ففسره الفرس، ورتله المصريون، وحفظه المغاربة⁽⁴⁾.

وقد جسدت الأجيال السابقة واللاحقة هذا الترابط الروحي المتين الذي يربط اهل المغرب بالقرآن الكريم في مظاهر شتى، منها تلقينه لأولادهم منذ نعومة أظفارهم واحتفاؤهم بتلاوته، وحبهم الاستماع إليه، والاحتكام إلى شريعته، وجهادهم في سبيل الله تحت رايته، وبذلك أيقنوا أن هذا القرآن بمثابة حصن حصين لهم ولعقبهم بامكانهم أن يعيشوا تحت ظله آمنين مطمئنين، معتزي الجانب موفوري الكرامة.

ونجد العلامة ابن خلدون قد سجل للمغاربة هذا الاعتناء وهذا التشبث بكتاب الله إذ قال : «وأما إقامتهم لمراسم الشريعة، وأخذهم بأحكام الملة، ونصرهم لدين الله فقد نقل عنهم من اتخاذ المعلمين كتاب الله لصبيانهم، والاستفتاء في فروض أعيانهم واقتفاء الأئمة للصلوات في بواديهم، وتدارس القرآن بين أحيائهم، وتحكيم حملة الفقه في نوازلهم (...) وبيعهم النفوس من الله في سبيله وجهاد عدوه ما يدل على رسوخ إيمانهم وصحة معتقداتهم، ومتين ديانتهن التي كانت ملاكا لعزهم، ومقادا إلى سلطانهم وملكهم...»⁽⁵⁾.

وإذا كانت العناية بالقرآن هي دأب المغاربة في عهودهم السابقة، فإنهم لم يحيدوا عن هذه العناية حتى في عهودهم اللاحقة؛ فقد أطل القرن الرابع عشر الهجري بما أطل به، والمغاربة منهمكون في تدريس القرآن وتدارسه رغم جميع مظاهر التدهور التي سادت البلاد، ومست من قريب أو بعيد الحياة العلمية والثقافية، ولم تعد تؤدي بعض المباحث القرآنية الهامة دورها كما كانت من قبل خصوصا علم التجويد التطبيقي، والقراءات والتفسير،⁽⁶⁾ ومع ذلك لم تتوقف عجلة هذا الاعتناء وانما تأثرت بمؤثرات المرحلة..

من هذا المنطلق بدا لي أن أخصص هذا الباب لتتبع مظاهر عناية المغاربة بالقرآن الكريم في الفترة المعاصرة وذلك من خلال اهتمامهم بتلقين القرآن وتحفيظه، والقراءات القرآنية، وعلوم القرآن، ومباحث اخرى تنطلق من القرآن.

(4) الدولة العلوية والقرآن الكريم للاستاذ الرحالي الفاروق دعوة الحق ع 4، س 11 ذو القعدة 1387 فبراير 1968 صفحات : (27-29).

تاريخ ابن خلدون... 6 : 105.

القرآن والمغرب المعاصر للأستاذ محمد العربي الخطابي دعوة الحق ع : 4 س 11 ذو القعدة 1387 فبراير 1968 صفحات (97-99).

الفصل الأول التلقين والتحفيظ

(1) تمهيد في أصالة هذه الظاهرة وعراقها إسلاميا ومغربيا :

إن تلقين القرآن وتحفيظه ظاهرة أصيلة وعريقة، ليس في المغرب الأقصى فحسب، بل في الأمة الإسلامية جمعاء، منذ أن نزل الوحي الإلهي بواسطة جبريل — عليه السلام — على قلب الرسول ﷺ، فكان جبريل يدارس الرسول ﷺ القرآن ويتعاهده في كل سنة، فيعارضه بما نزل عليه من رمضان إلى رمضان، فلما كان العام الذي توفي فيه عارضه به مرتين⁽⁷⁾.

وَمِنْ فِي رسول الله ﷺ تلقى الصحابة القرآن الكريم غضا طريا فهو سيد الحفاظ، والمعلم الأول لكتاب الله عز وجل، والمؤسس للمنهج النقلي المعتمد عند المسلمين طريقا من طرق العلم، وقد كان مسجد الرسول ﷺ المدرسة القرآنية الأولى في الاسلام لتلقين القرآن وتحفيظه وتدارسه، ومنها تخرج كبار الصحابة وفيها تلقوا عنه القرآن والعلم والعمل جميعا،⁽⁸⁾ ومنهم اختار الرسول ﷺ من ينوب عنه في تعليم القرآن لإخوانه من المسلمين ولحديثي العهد بالاسلام «فكان الرجل إذا هاجر دفعه النبي ﷺ إلى رجل من الصحابة يعلمه القرآن، وكان يسمع لمسجد رسول الله ﷺ ضجة بتلاوة القرآن، حتى أمرهم رسول الله أن يخفضوا أصواتهم لئلا يتغالطوا»⁽⁹⁾.

وقد اشتهر بإقراء القرآن من الصحابة سبعة، وهم عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وابن مسعود، وأبو الدرداء، وأبو موسى الأشعري «وقد

(7) فتح الباري لابن حجر 1: 31، وفي ذلك يقول الامام أبو عمرو الداني في الأرجوزة المنبهة.

وكان يعرض على جبريل في كل عام جملة التنزيل
حتى إذا كان بقرب الحين عرضه عليه مرّتين

(8) قال أبو الرحمن السلمي : «حدثنا الذين كانوا يقرئونا القرآن، كعثمان بن عفان، وعبد الله بن مسعود، وغيرهما انهم كانوا اذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا/ فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا»، قال ابن تيمية «ولهذا كانوا يقون مدة في حفظ السورة» «مقدمة في اصول التفسير لابن تيمية ص : 35 — 36

(9) مناهل العرفان محمد عبد العظيم الزرقاني 1 : 231.

قرأ على أبي جماعة من الصحابة منهم أبو هريرة، وابن عباس، وعبد الله بن السائب، وأخذ ابن عباس عن زيد أيضا، وأخذ عنهم خلق من التابعين»⁽¹⁰⁾.

وقد ذكر ابن حجر أن حفظ القرآن الكريم من خصائص هذه الأمة «لأن حفظ التوراة والانجيل لم يكن متيسرا كتييسر حفظ القرآن الذي خصت به هذه الأمة فلهذا جاء في صفتها «أناجيلها صدورها»⁽¹¹⁾.

وقد توالى هذه السنة الحميدة متسلسلة في الأجيال المتعاقبة من المسلمين جيلا بعد جيل، وبنفس الخطة والنهج حُمِلَتْ إلى الأقطار المفتوحة حتى وصلت إلى الغرب الإسلامي، فنالت بلاد المغرب حظها من هذا الواجب الديني المتمثل في المساهمة في حفظ القرآن الكريم الذي يعد حفظه والحفاظ عليه وصيانتة والعمل به جزءا من الحفاظ على المعتقد والوجود والكيان، وبهذا البعد العميق ترسخت فكرة حفظ القرآن الكريم وتحفيظه للأجيال لدى المغاربة الذين كاد مجتمعهم منذ عدة قرون إلى منتصف القرن الأخير أن يكون مجتمع الحفاظ والمقرئين لكتاب الله.

وفي ذلك يقول محمد المختار السوسي : «... وقلما تجد قرية في غالب نواحي سوس إلا وكان ربع سكانها أو مايقرب من ذلك من حفظة القرآن، وأما التي فيها الخمس فقط فتدخل في النذور، وأما التي تضم أفرادا فقط، فإنها من النذور الشاذ في المكانة القصوى....»⁽¹²⁾.

2) اختيار المغاربة لرواية ورش عن نافع المدني وعلاقة ذلك باختيارهم مذهب مالك :

وقد اختار المغاربة الأقدمون رواية ورش عن نافع مثل ما اختارها جيرانهم من أهل الأندلس منذ أن أدخل هذه الرواية عن طريق الرحلة إلى المشرق محمد بن وضاح القرطبي (ت 286 أو 287 هـ)⁽¹³⁾ عن عبد الصمد بن عبد الرحمن العتقي⁽¹⁴⁾ عن ورش المصري⁽¹⁵⁾ عن نافع ابن أبي نعيم⁽¹⁶⁾ إلى الأندلس وفي ذلك يقول أبو عمرو الداني «ومن وقته⁽¹⁷⁾ اعتمد أهل

(10) الإتيان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي 72/1 — 73.

(11) فتح الباري 1 : 25.

(12) سوس العالمة ص : 32.

(13) ترتيب المدارك للقاضي عياض 4 : 435 وما بعدها.

(14) التعريف للداني بتحقيق الدكتور التهامي الراجي ص : 162 / غاية النهاية 1 : 389.

(15) عثمان بن سعيد (ت. 197 هـ) عرض على الامام نافع سنة 155 هـ التعريف ص : 94 غاية النهاية 1 : 502.

(16) نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم المدني (ت. 169 هـ) التيسير للداني ص : 4.

(17) يقصد محمد بن وضاح القرطبي الذي تتلمذ على العتقي تلميذ ورش عن نافع.

الأندلس على رواية ورش، وكانوا قبل معتمدين على قراءة الغازي بن قيس عن نافع⁽¹⁸⁾. وقد نقل الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور عن ابن رشد أن سبب اختيارهم لهذه القراءة بهذه الرواية يعود إلى ما فيها من تسهيل الهمز، وكان مالك بن أنس يكره القراءة بالنبر أي بتحقيق الهمز، في الصلاة، لِمَا جاء من أن الرسول ﷺ لم تكن لغته الهمز، أي لم يكن يظهر الهمز في الكلمات المهموزة مثل ياجوج وماجوج ومثل الذئب، في الذئب ومثل مومن في مؤمن⁽¹⁹⁾.

ولا يخفى أن في اختيار المغاربة هذا حكمة الجمع بين فقه عالم المدينة مالك بن أنس الأصبحي⁽²⁰⁾ وقراءة مقرئها وإمامها نافع بن أبي نعيم المدني مع العلم أن نافعا شيخ مالك في الاقراء، ومالك شيخ نافع في علم الحديث...⁽²¹⁾

3) عنايتهم بتلقين القرآن وتحفيظه لناشئهم في سن مبكر :

ولم يفت المؤرخين والباحثين أن يسجلوا للمغاربة عنايتهم بتلقين القرآن وتحفيظه لناشئهم منذ نُعومة أظفارهم، واختلفت مواقفهم من هذه الظاهرة ما بين عارض لها فقط، أو عارض ومتنقد، فإذا وقفنا قليلا عند المتقدمين نجد العلامة الضليع القاضي أبا بكر بن العربي المعافري (ت 543هـ)⁽²²⁾، وهو ممن تلقى القرآن الكريم في سن مبكرة جريا على سنن المغاربة، يحكي عن نفسه قائلا : « حَذَقْتُ الْقُرْآنَ وَأَنَا ابْنُ تِسْعَ سِنِينَ، ثُمَّ ثَلَاثًا أَضْبَطْتُ الْقُرْآنَ وَالْعَرَبِيَّةَ وَالْحِسَابَ، فَبَلَغْتُ سِتَّ عَشْرَةَ سَنَةً وَقَدْ قَرَأْتُ مِنَ الْأَحْرَفِ، أَيِ مِنَ الْقُرْآنِ، نَحْوًا مِنْ عَشْرَةِ مِائَاتٍ يَتَّبِعُهَا مِنْ إظهار وإدغام ونحوه، وتمرنت في الغريب والشعر واللغة »⁽²³⁾.

وكما لا يخفى فإن حَذَقَ القرآن في تسع ليس بالأمر الشديد الغرابة، فقد حفظ العديد من الناس القرآن في هذا السن قديما وحديثا، وقد يكونون من عامة الناس وليس شرطاً أن يكونوا من أسرة علمية مثلما كان ابن العربي الذي عرف عناية خاصة في كل مراحل طلبه...⁽²⁴⁾. ولما دون ابن العربي كتابه عن رحلته تعرض فيه بالنقد إلى طريقة المغاربة في تلقين القرآن

(18) ترتيب المدارك 4 : 436.

(19) التحرير والتنوير 1 : 62.

(20) ترتيب المدارك 1 : 32.

(21) المرجع نفسه 2 : 36، 105، 172.

(22) الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم لابن العربي تحقيق الدكتور الوزير عبد الكبير المدغري 1 : 13 وما بعدها.

(23) العواصم من القواصم لابن العربي ص : 11.

(24) للمزيد عن مظاهر تلك العناية انظر العواصم له.

وتحفيظه لصبيانهم في سن مبكر، إذ قال في ذلك : «وياغفلة أهل بلادنا في أن يؤخذ الصبي بكتاب الله في أول أمره، يقرأ مالا يفهم، وينصب في أمر غيره...»⁽²⁵⁾ واقترح من أجل ذلك خطة تعليمية بديلة، فهو يرى أن يقدم تعليم العربية والشعر على سائر العلوم، كما هو مذهب أهل الأندلس، ومنه إلى الحساب فيتمرن فيه حتى يرى القوانين، ثم ينتقل إلى درس القرآن، فإنه يتيسر عليه بهذه المقدمة.

ب — رأي ابن أبي زيد القيرواني :

وإذا كان ابن العربي المعافري الأندلسي يقترح بديلا تربويا يرى أنه الأنجح لأن يسير عليه أهل المغرب، فإن أهل المغرب يحتاطون في تقديم العلوم العقلية على العلوم الشرعية مخافة أن تؤثر الأولى في ذهن الناشئ، فيستخف بشأن العلوم الشرعية ويحرم بركتها وعاقبة بركة حفظ كتاب الله وسبقه إلى قلبه ومداركه، وما لذلك من أثر تحصيني يسعد به المرء في دنياه وآخره فهذا ابن أبي زيد القيرواني — الملقب بمالك الصغير⁽²⁶⁾ — بحث في مطلع رسالته على التذكير بتعليم حروف القرآن للصغار «ليسبق إلى قلوبهم من فهم دين الله وشرائعه وما ترجى لهم بركته، وتحمد لهم عاقبته... وأن تعليم الصغار لكتاب الله يطفىء غضب الله وأن تعلم الشيء في الصغر كالنقش في الحجر...»⁽²⁷⁾.

ج — رأي ابن خلدون :

ثم جاء عالم مغربي فذ آخر هو ابن خلدون، وتنبه إلى قصد المغاربة من تقديم حفظ القرآن لصغارهم على غيره من العلوم، وعقب بذلك على ابن العربي فيما ذهب إليه قائلا، «وهو لعمرى مذهب حسن، إلا أن العوائد لاتساعد عليه، وهي أملك بالأحوال ووجه ما اختصت به العوائد من تقدم دراسة القرآن إثارا للتبرك والثواب وخشية ما يعرض للولد في جنون الصبا من الآفات والقواطع عن العلم، فيفوته القرآن لأنه مادام في الحجر منقادا للحكم، فإذا تجاوز البلوغ وانحل من ربة القهر فرما عصفت به رياح الشبية فألقته بساحل البطالة... ولو حصل اليقين باستمراره في طلب العلم، وقبوله التعلم لكان هذا المذهب الذي ذكره القاضي أولى ما أخذ به أهل المغرب والمشرق، ولكن الله يحكم ما يشاء لامعقب لحكمه سبحانه»⁽²⁸⁾.

(25) مقدمة ابن خلدون ص : 449.

(26) ترجمته في ترتيب المدارك 6 : 215.

(27) رسالة ابن أبي زيد بشرح أبي الحسن وحاشية العنوي 1 : 27 — 28.

(28) المقدمة ص : 449.

ولم يفت ابن خلدون أن سجل في مقدمته أيضا عناية المغاربة بالقرآن الكريم وبتلقيه لصغارهم إذ قال : «فأما أهل المغرب فمذهبهم في الولدان الاقتصار على تعليم القرآن فقط، وأخذهم أثناء المدارس بالرسم ومسائله، واختلاف حملة القرآن فيه لا يخلطون ذلك بسواه في شيء من مجالس تعليمهم...»⁽²⁹⁾.

د - استمرار المغاربة على مذكره ابن خلدون حتى منتصف (ق 14 هـ) :

وهذا كلام سليم من ابن خلدون لأن الواقع يصدقه، وقد ظل المفهوم المسيطر على عقول فئة عريضة من المغاربة خصوصا في البوادي، منذ عدة قرون إلى العصر الحاضر. فكانوا يمتنعون عن قراءة غير القرآن مخافة أن يشغلهم ذلك عن القرآن وعن حفظه⁽³⁰⁾ ويضيع منهم بعد أن تعبوا وكدوا من أجل تحصيله رسما وأداء، وصار جزءا من كيانهم ووجودهم، وحرارته تسري في عروقهم ودمائهم ما ان يسمعه يتلى أو يقرأ إلا وتطير إليه أفئدتهم، ويهرعون إليه ليحضرُوا مجلس قراءته، أو المذاكرة فيه، لأن كثرة تردادده: وسماع وقعه، روى في نفوسهم إحساسا بالقرآن فريد الوقع والتأثير فياحسرة من كبا في قراءة آية أمام ملا من الحفظة أو في مجلس علمي ! فإن المجلس يتصدع كله مرددا وجه الصواب، وشاهدا على حجية تواتر القرآن، التواتر الفعلي الذي لا اختلاف فيه ولا مرية فيه !

— وقد تنبه الامام الشاطبي — رحمه الله عليه — إلى هذه الخبيصة ونص عَلَيْهَا في موافقاته إذ قال : «وأما القرآن الكريم فقد قبيض الله له حفظة بحيث لو زيد فيه حرف واحد لأخرجه آلاف الأطفال الأصاغر، فضلا عن القراء الكبار»⁽³¹⁾.

4) هل مجرد حفظ القرآن وحده يكفي ؟

وقد يتساءل سائل عن سر هذه العناية بحفظ القرآن عند المغاربة، ويرأها عناية زائدة على الحد، وفيها نوع من الإفراط والمغالاة، خاصة إذا تعلق الأمر بجيوش جرارة من الحفظة لا يعدون حفظ القرآن وحده، مجردا عن معرفة معانيه.

نعم، في هذا نوع من المغالاة، لكنها — فيما يبدو — مغالاة ذات طابع إيجابي لا يعدو الحرص على حفظ كتاب الله تعالى وترداده والتعبد بتلاوته، والعمل على نشره وإذاعته بين الناس، خاصة إذا قدر لهذا الحرص على كتاب الله أن يرتقي نوعا ما إلى التفكير في الاستفادة

(29) المرجع نفسه ومع ذلك فقد نكت ابن خلدون على مقدرة المغاربة العلمية واعتبرها مقدرة تعتمد الحفظ دون القدرة على التصرف في المحفوظ (المقدمة ص : 342).

(30) وقد ذكر محمد بوجندار أن أحد شيوخه كان يُحفظه القرآن ويعودُه مطالعة الكتب واعترض عليه أحدهم بحجة أن ذلك يتلفه عن القرآن (يراجع الاغتباط بتراجم اعلام الرباط محمد بوجندار ص : 284).

(31) الموافقات 2 : 59.

العلمية من القرآن في مجال المعتقد والسلوك والدعوة به إلى الله تعالى، فلو حصل هذا للحافظ لكتاب الله لكان له نعم الغنيمة، ولكن آفة الحفظ في الغالب أن يتقاعسوا على المضي في طريق الطلب، ولا يجنون ثمرة مجهودهم الذي صرفوه في العناية بحفظ كتاب الله وتحقيق رسمه وضبطه — وإذا أسندت إليهم مهمة دينية يقعون في الأخطاء الفادحة التي لا يعذرون فيها بجهل.

ولذلك نجد أحد الفقهاء السوسيين⁽³²⁾ ينبه هؤلاء الاخوان من الحفظه وينص على هفواتهم قائلا : «ثم انهم لا يعرفون أحكام القرآن غالبا ويقرأونه بالألحان»⁽³³⁾ وقد علمت أن من لم يعلم بحكم الشيء لا بد له من الخطأ فيه، وربما يفسره برأيه في بعض الأحيان فيأثم ويكفر (....) ومنهم من يكون إماما ولا يعرف أحكام الوضوء والغسل، ويلحن في القراءة، فتبطل صلاته وصلاة من صلى خلفه جزاءا وفاقا (...). ثم إن هؤلاء الطلبة يعتقدون أن قارئ القرآن فاز ولو كان لا يعمل به وهذا باطل لأن المقصود بحفظ القرآن العمل بمقتضاه، وكذا سائر العلوم، لا حفظ الألفاظ....»

ومع ذلك فإن الخطأ الحازمة التي يسلكها المغاربة مع أولادهم في تحفيظهم القرآن الكريم تجعل منهم فئة من أقدر فئات مجتمعنا على شق طريق العلم الصحيح، كيفما كان هذا العلم دينيا أم دنيويا، كما تجعلهم قادرين على تحمل المشاق والصعاب التي تعترض سبيل طالب العلم، وقد تكون تلك الصعاب بالنسبة لمن لم يألفها سببا في التوقف عن الطلب.

(5) خطة المغاربة في التحفيظ :

ما من شك في أن ظاهرة حفظ القرآن الكريم متجذرة عند المغاربة، ومن ثم فهم متمرسون عليها وعلى أساليب الوصول إليها؛ فما هي الخطة التي تبنيها ووصولاً إلى تحفيظ القرآن الكريم لأجيالهم وخلفهم ؟ — لأحد يجادل في أن إطلالة القرن الرابع عشر الهجري، ثم العشرين الميلادي على بلاد المغرب الأقصى، وغيره من البلدان الاسلامية الأخرى كانت إطلالة تغيير، وتبدل أحوال وأمور، وأن النظام التعليمي الذي ألفتنا عليه الفترة المعاصرة وبقينا متمسكين به إلى حدود الاستقلال كان النظام التعليمي الاسلامي العتيق الذي ينطلق من المسجد كمعلمة

(32) محمد بن علي بن ابراهيم الاندزالي السوسي في منظومته التي نظمها وشرحها واهداها لشيخه احمد بن ناصر الدرعي (ت. 1129هـ) وسماها: «تنبيه الاخوان على ترك البدع والعصيان مخطوطة في ملكي (ص : 7، 8)، (وقد ذكرها له محمد المختار السوسي ضمن باقي مؤلفاته في سوس العالمة ص : 191).

(33) لعلّه يقصد القراءة المعروفة في الجنوب المغربي ب (تَحْرَاط) وما شاكلها، والمعروفة في الشمال «بالصيغة» كما سيأتي في فصل القراءات. والتي يتدرب عليها الطلبة ويمهرون فيها ويتخذونها بديلا عن القراءة بأحكام التجويد.

كبرى وتوابعه من المدارس العلمية المختصة، إما في الدراسات الإسلامية واللغوية، أو القراءات القرآنية والرسم والتجويد، والكتاتيب القرآنية التي تخصص بتعليم مبادئ القراءة والكتابة، وتلقين القرآن الكريم وتحفيظه للناشئة من الصبيان ابتداء من سن الثالثة أو الرابعة إلى حدود العاشرة أو الخامسة عشرة،⁽³⁴⁾ وتعد هذه المرحلة بمثابة التعليم الابتدائي اليوم، يلتحق بعدها الحافظ لكتاب الله إلى إتمام دراسته بالمدارس المذكورة لأن تلك «المدارس لا تشغل إلا بإتمام الدراسة من الذين شَدُّوا في القرآن قبل ذلك»⁽³⁵⁾ ومن تلك المدارس العلمية ينتقل الطالب إلى المرحلة الجامعية العالية، وغالبا ما يقصد القرويين بفاس أو ابن يوسف بمراكش، ليوثق علمه على الشيوخ والعلماء الكبار، ويبقى له في نهاية المطاف التفكير في رحلة إلى المشرق لأداء فريضة الحج، وللقاءات العلمية مع كبار علماء أقطار العالم الإسلامي ليعود بالعلم والفضل ويميز ويمجّز... وبذلك يدخل في صفوف العلماء.

أ — الكُتّاب ودوره التربوي :

تبدأ العملية التعليمية من الكتاب الذي يشكل قاعدة البناء وأساسه وكان المغاربة واعين بالدور الذي تؤديه الكتاتيب القرآنية، لذلك وفروها بكثرة لناشئهم سواء في ذلك المدن والقرى والمدائر، فحيث ما حللت وارتحلت تجد هذه المؤسسات التربوية التعليمية التي تؤدي دورها تحت رعاية الآباء وإشرافهم وهم الذين يختارون لها معلما جيدا في سلوكه وأخلاقه، ناصحا، عارفا بطرف من علوم الشريعة وآدابها وأخلاقها⁽³⁶⁾ هذا فضلا عن معرفته وحفظه لكتاب الله، إذ لا يتصور رجل علم عند المغاربة إلى عهد قريب غير حافظ للقرآن الكريم !.

وقد نصت رسالة طويلة وجهها السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام العلوي إلى ولاته على التمسك بالإسلام عقيدة وعبادة ومعاملة، ومما جاء فيها : «ويلزم العامل كل دوار أو جماعة مشاركة طالب علم يرجعون إليه في أمر دينهم وتعليم صبيانهم وجها لوجه، ويقوم بالأذان، والصلوات الخمس في أوقاتها ومن لم يفعل زجره وعاقبه»⁽³⁷⁾.

وعلى هذا الأساس تجسدت الفكرة منذ الفتح الإسلامي⁽³⁸⁾ حتى أصبح الآباء يعدون ذلك من أوجب الواجبات عليهم فيبحثون عن المعلم (أو الطالب كما كان يدعى) ويتعاقدون

(34) الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين للدكتور محمد حجي 2 : 341 قبيلة زعير قديما وحديثا لمحمد ابن عمر ابن سودة 1 : 100.

(35) مدارس سوس العتيقة لمحمد المختار السوسي ص : 37.

(36) آسفي وما اليه قديما وحديثا للعلامة محمد بن احمد العبدى الكانوني ص : 159.

(37) اتحاف اعلام الناس لمولاي عبد الرحمن بن زيدان 5 : 99.

(38) النبوغ المغربي : عبد الله كنون 1 : 42.

معه لمدة معينة، ويراقبون نشاطه التربوي وسلوكه الخاص، ويؤدون راتبه. «وكل هذا يتم بعيدا عن تدخل الدولة وبحماية فقهية لاتجامل أي جانب، ويظهر أن كتابات المدن لم تكن تغطي بهذا النظام الشعبي القويم في أكثر من وجه، ولذلك كان المخزن ينفتحها ببعض الصلات التي تقدم من الأوقاف أو من بيت المال وعلى العموم كان يستفيد من هذه الصلات فقهاء وطلبة وقائمون على المساجد...»⁽³⁹⁾.

ب — إشراف الآباء على الكتابات :

أما دور هذه الكتابات بالنسبة للناشئة، فهو دور حيوي بسبب المهمة المسندة إليها، فالأب يدفع ولده للمعلم على أساس أن يتولى تعليمه القراءة والكتابة ويحفظه القرآن الكريم ويربيه تربية دينية خلقية، وكثيرا ما يتتبع الآباء والأولياء أبناءهم ملاحظين تحقق كل ذلك فيهم أو عدم تحققه حتى وإن كانوا أميين ويعززون كل نقص في ذلك أو تقصير إلى الساهر على العملية التربوية، وهو المعلم، ولذلك يتحلى هذا الأخير بالصرامة المفرطة في تطبيق التعليمات والتوجيهات التي يلقيها للناشئة.

ج — رسالة والد إلى معلم ولده القرآن الكريم واقتراحاته التربوية فيها :

وحتى ينكشف جزء من هذه التربية وأهدافها المرجوة أسوق رسالة من أحد الآباء⁽⁴⁰⁾ إلى معلم ولده قال : «أما بعد فهناك ولدي عبد الرحمن⁽⁴¹⁾ كمل الله فيه رجاءنا ورجاءك، فاحفظه من الخروج مع الصبيان والكبار للسكك والديار والفدادين، لا يخرج إلا لقضاء حاجة الانسان، ولا يذهب به أحد للدار قريبا أو بعيدا إلا أن تذهب معه ولا يقعد مع كبار الصبيان وغيرهم، وأدبه بحسن الآداب من غض البصر، وقلة الكلام، وتقليل الشرب والأكل والضحك، ولا يرفع فيك العينين، ولا يكلمك إلا في استفتاء أو نحوه، ولا تترك أحدا أن يتكلم معه حتى ولدك فمن أراد أن يعطيه شيئا فليات به إليك، ولا يأكل حتى يجوع فإن إدخال الطعام على الطعام مضرة عظيمة، والجوع أنفع من الطعام، ولا يكثر الشرب، ولا يشرب إثر الأكل، حتى تمضي ساعة، ولا يذكر له أحد هذه البلاد، فيشوش عقله، وعيس له وجهك واغلظ له كلامك، وخوفه أول ما جاء حتى يخافك، ثم ارحمه، وابدأ لوحه من أول (البقرة) يكتب بيده بسرعة، وعلمه الكتابة، وكيف يقرأ بسرعة من غير ترديد الكلمات، فإذا محا

(39) التيارات السياسية والفكرية بالمغرب خلال قرنين ونصف قبل الحماية للاستاذ ابراهيم حركات ص : 12.

(40) سيدي عبد الله بن محمد التلي الجزولي الجشتيمي (ت. 1198هـ) ترجمته بقلم ولده عبد الرحمن — المعني

في الرسالة — في كتابه مناقب أبي زيد عبد الرحمن بن عبد الله الجشتيمي / مخطوط ص : (23 — 25)

وكذا المعسول لمحمد المختار السوسي 6 : (8 — 19).

(41) المقصود أبو زيد عبد الرحمن بن عبد الله الجشتيمي (ت. 1229هـ) ترجمته في المعسول 6 : 21.

لوحة قرأها، وبعد الكتابة، وبعد التصحيح، وعند القائلة، ولينم قليلا قبل الظهر، وكلما رفع بصره عن لوحته لنظر أحد أو لاستماعه زجرته، ونبيه⁽⁴²⁾ من النعاس فإنه كثيره، وشد ميزرك لتؤدي حق تلاميذ أهل البلدة، فلا يشغلنك عنهم ولدي، وانهم عن الكذب والحلف إلا إن شاء الله، ولا يأكل ولا يشرب حتى يسمي، ويحمد آخره ويسمي عند الرقود، وعند الدخول والخروج، ويفتح القرآن بما كان يقوله أولا، فما علمت فيه الحرام أو الشبهة فلا تدعه يأكله، فإن كل لحم نبت بالحرام فالنار أولى به... ولا تتركه يتكبر ويتعدى على الصبيان حتى بالكلام، فإننا أردناه للمسكنة والصلاح، فالله يربحك منه ومنا، ويرزقك وإياه ما تتمنى في دار الدنيا والآخرة، ولا تبعثه إلينا حتى ترى كلامي فإن جاء من غير أمرك فالحقه في الطريق، واضربه إلى هناك فهو ولدك قد وكلتك عليه توكيلا مفوضا، ولا تطلع على سره أحدا في القراءة ولا غيرها، فمن سألك عنه فقل له : نرجو له الخير، فالله ينفعه وغيره على يدك ويكثر بك النفع في المسلمين آمين»⁽⁴³⁾.

ويرى الشيخ محمد المختار السوسي أن هذه الرسالة تجمع لباب الآراء في تربية النشء خصوصا نشء البوادي وأبناء العلماء وقد برهنت على نية الأب في ولده، وعلى أنه يريد النصح للجميع كما أن فيها مالا يجده «أصحاب علم هذا العصر، فيما جربوه ولهم رأيهم الخاص اللائق بهم، ولعبد الله نظره الخاص اللائق ببيئته»⁽⁴⁴⁾.

د - التنافس في التحصيل والإشراف :

على أن أهم سمة كانت تطبع أعمال الكتاتيب القرآنية وتكون حافزا على ارتفاع مَرْدُودِيَّتِهَا هي سمة التنافس، سواء من حيث الإشراف والتسيير أو من حيث العطاء والمردودية، ويكون التلاميذ تبعاً لذلك أحرارا في الاستفادة من هذا التنافس والانتقال من الكتاب الجيد إلى الأجود منه، دون اعتراض عليهم في ذلك حتى وإن كانت هناك حساسية بين أهل هذه المؤسسات، خصوصا في البوادي، فإن المؤسسة التعليمية، أي الكتاتيب القرآنية ومن يعمرها من التلاميذ، تكون منزهة عن أن تؤخذ بذلك، فهي محترمة من قبل الجميع، وتكاد تشكل في حد ذاتها حرما آمنا مطمئنا وقد اكتسبت كل ذلك التقدير والتعظيم بما تؤديه من دور في شأن تحفيظ كتاب الله ونشره بين الأطفال والولدان الأبرياء... «وياويج من تحدته نفسه أن يقرب بسوء

(42) وهذه الرسالة وإن كتبت في القرن الثاني عشر الهجري فإن ما ذكر فيها هو عين الطريقة السلوكية في سوس في التعليم القرآني خلال الثالث عشر والرابع عشر وفي ما تبقى الآن.

(43) المرسوم 6 : 18.

(44) المرسوم 6 : (18 - 19).

مسجداً أو مدرسة أو حمى أو حرماً أياً كان، فإن رجالات القبيلة لاتأخذهم عليه الشفقة ولا الرحمة»⁽⁴⁵⁾.

هـ - برنامج الكتاب ووسائله التعليمية :

ويخضع الكتاب في عرّفه التقليدي لشكليات تنظيمية تكاد تتفق في جوهرها وتختلف اختلافاً بسيطاً بحسب الجهات والمدن والبادي وبحسب بعض الاجتهادات الشخصية التي تلحق هذه الشكليات أحياناً فمن حيث استعمال الزمن فالأسبوع الدّراسي فيها يتبدىء عشية يوم الجمعة، ويستمر إلى مساء يوم الأربعاء، وهو أسبوع مكثف بالحضور والعمل والدراسة يستغرق كل وقت التلميذ في النهار، مع شطر كبير من أول الليل وآخره....⁽⁴⁶⁾.

ويختص الصباح الباكر بمراجعة الألواح المحفوظة، ومحوها وإعدادها والجلوس لكتابتها بالنسبة للحافظين، أو كتابة شطر منها أمام الفقيه بالنسبة للمستّمليين أو تعلم الكتابة فيها بالنسبة للمبتدئين.

أما اللوازم أو الأدوات فتكاد تنحصر في قلم من القصب، ودواة ولوح خشبي ممرور عليه بالصلصال الأبيض، لكن رغم ما يلاحظ على هذه اللوازم من حيث قلتها وبساطتها، فإن المستعمل لها يعرف كيف يستخدمها أحسن استخدام، فيؤدي بها وظائف شتى، فـقلم القصب إن لم يكن معداً للكتابة من جهتين، فسيكون مهيئاً لأن يكون وسيلة لتسطير اللوح، أو بيكارة لرسم دائرة الختم، أو مساعداً على تحكيك ألفاظ القرآن وتردادها من أجل الحفظ، والصمغ الذي في الدواة هو للكتابة، وفي نفس الوقت لوضعه على الجروح التي تلحق المتعلم من جراء الضرب وغيره، أما اللوح الخشبي فهو للقراءة، ووسيلة وقاية من ضربات العشوائية التي يوجهها المعلم في كل لحظة بسبب أو بغيره، وهي تكأة غير مباشرة للتلميذ عليها يستريح، وبسببها يتحرك ويغطي بها وجهه في حركات كلامية سريعة مع من بجانبه.

هكذا توظف اللوازم في الكتاب توظيفا متقناً، سواء فيما وضعت له أصلاً أو فيما لم توضع له، وذلك لمسيس الحاجة إليها. ولن تجد في الكتاب مصحفاً ولا دفترًا ولا ورقاً معداً للكتابة إذ ليس ذلك من اللوازم المعتمدة فيه.

و - حرص الآباء وتشجيعهم أولادهم على حفظ كتاب الله تعالى :

وقد كان الناس في تعليم القرآن وتعلمه في حرص شديد وشوق زائد وكثيراً ما يتمنى

(45) سوس العالة ص : 25.

(46) مدارس سوس العتيقة ص : 13 وما بعدها / المعسول 18/227.

إنسان منهم أن يرى من أولاده الذين خرجوا من صلبه، من يستظهر القرآن الكريم، ثم إذا عاينه فإنه يجعله سيد إخوته، ويتصدق عليه بشيء من ماله يوم الحداقة⁽⁴⁷⁾

كما أن هناك العديد من الأمهات القارئات الحافظات يعلمن بناتهن وأولادهن، وقد ذكر الوزير محمد المختار السوسي رحمه الله تعالى — أن المرأة في الصحراء المغربية غالبا ما تتولى تحفيظ القرآن لأولادها، وأن في إحدى القبائل الصحراوية توجد مقبرة دفن فيها من النساء التجاكنيات الحافظات لكتاب الله اثنتا عشرة حافظة⁽⁴⁹⁾ وقد ذكر العلامة ابن غازي المكناسي عن والدته مانصه : «حفظت منها كثيرا في أيام الصغر فلم أتعب كثيرا في حفظه في الكبر، وقال، فنفعتنا بذلك في الصغر غاية، برد الله ضريحها»⁽⁵⁰⁾.

6) ظاهرة التلقين والتحفيظ وآراء بعض العلماء المعاصرين فيها :

أ — رأي محمد المختار السوسي :

ويتعرض محمد المختار السوسي إلى أقول نجم هذه الظاهرة قائلا : «قد شاهدت مع هذه المهمة التي تبدل في بلادنا حول تعليم القرآن، وهذا الاجتهاد العظيم الذي قاموا به في بثه ولكن هذه القيامة كلها قد فترت حرارتها منذ 1346 هـ فخلت المدارس من هذه النزعة، وفترت هم الطلبة عن هذه الجماع، وقل تعلم القرآن وخوى نجمه، وأقفرت مدارس، والأمر لايزداد إلا شدة، ولا حول ولا قوة إلا بالله، بعدما كانت في (سوس) قراءة القرآن، والاعتناء بها وصلت مبلغا عظيما قد يكذبه من سياقي بعدنا إن لم نصوره له نحن في هذا العصر أحسن تصوير...»⁽⁵¹⁾.

ب — رأي محمد بن أحمد العبدى الكانوني :

وعلى النقيض من فكرة محمد المختار السوسي نجد العلامة الفقيه الكانوني⁽⁵²⁾ لا يرى كبير

(47) عرفها في المعسول 3 : 243 بقوله : «ما يقدم إلى الأستاذ من والد تلميذ جديد عندما يأتي به إلى التعلم، فإنه يأتي إما بدراهم أو طعام أو هدية أخرى» ويوم الحداقة هو يوم الاحتفال بإنهاء التلميذ القرآن حفظا، ويفتن الناس في الاحتفال بالحداقات ويكرم الشيخ وأصدقائه ورفقاء التلميذ والجيران وغيرهم.. (يراجع المعسول 1 : 34 / 3 : 245) وكذا تاريخ تطوان للأستاذ محمد داود 2 : 79 / وتاريخ رباط الفتح لعبد الله السويسي ص : 159.

(48) مدارس سوس العتيقة ص : 25.

(49) المعسول 18 : 101، 161 / يراجع النبوغ المغربي 1 : 282.

(50) إتخاف أعلام الناس لمولاي عبد الرحمن بن زيدان 3 : 66.

(51) مدارس سوس العتيقة ص : 37.

(52) محمد بن أحمد العبدى الكانوني الأسفي (ت. 1357هـ) ستأتي ترجمته ومصادرها.

جدوى للكتاتيب المقتصرة على حفظ القرآن مجردا، وعنده أن ذلك ليس اجتهدا وإنما هو تقصير كبير «لأن المقصود من القرآن هو معرفة معانيه وأسراره الدينية والدنيوية والكونية، ولا يتبى ذلك إلا بمعرفة مبادئ العربية واللغة والأدب العربي، فإنه المفتاح لكنوز القرآن»⁽⁵³⁾ كما أنه يرى أن هذه الكتاتيب في حاجة إلى إصلاح بإدخال العلوم العربية وبذلك نكون قد حافظنا على القرآن العظيم «وظفرنا بكنوزه الخبأة فيه، وإلا فقد عصينا الله ورسوله وجنينا على أبنائنا جنابة لا تغتفر بجمودنا على لفظ القرآن فقط، حتى يشب الصبي، ويدخل طور الرجولة، ولا علم لديه فيتشتت عليه عقله للتفكير في أمور أخرى تدعوه إليها طبيعة الشباب، وبلوغ حد الرجولة، فيصير أمرهم إلى شقاء، ويعيشون جهالا بأمر الدين والدنيا، فماذا ينفعهم لفظ القرآن إذا كانوا جاهلين بما انطوى عليه...؟»⁽⁵⁴⁾

ثم يستدرك الكانوني — رحمة الله تعالى عليه — قائلا : «ولكن ليست التلاوة هي المقصودة منه، ولا هي الضالة المنشودة بواسطته بل يجب علينا أن نؤدب أبنائنا ونهذب أخلاقهم، ونغذي أفكارهم بالعلوم اللسانية، جاعلين القرآن العظيم أولها، ويكون ذلك تدريجيا بنظام يكفل النجاح، ولا يتبى ذلك أيضا إلا بتعدد الأساتذة في المكاتب ليقوم كل واحد بقسط من تلك العلوم، وأن نأخذ من لم تكن فيه قابلية للعلم بتعليم الصنائع والحرف النافعة، وغيرها من العلوم الدنيوية التي لاحياة للأمم والشعوب إلا بها، وإذا لم نقتد بالكتاب والسنة، وكل منهما يدعو لطرح الجمود والخمول وللبروز لميادين الحياة المادية والأدبية — فهلا اقتدينا بالأهم الراقية في نهضتها الفكرية وحركتها الحيوية مما لا يمس بشعائر ديننا، فالعلم هو سعادة الأمم والشعوب والجهل داؤها وشقاؤها، نسأل الله أن يوفق هذه الأمة إلى ما فيه رشادها»⁽⁵⁵⁾.

وأما قوله «ليست التلاوة هي المقصودة منه» فهو ليس على إطلاقه بل هي مقصودة منه لأنها عبادة مأمور بها شرعا لقول تعالى : ﴿واتل ما أوحى إليك من الكتاب وأقم الصلاة..﴾. وقوله (وأمرت أن أكون من المسلمين وأن أتلو القرآن). وقوله ﷺ «والذي يقرأ القرآن وهو على شاق له أجران» أجر التلاوة وأجر المشقة.. فالتلاوة ليست هي الوحيدة المقصودة منه. ولكنها هي مفتاح الباب للوصول إلى كنه القرآن ومقاصده المتعددة .

— أساس تدهور ظاهرة التلقين والتحفيظ :

وفي رأيي أن في مضمّن كلام الفقيه الكانوني — الأنف الورود — دعوة غير مباشرة

(53) آسفي وما اليه قديما وحديثا ص : 150.

(54) نفس المرجع والصفحة.

(55) المرجع نفسه ص : 151.

إلى تحويل الكتابات إلى مدارس تهتم بالعلوم اللسانية التي هي أداة لفهم القرآن، واستخراج كنوزه والاستفادة منها لأن المدارس هي التي تحتاج إلى تعدد الأساتذة، وسواء سميناها كتابات أو مدارس فالعمل على إنجاح مردوديتها وتقوية فاعليتها، ينبغي أن يكون هو الهدف، وهذا الذي ذهب إليه العلامة الكانوني هو مستمد من واقع معين كانت تعيشه الأمة المغربية، والذي تحدث عنه في كلامه المسوق هو علاج ناجع لأنه أدرك لعبة المستعمر الذي يسعى إلى تكريس أوضاع تعليمية في حاجة إلى إصلاح وإعادة نظر.

فقد لاحظنا فيما سبق، كيف أن إطلالة القرن العشرين، الذي يعد قرن أوج الحضارة الغربية بلاشك، على بلاد المغرب، وجدته يسير على هياكل مؤسسة تعليمية ذات طابع تقليدي أصيل، وهي وإن كانت في حاجة شديدة وماسة إلى التجديد والإصلاح، فإنها من ناحية أخرى، وهي ناحية التسيير والاعتناء بها اقتصاديا واجتماعيا كانت سليمة الكيان إلى حد ما، لأن الجماعات المحلية التي كانت تُشرف عليها وترعاها تعتبر ذلك واجبا من واجبها الديني المقدس الذي لا ينبغي التهاون فيه أو التخلي عن القيام به وبمتطلباته...

لكن كما أصبحنا نعلم يقينا أن المجال التربوي في حيويته وعطائه، ينبغي أن يغذى من شرياني هامين هما : الاعتناء بالمناهج والبرامج ذات الأهداف والمرامي البعيدة؛ ورصد الأموال الكافية لتغطية البحث العلمي والتكوين التربوي وحاجات التسيير لتنشيط العطاء ولضمان الاستمرارية والتجدد وهذان العنصران هما أساس نجاح العمل التربوي الذي عرف ويعرف تغيرات جذرية في الفترة المعاصرة.

فإذا كانت نفقات التسيير في العهود السابقة يتغلب عليها بكيفية من الكيفيات وبوسائل إنتاج محلية، فإن الأساس الأول وهو جانب المناهج والطرق التربوية الناجعة ظل عند المسلمين المتأخرين عقيما لا ينتج، ولا ترجى منه عطاءات نافعة ومشجعة فالكيانات المؤسسية قائمة، والحركة داخلها تسير، ولكن يجهل القائمون على أمرها اتجاه المسير أهو إلى الورا أم إلى الأمام ؟ في حين أن كثيرا من شعوب العالم كانت تعرف تحولات جذرية في هذا الميدان، ميدان التعليم المؤسسي والطرق التربوية وضبطها والبحث عن أنجع الوسائل في نجاح العمل التربوي والنهوض بالبحث العلمي والرفع من مستوى المربين المكونين.

— تحديات في وجه القرآن ولغته :

وإذا تساءلنا عن وضعية عملية التلقين والتحفيز كمثال في العصر الراهن التي عرفت تدهورا في العهود الأخيرة واحتاجت إلى الإصلاح لضمان استمرارها، نجد أن مثل ذلك حدث للغة العربية، فهي نفسها آلت إلى قوالب جامدة عاقت حركتها وأفقدتها مرونتها وحيويتها،

والذين جاؤونا بالتمدن والتحضر كانوا جدّ واعين بمشاكلنا وأوضاعنا الاجتماعية والفكرية وغيرها ومع ذلك لم يكشفوا لنا عن علاج ناجع لأوضاعنا التعليمية، وإنما فرضوا علينا أنفسهم وتعليمهم ولغتهم دون مراعاة لخصوصيتنا، بل سعوا إلى تجاهل وضرب هذه الخصوصية الحضارية!

فقد كانوا على علم بما يمثله مركز اللغة العربية الفصحى من أهمية في بناء المجتمع المغربي، ويعلمون أيضا ما آل إليه حال هذه اللغة من الحاجة إلى البعث والإحياء في مكوناتها ولكنهم لم يعملوا شيئا يستحق الذكر في هذا المضمار بل استغلوا من أجل هذه النقيصة عنصرين هامين هما : الأول : تلقين لغتهم الأجنبية بأساليب متطورة حديثة ومغرية تغطي عن سوءات لغتهم ببريق ولمعان بيداغوجي يغري البسطاء ويجعلهم يعتقدون في الصلاحية التامة لهذه اللغة وفي يسرها وسهولتها وعذوبتها، والثاني : أنهم حينما يرسخون هذه الصورة النموذج البراقة للغتهم في أذهان الأجيال، يقدمون لهم خصّة لغتهم الأم بطريقة عتيقة ليست بطريقة العصر، وإنما هي طريقة عصور سابقة من التدهور والانحطاط مرت بها الأمة وعرفت فيها اللغة وأساليب تدريسها بالتّبع نوعا من الغشّ كان يحسن أن يزال وتعاد للغة العربية أناقتها وجلّؤها، ولكن سوء النوايا والمقاصد يجعلهم يعمقون الهوة بين اللغتين بإسناد حصّة اللغة العربية إلى شخص يجعلونه في وسط قد يثير السخرية والضحك، خصوصا في أجواء مدرّسة ومحبّوكة مسبقا من أجل ذلك حتى يقتنع الشباب بتفاهة لغته ونجاعة لغة الأجنبي، وتفضيلها في القراءة والتخاطب !، مع العلم أن اللغة كيفما كانت ومهما بلغت فهي لاتعدو أن تكون أداة ووسيلة لاغاية، وإنما الدعاية هي التي أصبحت من أكبر العوامل المرجحة في هذا العصر !

— دور المدارس الحرة في رد الاعتبار :

ولكن الأحرار من المغاربة لم يقبلوا هذه المساومات التي تمس وجودهم وكيانهم، فهبوا إلى إنشاء مدارس حرة لتدريس اللغة العربية بأساليب سليمة وهادفة وتخصيص حصص معقولة لها ولتدريس القرآن الكريم والاستفادة من هذه الحصص التي خضعت للتشويه في أعين الناشئة. واستقطبت هذه المدارس مجموعات هائلة من حفظة كتاب الله ممن فاتهم سن التمدّس القانوني ! وقدمت تسهيلات وتضحيات في سبيل نشر العلم والمعرفة ومحاربة الجهل الذي ظلت سياسة المستعمر تكرسه وتعمل على استمراره...

وباستفادة هذه الفئات الأولى من الشباب وانخراطهم في الوظائف بعدّ تحصيلهم على الشواهد بدأ دور الكتابات القرآنية ذات الطابع التقليدي المخصصة لحفظ القرآن الكريم مجردا يتقلص شيئا فشيئا إلى أن جاء عهد الاستقلال وسلكت البلاد سياسة التعليم العصري ببناء

المدارس في المدن والقرى والمناطق النائية وإجبار الآباء على تسجيل أولادهم في التعليم العصري بدأت الكتابيب تتراجع إلى الوراء بشكل خطير وتغلق أبوابها شيئاً فشيئاً، إلى أن أصبح في العديد من الجهات التي كانت تعرف منافسة في تحفيظ كتاب الله لناشئها فراغا مهولاً، ممن يحفظ كتاب الله، وممن يعمر مسجداً من المساجد، أو يجمع إليه مجموعة متفرغة لحفظ كتاب الله وصار ذلك في حكم النادر الذي لا يقاس عليه.

— بين الكتاب والمدرسة العصرية :

إن المدارس العصرية اليوم حذت وقلّصت بصفة ملحوظة من ظاهرة حفظ القرآن الكريم وتحفيظه بين الناشئة والتي هي ظاهرة متأصلة في نفوس المغاربة، ويمكنك أن تجد من بين الذين شمل التعليم العصري أولادهم مكتوبين في مشاعرهم بنار ابتعاد أولادهم عن حفظ كتاب الله بسبب التعليم النظامي الذي يستغرق معظم أوقات الأطفال، وعندما تفتح الآباء في هذا الشأن تضيق أنفاسهم حسرات على فلذات أكبادهم الذين لا يملكون لهم حيلة في شأن حفظ القرآن الكريم مثل ما كان يحفظه العديد من أسرهم في الأجيال التي قبلهم، وكانت حتى عهد قريب جداً ديدن صبيانهم وفتيانهم فيما مضى وانقضى.

إن جيل الآباء اليوم الكهول والشباب قد عاش مرحلة التصارع بين الكتاب والمدرسة العصرية، وفي ظل ذلك نالت نخبة منهم لأبأس بها حظها من حفظ كتاب الله، وولجت المعاهد الدينية وتقوت صلتها وعقليتها بالقرآن الكريم فكان لها حصناً حصيناً في عقيدتها وسلوكها ومواظبتها على شعائر دينها، وهو أمر يكاد يتعذر على الجيل اللاحق لهم لطغيان التمدن العصري وضعف قوة الدفع في كتابيب تحفيظ القرآن الكريم، ولم يعد هناك من سبيل لهذا التحفيظ إلا في حالات نادرة ينقطع فيها الطفل عن التعليم النظامي، ويتفرغ كلية لحفظ القرآن، ويمكنه إن قرعَ منه مبكراً أن يلتحق بمعاهد التعليم الأصلي، إن وجد من يتعهد ويرعاه حتى يأخذ طريقه نحو العلم والتحصيل.

إن العديد من ذوي الوعي من الآباء اليوم يعلمون أن أبناءهم في حاجة إلى تعلم العلوم، والمعارف العصرية، واللغات الأجنبية وأنهم بقدر حاجتهم إلى ذلك في حاجة أيضاً إلى تعلم اللغة العربية وإتقانها إتقاناً يضمن سلامة نطقهم وفهمهم وتعبيرهم وكتابتهم بها، فهي لغة أساس بالنسبة لهم، ويعلمون جيداً أن معاقدة نياط هذه اللغة تكمن في القرآن الكريم، فبقدر ماتكون الحصيلة منه قوية، بقدر ماتكون المعلومات اللغوية في العربية أدق وأمتن، فحفظ القرآن فيه تقوية ملكة المتعلم، وصقل لسانه، وفكّيه، وتدريبه على النطق السليم وإعطاء كل حرف حقه ومستحقه.

فأين السبيل للوصول إلى جني هذه النتيجة بأن يحصل التلميذ على رصيد من القرآن الكريم يستخدمه في عدة مجالات من حياته العلمية والعملية في عقيدته وتربيته وأخلاقه ولِسَائِيهِ النُّطْقُ والكتابة ؟!

إنه سؤال يستشعر أهميته ويدرك أبعاده من له إلمام ببنيتنا الاجتماعية والدينية، ويريد أن يكون واقعيًا في وعيه وتفكيره آخذًا بعين الاعتبار مقومات الشخصية المغربية التي سهر أجدادنا طوال عدة قرون على بنائها بناء متينًا مستمدا من ملة الإسلام عقيدة وشرعة وأخلاقًا وفكرًا وسلوكًا ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

الفصل الثاني

القراءات القرآنية

تمهيد :

1) تعريف بالقراءات القرآنية :

يقصد بالقراءات القرآنية، حسب الضوابط التي وضعها الأئمة القراء لتحديد ماهو قرآن، وما ليس بقرآن : « كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً، وصح سندها، فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها ولا يحل إنكارها، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، ووجب على الناس قبولها، سواء كانت عن الأئمة السبعة أم عن العشرة أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين، ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة، أو شاذة، أو باطلة، سواء كانت عن السبعة أو عمن هو أكبر منهم، صرح بذلك... الداني⁽¹⁾... ومكي⁽²⁾... والمهدوي⁽³⁾... وأبو شامة⁽⁴⁾ وهو مذهب السلف⁽⁵⁾».

2) القراءات سنة متبعة :

ونقل عن الإمام الداني قوله : إن «أئمة القراء لاتعمل في شيء من حروف القرآن على

-
- (1) أبو عمرو الداني عثمان بن سعيد توفي (444هـ) إمام في القراءات بعلمه وكتبه المعتمدة منذ عهده إلى اليوم. مصادر ترجمته في مقدمة تحقيق كتابه «التيسير» ص : د. لأوتوبرتزل... / غاية النهاية 1 : 503.
 - (2) أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي القيرواني توفي (437هـ) وصلت كتبه المائة من أشهرها في القراءات التبصرة والكشف أكثر من ثلثي مؤلفاته في علوم القرآن... / مصادر ترجمته يوقف عليها في مقدمة تحقيق كتابه «الكشف» 1 : 5. / غاية النهاية 2 : 309..
 - (3) أبو العباس أحمد بن عمار المهدوي توفي بعد الثلاثين وأربعمائة : إمام مقرئ مفسر، اشتهر في القراءات بكتابه الهداية وشرحها ! «الموضح في تحليل القراءات» [مخطوط خ. ع. الرباط رقم 139] (غاية النهاية لابن الجزري 1 : 92/...)
 - (4) أبو شامة عبد الرحمن بن إسماعيل الدمشقي توفي (665هـ)، صاحب إبراز المعاني على الشاطبية، والمرشد الوجيز، وغيرها (مقدمة تحقيق إبراز المعاني...) وغاية النهاية 1 : 365.
 - (5) النشر في القراءات العشر لابن الجزري 1 : 9.

الأفشى في اللغة، والأقيس في العربية، بل على الأثبت في الأثر، والأصح في النقل، والرواية إذا ثبتت عنهم لم يردّها قياس عربية، ولا فشو لغة، لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها»⁽⁶⁾

(3) الفرق بين القارىء والمقرئ :

ويميز العارفون بالقراءات بين القارىء والمقرئ تمييزاً دقيقاً يقوم على أساس التمكن الجزئي أو الكلي من القراءات، فالقارىء عندهم هو المبتدىء الذي شرع في الأفراد إلى أن يفرد ثلاثاً من القراءات، فهو إلى هذا الحد قارىء، والمقرئ فوق ذلك، فهو العالم بالقراءات سبعا أو عشرة، الراوي لها مشافهة، الناقل لأكثرها وأشهرها⁽⁷⁾.

(4) القراءات لاتضبط إلا عن شيوخها وأئمتها :

كما أن القراءات القرآنية لا يكفي فيها أن يستوعب شخص كتاباً من كتبها المعتمدة ليتصدر بذلك للإقراء وغيره، بل لابد له من أن يكون قد تلقى ما في ذلك الكتاب من القراءات تلقياً محكماً بالسماع والمشافهة المسلسلة عن أئمة الأداء، لأن في القراءات أشياء لاتضبط إلا بالسماع⁽⁸⁾.

(5) الفرق بين القراءة والرواية والطريق والوجه وذكر أئمة الإقراء :

كما يميزون بين القراءة والرواية، والطريق، والوجه... فالقراءة العلم بكيفية أداء كلمات القرآن حسب ما صحت روايته عن إمام من الأئمة القراء مخالفاً بها غيره في نطق الحروف أو في نطق هيئاتها موافقاً للغة العربية ولو بوجه، ولرسم العثماني ولو احتمالاً.

والأئمة القراء الذين حملوا إلينا القراءات القرآنية عذبة مسلسلة هناك من حصرهم في سبعة، وهناك من حصرهم في عشرة، وربما زادوا على ذلك، ولا معنى للحصر مادامت الضوابط الثلاثة متوافرة في رواياتهم، لكن القراء السبعة — الآتي ذكرهم — هم الذين في نظر كثير من المتخصصين في هذا الفن، يطبقون أحسن تطبيق ضابط القراءات، لذلك تركن النفس إلى ما نقل عنهم فوق ما نقل عن غيرهم⁽⁹⁾.

(6) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي 1 : 75 ومنجد المقرئين ص : 65.

(7) منجد المقرئين لابن الجزري ص : 3.

(8) نفس المصدر والصفحة.

(9) التهامي الراعي الهاشمي : مقدمة تحقيقه لكتاب التعريف في اختلاف الرواة للداني ص : 90 — الإتقان

في علوم القرآن للسيوطي 1 : 75.

وهؤلاء الأئمة القراء، أو البدور — كما يعرفون — تميزا لهم عن الرواة من تلامذتهم، هم كما رتبهم الإمام الداني في تيسيره،⁽¹⁰⁾ عند قوله — رحمه الله — : باب ذكر أسماء القراء، والناقلين عنهم، وأنسابهم، وبلدانهم، وكناهم، وموتهم :

(1) نافع المدني، هو نافع بن عبد الرحمان بن أبي نعيم، مشهور عند القراء بأبي رؤيم توفي بالمدينة المنورة سنة 169 هـ.

(2) ابن كثير المكي، هو عبد الله بن كثير الداري، من التابعين توفي بمكة سنة 120 هـ.

(3) أبو عمرو البصري، هو أبو عمرو بن العلاء، توفي بالكوفة سنة 154 هـ.

(4) ابن عامر الشامي، هو عبد الله بن عامر اليحصبي، من التابعين توفي بدمشق سنة 118 هـ.

قال عنه الداني : «وليس في القراء السبعة من العرب غيره وغير أبي عمرو والباقون هم موال»⁽¹¹⁾.

(5) عاصم بن أبي النجود الكوفي، من التابعين أيضا توفي ببلده سنة 127 أو 128 هـ.

(6) حمزة الكوفي، هو حمزة بن حبيب الزيات الفرضي التميمي ولاء، توفي بحُلوان سنة 156 هـ.

(7) الكسائي الكوفي، هو علي بن حمزة النحوي، توفي بالري حين توجه إلى خراسان مع الرشيد سنة 189 هـ.

وهؤلاء القراء السبعة ونظراؤهم من الأئمة متبعون في جميع قراءاتهم الثابتة عنهم التي لاشدوذ فيها»⁽¹²⁾.

والرواية كل ما ينسب للراوي عن الامام، كإثبات البسملة بين السورتين لقالون⁽¹³⁾ عن نافع وإثبات المد بقدر الست لورش⁽¹⁴⁾ عن نافع...

(10) أبو عمرو الداني : التيسير في القراءات السبع ص : 4.

(11) المصدر نفسه ص : 6.

(12) ابن الجزري : النشر في القراءات العشر 1 : 37.

(13) هو عيسى بن مينا المدني، أحد الرواة البارزين عن نافع المدني، توفي في حدود 220 هـ [التيسير للداني ص : 4 / غاية النهاية لابن الجزري 1 : 615].

(14) هو عثمان بن سعيد المصري، لقب بورش لشدة بياضه توفي بمصر سنة 197 هـ أحد الرواة عن نافع وروايته هي المعتمدة في المغرب والجزائر وبعض بلدان افريقيا وأجزاء من تونس، وليبيا ومصر وغيرها... وهي في المغرب من طريق الأزرق.. [التيسير ص 4 / غاية النهاية 1 : 502].

— الطريق كل ما نُسِبَ لِلآخذِ عن الراوي، وإن سفل مثل إثبات البسملة للأصبهاني⁽¹⁵⁾
عن ورش.⁽¹⁶⁾

الوجه : هو الخلاف الجائز أي خلاف التخيير كأوجه الوقف على عارض السكون
فالقارئ مخير في الإتيان بأي وجه منها متى تعددت، ولو أتى بوجه واحد منها أجزأه، ولا يعتبر
نقصا في روايته،⁽¹⁷⁾ ولذلك قال الإمام الحافظ السيوطي — رحمه الله — «وأما القراءات
والروايات، والطرق، والأوجه، فليس للقارئ أن يدع منها شيئا أو يخل به، فإنه خلل في
إكمال الرواية إلا الأوجه فإنها على سبيل التخيير، فأَي وجه أتى به أجزأه في تلك الرواية»⁽¹⁸⁾.

وفيما يلي بيان يوضح ماسبق، ومثاله التعريف بالقراءة التي يقرأ بها أهل المغرب...

القراءة ← نافع = البدر

الرواية ← ورش = الراوي

الطريق ← الأزرق⁽¹⁹⁾ = راو عن الراوي

وبعد هذه الإطلالة على مجموعة من الاصطلاحات والمفاهيم المرتبطة بموضوع القراءات،
والتي قد تساعد على كشف جوانب مما يشار إليه لماما، أعود إلى رصد عناية المغاربة بالقراءات
القرآنية في القرن الرابع عشر الهجري...

* اهتمام المغاربة بالقراءات القرآنية في ق 14 هـ :

لا يخفى على الباحثين والدارسين أن القراءات القرآنية من العلوم الدينية التي أولاها المغاربة
عناية خاصة، واهتموا بها اهتماما كبيرا ومتزايدا بشكل منقطع النظير⁽²⁰⁾ ولم يسبق للتاريخ أن
حدثنا عن عهد من عهود الإسلام في هذه الديار عرف فراغ معاقل هذا العلم أو انقطع

(15) الأصبهاني هو أبو بكر محمد بن عبد الرحيم توفي ببغداد سنة 296 هـ. كان إماما في رواية ورش ضابطا
لها مع الثقة والعدالة [القول الأصدق في بيان ما خالف فيه الأصبهاني الأزرق] للشيخ محمد علي الضباع
ص : 4 [وإغاية لنهاية] 2 : 169.

(16) د. التهامي الراجي الهاشمي : مقدمة تحقيقه كتاب التعريف للداني ص : 91.

(17) نفس المصدر والصفحة / الإتقان في علوم القرآن للسيوطي 1 : 102 — 103.

(18) الإتقان 1 : 103.

(19) الأزرق هو يوسف بن عمرو المدني ثم المصري (ت. 240) تقريبا [إغاية لنهاية] 2 : 402.

(20) ذ. عبد الله الجراي : متعة المقرئين.. ص : 91.

الاشتغال به بين أهل المغرب؛⁽²¹⁾ بل ظل أمره في تزايد وتعاضم، وتكاثرت أفواج متعاطيه جيلا بعد جيل إلى حدود منتصف القرن الرابع عشر الهجري.

وإذا كانت الفترة المعاصرة قد عرفت تحولات وتبدلات خصوصا في العقود الأخيرة، وبالضبط بعد استعادة المغرب لحريته واستقلاله فإن مطالع القرن الرابع عشر الهجري وما وليها إلى حدود النصف الأول منه — على وجه التقريب — قد احتفظت لنا بما يمكن أن نعهده صورة واضحة ومكتملة لما كان عليه الأمر في عدة قرون سابقة دون كبير تغيير، سواء من حيث التدريس وطرقه، والمؤلفات المعتمدة فيه، أو من حيث المشايخ وإتقانهم وضبطهم وورعهم، وسَمْتُهُم، والمجالات العلمية التي تشغلهم أو من حيث الطلاب وعددهم وجوبهم الآفاق طلبا للتحصيل، وبحثا عن الشيخ المقرئ الحجة في الفن، أو من حيث المدارس المخصصة لعلم القراءات والمشهورة به.

وبما أن الاهتمام لا ينصب على علم من العلوم أو فن من الفنون إلا إذا كانت هناك محفزات تدعو إلى ذلك وتجعل المتطلعين يستسهلون كل صعب ويسترخصون كل غال ونفيس من أجل تحصيله وبلوغ الغاية والهدف فيه.

— فما السر الذي كان وراء توثق صلة المغاربة بعلم القراءات حتى أصبح المغرب بمثابة عش للقرآن والقراءات ومركز للتحقيق والبيان ؟

— ثم أين تجلت مظاهر اهتمامهم وعنايتهم بهذا العلم ؟

إن الجواب عن هذين السؤالين يقودني إلى الحديث عن دواعي اهتمام المغاربة بالقراءات أولا وعن مظاهر هذا الاهتمام ثانيا.

أولا : دواعي اهتمام المغاربة بالقراءات القرآنية :

تعددت دواعي اهتمام المغاربة بالقراءات القرآنية، سواء فيما مضى قديما أو حديثا، ما بين دواعٍ جوهريّة، وأخرى لا تنقل عنها أهمية، وقد تتضافر هذه الدواعي مجتمعة أحيانا لتشكل مجموعة أسباب لا ينفك أحدها عن الآخر، وقد حاولت استقراء أهمها ماوسعني ذلك، وتبين لي أنها تتجلى فيما يأتي :

1) مكانة كتاب الله في نفوسهم :

إن المكانة التي يحتلها كتاب الله في نفوس المغاربة تعد من الأهمية والقدسية بمكان فهو عندهم محط عناية وإجلال وتقدير، وذلك راجع إلى أن تأثير القرآن الكريم خالط نفوسهم

(21) ذ. عبد الله كنون : النبوغ 1 : 72.

وأرواحهم وصار يمثل كل شيء في حياتهم وثقافتهم وواقعهم الحضاري والعمرائي،⁽²²⁾ ومن ثم فهم يعتزون به، ويعتنون بحفظه في درجات أعلى وأدق دراية ورواية بالقراءات السبع أو العشر، وظلت الأجيال من الخلف تسير في تلك العناية وذلك الاهتمام على حُطّ السلف إلى الفترة المعاصرة، هذا وإن الواقف على تراجم علماء المائة الثالثة عشرة والرابعة عشرة للهجرة⁽²³⁾ يلاحظ أن أغلبية العلماء كانوا يتقنون القراءات مما يدل على انتشار هذا العلم في صفوف المغاربة أكثر من غيره، وإن نسبة كبيرة منهم تفوق العد والحصر كانت تتقن قراءتين على الأقل، حرف نافع والمكي.⁽²⁴⁾

2) وفرة المقرئين بينهم :

لقد ظلَّ القرآن الكريم يُكَوَّنُ ثقافة فئات عريضة من الناس يتقنون في حفظه وأدائه واستقصاء رواياته، فضلا عن تسيير سبل المتابعة فيه،⁽²⁶⁾ على عكس بعض العلوم الدينية الأخرى، فإن إتقانها وطلبها يحتاج في الغالب إلى هجرة وزاد وما إلى ذلك، وقلما يتوفر كل هذا للجميع، بينما أمر طلب القرآن بقراءاته يكون أمرا ميسورا⁽²⁶⁾ فالقرآن كما عرف عن المغاربة «قاموس من لا قاموس له» كناية عن توفر متنه لدى كل طلاب العلم برواية فصاعدا...

3) أثر النصوص الحديثية الواردة في الترغيب في حفظ القرآن الكريم وتحفيظه :

من ذلك قوله ﷺ : «من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها، لأقول ألم حرف، ولكن ألف حَرْف ولام حرف وميم حرف»⁽²⁷⁾ وقال : «إن الذي ليس

(22) ذ. عبد القادر زمامة : العقلية القرآنية ومظاهرها الاجتماعية والفكرية في المغرب (دعوة الحق ع. 4 س 10 ذو القعدة 1386هـ مارس 1967م / من 110 — 117).

(23) من الكتب التي اهتمت بإيراد تراجم من هذا القبيل : إتحاف أعلام الناس لابن زيدان : 1 : 363 — 364. 2 : 31 — 32، 4 : 277 — 278 — 279، 5 : 440 — 443 — 480 / المعسول لمحمد المختار السوسي، 3 : 248 — 5 : 242، 14 : 139 — 202، 204، 18 : 123 — 124 — 149... الخ / من أعلام الفكر المعاصر لعبد الله الجارري. 2 : 305 — 421 — 463 — 451 — 217... / الإعلام للمراكشي 7 : 129. 8 : 130، 6 : 333، 251، 252.. الخ. الاعتبار لمحمد بوجندار : 195 — 223 — 251 — 356 — 468 — ... الفكر السامي 2 : 306 — 4 : 381.

(24) المعسول 18 : 116، 14، 133.

(25) المساجد والمدارس المتوفرة بكثرة يرأسها شيخ قارئ أو مقرأ..

(26) يقصد باليسر هنا، وفرة من يحفظ من القرآن أكثر من رواية، فأغلبية الحفظة من المغاربة يضيفون حرف المكي على الأقل، وهذا لا يعني قلة السَّعِيِّين، لكن التحقيق في القراءات كانوا يتحرون فيه ان يكون على شيخ متقن مشهود له بالعلم والصلاح مقصود في الفن ومثل هذا كان يرحل إليه للزيادة في الضبط والتوثيق...

(27) أخرجه الترمذي في فضائل القرآن الباب 16، الحديث 3075 / المجلد 4 : 248.

في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب»⁽²⁸⁾ وجاء في تعلمه وتعليمه مما رواه سيدنا عثمان عن النبي ﷺ : «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»⁽²⁹⁾.

أضف إلى ذلك أقوال العلماء، فقد ذكر أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي في مقدمة تفسيره «إن الناس كما أنهم متعبدون باتباع أحكام القرآن، وحفظ حدوده، فهم متعبدون بتلاوته وحفظ حروفه على سنن خط المصحف الإمام الذي اتفقت الصحابة عليه»⁽³⁰⁾.

4) تشجيعات المجتمع وأولى الأمر :

ومن دواعي اهتمام المغاربة بالقراءات القرآنية في القرن 14 هـ، التشجيع الذي يتلقاه المقرء الحافظ السبعي أو العشري من المجتمع الذي يحله ويقدره ويتطوع المحسنون من الناس بأوقاف من ممتلكاتهم على الخزاين من القراء،⁽³¹⁾ أو على مدرسة قرآنية⁽³²⁾ تشجيعاً على المضي في العناية بالقراءات القرآنية، ثم ما يخص به بعض أولي الأمر هؤلاء الحفظة من الإكرام والتوقير والاحترام، فالسلطان الحسن الأول — رحمة الله عليه — ينزل على سيدي الزوين في مدرسته بالحوز تشجيعاً منه لما يقوم به من جهود في خدمة القراءات القرآنية⁽³³⁾ كما كان يعفي كل من حفظ كتاب الله بالقراءات السبع أو العشر، أو حفظ المختصر الخليلي من الأعمال الشاقة⁽³⁴⁾ من باب احترام العلم وأهله، والتشجيع على المضي في حفظ كتاب الله بأحرفه، وأكثر من ذلك كان يخص حفاظ خليل بمرتبات شهرية⁽³⁵⁾ ويقوم بتقريب شيوخه من العلماء

(28) المصدر نفسه [3080].

(29) المصدر نفسه [3071]، الجامع الصحيح للإمام البخاري (فضائل القرآن 21) أبو داود (الوتر) وابن ماجه في المقدمة والدارمي في فضائل القرآن.

(30) البغوي معالم التنزيل 1 : 6.

(31) قراءة الحزب بالسبع أو العشر بعد صلاة العصر اشتهرت بالمغرب إلى الفترة المعاصرة، إذ كانت لها أوقات خاصة يستفيد منها المقرئون وقد عرف ذلك بالرباط وفاس ومكناس... [متعة المقرئين للاستاذ عبد الله الجارري ص : 92/ التبيان لمعركة ماء أبي فكران.. للاستاذ الشيخ ابراهيم الهلالي ص : 85 و149].

(32) مثل صنيع سيدي الزوين الحوزي الذي وقف جميع ممتلكاته على مدرسته السبعية، وأمضى له ذلك الوقف السلطان الحسن الأول [الإعلام للمراكشي 7 : 108 — 109].

(33) الاعلام للمراكشي 7 : 108 — 109.

(34) ولذلك شاع بين الطلبة لابد من حفظ ثلاث خاءات. يقصدون خلف، وخلاد، و خليل ؛ والشيخ أبو شعيب الدكالي نجح في امتحان لدى السلطان الحسن الأول عام 1308 في حفظ خليل والقراءات... [المحدث الحافظ... لعبد الله الجارري ص : 17].

(35) من اعلام الفكر المعاصر 2 : 34/ ومازال يُحكى عن رحلة الحسن الأول لسوس عام 1303 هـ ان المقرء كان يستقبل السلطان، وهو يقرأ حرف حمزة، ويقوم علماء الموكب السلطاني بحفظه؛ فإن أجازوه أعطي كسوة تتكون من (الحايك... والبلغة) إكراماً له.

ويوليهم الوظائف السامية إكراماً لهم⁽³⁶⁾ كما وجه أولاده ومعهم أولاد أعيان حكومته إلى بلاد
أحمر شرق آسفي لقراءة القرآن بالروايات لأن المنطقة اشتهرت بذلك...

ودرج على سنة والده في التشجيع السلطان عبد العزيز الذي فسح المجال لأشهر عالم
ومقرئ مجود بالمدينة المنورة، ليستقر بالمغرب وينشر علم التجويد التطبيقي بين طلاب العلم
في فاس ويؤلف في ذلك مؤلفاً يهديه إلى السلطان عبد العزيز، ويطلب منه إقامة مدرسة خاصة
بتدريس هذا الفن⁽³⁷⁾.

والسلطان المولى عبد الحفيظ فقيه لغوي نظم مغني اللبيب لابن هشام⁽³⁸⁾ وهو الكتاب
الذي يكثر صاحبه من سَوِّق الشواهد من القرآن، وأمر بطبع تفسير أبي حيان الغرناطي الذي
اهتم فيه صاحبه بتتبع القراءات القرآنية والتحقيق فيها مع من سبقه من المفسرين مثل الرخشي
وابن عطية⁽³⁹⁾ كما كان شيخ هذا السلطان في القراءات القرآنية لايفارقه، وولاه قضاء فاس
الجديد من باب الإكرام والبر والاحترام⁽⁴⁰⁾.

والسلطان محمد الخامس شجع المقرئين والمجودين والمفسرين وقرب نبغاهم إليه⁽⁴¹⁾
وألفت تأليف قرآنية عديدة في عهده أهديت إليه قصد تشجيع أصحابها، والاهتمام بهم وحثهم
على المزيد⁽⁴²⁾ كما أمر بإنشاء مدرسة للمقرئين في فاس، لم يكتب لها الاستمرار
والنجاح...⁽⁴³⁾

(36) الاغتباط بتراجم أعلام الرباط لمحمد بوجندار ص : 204 / الاعلام للمراكشي 9 : 263 / 7 : 35.

(37) ذاك هو الشيخ عبد الكريم بن مراد الشامي الطرابلسي ثم المدني الحنفي مبعوث الشرق إلى المغرب، ورد
على فاس عام 1324 هـ (1906 — 1907) [ذ. محمد المنوني : الطابع الاسلامي للوطنية المغربية في مطالع
القرن العشرين (حوليات كلية الآداب — عين الشق — البيضاء (02) ع. 1985 ص : 51)].

(38) الاعلام للمراكشي 9 : 269.

(39) د. التهامي الراجي : ... ازدهار القراءات القرآنية بالمغرب (دعوة الحق ع (1 — 2) ص : 14 ذو القعدة
1390 هـ.

(40) هو السيد التهامي بن عبد القادر المراكشي المعروف بابن الحداد (ت. 1336 هـ — 1917 م) استاذ القراءات
السبع، وبعد توليته القضاء بفاس كان لا يباشر الأحكام، بل اناب عنه من يقوم بذلك [اتحاد اعلام الناس
لابن زيدان 2 : 107 / الاعلام للمراكشي 2 : 98].

(41) ذ. ابراهيم الهلالي : التبيان.. ص : 151.

(42) من ذلك تقريره للعالم المقرئ المؤلف محمد بن عبد المجيد أقصبي الذي أسند إليه مهمة تعليم القرآن لأولاده..
وما أُهدي إليه من الكتب التي لها صلة بالموضوع حسب علمي.

— «المنهج الحميد إلى قواعد القراءة والتجويد» لمولاي الطيب بن أحمد العلوي.

— تفسير سورة النور للاستاذ عبد الهادي التازي.

— تفسير أبي بكر بن الطاهر زنيبر، وسيأتي تفصيل ذلك.

(43) من أعلام الفكر المعاصر للاستاذ عبد الله الجراري 1 : 173 وما بعدها / إنحاف ذوي العلم والرسوخ
لمحمد بن الفاطمي ص : 74.

وسار في ركابه نجله جلالة الملك الحسن الثاني الذي مافتيء يولي عنايته وتشجيعه للقرآن الكريم وعلومه، بطبعه المصحف الشريف طبعة فريدة⁽⁴⁴⁾ كتبت بماء الذهب على رواية ورش عن نافع من طريق الأزرق، وهي الرواية المعتمدة في المغرب منذ عدة قرون وبتأسيسه مدرسة للقراءات السبع تحمل إسم جلالته بمدينة تارودانت، وذلك منه من باب رد الدر إلى صدقه، فقد كانت سوس في مطالع القرن الرابع عشر الهجري تطفح بعلم القراءات القرآنية، لكنها اليوم تكاد تكون منه خالية!⁽⁴⁵⁾

كما زار جلالته شخصيا مدرسة سيدي الزوين بالحوز مؤخرا، وفي زيارته تلك أكثر من إشارة ودلالة، فهو يعبر بها عن رغبته الأكيدة في أن يستمر المغرب منار إشعاع للقرآن وعلومه بما فيها علم القراءات الذي اشتهر أمره على يد القراء المغاربة. ولذلك بادر جلالته إلى احداث كرسي للقراءات في المسجد — المعلمة بالدار البيضاء، وفي نيته المزيد من التشجيع والدعم لهذا الميدان.

هذا فضلا عن التشجيعات الرمزية التي تقدمها وزارة الأوقاف إلى طلبة بعض المدارس العتيقة عموما بما فيها مدارس القراءات القرآنية. وهي تشجيعات يمكن أن تشمل جميع هذه المدارس وتُعَدِّي مستواها العلمي بالمطبوعات الغنية التي تسهر عليها هذه الوزارة مشكورة، كما تحتضن نتاج هذه المدارس العلمي من تآليف في التاريخ والتشريع والادب سواء منه القديم أو الحديث.

(5) استساغتهم لنقلية القراءات :

لقد استساغت فئات عريضة من القراء المغاربة، والحفاظ لعلم القراءات القرآنية باعتباره علما نقليا يعتمد الرواية والسماع، والمغاربة أميل إلى تجنب إعمال الرأي في كتاب الله، فهم يتحفظون في القول في القرآن بغير علم، إلى حد جعل نسبة كبيرة منهم تميل إلى علم القراءات، وتفضل الاشتغال به دون غيره من علوم القرآن الأخرى مثل التفسير، إذ يكفي في علم القراءة أن تضبط حقائق الرواية وأداؤها على الوجه المطلوب، وفق ما يتلقاه المتلقي من شيخه مما يعد مجمعا عليه منتها أمره بين أهل الشأن، ولذلك نجد صاحب حرز الأماني — الإمام الشاطبي⁽⁴⁶⁾ رحمة الله عليه — يقول :

(44) طبع بمناسبة الاحتفال بذكرى مرور اربعة عشر قرنا على نزول القرآن الكريم في سنة (1388هـ 1968م). كما اعيد طبعه مؤخرا مُسَبَّحاً بالزخارف وفي رمضان 1419هـ سبق حفظه الله إلى إخراج مصحف معد في طباعته لأن يقرأه العميان.

(45) سوس العالة ص : 33/ المرسومول 12 : 184 / 18 : 134.

(46) هو أبو محمد الشاطبي الرعيني الضرير (ت. 590هـ) صاحب المنظومة اللامية في القراءات السبع، المعروفة =

وما لقياس في القراءة مدخل فدونك ما فيه الرضا متكفلا

(6) دواعي المنافسة والغيرة :

يعتبر داعي المنافسة والغيرة، من أهم العوامل التي تُذكّي الحماس بين الطلاب وتجعلهم يندفعون نحو الطلب والتحصيل، ويهاجرون قراهم وذويهم طمعا في زيادة التحصيل والتمكن، واستيفاء للقراءات القرآنية — السبع أو العشر — حفظا وتحقيقا، وسأخص هذا الداعي بمزيد توسع مع ضرب أمثلة فيما يأتي من هذا الفصل...

(7) التخوف من آفة النسيان :

إن الاعتقاد الذي يسود فئات المتمكنين من حفظ القرآن برواية ورش رسما وأداء، هو أن حصيلتهم من معرفة الرّسم القرآني التي جَدُّوا في نيلها تحتاج إلى تسوير وتحصين بعلم القراءات حتى لاتتلاشى وتضيع مع مر الأيام، فيكون هذا باعثا للحفظة الورشيين على إضافة قراءات قرآنية أخرى للاستيثاق والتمكن وتكون في الغالب قراءة المكّي أو البصري، وأحيانا السبع وربما العشر بحسب همة الطالب، بعدها يكون حفظه وإتقانه للقرآن الكريم رسما وأداء في مأمن من آفة النسيان...⁽⁴⁷⁾

(8) التأثير بالأقارب :

لاشك أن محيط الإنسان يؤثر فيه سلبا أو إيجابا ويتجاوب الشخص مع محيطه وترسخ فيه منه أشياء كثيرة من ذلك تأثر القراء بالأقارب المتقنين للسبع أو العشر، إذ من المعروف أن ديدن هؤلاء الحفظة المقرئين هو الهدير المستمر بتلاوة كتاب الله تعالى وترداده في كل وقت وحين آناء الليل وأطراف النهار، في الحل والترحال، ويزداد ذلك فيهم بتقدم العمر أو في المناسبات الدينية مثل شهر رمضان على الخصوص⁽⁴⁸⁾ وغالبا ما تنقذ في نفوس صغارهم من المقرئين إليهم الرغبة في أن يصبحوا مهرة بكتاب الله مثل أوليائهم وذويهم، وعندما يشبون عن الطوق يبدؤون في تحقيق أحلامهم، ويجد من وفقه الله منهم العون والظهير والسند ممن

= بين القراء منذ القرن السادس الهجري الى اليوم، وما زال العالم الاسلامي يعتمد هذه الامة أصلا في علم القراءات السبع، وهي المسماة «بحرز الأمانى ووجه التهاني» عليها عدة شروح من أهمها شرح السخاوي وأبي شامة الدمشقي (ت. 665هـ) وغيرهم.. وجاء في التقديم للتيسير للداني ان شروحها فاقت الأربعين (ص : ط من مقدمة المحقق).

(47) ومن أقوالهم : كن طالبا وربعا حتى تبقى بعد النسيان طالبا : أما إذا كنت طالبا فقط فتستصير طالبا إلا ربعا ! إشارة منهم إلى آفة النسيان. ومصطلح «الطالب» عندهم يعني الحافظ لكتاب الله بإتقان.

(48) الاستاذ ابراهيم الهلالي : التبيان لمعركة ماء أبي فكران، مع وجوب أتباع رسم الامام ص : 150.

حوله من مقرئي البيت، كما يجد ذخيرة من الكتب النافعة له في الفن... ويكون كل ذلك مساعدا على الاستمرارية في الاعتناء⁽⁴⁹⁾.

9) دافع الرحلة :

وهو من الدوافع القديمة، إذ كان من الحوافز الأساسية لدخول علم القراءات إلى الغرب الإسلامي⁽⁵⁰⁾، إذ لو لم يرحل علماء أفذاذ إلى المشرق قصد أداء فريضة الحج، وقصد لقاء العلماء وأهل العلم، لما وصل العديد من العلوم إلى الغرب الإسلامي، ومن بينها علم القراءات، وظل هذا العامل يحرك همم علماء هذه المنطقة كلما شدوا الرحلة إلى مكان، وشاهدوا فيه ما يذكى حماسهم ويبعثهم على الجد والاجتهاد، وبمجرد ما يؤوبون من أسفارهم يبادرون إلى شد العزائم على تنفيذ ما تلقوه أو شاهدوا الآخرين منشغلين به.

10) الرغبة في الحفاظ على كتاب الله غضا طريا كما وصل إلينا وصيانتة من الضياع كل بحسب الجهد الذي صرفه في هذا المجال، فالحافظ لرواية ورش يحاول أن ينشرها، ويقنع من حوله بالعمل على إتقانها، ويساعده ويشاركه أتعابه ويسهر ويستيقظ معه من أجل تحقيق هذا الهدف، ومثل ذلك يفعل الأستاذ المقرئ، فهو ينصح من أنهى القرآن حفظا بأخذ روايات أخرى زيادة في الإتقان والتمكن، ويكون بجانبه نخبة تتلقى عنه هذا العلم الذي يجد لذة في تصريفه حسب الطرق التي تلقاها بها.

بهذه الدواعي وغيرها توثقت صلة المغاربة بعلم القراءات وبرعوا فيه وخلفوا من آثارهم ما يدل على جهودهم الحميدة التي تذكر فتشكر.

ثانيا : مظاهر عناية المغاربة بالقراءات القرآنية :

يمكن رصد أهم مظاهر عناية المغاربة بالقراءات القرآنية من خلال مظهرين متكاملين اثنين هما :

أ : التأليف.

ب : التعليم.

أ : التأليف :

تمهيد في بيان أصل المدرسة المغربية في القراءات وأهم شيوخها المؤلفين :

من المعلوم تاريخيا أن مدرسة القراءات القرآنية بالمغرب لها علاقة وطيدة في النشأة والظهور

(49) المعسول 18 : 129.

(50) د. التهامي الراجي : خلافت القراء بالمغرب والاندلس (ص : 1) ترتيب المدارك 3 : 114 / منجد المقرئين ص : 23 - 26، المصاحف لأبي عمرو الداني ص : 6.

والاستقلال بالمدرسة الأندلسية،⁽⁵¹⁾ وتعد من الوارثين الشرعيين لعلم هذه المدرسة القديمة الأصلية التي أنجبت علماء أفذاذا في علم القراءات مازال ينتفع بعلمهم منذ القرن الخامس الهجري إلى اليوم⁽⁵²⁾.

وقد رحل إلى المغرب منهم من كان في مراكز العلم بالأندلس من العلماء والفضلاء من كل طبقة،⁽⁵³⁾ وبدأت مدرسة القراءات القرآنية المغربية تتكون منذ القرن السادس الهجري⁽⁵⁴⁾ ثم بدأت تقف على جهود قراء مغاربة خصوصا في مجال التأليف الذي استأثروا به، بينما اتجه من هاجر إليهم من الأندلسيين إلى ميدان تدريس القراءات⁽⁵⁵⁾ وتخرج أفواج من الطلبة القراء؛ ويمكن اعتبار الحافظ المقرئ القاضي أبي الحسن علي بن محمد بن بري التازي (ت 731 هـ) من أهم القراء المغاربة الذين دشنوا هذه المرحلة وذلك بمنظومته الشهيرة «الدرر اللوامع في أصل مقرئ نافع»⁽⁵⁶⁾ التي نالت عناية كبيرة من القراء المغاربة خصوصا ومن قراء أفريقيا الإسلامية عموما، ولا أدل على ذلك من أن الشروح التي وضعت عليها تزيد على الثلاثين شرحا⁽⁵⁷⁾ ثم توالى نخبة من الجهابذة القراء المؤلفين يتوج كل واحد منهم المائة سنة التي وجد فيها إلى مشارف القرن الرابع عشر الهجري فظهر في القرن العاشر نجم الأستاذ محمد بن أحمد بن محمد العثماني المكناسي نزيل فاس المعروف بابن غازي⁽⁵⁸⁾ (ت 919 هـ) فقيه مفسر مقرئ مجود، صَدَّرَ في القراءات مُتَقَنَ لها عارف بوجوهها وعللها، ألف فيها العديد من الكتب من أهمها «إنشاد الشريد من ضوال القصيد»⁽⁵⁹⁾ علق فيه على منظومة «حرز الأماني» في القراءات للامام الشاطبي؛ والمقرئ محمد بن أبي جمعة الهبطي⁽⁶⁰⁾

(51) د. محمد حجي : الحركة الفكرية في عهد السعديين 1 : 66.

(52) مثل الداني، ومكي، والمهدوي، وابن شريح (ت. 476 هـ) وغيرهم (انظر الصفحة الأولى من هذا الفصل).

(53) عبد الواحد المراكشي : المعجب.. ص : 238 — 239.

(54) محمد حجي : المرجع السابق نفس الجزء والصفحة.

(55) المرجع نفسه.

(56) تقع في ثلاثمائة بيت، اعتمد فيها طريق أبي عمرو الداني الذي هو أشهر الطرق في الغرب الإسلامي من بين طريقي مكي وابن شريح.

(57) ذ. سعيد أعراب : «بين يدي مصحف الحسن الثاني» (دعوة الحق ع (2 — 3) ربيع (1 — 2) 1398 يراير — مارس 1978. بل فاقت الخمسين حسب أطروحة د. عبد الهادي حميتو.

(58) فهرس الفهارس 2 : 890/سلوة الأنفاس 2 : 73 إتخاف اعلام الناس 4 : (2 — 11) / الفكر السامي 4 : 266.

(59) خ. ع. الرباط رقم 987 ق / 5 — 990/ الخزانة الحسينية : 3967 — 3927 — 5727 — 6248، والمكتبة العامة بطوان : 589. وحقق مؤخرا بشعبة الدراسات الإسلامية بكلية الآداب بالرباط لنيل دبلوم الدراسات العليا..

(60) سلوة الأنفاس : 3 : 67/ الفكر السامي للجبوي 4 : 266 — 267.

(ت 930 هـ) تلميذ ابن غازي المذكور، الذي ينسب إليه وقف القرآن الكريم المعمول به في المغرب إلى اليوم⁽⁶¹⁾.

وفي الحادي عشر لمع نجم أبي زيد ابن القاضي الفاسي⁽⁶²⁾ (ت 1082 هـ) الذي قال فيه صاحب السلوة: ⁽⁶³⁾ «إمام القراء وشيخ المغرب الشهير، أستاذ الأساتيد...» مثل المدرسة القرآنية في العصر العلوي،⁽⁶⁴⁾ خلف آثاراً مهمة في علم القراءات من أنفسها «الفجر الساطع على الدرر اللوامع»⁽⁶⁵⁾.

وفي الثاني عشر الهجري كان رائد القراءات القرآنية بالمغرب أبو العلاء إدريس المنجرة⁽⁶⁶⁾ (ت 1137 هـ) الذي أسس مدرسته على أنقاض مدرسة ابن القاضي ووسع دائرتها سواء من حيث العلم أو الإشعاع، خصوصاً بعد أن نقح علمه برحلته إلى المشرق، وقد جاوز تأثير مدرسته حدود المغرب⁽⁶⁷⁾ من أهم مؤلفاته: «نزهة الناظر والسامع في إتقان الأداء والإرداف للجامع»⁽⁶⁸⁾.

وتوجت مطالع الثالث عشر الهجري بوجود شيخ القراءات والقراء سيدي محمد بن عبد السلام الفاسي⁽⁶⁹⁾ (ت 1214 هـ) خاتمة المنفردين بتحقيق توجيه أحكام القراءات بالمغرب وكتابه المخاذي⁽⁷⁰⁾ في علم القراءات أوسع ما كتبه من تأخر في هذا العلم⁽⁷¹⁾ كما أن مدار إسناد المغاربة القراء في المائتين الثالثة عشرة والرابعة عشرة ظل ينتهي إلى هذا الشيخ الفاسي

(61) حقق تقييد وقف القرآن الكريم للهيطي الأستاذ الحسن وكاك، وقدمه رسالة لنيل دبلوم الدراسات الإسلامية العليا من دار الحديث الحسنية بالرباط تحت إشراف الدكتور التهامي الراجي الهاشمي سنة 1397 هـ. وطبع مؤخراً.

(62) السلوة : 2 : 223.

(63) محمد بن جعفر الكتاني — رحمة الله عليه — توفي 1345 هـ.

(64) ذ. سعيد أعراب : مقال سابق ص : 65.

(65) مخطوط خ. ع. الرباط. 989 ق. والخزانة الحسنية 2965 — 4481. حققه مؤخراً الأستاذ البوشيخي من مراكش.

(66) السلوة : 2 : 272، فهرس الفهارس 2 : 568، الإعلام للمراكشي 3 : 19.

(67) ذ. سعيد أعراب : مقال سابق.

(68) الخزانة الحسنية : 6948.

(69) السلوة : 2 : 318، فهرس الفهارس 2 : 848.

(70) «إتحاف الأخ الأود المتداني بمحاذي حرز الأماني ووجه التهامي» الخزانة الحسنية 8019 — 8043 خزانة القرويين 312 ك. حقق هو أيضاً تحت إشراف أستاذنا د. التهامي الراجي بالرباط.

(71) عبد المحي الكتاني : فهرس الفهارس : 2 : 948.

وقد شكلت نخبة من تلامذة ابن عبد السلام الفاسي — الذين ورثوا عنه تحقيق القراءات كما ورثوا عنه الولوع بالتأليف فيها حلقة من حلقات الإسناد، فعنهم وعن تلاميذهم أخذ قراء المائة الرابعة عشرة للهجرة بالمغرب⁽⁷²⁾.

ومن أهم تلاميذ ابن عبد السلام الفاسي أبو العلاء إدريس بن عبد الله الودغيري البدراوي⁽⁷³⁾ (ت. 1257 هـ) صاحب المؤلفات العديدة في القراءات⁽⁷⁴⁾ ومحمد التهامي الأوبيري⁽⁷⁵⁾ صاحب القصيدة التهامية في الوقف على الهمز لحمزة وهشام⁽⁷⁶⁾ وشرحه على هذه القصيدة⁽⁷⁷⁾ وسيدي عبد الله السكياطي الرجراجي الشيطمي⁽⁷⁸⁾ (ت. 1244 هـ) الذي لم أعرف له تواليف، ولكن كان له علم موثق غزير رحل من أجله شرقا وغربا وبثه في صدور الناس، ويكفيه أن يكون أستاذا لسيدي الزوين الحوزي الأودني الشهير⁽⁷⁹⁾ (ت. 1311) حامل لواء القراءات وصاحب المدرسة الذائعة الصيت التي مازالت تؤدي رسالتها في علم القراءات إلى اليوم شاهدة بذلك على حالها وصدق نية مؤسسها — رحمة الله عليه — فهو وإن لم يؤلف، فقد كانت تأليفه تلاميذه الذين وصل عددهم بالمدرسة إلى خمسمائة طالب للقراءات في عهده عداً، يقرئهم ويطعمهم من ماله الخاص!⁽⁸⁰⁾

وفي النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري لمع في سوس نجم مقررَيْن مؤلفين هما : الأستاذ أحمد التجاري البعمراني⁽⁸¹⁾ (ت. 1286 هـ) أستاذ مدرسة سيدي وكاك بأكلو

(72) المصدر نفسه 2 : 848 — 849.

(73) السلوة : 2 : 143 / الفكر السامي 4 : 298 / شجرة النور الزكية ص : 397.

(74) عبد العزيز بن عبد الله : «معلمة القرآن والحديث في المغرب الأقصى» ص : 68.

(75) الإعلام للمراكشي : 6 : 251، وجواهر الكمال للفقير محمد بن أحمد الكانوني الآسفي.

(76) اشتهرت بين القراء المعاصرين بالقصيدة «التَّهامية»، كثيرة التداول بين طلبة سيدي الزين وغيرهم بحكم مشيخة مؤلفها لسيدي الزوين.

— مطلعها :

حَمْدُ الإِلهِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ وَهُوَ التَّهَامِيُّ الْجَمْعِيُّ نَسَباً دُلّاً

— إلى أن قال :

هَذَا وَإِنِّي قَدْ قَصَدْتُ بِنَظْمِنَا ذَكَرَ الْوُقُوفَ لِحَمْزَةِ أَسَدِ الْمَلَأِ

سَمِيَتْهُ كَنْزُ الذِّخَائِرِ فَاطِلْبُنْ بِالذَّهْنِ مِنْهُ فَوَائِدُ تَنْهِيلاً

(77) والقصيدة مخطوطة بالخراتنة العامة بالرباط رقمها : 3443.

(78) الإعلام للمراكشي 8 : 333 / الفقيه الكانوني : آسفي وما إليه قديما وحديثا ص : 26 — 27.

(79) الإعلام للمراكشي 7 : 108 / فهرس الفهارس 2 : 849.

(80) الإعلام للمراكشي 7 : 108.

(81) المعسول 18 : 123 — 124.

قرب الساحل⁽⁸²⁾ والأستاذ محمد بن إبراهيم أعجلي البعقلي⁽⁸³⁾ (ت 1271 هـ) كلاهما أخذ عن تلاميذ ابن عبد السلام الفاسي المباشرين⁽⁸⁴⁾ وَكَانَا فرسي رهان لعلم القراءات بسوس، الأول بالساحل والثاني بالجليل، ومن لم يمر من الأخذ عن أحدهما لا يشهد له بشيء من القراءات لإطباق شهرتهما، ولا اعتراف الجميع لهما بذلك في سوس.

وفي القرن الرابع عشر الهجري، لم تتوقف عجلة المسير والاعتناء بعلم القراءات بالمرّة، رغم كل الظروف والملايسات، فقد نال هذا القرن — خاصة نصفه الأول — حظه من الحفظة القراء والمؤلفين في هذا الفن، لكن حصيلته من ذلك كانت أقل إذا ما قورنت بما عرفته القرون السابقة عنه، إذ لأحد ينكر ما عرفته العلوم الإسلامية التي كانت تدرس من قبل بما فيها علم القراءات من تدهور وتعرثر في القرن الرابع عشر الهجري⁽⁸⁵⁾، ولكن ربما أعقب التعثر بعث وإحياء، وأعقب عملية الهدم البناء.

هذا وبعد تأملي فيما وقفت عليه مما سطرته أقلام القراء المغاربة المعاصرين من كتابات ترتبط بعلم القراءات، بدا لي أن أعرضها مقسمة إلى ثلاثة أقسام :

(1) ما ألف في الفن ابتداء.

(2) ما ألف في إطار البحث العلمي الجامعي.

(3) ما كتب في شكل مقالات علمية...

(1) ما ألف في الفن ابتداء :

وأقصد به المؤلفات التي كتبها أصحابها إما من أجل إثبات قدراتهم العلمية في فن القراءات الذي وصلوا فيه إلى حد التحقيق والتأليف، وإما بقصد ترك آثار علمية شاهدة على مشاركتهم وتمكنهم..

وهذا القسم بدا لي فيه أيضا أن أفصل بين ما ألف في الرسم وما ألف في القراءات، وما ألف في التجويد.

(82) مازال حفيده السيد محمد بن أحمد بن عبد الله بن أحمد التجاري مشارطا بنفس المدرسة، وهو يحفظ حرف المكّي، أخذه عن والده وله اهتمام بالفقه والشعر والفلك ويده سخية في اقتناء المظان.

(83) المعسول 5 : 292، وتراجع مؤلفاته في القراءات في سوس العالمة ص : 199.

(84) وقد ذكر المختار السوسي أن ابن عبد السلام الفاسي رحل إلى سوس في آخر القرن الثاني عشر لأخذ القراءات ونزل بآيت صواب، فأفاد العلوم وأخذ فن القراءات (سوس العالمة ص : 33).

(85) محمد المختار السوسي : سوس العالمة ص : 33/ مدارس سوس العتيقة : ص : 58 — 59 من أعلام الفكر المعاصر 2 : 356.

أ - ما أُلِف في الرسم والضبط والخط :

الرسم : لغة : الأثر، واصطلاحاً، معرفة أوضاع حروف القرآن في المصحف ورسومه الخطية⁽⁸⁶⁾ وهو قسمان : قياسي وتوقيفي، فالرسم القياسي هو الرسم المعهود الذي تصور فيه الكلمة بحروف هجائها، والرسم التوقيفي، ويسمى بالاصطلاح نسبة لما اصطلاح عليه الصحابة في شأنه⁽⁸⁷⁾.

ويرادف الرسم، الخط، والكتابة، والزُّبر، والسطر، والرَّقم، والرَّشْم بالشين المعجمة، وان غلب الرسم بالسین المهملة في خط المصاحف⁽⁸⁸⁾.

وموضوع الرسم التوقيفي حروف المصاحف العثمانية من حيث الحذف والزيادة والابدال، والفصل، والوصل، ونحو ذلك.

ومن فوائده : تمييز ماوافق رسم المصاحف من القراءات فيقبل، وما خالفه منها فيرد، طبقاً لضوابط قبول القراءات وردها.

وقد قيض الله سبحانه لهذا العلم أئمة من فحول العلماء القراء اعتنوا به غاية الاعتناء، فنقلوا كيفية كتب القرآن في المصاحف العثمانية نقلاً أميناً، وبينوا كيفية ضبط الحروف القرآنية، وجمعوا ذلك في مصنفات بديعة جليلة مثل كتاب المقنع للداني⁽⁸⁹⁾ وعقيلة الأثراب⁽⁹⁰⁾ للشاطبي، ومورد الظمان للخراز⁽⁹¹⁾ وقد صارت هذه التأليف بمثابة أصول يرجع إليها خصوصاً منظومتي الخراز «مورد الظمان» وذيلها «عمدة البيان»⁽⁹²⁾ وذلك لاختصارها من

(86) مقدمة ابن خلدون ص : 347.

(87) المارغيني : دليل الحيران... ص : 40.

(88) المصدر نفسه.

(89) «المقنع في معرفة رسوم مصاحف الامصار» لأبي عمرو الداني، مطبوع طبعة أولى باسطنبول بعناية اوتو برتزل سنة 1932م ثم طبع بدمشق بمطبعة الترقى 1940 بتحقيق محمد احمد دهمان...

(90) «عقيلة أثراب القصائد في أسنى المقاصد» اشتهرت اختصاراً بين القراء ب «العقيلة..» للامام الشاطبي الرعيني (ت. 590هـ) نظم فيها كتاب المقنع للداني، وزاد عليه أحرفاً قليلة جُمِلَتْها ست كلمات، ولذلك قال

الشيخ الخراز في موره :

والشاطبي جاء في العقيلة به زاد احرفاً قليلة

وانضمير في (به) عائد إلى المقنع.

(91) «مورد الظمان في رسم وضبط القرآن» تحتوي على 454 بيت وضع عليها القراء المغاربة عدة شروح مثل الشوشاوي والدرعي، وابن القاضي وابن عاشر وغيرهم.

مؤلفها : محمد بن ابراهيم الأموي الفاسي الشهير بالخراز (ت. 718هـ) اشتهر باتقان فن الرسم والضبط.

(92) «عمدة البيان» للخراز ايضاً تحتوي على 154 بيت.

الأصول السابقة عنها ولاحتوائها فَنَتِي الرسم والضبط⁽⁹³⁾ معا باعتبار قراءة الامام نافع فقط.⁽⁹⁴⁾

وظلت المنظومات المشار إليها، وما نسج على غرارها ومنوالها تمثل متون القراءات بالمغرب يتداولها القراء بالاستظهار والتلقين ويستشهدون بها، ويضعون عليها الشروح والخواشي إلى عصرنا هذا حيث نجد من العلماء المغاربة المعاصرين من اهتم بعلم الرسم والضبط تأليفاً كما سيتضح مما يأتي :

1) «حواش على مورد الظمان في علم الرسم»⁽⁹⁵⁾

2) «أخرى في علم الضبط»⁽⁹⁵⁾

تأليف : أبي إسحاق إبراهيم بن محمد التادلي الرباطي⁽⁹⁶⁾ (ت. 1311 هـ) صاحب التأليف العديدة، نعته محمد بوجندار «بشيخ الشيوخ، وإمام الأئمة، وفقه السلف الصالح من هذه الأمة، خاتمة العلماء الفحول وحامل لواء الفروع والأصول، مجدد المائة وعمدة هذه الفئة، وفذلقة العلوم على العموم (...) انتهت إليه رئاسة العلم في عصره، ولم يبق من يزاحمه ويضاهيه بين أهل مصره، وأما في الرباط فليس فيه أحد إلا وله عليه منة التعليم إما مباشرة، وإما بواسطة تَلَمَذَ له فيه حتى مشايخ العلم»⁽⁹⁷⁾.

قرأ في الرباط، وفاس، ومكناس، ومراكش، ومصر، والحرمين الشريفين، وفي أوروبا، إذ كان له ولوع بتعلم اللغات الأجنبية، وصرف في ذلك وقتا لا يستهان به من أجل الاطلاع على العلوم الحديثة، ثم ألقى عصا الترحال بالرباط وجلس للتدريس والعطاء أكثر من ثلاثين سنة، وكان يدرس بتأليفه التي بلغت مائة ونيفا وعشرين مؤلفا⁽⁹⁸⁾ من بينها خمسون حاشية في مختلف العلوم⁽⁹⁹⁾.

(93) فن الضبط متمم لفن الرسم وهو الذي به يزول اللبس عن متشابه حروف القرآن ويتضح المراد منها...

(94) دليل الحيران.. ص : 4.

(95) ذكرهما بوجندار في الاغتباط : 251 / عبد الله الجراري : في عدد (5) من سلسلة شخصيات مغربية عن ابي اسحاق التادلي ص : 97 — 98.

(96) ترجمته في : الاغتباط (245 — 262 / الفكر السامي 4 : 307 / الاعلام للمراكشي 1 : 191 / من اعلام الفكر المعاصر 2 : (243 — 259) وَأَفْرَدَهُ ذ. عبد الله الجراري بكتاب خاص ضمن سلسلته المشار إليها.

(97) الاغتباط : 245.

(98) المصدر نفسه : 246.

(99) «ابو اسحاق التادلي الرباطي» للاستاذ عبد الله الجراري ص : (59 — 160).

وعن حاشيته في الرسم قال الأستاذ عبد الله الجراري «فلا غرابة إذا أن يكون مترجماً اطلع على ما كتب عنها من شروح فقام هو كذلك ليكتب عنها بقلمه السلس المعهود في تقريب المسافة على الدارس، ودفعه أكثر لمعرفة هذا الفن القرآني والمبني على ضوابط دقيقة محكمة»⁽¹⁰⁰⁾.

وعن حاشيته في علم الضبط قال : «وها هو أيضا يصل معلوماته القرآنية بالضبط كمزيد في ولوعه على رسم الكتاب وضبطه وإتقانه فيكتب في الموضوع ما يعرف القارئ بأهميته وإثرائه، وبالتالي إغناء المعلمة الإسلامية بعلوم القرآن وما يمت إليها بسبب»⁽¹⁰¹⁾.

فالأستاذ عبد الله الجراري — حَسَبَ علمي — هو الوحيد الذي علق على هاتين الحاشيتين المنسوبتين للشيخ إبراهيم التادلي الرباطي بالتعليقين المَسُوقين بالحرف، ولم يزد على ذلك بأن يدل على مكان وجودهما لأنهما في حكم المفقود على ما يظهر، اما نسبتها لصاحبهما فقد أفادنا بها أيضا المؤرخ بوجندار في اغتباطه⁽¹⁰³⁾.

3) شرح مورد الظمان للخراز⁽¹⁰³⁾

تأليف أبي حامد محمد المكي البطاوري الرباطي⁽¹⁰⁴⁾ (ت. 1355 هـ — 1936 م) شيخ الجماعة بالرباط، وأحد علمائها الأفاضل، من تلامذة التادلي الآنف الذكر، أخذ عن جلة علماء المغرب والمشرق، وتصدر لتدريس علوم العربية والفقه والحديث والتفسير سنين بالزاوية التهامية واستفاد منه العديد من أبناء بلده، ولم يحل بينهم وبين دروسه إلا توليه منصب القضاء بالرباط، كان صدرا في المجالس الحديثية السلطانية،⁽¹⁰⁵⁾ سافر إلى إسبانيا وفرنسا وإنجلترا ومصر

(100) المرجع نفسه ص : 98.

(101) نفس المرجع والصفحة.

(102) الاغتباط ص : 251.

(103) ذكره الأستاذ عبد الله الجراري في كتابه : من أعلام الفكر المعاصر 2 : 217 والتأليف ونهضته بالمغرب في القرن العشرين ص : 251 وفي ترجمته الخاصة للبطاوري ضمن سلسلة شخصيات مغربية رقم (3) ص : 80، ومعجم المطبوعات المغربية لأدريس بن الماحي ص : 35.

(104) ترجمته في : من أعلام الفكر المعاصر 2 : (214 — 226) الأعلام للزركلي 110.7 دليل مؤرخ المغرب الأقصى 1 : 193 — 214 [2 : 326، 432 ومعجم المطبوعات المغربية ص : 34 — 35، كما نشرت مجلة دعوة الحق ع. 5، س. 8. ذو القعدة 1384 هـ مارس 1965 ترجمة له بقلم : مصطفى الغري توسع فيها وذكر ان البطاوري تأثر بالحركة العلمية في المشرق وولع بعد عودته بقراءة الجرائد والمجلات والدوريات.

(105) طبعت املاءاته الحديثية بالرباط تحت عنوان «الدروس الحفيظية» [من أعلام الفكر المعاصر 2 : 214].

والحجاز، واكتسب من رحلته معارف وعلوماً جديدة سياسية ودينية وكان ممن انتدبهم السلطان الحسن الأول لتعليم بعض أولاده⁽¹⁰⁶⁾.

خلف البطاوري وراءه مجموعة هامة من التأليف قدرت بنحو الستين كتاباً⁽¹⁰⁷⁾ من بينها «شرح مورد الظمان» وهو من كتبه التي لا يعرف عن مصيرها شيء... سوى أن الأستاذ عبد الله الجراري ذكر أن المترجم قال : «أخذت مبادئ هذا الفن عن بعض أهله من شيوخنا رحمهم الله، وذاكرت كثيراً من متعاطيه مسائل شوقني إلى النظر فيه فشرعت في هذا التلخيص» يقصد شرح مورد الظمان⁽¹⁰⁸⁾.

4) نصرة الكتاب المينة لاختار الأصحاب

تأليف محمد التهامي الغري السيفي وهي منظومة رجزية في الحذف في المصحف الكريم طبع على الحجر بفاس⁽¹⁰⁹⁾.

5) تحفة القراء في بيان رسم القرآن

تأليف محمد العربي بن البهلول بن عمر الرحالي (ت 1407 — 1987) له كتاب : «انتصار المجتهد...» ومؤلف آخر في مناقب جده سيدي رحال البودالي، أما تأليفه «تحفة القراء..» فهو قصيدة رجزية في بيان رسم القرآن على رواية ورش تقع في واحد وثمانين وألف بيت (1081 بيت) نظمها في عام 1372 هـ⁽¹¹⁰⁾ وطبعها في عام 1376 هـ⁽¹¹¹⁾

مطلعها : بدأت باسم الله ذي الجلال أحمده جل في كل حال آخرها : فاسأل النفع بدون منتهى به لكل قارئ هنا انتهى ومما جاء في مقدمة تحفته أنه ذكر فيها جل مهمات الرسم وحرر معظمه مع بيان ما يشكل منه عند الكتب من كل ما يصعب رسمه «وسميت هذا النظم بتحفة القراء» لكنه أطال، والطول مظنة السأم والملل.

(106) من اعلام الفكر المعاصر 2 : 219 — 220.

(107) عدد صاحب من اعلام الفكر المعاصر منها 43 تأليفاً (2 : 216 — 218) كما أشار إلى ما لديه في خزانته منها.

(108) شيخ الجماعة العلامة محمد المكي البطاوري الرباطي تأليف الاستاذ عبد الله الجراري ص : 80.

(109) معجم المطبوعات ص : 257.

(110) تحفة القراء ص : 12 و 72.

(111) بالرباط — مطبعة الأمانة تقع في 74 صفحة بالفهارس، حجم صغير مع مقدمة في 11 صفحة.

6) التبيان لمعركة ماء أبي فكران مع وجوب اتباع رسم الامام

تأليف الأستاذ إبراهيم بن مبارك بن علي الهلالي المكناسي.

من مواليد سنة 1320 هـ. أستاذ في القراءات القرآنية، يحفظ العشريين وأجازه في ذلك عدة علماء كبار من مدينة مكناس ومن غيرها⁽¹¹²⁾ ناضل من أجل حرية بلاده وكان من مناهضي الظهير البربري 16 ماي 1930، ومن مجاهدي معركة ماء أبي فكران والمعدّين لها سنة 1937⁽¹¹³⁾ اختاره محمد الخامس لعضوية المجلس الاستشاري بالمغرب برئاسة المهدي بن بركة لمدة ثلاث سنوات؛ انتدب لعضوية لجنة تصحيح المصحف الشريف على رواية قالون بالقطر اللبي سنة 1980 م ولعضوية لجنة التحكيم في المؤتمر السنوي الدوري الثالث لحفظ القرآن الكريم وتجويده وتفسيره بالملكة العربية السعودية (1981 م)⁽¹¹⁴⁾.

ألف مؤخرًا كتابه «التبيان» مخصصًا القسم الثاني منه للحديث عن وجوب اتباع رسم مصحف الامام⁽¹¹⁶⁾ وقد يتساءل القارئ لعنوان هذا الكتاب، ما العلاقة بين المعركة والرسم القرآني؟ لكن بمجرد ما يتصفح الكتاب يزول عنه الاستشكال ويدرك أن أمانة الرجل التاريخية والعلمية هي التي حملته على أن يؤلف عن المعركة والباطال الذين صنعوها، وفاء لكل واحد منهم بما قدمه من توضيحات في نزاهة تامة، ومن جملة هذا الوفاء الحرص على أن يكتب القرآن في النصب التذكاري الذي وضع مؤخرًا رمزا لهؤلاء الشهداء كتابة توافق رسم مصحف الامام⁽¹¹⁷⁾ حتى لا يلحق هؤلاء الشهداء المخلصين شيء من جريرة مخالفة عقبتهم لرسم القرآن وليت الذي كتب ذلك النصب كتابة مخالفة للرسم العثماني كان يعلم جزءا يسيرا من تاريخ مدينة مكناس القريب في غضون مائة سنة تقريبا! إذ كانت هذه المدينة تعج بالحفظة لكتاب الله بالسبع والعشر، فهي معدن من معادن القراءات، إن شئنا، إذ فتح القراء بها دكاكين لا

(112) يراجع التبيان ص 187.

(113) قامت لما استبد المعرون بماء أبي فكران لصالح ضيعاتهم وتركوا مدينة مكناس بدون ماء!

(114) «التبيان..» ص: 185 — 186/ كل معلومات الترجمة اعلاه مستفادة من التبيان ص (183 — 187).

(115) مطبوع بالدار البيضاء مطبعة النجاج (1406 هـ — 1985) في 191 صفحة بالفهارس، حجم متوسط.

(116) استغرق حديثه عن رسم القرآن 31 صفحة.

(117) كتب على النصب التذكاري قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ..﴾ آل عمران، الآية: 169 وجزء من الآية: 170/ وكتبت امواتا بالف بين الواو والتاء، وهذا مخالف للرسم العثماني، وكتبت (أتاهم) بدل (ءاتيهم) وفي هذا حذف حروف وزيادة حروف بما أدى إلى خلل في المعنى إذ أن معنى (أتاهم) هو جاءهم، والمقصود من الآية (ءاتيهم) بمعنى أعطاهم! [التبيان.. ص: 135 — 141].

بيع السلع والبضائع، وإنما لإفادة الناس فيما يستشكلونه من أمر القرآن والقراءات على الخصوص وباقي العلوم الاسلامية الأخرى على العموم،⁽¹¹⁸⁾ إن مثل هذه العزائم وهذه الإيرادات كفيلة بأن يبقى أثرها المدد من السنين ولا أدل على ذلك من وجود شيخ من بقية السلف الصالح يزود عن حمى القرآن وينبه على الخطأ في كتابته خصوصا في الأماكن الأثرية التي تبقى شاهدة على مر السنين، والمصاحف القرآنية التي بدأت تلحقها الأيدي الأثيمة بالتحريف، وذلك في بلاد المغرب بلد الحفاظ لكتاب الله!⁽¹¹⁹⁾.

7) الرموز والكراريس⁽¹²⁰⁾

لعل ما يلفت انتباه الباحث في تراث المغاربة المخطوط من القراءات القرآنية وجود العديد من أنواع الرمزيات التي يصادفها هنا وهناك وقد بذل فيها من الجهد والاعتناء بالكتابة ووضع الألوان ما يثير العجب، فالرموز تتخذ أشكالا وألوانا مختلفة تجعل الواقف عليها يقتنع بأنه أمام كتاب علمي لاسبيل إلى معرفة ما فيه إلا بالتلمذة والمشيخة فلماذا هذه الرمزيات، وما سبب وضعها؟

ما من شك أن هذه الرموز التي يعتمدها القراء المغاربة خاصة بهم، وضعوها واختراعوها تسهيلات منهم لعملية درجوا عليها في القراءات القرآنية أداء، وهي عملية الجمع والإرداف في القراءة،⁽¹²¹⁾ فمن عادة أهل المغرب أن يدخلوا في القراءة الواحدة روايات جميع القراء البدور بترتيب دقيق ومحكم، وليس من وسيلة تساعدهم على ضبط ذلك وإحكامه في قمة عالية من التجريد والاختصار سوى منطق الرموز، الذي وظفوه أحسن توظيف وتدربوا على استعماله، وصار طريقهم إلى الاختصار الذي لامفر من اعتماده منهجا في عملية الجمع والإرداف، ولذلك تجدهم وضعوا لكل إمام في القراءة رمزية خاصة به تضبط قراءته، رمزية المكي... رمزية البصري... رمزية حمزة... إلخ⁽¹²²⁾.

ولم ينحصر دور الترميز عندهم في مجال ضبط الاردا في القراءات فحسب، بل تعدى

(118) مثل سيدي احمد بن عبد الله الناصري «الذي كان متخذا دكانا بالبصاغين يجلس فيه لافادة الناس، وكانوا يتسبلون اليه من كل حدب لأخذ علم القراءة وغيره.. انتفع به خلق كثير من المقرئين وغيرهم» [اتحاف اعلام الناس لابن زيدان 1 : 363 — 364].

(119) التبيان ص : 144 وما بعدها.

(120) نصوص ينظمها حفظة القرآن الكريم بالمغرب من أجل ضبط رسم القرآن بالفصح وبغير الفصح...

(121) يراجع في أصل هذه العملية وحكمها، النشر : 1 : 81 — 19 / منجد المقرئين.. ص 12 — 13.

(122) ذكر ابن الجزري في منجد المقرئين ص : 12 أن المغاربة هم الذين سبقوا إلى التأليف في عملية الجمع والاردا.

ذلك ليشمل أيضا فن الرسم وفن الضبط، وما يتشابه من كلمات القرآن، وهي مجالات يهمني أن أشير إلى الجهود التي بذلت فيها قديما وحديثا، وظل العمل جاريا بها إلى يومنا هذا⁽¹²³⁾ وكما لا يخفى فإن للمغاربة مزيد عناية واهتمام بالرسم القرآني، فمعرفته ضرورية بالنسبة للمحافظ والذي لا يعرف فن الرسم القرآني من الحفظ والمهتمين هو شاذ بالنسبة لهم، لأن إتقان الرسم ينبغي أن يواكب عملية حفظ القرآن، ولا يضر إذا تأخر عنها بقليل، ولذلك فإن عملية تصحيح لوح الطالب المتقدم في الحفظ تكتسي لديهم طابعا خاصا وأهمية بالغة، فلا غرابة أن نجد لهم في هذا المجال أيضا اختراعات وابتكارات، يوظف فيها الرمز توظيفا محكما في إطار عملية تسمى عندهم بـ «الحط»⁽¹²⁴⁾، والحط سلاح ذو حدين وصالح للاستثمار في مجالين، مجال الكلمات التي تتشابه في شكلها أو في ضبطها أو فيهما معا، ومجال العد والحصر أي أن عملية الحط بواسطتها يستطيع المصحح أن يدل على كم مرة تكرر ذلك اللفظ الموضوع الرمز فوقه في القرآن ككل، ولكن «الحط»، لا يحدد المواطن، فرمز الحط ناطق بالعدد دون أن يدل على تحديد المكان، ويبقى التحديد المضبوط من اختصاص النصوص أو الكراريس التي تجمع بين العدد وبيان مواطن الكلمات بالاشارة إلى الأرباع التي توجد فيها، ولذلك تجد هذه الكراريس تنتهي عندهم بلفظ «معاً في الذكر» معاً تنزلاً «جيم عددهم» «دال عددهم»... إلخ.

وفيما يأتي أمثلة لذلك من السورة الأولى في القرآن :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ
إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ-إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ
عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ.

فالرموز التي توضع فوق الكلمات القرآنية عند التصحيح تشير إلى الأعداد [5,4,3,2] على وجه التحديد، والحصر، وليس لهم أي رمز إلى عدد آخر باستثناء الكلمات الوحيدة في رسمها وشكلها فإنهم يضعون عليها رمز (غ) بمعنى غريبة. فيكون العدد اثنين مشاراً إليه

(123) وذلك بفضل المنهج المبسط الذي سلكوه، وتركوا فيه مجال الضبط والتحقيق مفتوحا لكل متمكن كما سيأتي.

(124) من اصطلاحات القراء المغاربة الخاصة بهم في مجال ضبط النص القرآني رسماً واداء قولهم : «الرسمية» وهي الموضوعة لضبط الرسم و«الوقفية» وهي الموضوعة لضبط الوقف و«الرمزية» وهي الموضوعة لضبط رموز القراء و«الحطية» هي الموضوعة لضبط الحط فوق الكلمات المتشابهة تشابها ما كما سيأتي، والحط مدرسة مغربية قائمة الذات في تحقيق رسم القرآن اشتهرت في بلاد الريف من شمال المغرب وحملها الطلبة القراء إلى باقي جهات المغرب، وقد اشتهرت به مدرسة محمد بن ابراهيم اعجلي بسوس في القرن الثالث عشر الهجري.. وبه يتلقى الطلبة في مدارس القرآن تحقيق الرسم إلى يومنا هذا [سعيد اعراب : المدرسة القرآنية بالصحراء المغربية (دعوة الحق ع. 6، س 17. مارس 1976)، [المعسول 18 : 128].

بالرمز [س] وثلاثة [س-] أو [س-] وأربعة [ع-] مع جرة في آخره إلى أسفل، عكس خمسة [ع-] فإنه لايجز في آخره إلى أسفل.

وفي المثال هناك ثلاثة أشكال لرمز الوقف، وهو أيضا من وضع القراء المغاربة في شكله وفي تحديد موطنه⁽¹²⁵⁾ وشكله هكذا [ص-] ودلالته تعني صه بمعنى اسكت.

وفي إطار «الخط» نفسه هناك تخصيص لهذه العملية بمصطلح آخر أكثر دقة وهو «السطر الأعلى» أي أن هذه الرموز لا تغير من أصل الكلمات القرآنية شيئا وإنما تكون في أعلاها لغرض تعليمي وتثقيفي لاغير..

وفي المثال يمكن التمييز بين الخط في إطاره الأصلي، والخط في إطار العدد.

1) **الخط في إطاره الأصلي** : إن توظيف الخط فيما وضع له أصلا وهو ضبط الكلمات التي تتشابه في شكلها وبنيتها أو في ضبطها أو فيهما معا، وأحيانا في وزنها وسأوضح بعضا من الكلمات الواردة في المثال السابق.

بسم الله : وهذا يعني أن الكلمات القرآنية التي من قبيل «بسم الله» رسما بكسر الميم، والألف في أسفلها كسرة وفي أعلاها نقطة هي :

بسم الله	نستعينُ-إهدنا	الذين أنعمت	أنعمت عليهم
بأنعم الله	فرعونُ-إيتوني	الذين أنفقوا	لست عليهم
بعلم الله	يها من-إبن لي	الذين أنعم	اطلعت عليهم
بأييم الله		أنت عليهم	

وفي رأيي أن في مثل هذه الفئة من الكلمات يكاد يكون الخطب سهلا، والخط فيها يكون من الكماليات، ومن قبيل الترف والتفنن، لكن هناك مواطن يؤدي فيها الخط دوره أداء ضروريا، وذلك في بعض المواطن التي يقف فيها الطالب حائرا أمام رسم كلمة، إذ ذاك تكمن نجاعة هذا النوع من الترميز كأن يقف أمام كلمة [رفث] متسائلا عن إعجامها أو عدمه خاصة، والمغاربة أغلبيتهم لا يحرصون على نطق الحروف المعجمة على حقيقتها، فهم يعرفونها

(125) يقال إن واضع الوقف المعمول به حاليا في القراءة القرآنية بالمغرب هو الشيخ ابن غازي المكناسي السابق الذكر، وتلقاه عند تلميذه الهبطي الذي اشتهر هذا الوقف على يديه [رسالة الاستاذ الحسن وكاك في تحقيق وقف القرآن الكريم للهبطي. ص : 18] ولكن الاستاذ سعيد أعراب يعارض ذلك ويرى أن الوقف وضعه الهبطي قبل تلقيه على ابن غازي الذي لم يرتحل إلى فاس إلا في عام 895هـ وفي هذا الوقت كان الناس قد تلقوا الوقف عن الهبطي [ابو عبد الله الهبطي واضع وقف القرآن بالمغرب : دعوة الحق ع. 4 ذو القعدة 1387هـ فبراير 1968 ص : 93].

ولايُنطقونها، ففي مثل هذه المواقف يستنجد الطالب بحصيلته من الخط، وبما سبق لشيخه أن زوده به منه حين كتب له عليها رمز [عم] مشيراً بذلك إلى أن الكلمات المنتهية بـثاء مبسوبة مثلثة بعدها واو هي أربعة في القرآن لاغير : [رَفَتْ ولا فسوف]،⁽¹²⁶⁾ [الغَيْثُ وَيَعْلَم]،⁽¹²⁷⁾ [الخبائث وَيَضَع]،⁽¹²⁸⁾ [يَعُوْثُ ويعوق]،⁽¹²⁹⁾.

أضف إلى ذلك عنصراً آخر يساهم في الحاجة إلى الخط، وهو عنصر النسق التعليمي عند المغاربة إذ كانوا يؤخرون تعلم اللغة العربية والنحو والصرف، ولا يخفى مالهما من دور في تقريب الشقة على الطالب في ميدان تملك الرسم القرآني وإحكامه، ولكن درج المغاربة على قولهم : احفظ ياتيك المعنى !

(2) الخط في إطار العدد : ومعناه تفسير رمز الخط بعدد الكلمات في القرآن جملة، وأضرب لذلك مثالين مما سبق :

— [نُعْبُدُ] : عليها رمز ثلاثة، وذلك يعني أن كلمة [نعبد] في رسمها وضبطها لاتوجد في القرآن إلا في ثلاثة مواضع فقط، يبقى أن نعلم أين ؟ ذلك من اختصاص العدد الذي يوظف ما يسمى بالكراريس فيقول لنا مثلاً :

نعبد قل في الذكر جيم عددهم * «الحمد» إذ ابتلى⁽¹³⁰⁾ لاضير⁽¹³¹⁾ مكملًا — [إياك] نفس الشيء فالرمز [س] اثنين يعني أن لفظ [إياك] في القرآن مذكور مرتين، والعدد هو الذي يحدد موطنه إذ ينسج لذلك بيتاً يقول فيه :

إياك قل في الذكر معا تنزلا في أم الكتاب لا غير مكملًا
وهكذا يتضافر الخط والعدد في عمليتين متكاملتين إحداهما تيسر سبيل الأخرى، فالخط يوجز ويجمال، والعدد ييسط ويفصّل... وكلاهما ينشد التحقيق والإتقان، ويعكس دقة الملاحظة التي تحلّى بها علماء القرآن... وطابع الاحاطة والشمول الذي تميزت به أعمالهم

(126) ﴿فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج﴾ البقرة الآية : 196/

(127) ﴿وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام﴾ لقمان، الآية الأخيرة 33.

(128) ﴿ويحرم عليهم الخبث ويضع عنهم إصرهم والاعلال التي كانت عليهم﴾ الأعراف، الآية : 157.

(129) ﴿وقالوا لا تذرنا تهتكك ولا تذرنا ودا ولا سواها ولا يعوث ويعوق ونسرا﴾ نوح : الآية 24.

(130) الربع الرابع من الحزب الثاني من المصحف الكريم، والكلمة المقصودة، ﴿قالوا نعبد الهك...﴾ البقرة، الآية : 132.

(131) الربع الرابع من الحزب السابع والثلاثين من المصحف الكريم ﴿قالوا نعبد أصناما فنظل لها عكفين﴾ الشعراء، الآية : 71.

في هذا الميدان، وإن تتبع الباحث ماكتبوه وقالوه ودونوه في هذا المجال ينسبه مآخبروه وسطروه في مجالات أخرى، فالكراريس لم ينحصر دورها في مجال الرسم والضبط، بل تعدى ذلك إلى مجال الأداء، فقد وظفت فيه أيضا أحسن توظيف في شكل أبيات معدودة، إما مقتبسة وإما مؤلفة يتداولها الحفظة ويسمونها بأحكام القراء، وهي أبيات غير منسوبة منها باختصار :

في أحكام النون الساكنة والتنوين :

للنون والتنوين حكم يُلَفَّى	إدغام إظهار وقلب إخفا
لِلْحَلْقِ أَظْهَرُ (وَا قَلْبَيْنِ) لِلْبَاءِ	في يرملون أدغم بلا امتراء
بغير غنة بلام وَإِرَا	ينمو بغنة كذا ما قررا
مَنْ يَغْنُ خَالصَ اقْرَأْهُمَا	يُوْ يَغْنُ ناقص يافأهما

في المد :

فَمَدُّ طَبِيعِيٍّ وَقَصْرٌ وَصِغَةٌ	معناهم واحد في اللفظ يامنُ تلاً
--------------------------------------	---------------------------------

المد :

فإن قائل هل المَد تحريك	أو حرف فقل له جوابا بلا عسري
وما معنى هذا المد فوق حروفنا	الإعلام بزيادة الصوت فاعقلا

المد :

ومد لكلهم بالاشباع ما اتصل	ولكنهم قد اختلفوا لدى القدر
فبالقصر للمكي وللسوسي ⁽¹³²⁾ ما انفصل	واللدوري ⁽¹³³⁾ مع قالون بالمد والقصر
ومد بالاشباع في التأخر	كلما والسما جاهد واصبري

في التفخيم والترقيق :

يفخم لِدَانِ ⁽¹³⁴⁾ قرية ثم مريم	ورقق لك ⁽¹³⁵⁾ والامام كما تدري
لعثمان هذا الخلف فاسمع لحكمه	ولكن ذا التفخيم في (دين) عن جل

(132) ابو شعيب صالح بن زياد السوسي (ت. 202هـ) من رواة ابي عمرو ابن العلاء البصري/ التيسير للنداني ص : 5.

(133) الدوري نسبة إلى الدور، موضع ببغداد اسمه حفص بن عمرو توفي في حدود خمسين ومائتين من رواة البصري/ نفس المصدر والصفحة.

(134) المقصود به أبو عمرو الداني المتوفى سنة 444 وامام قراء الغرب الاسلامي.

(135) مكي بن ابي طالب سابق الترجمة. ولعل المقصود (بالامام)، ابن شريح و(العثمان) المقصود به ورش (وفي دُنْ) المراد به رَأْ (قرية) و(مريم)

لفظ التوراة :

ووجهان في التوراة عند شيوخنا التفخيم والترقيق فيه تفضلاً
وقد أطبق القراء قبل زماننا عليها لكون الفتح أصلاً مؤصلاً
وفي عصرنا هذا بترقيقهم قرأوا جميع شيوخ الغرب بل كل من تلا
وقالون في التوراة وافق ورشهم⁽¹³⁶⁾ بهذا جرى الاعمال شرقاً ومغرباً

ب — ما ألف في القراءات :

سبقت الإشارة إلى التراجع الذي سجله علم القراءات مؤخراً في بلاد المغرب الأقصى
بعد أن كانت معقلاً من معاقله دراسة وتدريساً وتأليفاً، ومع ذلك لم تخل ساحة علم القراءات
من جرد قلمه للتأليف في هذا الفن من علماء القرن الرابع عشر الهجري، وجال فيه تأليفاً
بالنفس الطويل وبغيره، وسأعرض فيما يأتي ما أعرفه من تأليفهم.

(1) تأليف في قراءة نافع وبيان رواته للسيد محمد بن عمر التلي
(ت 1299 هـ)⁽¹³⁷⁾.

(2) قصيدة لامية في قراءة ورش⁽¹³⁸⁾.

تأليف أبي الحسن علي بن سليمان البوجمعي (ت 1306 هـ).

— خزانة دار الكتب الناصرية بتمكروت، مجموع رقم : 3142 و3209 بخط المؤلف.

— نسخة أخرى بنفس الخزانة في مجموع رقم : 3074 بخط مغربي.

(3) شرح القصيدة اللامية في قراءة ورش⁽¹³⁹⁾ لنفس المؤلف.

— خزانة دار الكتب الناصرية بتمكروت مجموع رقم : 3152، بخط المؤلف.

— نسخة أخرى بنفس الخزانة في مجموع رقم 3074 بخط مغربي.

وأبو الحسن علي بن سليمان الدمتي عالم مدينة مراکش في مطالع الرابع عشر الهجري،
جمع علمه من تمكروت وسوس ومراكش ورحل إلى المشرق واتصل بجملة علماء عصره، اشتغل

(136) عثمان بن سعيد ورش رواية نافع بن أبي نعيم وروايته هي المعتمدة في المغرب من طريق الأزرق.

(137) الرحالي الفاروق : الدولة العلوية والقرآن الكريم (دعوة الحق ع : 4 س 11، قعدة 1387، فبراير 1968 ص : 29).

(138) دليل مخطوطات دار الكتب الناصرية بتمكروت للاستاذ محمد المنوني ص : 208 — 213.

(139) المرجع نفسه ص : 214.

بالتأليف أولا فكتب في التفسير⁽¹⁴⁰⁾ والقراءات، وعلم الحديث⁽¹⁴¹⁾ والنحو والفقه، والسيرة وغيرها، مؤلفاته تصل إلى سبعة عشر تأليفا،⁽¹⁴²⁾ ثم تفرغ للتدريس ثانيا، وبه قضى حياته بجامع ابن يوسف يجلس لدروسه العلمية قرب باب القسارية من الجامع المذكور، وكان طاقة حية في الصبر والجلد على التدريس لا يتسرب إليه فيه الكلل والملل، يختم العلوم تدريسا ويستأنفها من جديد حتى ضعفت قواه وعجز عن ذلك⁽¹⁴³⁾.

4) حواش على الجعبري شارح الحرز⁽¹⁴⁴⁾ تأليف أبي إسحاق إبراهيم بن محمد التادلي الرباطي⁽¹⁴⁵⁾ (ت 1311 هـ).

5) شرح على الدرر اللوامع لابن بري⁽¹⁴⁶⁾ لنفس المؤلف.

أما حاشيته على الجعبري فلا أعرف عنها شيئا، وأما شرحه على الدرر اللوامع فتوجد بقايا منه في الخزانة الصبحية⁽¹⁴⁷⁾ منها هذا النموذج الذي شرح فيه قول ابن بري (... وقالوا بعد بالاخفاء)⁽¹⁴⁸⁾ «قال في التحصيل⁽¹⁴⁹⁾ ما معناه : قال القراء : (بعد) أي بعد ذكر الأحكام الثلاثة التي هي الاظهار والادغام والقلب (بالاخفاء) أي بإخفاء النون الساكنة والتنوين عندما بقي من الحروف وهي خمسة عشر حرفا، وسواء كان النون معهن في كلمة واحدة من كلمتين هذا تأويل فيكون المصنف تكلم على الحكمين في البيت وهما : القلب والاخفاء، ويكون ساكنا

(140) «تيسير الفرقان في تفسير القرآن» خ. ع. بالرباط رقم : 2006، الجزء الأول والثاني والثالث.

(141) له حواش على الكتب الستة في الحديث مطبوعة، وله ترتيب الجامع الصغير للسيوطي حسب الصحة والحسن والضعف. كما اختصر كتاب الترغيب والترهيب للمنزري.

(142) تبين لي بعد ذلك أنها تفوق هذا العدد بكثير (يراجع بحث مستفيض في ذلك للأستاذ المؤرخ أحمد التوفيق في كتاب «النهضة والتراكم»).

(143) باقي ترجمته في : الإعلام للمراكشي 9 : 255 / السعادة الأبدية للمؤقت المراكشي ص : 192 المعسول 18 : 77 / فهرس الفهارس 1 : 176 / دليل مؤرخ المغرب الأقصى 1/192.

(144) الاعتباط ص : 251 / أبو إسحاق التادلي للاستاذ عبد الله الجراري ص : 98.

(145) تقدم التعريف به مع ذكر مصادر ترجمته.

(146) أبو اسحاق التادلي... ص : 95.

(147) عثر على بعض أوراقه ضمن صحائف بخط المؤلف تحتفظ بها الخزانة العلمية الصبحية بسلا...

(148) وقلبوهما لحرف الباء ميمًا وقالوا بعد بالاخفاء

(149) المقصود به «تحصيل المنافع من كتاب الدرر اللوامع في أصل مقرا نافع» شرح يحيى بن سعيد الكرامي السملالي ت. 893 هـ على منظومة ابن بري / خ. ع. بالرباط 870 د/ 503 د/ 745 د/ نسخة بمكتبة الجزائر، نسختان بالقروين وفي الخزانة الحسنية : 7578 / 9004 / 8248 / 5747. طبع مؤخرا بتحقيق ذ. الحسن طالب المراكشي في جزئين منفصلين.

عن حكم الميم قبل الباء هل تقرأ بالاخفاء أم لا، ويؤخذ من خارج هـ (...) ولذا قال في الايضاح⁽¹⁵⁰⁾ قال الحافظ : والاخفاء حال بين الاظهار والادغام هـ. قال الخطيب بن أبي السداد،⁽¹⁵¹⁾ وحقيقة ما أراد الحافظ، ألا تلتصق طرف لسانك بما يقابله من مقدم الفم، وتبقى الغنة في الأنف، فيقدر مازال من عمل اللسان أشبه الادغام، وبقدر مابقي من الغنة أشبه الاظهار، وتقدم الخلاف في الغنة مع الاظهار فأثبتها مكى مع الاظهار، وظاهر الشاطبي لاغنة مع الاظهار، إنما تكون مع الاخفاء لقوله في باب مخارج الحروف آخر الشاطبية. وغنة تنوين وميم ونون إن يسكن ولا إظهار في الأنف يجتلا فاشترط أن تكون تلك الأحرف سواكن، وأن تكون غير مظهرات، هذا هو مقتضى كلام الفاسي⁽¹⁵²⁾ وأبي شامة ومن تبعهما من شراح الشاطبية في ذلك، وهو أيضا ظاهر كلام مكى في التنبيه⁽¹⁵³⁾ حيث جعل أحوال النون ثلاثة : 1) حالة إدغام فتصير مثل الحرف المدغم فيه.

(2) حالة إظهار : مخرجها مخرج النون المتحركة وهو طرف اللسان.

(3) حالة إخفاء : مخرجها مخرج النون الساكنة من الخيشوم هـ .

ومن خلال النص المسوق من شرح التادلي على منظومة ابن بري يظهر أن التادلي كان أخصائيا في الفن قادرا على التباحث مع رجاله عارضا آراءهم مقربا إياها على طالبها، ومع ذلك فقد كان التادلي لا يؤمن بأن العلم بالتأليف وحده وإنما العلم بالثقافة والدرس ! وتلك قوله التي أجاب بها الشيخ محمد عبده حين لقيه في بيروت وسأله عن حال العلم والعلماء بالمغرب، وهل هناك من علماء المغرب من يتعاطى للتأليف ؟ فرد أبو إسحاق التادلي بأن العلم ليس بالتأليف وإنما بالثقافة والدرس،⁽¹⁵⁴⁾ وكان الذي يسمع قوله يعتقد أنه لا يصرف من وقته شيئا في التأليف، وقد مر معنا أن تأليفه فاقت المائة والعشرين تأليفا ! إذ كانت له — رحمه الله — في كل ساحة علمية راية...

(150) المقصود به : «إيضاح الاسرار والبدايع وتهذيب الغرر والمنافع في شرح القصيدة المسماة بالدرر اللوامع في أصل مقر الامام نافع» تأليف محمد بن محمد بن الجراد السلاوي (ت. 815هـ) خ. ع. الرباط 1745 د القروين 246، 251 / باريز 5036 / طنجة 25.

(151) أبو محمد بن أبي السداد الباهلي المالقي : (ت. 705هـ) هو الشارح الأول لكتاب التيسير للداني مع التزامه بإيراد ما ذكره مكى وابن شريح غاية النهاية 1 : 477.

(152) محمد بن حسن الفاسي صاحب (الثلاثاء الفريدة) على الشاطبية (ت. 656هـ) (غاية النهاية 2 : 122).

(153) «التنبيه على اصول قراءة نافع وذكر الاختلاف عنه جزآن (الكشف 1 : 24).

(154) ذ. مصطفى الغري : «ابو اسحاق ابراهيم التادلي من خلال أقواله» (دعوة الحق ع 1 س 11 شعبان 1987هـ — نونبر 1967 م ص (97 — 107).

(6) رعاية الأداء في كيفية الجمع بين السبعة القراء⁽¹⁵⁵⁾ تأليف : محمد المهدي متجنّوش⁽¹⁵⁶⁾ الرباطي (ت 1344 هـ — 1922 م).

(7) يتيمة اللثالي⁽¹⁵⁷⁾. لنفس المؤلف.

«يتيمة اللثالي» أرجوزة ضمنها أحوال الرء إماله وترقيقا وتفخيما، مطلعها بعد البسملة والحمدلة والصلاة على رسول الله ﷺ :

وبعد فالقصد بذى الألفاظ مسألة تنسب للحفاظ
أي علّما المقارء المشهورة وهي في كتبهم مذكورة
إذا فتحت الرا المالة فهل تريقها يجوز أو كيف العمل ؟
ثم أخذ يفصل الموضوع ذاكر المانعين تريقها والمجيزين.

آخرها :

سمّيه يتيمة اللثالي صلّ على محمد والآل
تمّ في الأربعاء عيد الأضحى من عام با وكعب أي صُبْحاً⁽¹⁵⁸⁾
عدد أبياته في نقط لطيف والطف بلطفك الخفي بالطف⁽¹⁵⁹⁾

(8) جواب عن سؤال في القراءات⁽¹⁶⁰⁾ لمحمد المهدي متجنّوش (ت. 1344 هـ).

يتعلق بكيفية القراءة عند ختم سورة وابتداء أخرى... وفيه من الدقة والتقصي ما يعكس علوّ كعب الرجل.

(155) التأليف ونهضته.. ص : 268/ من أعلام الفكر المعاصر 2 : 228/ الاعلام للزركلي 7 : 114 معلمة القرآن والحديث. ص : 90.

(156) متجنّوش : بفتح الميم ثم ثاء مثناة فوق ساكنة، ثم جيم مكسورة، ثم نون مضمومة، بعدها حرف مد وشين، لقب أعجمي ظلت تحمله هذه الاسرة منذ هجرتها من الأندلس، واستقرارها بالرباط. ترجمته في : من أعلام الفكر المعاصر 2 : (227 — 231) الاعلام للزركلي 7 : 114/ التأليف ونهضته بالمغرب : ص : 268/ الاعتبار (356 — 358)/ العلامة الرياضي محمد المهدي متجنّوش : الحلقة السادسة من سلسلة (شخصيات مغربية) للأستاذ عبد الله الجراري/ مختصر العروة الوثقى للحجوي ص : 16/ معجم المطبوعات المغربية لابن الماحي ص : 316.

(157) العلامة الرياضي محمد المهدي متجنّوش : ص (60 — 67) أورد الأستاذ عبد الله الجراري القصيدة كلها.

(158) سنة 1333 هـ.

(159) عدد أبياتها 126 بيت.

(160) العلامة الرياضي.. ص : (34 — 36).

9) قصيدة السند في القراءات (161)

تأليف محمد المهدي مَتَجَنُّوش (ت. 1344 هـ).

وهي قصيدة في سنده للبذور السبعة في القراءات احتوت على مائتين واثنين وتسعين بيتاً (162) مطلعها :

الحمد لله بلا تقييد	والشكر لله بلا تحديد
فحمده وشكره بالسند	كذا صلاته على محمد
وبعد ذلك يقول عبد ربه	محمد المهدي أسير ذنبه
يدعى بمتجنوش الرباطي	أندلسي الأصل والأرهابي
ولما الاسناد استقر أمره	من المهمات وكان ذكره
مبيناً من أعظم التقول	لأجل الارتباط بالرسول
رغبت فيه مظهراً ثنائياً	ومتطفلاً على آبائى

— أتمّ سنده في القراءات إلى البذور السبعة، وانتقل إلى الحديث عن البذور واتصالهم بالرسول ﷺ، وذكر روايتهم، واتبع ذلك بخاتمة ضمنها عدد الصحابة الذين جمعوا القرآن على عهد النبي ﷺ... كما زين هذه القصيدة بحواشٍ ضمنها تراجم للعديد من القراء (163) خاتمتها :

أبياته مربع لسبعة يجمع مع ثلث كعب سبعة

10) قصيدة في التعريف بالامام نافع وبشيوخه ورواته (164)

تأليف محمد المهدي مَتَجَنُّوش (ت 1344 هـ).

تحتوي على عشرين بيتاً، أهمّ ما فيها ذكر رواة نافع وطرقهم العشرة المعروفة عند المغاربة بالعشر الصغير (165).

(161) العلامة الرياضي.. ص : 79.

(162) المرجع نفسه والصفحة نفسها.

(163) المرجع نفسه ص : 84.

(164) ذكرها له الاستاذ عبد الله الجراري في نفس المرجع ص : 84/ وتوجد بالخزانة العامة بالرباط رقم : 1984 ك

(165) مما قاله في تحديد رجال العشر الصغير :

طرقهم عشرة بلا نكير
فالأصبهاني أزرق عبد الصمد
عندهم تعرف بالعشر الصغير
ثلاثة عن ورشهم بلا كمد =

مطلعها : حمدا لذي الجلال والجمال صلى على محمد والال
وبعد فالمهدي الرباطي قالا والاستعانة به تعالى
خاتمها : مقصودنا تم بحمد ربي صلى على محمد والصحب

والأستاذ محمد المهدي متجنوش من علماء الرباط المرموقين وقد وصفه صاحب الاغتيال
بقوله : «أستاذ الرباط وشيخه في القراءات وتوجيهها، (166) والفرائض (167) والحساب،
والتعديل، والتوقيت (168) والتوثيق (169) والتصوف (170) والأخلاق، والاداب (171) وكم له في
هذه الفنون من أراجيز وتعاليق وشرح ومتون (172) كلها عيون وفنون» (173).

كما نعتة تلميذه الأستاذ عبد الله الجراري بقوله : «كان المهدي عالما مشاركا في كثير من

= والقاضي والروز والخلوان
اسحاق عند نجله محمد
روى عن اسماعيل نجل لفرح
تضمن الحرز عن التيسير
طريق الأزرق عن المصري العلم
— ورجال العشر نظمهم العديد من القراء منهم ابن غازي المكناسي ورمزوا لهم ب
جَيْتَص / بِمَحْنِي / سَوْد / لَفَرٍ ؛ وتفصيلها :

1 2 3 4

(1) الجيم : ورش ؛ الباء : يوسف الأزرق ؛ التاء : عبد الصمد العتقي ؛ الصاد : محمد بن عبد الرحيم
الاصباهي.

(2) الباء : قالون ؛ الميم : المروزي ؛ الحاء : أحمد الحلواني، القاف : القاضي إسماعيل.

(3) السين : إسحاق المسيبي، الواو : ولده محمد، الدال : إدريس الحداد.

(4) اللام : الأنصاري ؛ الفاء : ابن فرح المفسر ؛ الزاي : أبو الزعرا عبد الرحمن بن عبدوس العراقي.

(166) اخذ القراءات عن شقيقه محمد متجنوش الذي توفي شابا في سن الواحدة والثلاثين وذلك سنة 1290 هـ)
وقد كان أخوه نابغة كان لا يحفظ القراءات بالجمع والارداف على طريقة أغلبية اهل المغرب، وانما يحفظها
بالأفراد.. [الاغتيال : 195 / مجالس الانبساط لمحمد بن علي دثية ص : 195]

(167) له فيه مجلد ضخيم شرح فيه فرائض الشيخ خليل سماه : «شفاء الغليل على فرائض خليل «يوجد بخط
المؤلف بالخزانة الصبحية بسلا فأق (300) صفحة.

(168) تراجع تواليفه التي فاقت العشرين في الترجمة التي أفرد بها له ذ. عبد الله الجراري (العلامة الرياضي).

(169) تولى خطة العدالة وتركها إلى إنشاء مدرسة قرآنية للتدريس وتعليم القراءات.

(170) أحذه عن السيد محمد بن عبود شيخ الطريقة الدرقاوية بسلا آنذاك. ووالد أستاذنا المهدي بن عبود

(171) «العلامة الرياضي» للاستاذ عبد الله الجراري ص : (54 — 57).

(172) من الملاحظ أن طابع النظم هو الذي يطغى على تواليفه.

(173) الاغتيال : 356.

الفنون متضلعا في علم القراءات مطالعا على وجوهها وأحكامها ذا باع جيد في الرياضيات والفلك. يميل إلى التصوف... أبي النفس مع إقلال وضعف حال... كثير التلاوة⁽¹⁷⁴⁾.

أخذ الشيخ محمد المهدي عن جلة علماء الرباط في عصره فأخذ القراءات عن أخيه محمد متجنوش⁽¹⁷⁵⁾ وعن مولاي علي الشرقاوي الحسناوي⁽¹⁷⁶⁾ وتفقه على أبي إسحاق التادلي، والسيد الهاشمي الضرير⁽¹⁷⁷⁾ وغيرهما، ورحل إلى فاس ومكناس ومراكش وطنجة، ومصر حيث اتصل بجملة شيوخها وأخذ عن الشيخ حسن العطار بضريح سيدنا الحسين... واستقر به المقام في الرباط حيث تفرغ للتدريس والتأليف وتأديب الصبيان وتعليمهم القرآن، واستكتبه بأشأ مدينة سلا، ج. محمد الصبيحي... من أجل مساعدته على سد خصائصه⁽¹⁷⁸⁾.

11) رسالة تشتمل على أسانيد في القراءات⁽¹⁷⁹⁾ لأحمد بن عبد السلام بن طاهر العلمي السريفي (ت. 1344 هـ) من شهداء حرب الريف التحريرية.

12) «تحفة الأبرار في التعريف بالشيوخ والسادات الأخيار»⁽¹⁸⁰⁾.

لأحمد السريفي المذكور⁽¹⁸¹⁾.

13) «إتحاف الطالب القانع بفهم معنى النظم المسمى بالدرر اللوامع»⁽¹⁸²⁾.

تأليف : محمد بن الحسن العرائشي المكناسي⁽¹⁸³⁾

(174) العلامة الرياضي محمد المهدي متجنوش ص 12.

(175) الاغتباط 356.

(176) المصدر نفسه.

(177) الاغتباط ص : 357 / والهاشمي الضرير من شيوخ أخيه أيضا، ومن شيوخ التادلي الرباطي في القراءات دَرَسَ الشاطبية بالجعيري في مجالسه الحافلة بالطلبة وتوفي 1300 هـ [الاغتباط : 468].

(178) العلامة الرياضي : ص : 13.

(179) فهرس الفهارس 1 : 207 — 208 / الاعلام للزركلي 1 : 145 — 146 / معجم المؤلفين لرضي كحالة 274.

(180) فهرس الفهارس 1 : 285 — 286 / دليل مؤرخ المغرب الأقصى 2 : 294 / الاعلام للزركلي 1 / 145 — 146 / معجم المؤلفين 1 : 274.

(181) أحمد السريفي عالم بالقراءات من اهل الريف قال عنه السيد عبد الحي الكتاني «ناولي تحفته هذه وهي نحو أربع كراريس مفيدة في أساتيزه في القراءات.. وقد أجزت له أيضا واجاز هو لأولادي وأحفادي أيضا عام 1319... ثم بلغتني وفاته قتيلا في الفتنة الريفية حوالي 1344 هـ رحمه الله رحمة واسعة». [فهرس الفهارس 1 : 207 — 208].

(182) التأليف ونهضته بالمغرب للأستاذ عبد الله الجاروي ص : 142 / معجم المطبوعات المغربية ص 235.

(183) مؤقت الجامع الكبير بمكناس كان له باع في الرياضيات والحساب، أقرأ القراءات، ومن تلاميذه الاحياء =

14) حاشية على كنز المعاني للجعبري⁽¹⁸⁴⁾ تأليف محمد بن عبد المجيد بن عبد الرحمان الفاسي أقصي، نزيل الرباط⁽¹⁸⁵⁾ (ت 1364 هـ).

15) «النور اللامع، على شرح ابن القاصح»⁽¹⁸⁶⁾، تأليف محمد بن عبد المجيد أقصي المذكور.

وهو حاشية على شرح ابن القاصح على لامية الشاطبي في القراءات.

16) نفحة المنان على التوضيح والبيان : تأليف محمد بن عبد المجيد أقصي (ت. 1364 هـ).

وهو شرح لكتاب «التوضيح والبيان في مقراء نافع المدني بن عبد الرحمان وذكرى الشيوخ الماهرين في القرآن»⁽¹⁸⁷⁾ لادريس الودغيري البدرابي أو البكرابي (ت 1257 هـ).

يوجد شرح «أقصي» على التوضيح والبيان مخطوطا بالخزانة الحسنية رقم : 7087 أول النسخة : «الحمد لله الذي أكرمنا بكتابه المنزل».

آخرها : «ونقله الزرقاني عن المواهب».

والنسخة غير تامة، بخط مغربي مليح بيد المؤلف لم يرد فيها تاريخ الفراغ من كتابتها وهي بدون تسفير.

أوراقها : 9، ميقاسها، 22,9 × 18 سم، سطورها : 27.

— نسخة أخرى رقم : 7045 بخط المؤلف بنفس الخزانة، يظهر أنها مسودة لما فيها من

= الآن فيها الاستاذ سيدي ابراهيم الهلاي [التبيان.. ص : 186] والى فيها شرحه على منظومة ابن بري مما يدل على اعتناؤه بكتاب الله وتجويده/ معجم المطبوعات المغربية ص : 234 — 235.

(184) الخزانة الحسنية رقم : 7038 في دفاتر مدرسية لم تخرج من مبيضتها/ أما «كنز المعاني» للجعبري فهو شرح على الشاطبية في القراءات، وهذا الشرح مازال مخطوطا ويكثر تداوله بين القراء المغاربة ومنه نسخ بالخزانة العامة بالرباط 1007 د/ وبالخزانة الحسنية 363، 503.

(185) ترجمته في : الاعلام للزركلي 6 : 247/ من اعلام الفكر المعاصر 2 : 173/ التأليف ونهضته ص 184 ومعجم المطبوعات المغربية لادريس بن الماحي ص : 22/ فقيه متمكن في علوم الفقه والآلة والتجويد والقراءات من أستاذة المعهد المولي بالرباط السابقين المرموقين.

(186) من اعلام الفكر المعاصر 2 : 174/ التأليف ونهضته بالمغرب ص : (184 — 186) — وشرح ابن القاصح على الشاطبية في القراءات سماه «سراج القارئ المبتدى وتذكرة القارئ المنتهي» مطبوع في مصر شركة التمدن الصناعية 1330 هـ وابن القاصح هو علي بن عثمان بن محمد توفي سنة 801 هـ.

(187) مطبوع طبعة حجرية بفاس 1356 هـ/ مجلة المورد ع (3 — 4) المجلد 1402/10 — 1981 ص 400.

شطب وإضافات، وهي تامة، آخرها» وقد عده ابن هلال في فهرسته من شيوخه وأثنى عليه،
ورضى الله عنهم أجمعين»

أوراقها : 24، مقياسها 22,6 × 18,2 سم، سطورها : 29 (188).

17) أجوبة عن تواتر القراءات (189)، لمحمد بن المديني كنون (190) (ت 1302 هـ).

18) جواب عن سؤال حول (جعل الإمامة إخلاصاً للكسرة) (191)، لقاضي تارودانت
موسى الرستموكي (192) (ت 1362 هـ).

19) جواب عن سؤال في الاشمام والرؤم، للشريف الحسني الفلاي محمد بن عبد
الهادي، نزيل مكناس ودفنها (193)

ذكر ابن زيدان أن ابن عبد الهادي المذكور سئل عن الاشمام والروم فأجاب سائله بالأبيات
الآتية. ولما تم الأبيات ذهب للحجّام وأمره بقلع ثنيته ليتمكن من النطق بالاشمام على حقيقته !
وقد كان مُدْرِّراً يعلم الصبيان ويرشد الشيوخ والأساتيد، انتهت إليه رئاسة الفن في
زمانه (194).

الأبيات :

يا سائلي نظماً على الاشمام والرؤم فاستمع أخي كلامي

(188) ذ. محمد العربي الخطابي : فهرس الخزانة الحسنية المجلد (9) خاص بعلوم القرآن الكريم ص : 165 —
166.

(189) مطبوعة بفاس ضمن مجموعة فتاوي للشيخ محمد بن المديني كنون، رحمة الله عليه، طبعة حجرية — الحاج
الطيب الأزرق 1311 هـ ص : 176.

(190) ترجمته في : فهرس الفهارس 1 : 497 — 498 / النبوغ لسيد عبد الله كنون 1 : 299 الاعلام
للمراكشي 7 : 57 / الفكر السامي 4 : (302 — 304) / معجم المطبوعات المغربية ص : 63 —
64 — 65.

(191) المعسول 18 : (25 — 27) ساقه له كمثال عن تحريراته وإنشاءاته.

(192) المصدر نفسه 18 : ص 5 وما بعدها / قال الشيخ المديني بن الحسني الرباطي عن سيدي موسى الروداني
«مارأيت بين قضاة اليوم مثل سيدي موسى الروداني، فإنه عندي من بقية السلف فيما ينهجه من أحكامه،
وإنما لأشبهه شيء عندي بأحكام قضاة الأندلس» وكانت بينهما مودة وعلاقة تذكها الطريقة الأحمدية.
[المعسول 18 : 12] — وعن عدم جواز إخلاص الكسر في النطق بكل مال في آخر الكلمة يقول
الشيخ ميمون الفخّار في تحفة المنافع :

ولم أر إخلاص كسر في سنَد ولا أظن أن قرأه أحد

(193) تخاف اعلام الناس.. 4 : (261 — 262) / 5 : (392 — 393) من نفس المرجع.

(194) المصدر نفسه.

الرفع فيه الرُّوم والاشمام والخفض بالروم فقط يرام
النصب لارُوم ولا إشماما في مذهب القراء خد أحكاما
وفي عريض شكل قل بالمتع وهاء ثانيت وميم الجمع
وهذه الأبيات شائعة التداول بين القراء في القرن الرابع عشر الهجري بالمغرب وقد وقفت
عليها ضمن مجموعة كراريس أُضِيفَ إليها البيتان الآتيان :

وها الضمير بعد اليا والواو والكسر والضم فامنع ياراوي
وان يكن بعد سكون أو ألف أو فتحة فبالجواز قد عرف

(20) **الخلاف الفقهي في البسمة مبني على اختلاف القراء في قراءتها**⁽¹⁹⁵⁾. محمد بن
الحسن الحجوي (ت 1376 هـ).

(21) **مذاهب القراء في ياء الاضافة**⁽¹⁹⁶⁾، تأليف الدكتور التهامي الراجي الهاشمي⁽¹⁹⁷⁾.

أخرج المؤلف هذا الكتاب ضمن سلسلة الدراسات اللغوية وعلم القرآن رقم : 6 وهي
سلسلة علمية هادفة⁽¹⁹⁸⁾ مخصصة أصلا للدرس اللساني، والمؤلف يحاول من خلال هذه
السلسلة أن يبرز أهمية علم القراءات القرآنية في ميدان الدرس اللساني ولديه رغبة ملحّة في
توجيه الدراسات اللغوية المعاصرة صوب القراءات القرآنية لما فيها من ثراء وغنى معرفي على
عدة مستويات، فهو يرى «أنّ لب اللسانيات وعصارتها هي القراءات القرآنية، كما أن علماء
اللغة العربية الكبار ماكان لهم أن يبرزوا ويشتهروا في الحقل اللغوي، وتكون لهم فيه النظريات
العلمية، لولا تمكنهم الأول من علم القراءات إلى درجة التأليف فيه ومنه ينطلقون إلى إنجاز
أعمالهم اللغوية والنحوية والصرفية والبلاغية، وإذا أردنا التعرف على جهود اللغويين القدامى.

(195) مختصر العروة الوثقى للحجوي ص : 75.

(196) مطبوع بدار النشر المغربية — الدار البيضاء 1988، 171 صفحة بالفهارس / حجم صغير.

(197) أستاذنا الدكتور التهامي الراجي الهاشمي أستاذ التعليم العالي بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط تقلد
عدة مناصب عالية لكنها لم تصده عن نشاطه الدؤوب في مجال البحث العلمي الجامعي في اللسانيات
والقراءات القرآنية والإشراف المكثف على البحوث الجامعية في الدراسات الإسلامية وغيرها.

(198) صدر منها : العدد الأول توطئة لدراسة علم اللغة — التعاريف / دار النشر المغربية ط 2. 1985.

«الثاني : بعض مظاهر التطور اللغوي» / 1978.

«الثالث : الثنائيات اللسانية» / 1982.

«الرابع : مدخل لدراسة النفسي — الالي الحديث 1983.

«الخامس : القاضي عياض اللغوي 1985.

(199) مذاهب القراء في ياء الاضافة ص 51.

فينبغي أن نطلبها في تواليهم في القراءات لأنها معيار دقيق لادراك مدى عمق ثقافتهم اللغوية(200).

والأستاذ الراجي الهاشمي في منهجه في البحث يومن بأن أول انطلاقة نحو التجديد هي هضم القديم والتعمق فيه، وشعاره الذي يؤكد عليه في هذه السلسلة هو أن «التجديد قتل القديم بحثاً»(201) ولذلك ينصح من رام إتقان القراءات والاستفادة منها بإتقان النحو العربي بكل مستوياته والبلاغة بكل فروعها، مع الاطلاع الواسع على المعجم العربي... (202)

أخرج الدكتور التهامي الراجي الهاشمي العدد السادس من سلسلته ووعده بصدور أعداد أخرى في الإدغام وهاء الكناية وغيرها... وفي هذا العدد قدم للقارئ ياء الاضافة وكيفية النطق بها في العربية وفي القرآن الكريم.

ومن أهم ما في العدد السادس مقدمته الجامعة المانعة التي تعكس تصورا ناضجا عن ميدان يخوضه الرجل بحزم وعزيمة منذ سنوات قدم فيها عطاءات في التدريس والتأليف والتحقيق والبحث الجامعي.

ومن أهم ما فيه أيضا حسن ترتيب معلوماته وتبسيطها، واستخدام فن الجداول للضبط والاختصار، مما يجعل القارئ وإن كان غير مختص يستفيد من درس القراءات القرآنية... ولا يخفى أن هذه غاية كبرى من أهم غايات خدمة التراث العربي الاسلامي.

22 «رسالة التنبيه على الجهل والخطأ والتمويه»

تأليف أبي عمرو الداني (ت 444 هـ).

تحقيق الدكتور التهامي الراجي الهاشمي.

هي أحد المخطوطين اللذين حققهما أستاذنا وقدمهما جزءا من أطروحته(203).

23 «بيان الخلاف والتشهير وما وقع في الحرز من الزيادات على التيسير».

تأليف أبي زيد عبد الرحمان بن القاضي المكناسي. (ت 1082 هـ) تحقيق الدكتور التهامي الراجي الهاشمي).

(200) المرجع نفسه ص 5 وما بعدها.

(201) المرجع نفسه ص 5.

(202) المرجع نفسه ص : 5.

(203) اطروحة الدكتور التهامي الراجي الهاشمي : «خلافات القراء بالمغرب والأندلس» الجزء الأول ص : 2.

وهو ثاني المخطوطين اللذين حققهما الدكتور الراجي وقدمهما ضمن أطروحته (204).

24) التعريف في اختلاف الرواة عن نافع⁽²⁰⁵⁾، تأليف أبي عمرو عثمان بن سعيد

الداني (ت. 444 هـ)، تحقيق الدكتور التهامي الراجي الهاشمي.

في إطار عملية بعث التراث العربي الاسلامي وإحيائه عرفت مجموعة هامة من كتب الامام الداني في القراءات القرآنية طريقها نحو التحقيق والطبع، وصلت لحد الآن ثمانية كتب⁽²⁰⁶⁾ حقق منها بالمغرب الأقصى ثلاثة كتب منها الرسالة المذكورة أعلاه وكتاب التعريف المتحدث عنه، والأرجوزة المنبهة، فالرسالة الأولى أي رسالة التنبيه على الجهل والخطأ والتمويه يرد فيها الامام الداني على أحمد بن عمار المهدي⁽²⁰⁷⁾ في مسائل في القراءة أنكرها عليه بعض أهل دانية بالاندلس⁽²⁰⁸⁾ وكتاب التعريف يعرض فيه الداني للخلاف الوارد بين رواة نافع الأربعة المشهورين،⁽²⁰⁹⁾ حسب طرقهم العشرة المعروفة عند القراء المغاربة بالعشر الصغير،⁽²¹⁰⁾ وهو

(204) المرجع نفسه الجزء الأول ص : 2.

(205) طبع هذا الكتاب بتحقيق الدكتور التهامي الراجي الهاشمي بالمغرب مطبعة فضالة 1403 — 1982 تحت اشراف اللجنة المشتركة لنشر وحياء التراث الاسلامي بين المغرب ودولة الإمارات العربية المتحدة.. 474 صفحة/ حجم متوسط.

(206) التسير في القراءات السبع طبع بعناية أوتوبرتزل باسطنبول 1930/ المقنع في معرفة مرسوم مصاحب الأمصار — طبع بتحقيق أوتوبرتزل في اسطنبول سنة 1932 وبتحقيق محمد احمد دهمان بدمشق مطبعة الترقى 1940/ المحكم في نقط المصاحف طبع بتحقيق الدكتور عزة حسن بدمشق 1960/ رسالة في الظاءات القرآنية نشرت بمجلة البلاغ : ع : 1 — 2 س 3 بغداد بتحقيق الدكتور محسن جمال الدين. رسالة التنبيه محققة ضمن أطروحة الدكتور التهامي الراجي./ التعريف في اختلاف الرواة عن نافع / الأرجوزة المنبهة حققها الدكتور الحسن وكاك وقدمها أطروحة بدار الحديث الحسنية كما سيأتي «المكتفي في الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل» لأبي عمرو الداني أيضا دراسة وتحقيق د. يوسف المرعشلي بيروت مؤسسة الرسالة ط 2. 1407 — 1987.

(207) تقدم التعريف به في الصفحة الأولى من هذا الفصل.

(208) الدكتور الراجي : مقدمة تحقيقه لكتاب التعريف ص : 61.

(209) ورش عثمان بن سعيد المصري (ت. 197 هـ) قالون عيسى بن مينا (ت. 220 هـ) / اسحاق المسيبي (ت. 206 هـ) اسماعيل بن جعفر بن ابي كثير الانصاري (ت. 180) / يراجع التعريف للداني ص : 159 وما بعدها.

(210) تقدمت أبيات في هذا الفصل تتحدث عن العشر الصغير، وهم يطلقونه تميزا له عن العشر الكبير أي الدور السبعة مضافا إليهم قراءة أبي جعفر ويعقوب وخلف... ويعرف عن القراء المغاربة أنهم كانوا يحفظون العشرين أي العشر الكبير والعشر الصغير وكان هذا أمرا ذا بال كبير، ولذلك درج على ألسنة الناس إلى الفترة المعاصرة في المغرب قولهم، في معرض حديثهم عن قيمة المرء وما يحسنه، فلان...! لماذا فلان...؟! أو قاريء العشرين؟! وهم يعتقدون أن ذلك قمة العلم والمعرفة.. مما يدل على تجذّر القراءات القرآنية بالمجتمع المغربي.

المعبر عنه بالجماعة النافعية، والأرجوزة المنبهة التي يتعرض فيها الامام الداني للقراء والروايات وأصول القراءات وعقود الديانات.

والملاحظ أن هذه الحصيلة التي شارك بها العلماء المغاربة في تحقيق كتب مقرأ الغرب الاسلامي الامام الداني كان فيها النصيب الأكبر لأستاذنا الدكتور التهامي الراجي الهاشمي وما جهده المتميز في تحقيق كتاب التعريف إلا دليل على العناية والاهتمام، والتقدير لمهمة التحقيق، فقد صرف في تحقيق كتاب التعريف من الوقت والجهد العلمي ما أغني الكتاب وزاد في أهميته، فمقدمة التحقيق جاءت في ستة فصول⁽²¹¹⁾ تقصى فيها الأستاذ المحقق أهم ما يتعلق بحياة الامام الداني وبمؤلفاته التي ذكر منها سبعة وثلاثين مؤلفاً...⁽²¹²⁾ واستخدم عملية تشجيرية مضبوطة لرواة نافع وطرقهم استغرقت الفصل الخامس من المقدمة في حوالي خمسين صفحة،⁽²¹³⁾ كل ذلك ليقرب مضامين الكتاب للقارئ، وما كان جهده في المقدمة بمعزل عن جهده في التحقيق فقد كان العمل يخضع لترابط محكم يكمل بعضه بعضاً، فهو في التحقيق يحيل على جهده في المقدمة⁽²¹⁴⁾ وفي التحقيق يهتم كثيراً بإغناء الهوامش، ويسجل فيها ترجيحاته ووجهات نظره⁽²¹⁵⁾ ولا ينفك عن توظيف الرموز والمخططات السهمية والبيانية لزيادة التوضيح في تلك الهوامش،⁽²¹⁶⁾ كما جعل للكتاب ستة فهارس، فهرس الآيات وفهرس الألفاظ القرآنية الواردة في النص المحقق وفهرس الموضوعات، وفهرس المؤلفات والاعلام، والفرق... وجاءت هذه الفهارس وحدها في 134 صفحة من الكتاب.

وهكذا أفرغ الأستاذ المحقق جهداً علمياً رصينا في تحقيق كتاب التعريف للداني مما جعل الكتاب على الرغم من صغر حجمه يتضاعف كما وكيفا ويأتي في 474 صفحة من الحجم المتوسط، وما من شك في أن جهد المحقق هو الذي جعل حجم الكتاب يتضاعف إلى أربع مرات، وهو بذلك يعلن عن طريقة إغنائية في التحقيق قد لا تتأني إلا إذا صادف الأثر المحقق الباحث المختص. ونحن نعلم أن الأستاذ الراجي متخصص في الإمام الداني وآثاره العلمية ولا يُنبئُك مثلُ خبير.

(211) استغرقت 154 صفحة.

(212) زاد على ما ذكره محقق كتاب التيسير (أوتوبرتزل) الذي لم يتجاوز تعدادُه 11 مؤلفاً فقط !

(213) من الصفحة 92 إلى 138.

(214) ينظر على سبيل المثال صفحات : 168/163/162/160 من كتاب التعريف.

(215) ينظر على سبيل المثال صفحات : 243/235/83/160.

(216) ينظر على سبيل المثال صفحات : 194/184/176/ 171/170/238/237.

ج — ما أُلِفَ في التجويد :

التجويد مصدر جَوَّدَ تجويداً، أُنِيَ بالقراءة مجودة الألفاظ بريئة من الجور في النطق بها،⁽²¹⁷⁾ والتجويد إعطاء الحروف حقوقها بإخراجها من مخارجها الأصلية... في الجهاز الصوتي للإنسان حتى تكون واضحة مع إشباع الحركات التي تستحق الإشباع وبيان ما يستحق البيان وإخفاء ما يستحق الإخفاء، ولذلك وصفت عائشة — رضي الله عنها — الترتيل النبوي فقالت : «لو أراد السامع أن يعد حروفه لعدّها لأكسّر دُكُم هذا»⁽²¹⁸⁾ وقد فسر سيدنا عبد الله بن عباس قوله تعالى : ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً...﴾ بقوله أي بينه تبييناً،⁽²¹⁹⁾ وسئل الامام ورش عن قراءة شيخه نافع فقال : كان لامشددّاً ولا مُرسِلاً، بَيِّنًا حَسَنًا⁽²²⁰⁾. يستفاد من هذا أن القراءة المطلوبة للقرآن ينبغي أن تكون واضحة بينة حسنة وفق القواعد المرسومة لها من قبل علماء الشأن علماً بأن أعلى درجة للقراءة هي الترتيل وأقلها هي الحدر، والتدوير بينهما⁽²²¹⁾ أما قراءة القرآن هَذَرَمَةً⁽²²²⁾ وهَذَرَةً⁽²²³⁾ فهذه منهي عنها لما فيها من تفويت عنصر التدبر والفهم، الذي هو عنصر ضروري في القراءة التعبدية.

وقد كان لعلماء المغرب اعتناء بعلم التجويد مثل باقي العلوم القرآنية الأخرى، إلا أن أغلبية القراء كان لها اهتمام بالجانب النظري لهذا العلم، فهم يحفظون العديد من المنظومات فيه⁽²²⁴⁾

(217) التمهيد في علم التجويد لابن الجزري ص : 59.

(218) الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور : «التحرير والتنوير» 29 : 260.

(219) التمهيد في علم التجويد ص : 61.

(220) المصدر نفسه ص : 63.

(221) متعة المقرئين في تجويد القرآن المبين للاستاذ عبد الله الجارري ص 7 : 8 / التمهيد ص : 62.

(222) القراءة المسرعة : وقد كان شيخنا ج مَحْمَد (فتحا) المذكوري — رحمه الله — يرى أن قراءة القرآن هَذَرَمَةً لا تخرج عن كونها مَضْيَعَةً للوقت، وإنما القصد هو التلاوة بتدبر وأناة لادراك معاني القرآن والسعي من وراء ذلك إلى العمل به، ومن ثم كان رحمة الله عليه ينتقد ما هو معروف بقراءة «السلكة» بصورة مسرعة.

(223) ومنه قول ابن مسعود للذي ذكر له أنه قرأ المفصل البارحة فقال : هَذَا كَهَذَا الشعر، والهد : الإسراع المفرط (يراجع فتح الباري لابن حجر 9 : 88 — 89).

(224) مثل الجزرية.. والقيسية، وابن بري، والشاطبية.. وقد ذكر المختار السوسي ان المقرئ عبد الله خرباش الروداني تلميذ ابن العربي الهواري الذي كان تلميذاً لَأَنْجَارَ البعمراني — كان يدرس القراءات بمدرسة الجامع الكبير بتارودانت في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري فحفظ منظومة القيسي في التجويد في ليلة واحدة وأصبح يُناظر بها وهذا هو النهج السائد يعرفون الأحكام ويحفظونها، أما التطبيق فقليل عندهم [المعسول 14 : 202].

ولكن قل منهم من يهتم بجانب التطبيق الذي هو ميدان عملي يحتاج إلى ترويض الجهاز الصوتي للإنسان وقد نقل عن الامام الداني قوله : «ليس بين التجويد وتركه إلا رياضة لمن تدبره بفكه» (225).

وإذا عدنا شيئاً قليلاً إلى ماضى للتدليل على قلة عناية المغاربة بعلم التجويد العملي التطبيقي نجد صاحب «عُرْف الند» (226) يحكي عن أستاذه السيد أحمد الحبيب اللمطي (227) قائلاً : «لما قفل عبد الواحد بن عاشر (228) من المشرق أنكر على أهل فاس قراءتهم، ورام إرشادهم إلى الصواب وهديتهم، فمنهم من قابله بالنكير، ومنهم من قال هذا حق ولا نستغل به لأنه علينا عسير ومنهم من اهتدى إلى الحق فشمر إلى التعلم أيما تشمير».

ومن المعاصرين نجد الأستاذ الحسن وكاك يسجل قلة اهتمام المغاربة بالتجويد التطبيقي قائلاً : «وما زال أمر التجويد العملي التطبيقي بالمغرب في تناقص حتى اليوم، ولم يكن هناك ببلدنا المغرب من يتقنه اليوم سوى افراد قلائل، غالبهم من أصل فيلاي يتصل سندهم في الأخذ بالمدرسة اللمطية القديمة، وذلك عن طريق الشيخ ابن الميخوث حفيد محمد التهامي الأكمه الصحراوي من جهة أمه (229) ومن طريق الطالب (الأكل) الفيلايين المتوفين بمراكش قريبا» (230).

ثم أشار الأستاذ وكاك إلى بقية من هؤلاء المجودين مثل مولاي أحمد المحرزي مؤسس دار القرآن بمراكش أخيراً. (231) وهو نفس الرأي الذي يستفاد مما يقره المرحوم المختار السوسي

(225) التمهيد في علم التجويد ص : 59.

(226) عُرْف الند في احكام المد، لأحمد بن عبد العزيز الهلالي (ت. 1175هـ) مخطوط بالخزانة الصبكية بسلا في مجموع رقم 1726. وقد أخرج هذه النسخة أحد طلبة الإجازة بشعبة الدراسات الإسلامية بأكاير.

(227) فهرس الفهارس 2 : 100.

(228) توفي ابن عاشر عام 1040هـ [الدر الثمين لميارة الكبير ص : 5].

(229) فهرس الفهارس 1 : 462/ والاعلام للمراكشي 7 : 146.

(230) تقييد وقف القرآن الكريم، رسالة دبلوم مرقونة بدار الحديث الحسنية بالرباط ص : 7. طبعت مؤخراً.

(231) كتب الله لي أن أتلقى ما تيسر من علم هذا الرجل الفاضل من التجويد التطبيقي لما كان يدرسا قصر السور بالتعليم الابتدائي في آخر الخمسينات ومطالع الستينات الميلادية بمدرسة أقرمود بإقليم الصويرة، وأذكر أنه كان حريصا على تقويم حفظنا الذي حصلناه في الكتاب، وكان لا يرضيه أدأؤنا العفوي الذي لا يخضع لقواعد، خصوصا إهمال الحروف المعجمة وعدم إسقاط همزة الوصل فيما اتصل من الكلام، فمازلت أذكر صوته وترداده، جزاه الله خيرا، لكلمة [هُمَزَةُ الَّذِي] بقوله لنا : (هُمَزَتِي لَذِي) ونحن نعجب من ذلك لاننا لم نتعوده فيما قرأناه في الكتاب.. وقد نفع الله به أهل تلك القرية فجاهد فيهم ما وسعه جهاده من محاربة الخرافة والشعوذة، وإقامة دروس ليلية لمحاربة الأمية، ومازال من انتفع بدروسه من الكبار يشي =

لأهل تافيلالت من الاعتناء بالتجويد، ويذكر من الشيوخ الفيلايين الذين كان يرسل إليهم بعض طلبه سوس لأخذ القرآن عنهم بالتجويد سيدي التهامي محمد بن الطيب الغري وسيدي الطالب علي الزريقي وغيرهما.(232)

ومع ذلك فقد كان لا يغيب على نهاء أهل العلم من المغاربة أن إتقان علم التجويد من تمام معرفة العالم بكتاب الله، وقد كانت نفوسهم تطمئن بالصلاة خلف من اجتمع فيه العلم بأحكام الصلاة، أي الفقه، والعلم بالتجويد(233) كما أن الناس يسألون احتياطا لديهم عن الصلاة خلف من لا يحسن قراءة القرآن وفق القواعد المسنونة(234).

أما اليوم فقد تكون لدى الناس وعي واسع، خصوصا الشباب الدارس، بأن القرآن ينبغي أن يُؤدَّى أداء علميا سليما تراعى فيه قواعد التجويد، وانتشرت الكتب ودُور القرآن والجامعات هنا وهناك، هذا فضلا عن مساهمة وسائل الإعلام كذلك في نشر التجويد وقواعده(235).

ومما يشهد أيضا للمغاربة المعاصرين برصيدهم في فن التجويد كثرة مؤلفاتهم التي إن دلت على شيء فإنما تدل على العناية بكتاب الله والحفاظة على قواعد أدائه، والتي سأعرض منها الآن ما أعرفه.

= عليه خيرا، ومازالت جهوده متواصلة بدار القرآن بمراكش التي اعطت ثمارها وظهر فضلها في تجويد القرآن على مدينة مراكش وغيرها. جزاه الله خيرا على خدمة القرآن الكريم، وجزى أمثاله ممن يسرون على ذلك النهج القويم.

(232) المعسول 18، 89، 94، 95/ وفي مدارس سوس العتيقة.. ص : 34 يصرح المختار السوسي بانعدام تطبيق قواعد التجويد عند السوسيين.

وتعتبر «تافيلالت» قاعدة المغرب قبل فاس بأربعين سنة، وهي أول محل درّس فيه العلم بالمغرب واستمرت دار علم وصلاح وإمارة إلى ق 14هـ. وقال ابن بطوطة : «ليست مدينة أبرك منها». ومن أشهر علمائها : الدقاق، والقطان، وأبو القاسم الغازي وشيخه أحمد بن عبد الله.. وغلب على أهلها التواضع. والكرم، والعلم، وتجويد القرآن، والقراءات السبع، ومن بيوت علمهم : الهلايون، والابراهيميون، والإماميون، والتجموعيتيون، والميزاريون، والغريسيون والمغراويون...» (ينظر تبين الأشراف للبعلي ص : 88).

(233) إتخاف أعلام الناس لابن زيدان 4 : 274.

(234) للشيخ احمد بن الحياط الزكاري الفاسي (ت. 1343هـ) تقييد في الموضوع بالخزانة الحسنية رقم 11416 سيأتي ذكره.

(235) من ذلك تخصيص حصة للقرآن في الافتتاح والاختتام بالنسبة للبرامج الاذاعية والتلفزية وكذا إجراء مباريات في التجويد في المناسبات الدينية وتخصيص حصة إذاعية لبرنامج «كيف نقرأ القرآن» وحذا لو كانت تلفزيونية أيضا. وتخصيص حصة «المسيرة القرآنية» بمعدل حزين في اليوم طيلة شهر رمضان.

- (1) تأليف في التجويد⁽²³⁶⁾، محمد متجنوش الرباطي (ت. 1290 هـ).
- (2) تأليف في تجويد القرآن⁽²³⁷⁾، محمد بن يوسف الجناني (ت. 1302 هـ).
- (3) حواش في مخارج الحروف⁽²³⁸⁾، لأبي إسحاق إبراهيم التادلي الرباطي (ت 1311 هـ).
- (4) الفوائد المحققة في إبطال دعوى من قال إن الثاء طاء مرققة»، لأحمد بن محمد بن خالد الناصري السلاوي المؤرخ (ت 1315 هـ).
- مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم : 1724 د. وسيأتي الحديث عن الناصري في درس التفسير.
- (5) القول النافع، والجواب القامع في بيان مخرج الظاد المعجمة والثاء الفوقية المشاة⁽²³⁹⁾، تأليف العربي بن إدريس الشريف العلمي اللحياني المعروف بالموساوي دفين مساوة بجبل زرهون (ت 1320 هـ).
- والموساوي هذا من تلاميذ أبي العلاء إدريس البدرائي (ت 1257 هـ) المباشرين، وبذا فهو يمثل حلقة مهمة في الاسناد بين علماء الاقراء المغاربة في القرن الرابع عشر الهجري،

-
- (236) الاغتباط.. 195 قال عنه اخوه محمد المهدي متجنوش : «بالت الناس سمعوا قراءته، خصوصا اليوم الذين صارت عندهم قراءة القرآن مسخرة / مجالس الانبساط لمحمد بن علي دنية ص : 195 قال : «وله نظم في علم التجويد، وكان اليه المرجع في علم القراءات والرواية وتوفي رحمه الله 21 شوال عام 1291 هـ «عن سن واحد وثلاثين سنة، وصلى عليه شيخه الهاشمي الضرير (ت. 1300 هـ).
 - (237) ذكره العميد الرحالي الفاروق : الدولة العلوية والقرآن الكريم، (دعوة الحق ع 4 ص 11. قعدة 1387 فبراير 1968، ص : 27).
 - (238) شيخ الجماعة أبو إسحاق التادلي الرباطي للاستاذ عبد الله الجراي ص : 98.
 - (239) ذكر ابن زيدان في إتحاف أعلام الناس (5 : 439) أن هذا التأليف للموساوي المذكور يقع في نحو كراسة وقف على مبيضة بخط مؤلفه الذي يعد من المعمرين، وذكر تلمذته للبدرائي، وللشيخ الطالب ابن حمدون (ت. 1267 هـ) وبدر الدين الحمومي (ت. 1266 هـ) والفقهاء الحجري (ت. 1275 هـ) وغيرهم.. ويصف ابن زيدان حال هذا الشيخ قائلا : «أستاذ مقريء بمجد علامة فاضل له مشاركة في فنون شتى فقيه محدث ومفسر أصولي بياني منطقي نحوي، خَيْرَ دِينَ عابد متبتل ناسك..» زاره ابن زيدان بمساواة متبركا به ولقنه الورد التيجاني، وذكر من مؤلفاته الأخرى : منحة الاخوان في نحو الف بيت ضمنها بعض مايتعلق بالطريقة التيجانية، ورسالة الترغيب والترهيب في الطريق والتصوف وآداب المريد ونصائح سنية نافعة وغير ذلك [إتحاف اعلام الناس 5 : 440] تراجع ترجمة الموساوي أيضا في كتاب «مختصر العروة الوثقى» لمحمد بن الحسن الحجوي ص : 8 وقد عده من شيوخه بما اجاز به سنة 1319 هـ/ ويراجع معجم المطبوعات المغربية ص : 244.

وشيوخ الاقراء بالمغرب في مطالع القرن الثالث عشر الهجري مثل محمد بن عبد السلام الفاسي شيخ البدراوي المذكور والمتوفى سنة 1214 هـ.

(6) الإتحاف فيما يتعلق بالقاف⁽²⁴⁰⁾، تأليف القاضي عبد الله بن خضراء السلاوي (ت. 1324 هـ)

(7) الهدية النافعة لشرح منظومة الواضحة⁽²⁴¹⁾ تأليف الشيخ عبدالكريم بن عمر بن الشيخ مراد الشامي الطرابلسي ثم المدني الحنفي مبعوث الشرق إلى المغرب ورد على فاس عام 1324 (1906 — 1907).

كان يلقي دروسا في التجويد بالزاوية الكتانية بفاس⁽²⁴²⁾ وشرح في كتابه المذكور الأرجوزة المسماة بالواضحة، من نظم برهان الدين الجعبري (ت 732 هـ) وأهدى هذا الشرح للسلطان المولى عبد العزيز قائلا في طليعته : «فرجو من سيدنا — أعزه الله تعالى — طبع هذا الكتاب ونشره، وفتح مكتب لأجل قراءة الأولاد على الطريقة الصحيحة من العلوم الدينية والوقفية، بترتيبنا الغريب، وصنعنا العجيب، حسبما شهدت بفضل العلماء الاعلام بمدروستنا في المسجد الحرام، ومدينة النبي عليه السلام ويسمى «بالمقاصد العزيزية لنشر العلوم الدينية والوقفية»⁽²⁴³⁾.

ويبدو أن هذا كان أول طلب، وجه إلى الجهات الرسمية في الربع الأول من القرن الرابع عشر الهجري قصد تأسيس مدرسة خاصة بعلم التجويد التطبيقي العملي لا النظري وحده الذي كان يتلقى في مدارس القراءات القرآنية، ويحظى من قبل المغاربة بالتأليف.

(8) تحفة السراء لمن أراد القراءة، تأليف محمد المهدي متجنوش الرباطي (ت 1344 هـ). وهي ألفية في مخارج الحروف توجد بالخزانة الصبيحية بسلا أبياتها 997 بيت⁽²⁴⁴⁾ مطلعها :

(240) الرحالي الفاروق مقال سابق / الاعلام للمراكشي 8 : 346 من اعلام الفكر المعاصر 2 : 327 مطبوع على الحجر بفاس 1323 هـ 32 صفحة (يراجع معجم المطبوعات المغربية ص : 113)

(241) مقال استاذنا السيد محمد المنوني السابق في بداية هذا الفصل.

(242) وفي كتاب تحاف ذوي العلم والرسوخ للاستاذ محمد بن الفاطمي يذكر أن شيخه محمد بنونة من درس على الشيخ عبد الكريم بن مراد الرسالة الفتحة في التجويد بفاس (ص : 25 من المرجع المذكور).

(243) يراجع مقال الاستاذ محمد المنوني : «الطابع الاسلامي للوطنية المغربية في مطالع القرن العشرين» حوليات كلية الاداب والعلوم الانسانية عين الشق — البيضاء (02) ع 1985.2 ص 51.

(244) الاستاذ عبد الله الجارري : «العلامة الرياضي محمد المهدي متجنوش» ص : 68 الاعلام للزركلي 7 : 114.

يقول مفعول هَدَى الظمآنُ أفضل مشغول به القرآن
آخرها :

نظمي انتهى تاريخه أشرفنا من ستر العيب نوى بلطفنا
(9) شرح مقدمة ابن الجزري في التجويد⁽²⁴⁵⁾، تأليف شيخ الجماعة بالرباط محمد
المكي البطاوري (ت. 1355 هـ).

(10) المنهج الحميد إلى قواعد القراءة والتجويد، تأليف مولاي الطيب بن أحمد العلوي
مدير مدرسة مولاي الحسن⁽²⁴⁶⁾ الابتدائية بفاس سابقا.

أهداه للسلطان محمد الخامس عام 1362 هـ قائلا : «واني يامولاي بهذه المناسبة أرفع إليكم
كتيبا ربما أدى بعض ماتصبون إليه وحقق جزءا مما ترغبون، وسد بعض الفراغ الذي تبنون
فجعلته هدية باسم ولي عهدكم السامي الذي يخالف العلم ويزاوله أنجح الله مسعاه حتى تروا
منه ما يسركم ويسر شعبكم...» وبعد القصيدة التي خاطب بها السلطان ذكر مصادره في كتابه
وأسماء شيوخه، ثم أشار إلى منهجه في الكتاب بقوله : «فهذا كتيب درسته للتلاميذ في الأقسام
الابتدائية في فن التجويد، كتبته على غرار الكتب المدرسية الوقتية لتبليغ الفن إلى عقول الناشئة
بالتدرج...»⁽²⁴⁷⁾ وقد سار فيه المؤلف على نهج كتاب النحو الواضح من إيراد رقم الدرس
وعنوانه أولا وإيراد فكرته، ثم الأمثلة، ثم البحث ثم القاعدة، مع تقرير أسئلة في الطرة بجانب
كل فكرة، كما تقصّى فيه المواضيع التي يحتاجها طالب هذا الفن...

أوراق هذا المخطوط — الموجود بالخزانة الحسنية تحت رقم : 191 — 93 ورقة.

مقياس 21,8 × 17,6 سم، مسطرة 19.

ابتدأ في تأليفه في فاتح جمادى الأولى 1362 هـ — وفرغ من تبييضه في فاتح شوال
1362 موافق 2 أكتوبر 1943 م.

(11) «الملخص المفيد فيما لا بد منه من التجويد».

تأليف : محمد بن محمد بن العباس بنشقرن.

(245) من اعلام الفكر المعاصر 2 : 217 / التأليف ونهضته بالمغرب ص : ؟ / الاعلام للزركلي 7 : 110.
شيخ الجماعة العلامة محمد المكي البطاوي للاستاذ عبد الله الجارري ص : 81 / معجم المطبوعات المغربية
ص : 35.

(246) هذه المدرسة المنسوبة إلى ولي العهد آنذاك مولاي الحسن وهي من أوليات المدارس الحرة التي انشئت
تحديا للمدارس الاستعمارية.

(247) الصفحة الأولى من المخطوط.

من العلماء الذين درسوا بكلية القرويين في الجليلين قبل هذا، وكان له ولوع بالقراءات والتجويد، وعندما أسست «مدرسة المقرئين» بفاس رشح أستاذا بها لالقاء دروس علمية في التجويد وكان السيد محمد الحياياني يقوم بدروس تطبيقية بنفس المدرسة⁽²⁴⁸⁾.

قرّظ تأليفه مجموعة من العلماء ذكر أسماءهم في المقدمة، والكتاب مطبوع بالمطبعة الوطنية في 13 ذي القعدة 1391 فاتح يناير 1971، وفرغ من تأليفه عام 1380 هـ⁽²⁴⁹⁾.

12) رسالة المريد من منهل أهل التجويد للبوعزاوي محمد بن الطيب⁽²⁵⁰⁾.

13) متعة المقرئين في تجويد القرآن المبين⁽²⁵¹⁾.

تأليف الأستاذ عبد الله الجارري (ت 1403 هـ — 1983 م) الكتاب، كغيره من كتب الأستاذ عبد الله الجارري، نافع ومفيد رغم صغر حجمه فإن معلوماته في التجويد مركزة ومتقاة، وأغناه صاحبه بمقدمة احتوت على مسائل علمية قرآنية وخاتمة جامعة للعلم والتاريخ، ففيه ما تجده في غيره من كتب التجويد، وفيه مالا تجده في غيره من كتب التجويد وهنا تكمن فائدته.

14) ملاحظات الشيخ أبي شعيب الدكالي على وقف الهبطي⁽²⁵²⁾ وقد لاحظ عليه في ثلاثة عشر معوضا وطلب أثناء درسه للشاطبية بالزاوية الناصرية بالرباط من طلبته تقييد ذلك عنه قائلا : «أيها الطلبة الراغبون في فهم القراءة وأحكام القرآن، ان الشيخ الهبطي⁽²⁵³⁾ ارتكب غلطة بل أعلاتا في الوقف تقدما وتأخيرا بالأخص ما يسطر من الوقفات التالية : فالمرجو حفظه، أو على الأقل تقييده ونشره ليكون نبراسا لمن يرغب فيه، وذلك في ثلاثة عشر موضعا :

1) بسم الله الرحمن الرحيم الم ذلك الكتب لاريب» وكان من حقه أن يقول : لاريب فيه.

(248) التأليف ونهضته بالمغرب ص : 214. والمقصود بالحياياني القاري المغربي على أمواج الإذاعة ذي الصوت المغربي الرحيم الذي كانت قراءته مؤثرة بالسّجّة لا بالتصنع والتكلف رحمة الله عليه..

(249) نفس المرجع والصفحة.

(250) طبع على الحجر بفاس 1320 هـ، 130 صفحة (معجم المطبوعات ص : 50).

(251) مطبوع بالدار البيضاء مطبعة النجاح الجديدة الطبعة الأولى 1401 هـ — 1981 م في 112 صفحة من الحجم المتوسط.

(252) سجل هذه الملاحظات الأستاذ عبد الله الجارري : من اعلام الفكر المعاصر 1 : 41، 42، 43.

(253) المقصود هو ابو عبد الله محمد بن أبي جمعة الهبطي الصماتي (ت. 930 هـ) ودفن بطالعة فاس / سابق الذكر.

(2) وفي آية الكرسي : ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ وكان من حقه أن يقول : الحي القيوم كما هو الصواب.

(3) وفي حزب ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾. [2 : 255].

(4) وفي آية : ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعَنُوا بِمَا قَالُوا.﴾ [5 : 64].

(5) وفي آية : ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [5 : 31].

(6) وفي آية : ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةَ وَثَمَانٍ مِائَةٍ كُلِّهِمْ﴾ [18 : 22].

(7) وفي سورة طه ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الآية : 7].

(8) وفي سورة الرعد ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ الَّذِينَ﴾ [الآية : 21].

(9) وفي سورة الأنفال ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ﴾ [الآية : 5].

(10) وفي سورة الكهف ﴿وَإِذَا أَخْرَجْنَا سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ [الآية : 62].

(11) وفي سورة اليقطين : ﴿سَلَامٌ عَلَى آلِ يَاسِينَ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [الآية :

130 — 131].

(12) وفي سورة القمر : ﴿بَلِ السَّاعَةِ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةِ أَهْوَى وَأَمْرٌ﴾ [الآية : 46].

(13) وفي سورة ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبَاءِ الْعَظِيمِ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ [الآية 1].

وأضاف أنه ينبغي للهبطي أن يقف في المعوذتين خمس وقفات في كل من السورتين كما يلي :

بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ، مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ، وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ، وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ، مَلِكِ النَّاسِ، إِلَهِ النَّاسِ، مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ، الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ (254).

(254) كل من كتب ترجمة الهبطي أو عرض للوقف من المغاربة المعاصرين اثار ما يقال عن وقف الهبطي الذي هو وقف واسع الانتشار بالغرب العربي وافريقيا منذ عهد صاحبه — القرن العاشر الهجري — وقد لقي معارضة في حياة صاحبه من العديد من العلماء، منهم من ناظر صاحبه واقتنع بصواب الهبطي، ومنهم من بقي متشبهاً بضعف وقف الهبطي مثل احمد الصوائبي السوسي الذي عاينه كما نقل ذلك الحضيكي في طبقاته (1 : 89 — 94)، وذكر الشيخ المختار السوسي أنه أدرك من القراء في سوس من كانوا يقرؤون القرآن بدون وقف، ولحد الآن تقرأ آية الكرسي في المساجد عقب الصلاة بسوس بدون وقف كما يقرأ الحفظة الآيات 34 — 35 — 36 — 37 من سورة المومنين بدون وقف إلى الآن كما أن السلطنة الأولى من الحفظ تقرأ بدون وقف/ (مدارس سوس العتيقة للمختار السوسي ص 33 — 34)، (الفكر السامي =

15) منحة الرؤوف المعطي ببيان ضعف وقوف الشيخ الهبطي⁽²⁵⁵⁾، تأليف : أبي الفضل عبد الله بن محمد بن الصديق⁽²⁵⁶⁾.

وهذا التأليف عبارة عن رسالة صغيرة الحجم غزيرة العلم، تعرض فيها الشيخ سيدي عبد الله ابن الصديق، كعادته، إلى كشف الحقيقة العلمية فيما يتعلق بوقوف القرآن لابن أبي جمعة الهبطي، مطبقاً مبدأ معرفة الرجال بالحق، لا معرفة الحق بالرجال، ذاكراً في جراءة، أن الشيخ الهبطي لم تتوفر فيه الشروط العلمية والاطلاع الواسع الذي ينبغي أن يكون لدى من يُنصَّب نفسه لوضع وقوف القرآن، وأنه «أقدم على عملية الوقف بحسب ما ظهر له، من غير مراعاة للقواعد، فكان كثير من وقوفه من قبيل الممنوع، لأنه يفصل بين المبتدئ والخبر، وبين الفعل ومتعلقه كالفعل ونائبه، والمفعول وحرف الجر، وغير ذلك مما نبينه في هذه الرسالة»⁽²⁵⁷⁾ ويذكر أن سكوت المغاربة عن هذه الوقوف لم يكن عن جهل وإنما عن إهمال واستهانة وغلبة التقليد عليهم، وركونهم إلى ما ورثوه عن ماضي خطأ كان أو صواباً⁽²⁵⁸⁾ «ولما كانت وقوف الهبطي بالصفة التي ذكرتها من المنكر الذي يجب تغييره، لأنها تلحق بكلام الله خطأ يتنزه عنه، وكان السكوت عن تغييرها إنما يعم أهل العلم جميعاً بالمغرب أردت أن أقوم بهذا الواجب عن نفسي وعنهم بتأليف هذه الرسالة...»⁽²⁵⁹⁾.

وفي منهجه ذكر أنه لا ينبه على جميع الوقوف المخطئة وإنما على ما كان مأخذه عليه ظاهراً لا يخفى على متعلم... وقد وصلت مأخذ الأستاذ ابن الصديق على وقوف الهبطي إلى ستة وثلاثين مأخذاً في اثنين وعشرين سورة من سور القرآن، توافق فيها مع الشيخ أبي شعيب الدكالي في مأخذه الآنف الذكر في ثلاثة مواضع فقط، هي [فأصبح من النادمين من أجل

= للحموي 2 : 266 — 267)، (من اعلام الفكر المعاصر 1 : 43) (ابو عبد الله الهبطي واضع وقف القرآن بالمغرب) لسعيد اعراب. دعوة الحق ع. 4 ذو القعدة 1387 هـ فبراير 1968 و(الأستاذ عبد الله بن الصديق وقوف القرآن : دعوة الحق ع (9 — 10) ص 15 ربيع الأول 1393 ماي 1973).

(255) مطبوع بالدار البيضاء دار الطباعة الحديثة (د.ت) حجم صغير 34 صفحة.

(256) الأستاذ عبد الله بن الصديق محدث حافظ، بقية السلف الصالح من بيت آل ابن الصديق الغماريين المشهورين بخدمة العلم الشريف بالمغرب الأقصى مازال حياً يرزق يسكن بمدينة طنجة، تلقى العلم بالمغرب والمشرق، وألف تألف عدة، سيتضمن هذا البحث مجموعة منها، توجد ترجمته بقلمه في آخر كتابه : (بدع التفاسير) الآتي الذكر.. وقد أفرد لنفسه ترجمة في كتاب سماه «سبيل التوفيق في ترجمة عبد الله بن الصديق» — طبع بمصر اخيراً. وتوفي مؤخراً رحمة الله عليه.

(257) منحة الرؤوف ص 4 — 5.

(258) المرجع نفسه ص : 5.

(259) المرجع نفسه ص : 6/5.

[ذلك] (260) [واتخذ سبيله في البحر عجباً] (261) [عم يتساءلون عن النبأ العظيم] (262).

وفي نهاية هذه الرسالة اقترح المؤلف خطة بديلة من أجل وضع وقوف صحيحة لقراءة القرآن بالمغرب، أساسها اعتماد مجموعة من التفاسير التي تهتم باللغة والسياق وعود الضمائر، وما إلى ذلك من الشروط التي يتطلبها وضع الوقف القرآني، والاستغناء بذلك عن وقوف الهبطي التي شاعت رغم أخطائها (263).

16) التنبيه على حروف يقع إخراجها من غير مخارجها. تأليف أحمد بن محمد بن الحياط الحسني الزركاري الفاسي (ت. 1343 هـ) (264).

تقييد ضمن مجموع بالخزانة الحسنية رقم 11416 / (من الورقة 115 ب إلى 129 أ) بخط مغربي معتاد، لم يذكر فيه إسم الناسخ ولاتاريخ الفراغ من كتابته تفسير مغربي بالجلد الأحمر المذهب 15 ورقة 22,1 × 17 سم مسطرتها 27.

أول النسخة : «الحمد لله أنزل الكتاب بلسان عربي مبين...»

آخرها : «والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً» ومقصوده من هذا التقييد حدّده بقوله : «التنبيه على حروف يقع إخراجها من غير مخارجها في تلاوة كثير من القراء، وعلى بعض ما يقع من اللحن في قراءة الفاتحة وغيرها وذكر أمور مهمة ترجع لذلك...» (265)

وفي خاتمة هذا التقييد ناقش صحة صلاة اللاحن وعدم صحتها وحكم الاقتداء باللاحن ناقلًا في ذلك كلام غيره : «وقد حصل الشيخ أبو علي بن رحال (266) المسألة على نحو ما

(260) المائدة، الآية 31.

(261) الكهف : الآية 62.

(262) النبأ الآية 1.

(263) هناك من المغاربة المعاصرين من دافع عن صحة وقوف الهبطي مثل الأستاذ محمد الرضّي السّاني شيخ الأستاذ عبد الله ابن الصديق في القرويين، وذلك في كتابه «ابداء التيسير إلى قراء التفسير» صفحات : 139 — 140 — 141 وما بعدها. والأستاذ سعيد أعراب كما سيأتي.

(264) ترجمته في : الفكر السامي 4 : 320 / وفهرس الفهارس 1 : 387 / وشجرة النور الزكية 1 : 436 والاعلام للزركلي 1 : 250 / ومعجم المؤلفين 2 : 139 / وتاريخ تطوان لتلميذه احمد الرهوني مخطوط بالخزانة العامة بتطوان من الصفحة 131 إلى 173 وهي اطول ترجمة له حسب ما رأيت، وفيها ذكر أن تأليفه تفوق المائة منها المطبوع وغير المطبوع ومن هذه الترجمة تتجلى شخصية ابن الحياط الزركاري.

(265) الصفحة 115 من المجموع.

(266) أبو علي الحسن بن رحال المعداني (ت. 1140 هـ) جد شيخنا سيدي عُمر المعداني (ت. 1406 هـ) (النبوغ 1 : 287).

مر ونقل كلامه الشيخ بناني⁽²⁶⁷⁾ فقال : فأصل المسألة : أن اللاحن إن كان عامدا بطلت صلاته وصلاة مَنْ خلفه باتفاق، وإن كان عاجزا طَبْعاً، لا يقبل التعلم، فكذلك، لأنه أَلَكَن، وإن كان جاهلاً يقبل التعلم، فهذا محل الخلاف سواء أمكنه التعلم أم لا، وسواء أمكنه الاقتداء بمن لا يلحن أم لا، وإن أرجح الأقوال فيه صحة صلاة من خلفه، وأخرى صلاته هُوَ : وأما حكم الاقدام على الاقتداء باللاحن، فبالعامد حرام، وبالألكن جائز، وبالجاهل مكروه إن لم يجد من يقتدى به، وإلا فحرام كما يدل عليه النقل، ولا فرق بين اللحن الجلي والخفي في جميع ما تقدم...»⁽²⁶⁸⁾

17) شفاء الصدور في تحريم لحن أهل الفجور⁽²⁶⁹⁾، تأليف الشريف السيد محمد بن أحمد الغزوي الوريغلي شهيد حرب الريف⁽²⁷⁰⁾.

وهي قصيدة في تحريم اللحن عند تلاوة القرآن الكريم الذي كان يسمى عندهم في الريف بالصيغة⁽²⁷¹⁾ منها الآيات الآتية :

لك الحمد يا من أنزل الذكر والهدى	على عبده المحرّم النَّوْحَ والحدّا
عليه وآله وصحبٍ صلاته	تقارن بالسلام ما بقيت غدا
وبعد فترجيع جلا في زماننا	به وعد النبي حقاً أما بدا
إذا اجتمع القراء في محفل الغدا	لدى البعض يقرؤون باللحن والدّدا
يسمون ذا اللحن القبيح بصيغة	به استوجبوا التقطيع والذّبْح بالمدى
لتغييرهم كل المدود بطبعهم	على عكس لحن العرب حاذر من الردى
وقد قال بعضهم بأخرى قريبة	إلى هذه وما يغير كالعدا
ولكن وإن كانت كذي حرمت لما	تؤدي من التغيير في البعض سرمدّا
وفي آية القول الزجر قد سطا	بهم صدرها ولو تدبر مع البدا
وما استوجب النقصان عمدا لواحد	من المد والحروف دعه ودع عدا
وقد قيد المحدثون رواية	معنعة إلى النبي بها اقتدا
كما في البخاري المهدي وغيره	يرجع زينو تغنى به اهتدا

(267) الشيخ بناني محمد بن الحسن (ت. 1194هـ) فقيه من كبار علماء القرويين بفاس في القرن 12هـ. له حاشية على الزرقاني شارح خليل.

(268) ص : 128 — 129 من المخطوط المذكور والموثق أعلاه. وَلِلشَّيْخِ التَّوْدِي ابن سودة جواب في نفس الموضوع (جع. 283 د).

(269) حَرْبُ الرِّيفِ التحريرية ومراحل النضال للحاج أحمد بن عبد السلام البوعياشي 1 : 418 — 420.

(270) ترجمته في المرجع نفسه والجزء والصفحة [زعيم من زعماء الحرب رفض مساومات المستعمر فدبر اغتياله].

(271) تسمى عند حفظة القرآن بسوس بِتَحْزَابَتْ (مدارس سوس العتيقة ص : 35 — 36).

18) شرح قصيدة شفاء الصدور في تحريم لحن أهل الفجور⁽²⁷²⁾ لمؤلفها الشريف سيدي محمد بن أحمد العزوزي الورياغلي الشهيد. مما قال في أول هذا الشرح : «أما بعد، فهذا تفسير أبياتنا على تحريم اللحن العجمي الذي كان هزجا، أحل ألفاظها وأبين النقل إليه فيها، لتكون في تحريمه حججا. مقتصرنا على المقصود، لكوني في غيره أعرجا، ولكن من أخذ معظم الشيء لا يلام على عدم الاتيان بما كان همجا، طلب مني ذلك الفقيه البركة القارئ قراءة السبع، العالم بوجهها مدخلا ومخرجا، سيدي محمد ابن الفقيه العلامة سيدي الحاج عبد الله الشريف الحسني الورياغلي، وقاه الله من كل ما كان حرجا... إلخ⁽²⁷³⁾.

19) غاية الصور على شفاء الصدور⁽²⁷⁴⁾ تأليف محمد بن محمد بودهر التوزاني. وهي حاشية على القصيدة السابقة وشرحها للورياغلي الآنف الذكر، وصاحب هذه الحاشية هو الذي عرفنا بالفقيه الورياغلي العزوزي في مقدمة حاشيته كما عرف بشيوخه الذين هم جلة علماء فاس في مطالع القرن الرابع عشر الهجري⁽²⁷⁵⁾

20) حكم اللحن في القرآن⁽²⁷⁶⁾، تأليف محمد بن العربي الادوزي الباعقلي (ت 1323 هـ⁽²⁷⁷⁾) الملقب بشيخ الاسلام⁽²⁷⁸⁾ كان متشددا مع الطرفين⁽²⁷⁹⁾ باستثناء شيوخه السيد الحسن بن أحمد التمكنشتي⁽²⁸⁰⁾ وسبب تأليفه هذا الحكم هو أن المقرئ الحاج علي أبا الوجوه (ت 1346 هـ⁽²⁸¹⁾) كغيره من العديد من القراء ألفوا أن يقرأوا الإمامة

(272) المرجع نفسه 1 : 419.

(273) نقلا عن المرجع السابق 1 : 418.

(274) حرب الريف التحريرية 1 : 418.

(275) نفس المرجع والجزء والصفحة.

(276) سوس العالمة ص 204/ المعسول 5 : 295 — 296، موجود عند اسرة المؤلف بسوس، كما أن لوالده العربي بن ابراهيم الأدوزي رسالة ضد «تحرّات» يحرم بها تلك القراءة التي تُسيء إلى كيفية قراءة القرآن ذكرها أيضا المختار السوسي في سوس العالمة ص : 197.

(277) المعسول 5 : (149 — 221) فيه اطول ترجمة له مع بيان الظواهر السلطانية الحسنية التي تلقاها هذا العالم / الاعلام للمراكشي 7 : 138.

(278) حلاه بهذا الاسم السيد محمد بن مسعود المعدري (ت. 1330 هـ) في عنوان كتابه [الافادة والاعلام، بما استفيد من مذاكرة شيخ الاسلام] (سوس العالمة ص : 206) (المعسول 5 : 76).

(279) خصوصا الطارئين على الطريقة الناصرية بسوس وهم الدرقايون والاحمديون [المعسول 5 : 160].

(280) توفي 1296 هـ ترجمته في الاعلام للمراكشي 3 : 170.

(281) ورد ذكر نبذة من حياته في المعسول 5 : 295 — 296.

بإظهار الكسرة، فيزعمونها هي الإمالة وأنها كذلك تكون، ويعتمدون ذلك⁽²⁸²⁾ فقام الأستاذ ابن العربي ضد ذلك حتى نهي عن الصلاة وراء السيد الحاج علي هذا، لأنه يُميل كذلك في الصلاة⁽²⁸³⁾.

(21) ولما رأى التلميذ الأنجب لسيدي محمد بن العربي الأدوزي، وهو سيدي عبد العزيز ابن محمد بن محمد بن أحمد المرباط (ت 1336 هـ)⁽²⁸⁴⁾ الخلاف احتد بين الطرفين، وكاذ الناس أن يفتنوا من ذلك في صلواتهم، رد على شيخه بتأليف يثبت فيه صحة صلاة القاريء بالإمالة⁽²⁸⁵⁾.

(22) إتحاف القراء المتحزين

تأليف ج الأحسن الباعقلي (ت 1368 هـ)⁽²⁸⁶⁾ مخطوط متداول بين اتباع الشيخ الباعقلي وغيرهم وهو عبارة عن رسالة يدافع فيها عن صحة القراءة المعروفة عند الحفظة بتحزّابت.

(23) جواب عن سؤال حول قراءة القرآن جماعة كما هو واقع بالمغرب⁽²⁸⁷⁾. للأستاذ الحاج محمد المذكوري كنوني — رحمة الله عليه⁽²⁸⁸⁾.

(282) وهذه مسألة قديمة في سوس تعود إلى القرن الثالث عشر الهجري حيث نجد السيد عبد الرحمن الحشيمي يقول لهم في بيته المتداول إلى اليوم :
ولا تكسروا الحرف المال بل الزموا له الفتح اذ علم الامالة في القبر
(المعسول 6 : 18/142 : 27) كما كتب فيها من المعاصرين السوسيين القاضي السيد موسى الروداني، كما تقدم.

(283) المعسول 5 : 159 — 295 — 296.

(284) ترجمته في المعسول 5 : 70 فهو تلميذه وابن أخته.

(285) المعسول 5 : 159/ وذكر لي أستاذا سيدي أحمد بن المحفوظ اليعقوبي الأدوزي أنه رأى رد سيدي عبد العزيز مكتوبا في نسخة من شرح الدردير بخزانة أخيه سيدي عيسى ابن المحفوظ ووعدي بالبحث عنه وموافاتي به. ولكنه وافاه أجله قبل أن يفعل رحمة الله عليه.

(286) ترجمته في المعسول 11 : 155.

(287) الفتاوي للحاج محمد المذكوري كنوني : ص : 70 وهو عين الجواب في ص : 141 من نفس المرجع تحت عنوان «حول قراءة القرآن بالصّفة الجماعية».

(288) مفتي رابطة علماء المغرب، من خريجي وعلماء القرويين، جلس لتفسير القرآن الكريم من أوله إلى آخره على منبر الوعظ والارشاد بالمسجد الجامع بعين الشق بالدار البيضاء، تلقيت عنه الفقه وعلم أصول الفقه بمقر جمعية الوعظ والارشاد بالدار البيضاء (بمدرسة الفلاح) وبيته، وكان يأتي أثناء دروسه بكل ما دَبَّحُه يراعه ليقرأه علينا ويسمح لنا باستنساخه، وكان رحمة الله عليه، ذا أفكار حية وفهم سليم للإسلام ومقاصده.. وتوفي سنة 1398 هـ.

24) الأدلة المقنعة فيمن حرم قراءة القرآن جماعة يوم الجمعة»⁽²⁸⁹⁾، لادريس بن الحاج ناصر الأسفي.

25) السر المذاع في جواز تلاوة القرآن أمام المذيع⁽²⁹⁰⁾ لمحمد بن الحسن الحجوي الثعالبي (ت. 1376 هـ).

26) إسماع المساعد وإقناع المعاند بترغيب الشارع⁽²⁹¹⁾، في قراءة القرآن جماعة في المساجد». للسيد عمرو بن الجليلي الكميثي الأزموري.

2) ما أُلّف في إطار البحث العلمي الجامعي :

القراءات القرآنية مجال خصب وحيوي في الدراسات القرآنية، تتغذى منه ميادين عدة، خصوصاً الدراسات اللغوية والنحوية وكذا البلاغية، لكنه مازال يعرف ازوراراً من قبل الباحثين والمهتمين إلا فئة قليلة جداً، فمنذ أن تركه شيوخ الاقراء الذين تلقوا القراءات رواية ودراية، وهو ينتظر رواداً جدداً مسلحين بالقديم والحديث للنهل من هذا المعين وإفادة الأجيال من لباب تراثهم.

والدليل على تهميش هذا العلم من البحث العلمي الجامعي عندنا هو حصيلتنا من الدراسات الجامعية في القراءات القرآنية سواء منها ما أنجز بداخل المغرب أو خارجه في جامعات أخرى... كما أن هذه المادة مازالت تبحث عن مكانها في مقررات الكليات المغربية سواء منها العريقة مثل القرويين وابن يوسف، أو الحديثة على حد سواء، خصوصاً مستوى السلك الثالث الذي هو طريق البحث العلمي الجامعي، فالقراءات رصيد هام من تراثنا ومادة كبرى لعلوم اللغة العربية⁽²⁹²⁾، وعلم من علوم القرآن المهمة التي تخدم الدرس التفسيري⁽²⁹³⁾ الذي هو قطب رحي الدراسات الإسلامية، فينبغي بل يجب مزيد الاعتناء بها.

وفي إطار ما أنجز في هذا المجال نتساءل ماهي الاطروحات والرسائل الجامعية التي أنجزها باحثون مغاربة في القراءات القرآنية ؟

(289) (معجم المطبوعات ص : 19)، وهو مطبوع بالرباط. الانصارية 1941/111 صفحة.

(290) مختصر فهرس العروة الوثقى ص : 75/ مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم 115 ح.

(291) مطبوع بالدار البيضاء — المطبعة العربية 1356، 119 صفحة (معجم المطبوعات ص 307).

(292) ابن عاشور التحرير والتنوير 1 : 51.

(293) البرهان للرزكشي 2 : 46.

أ - الأطروحات : وسأقتصر على ما نوقش قبل إنجاز هذا البحث...

(1) خلافات القراء بالمغرب والأندلس⁽²⁹⁴⁾، تأليف الدكتور التهامي الراحي الهاشمي. تقع هذه الأطروحة في ثلاثة أجزاء، الأول خاص بالدراسة، والثاني متضمن لتحقيق الرسالتين السابقتي الذكر⁽²⁹⁵⁾ والثالث خاص بالملحقات والصور والفهارس.

ومما جاء في مقدمتها : «ان هذا العمل ليس إلا لبنة أولى فيما يمكن أن نسميه بـ «الخلاف العالي في القراءات»، وهو ميدان نرجو أن تهتم به أكثر شعب اللغة بكلياتنا العربية، إذ هو ركيزتها، وعليه ستبني مستقبلها اللغوي»⁽²⁹⁶⁾.

وكما سبق القول فإن النص الأصلي لهذه الأطروحة باللغة الإسبانية. وقد ذكر المؤلف في المقدمة : «ولقد ارتأيت أن أقدم للقراء هذه الدراسة في نصها الإسباني. أما النص الفرنسي لها فسيظهر قريباً بترجمة أحد المستشرقين، وأما ترجمتها إلى اللغة العربية فتأخر قليلاً، ذلك أن ترجمة مالا يقل عن ألف صفحة أمر يطول»⁽²⁹⁷⁾

(2) منبهة الشيخ أبي عمرو الداني

دراسة وتحقيق.

إعداد : الحسن بن أحمد وكاك.

إشراف : الدكتور التهامي الراحي الهاشمي.

الأطروحة الثامنة عشرة بدار الحديث الحسنية لكنها الأولى في القراءات⁽²⁹⁸⁾ تقع في مجلدين من الحجم الكبير، نسخة مرقونة على الآلة بمكتبة دار الحديث الحسنية بالرباط. وقد أفرغ فيها الأستاذ المحقق جهداً لا يستهان به، خصوصاً في مجال العقيدة الذي يعتبر الشيخ وكاك من فرسانه.

(294) يوجد الجزء الأول من هذه الأطروحة مرقوناً بمقر شعبة الدراسات الإسلامية بكلية الآداب... بالرباط.

(295) رسالة التنبيه على الجهل والخطأ والتقوية للداني/ وبيان الخلاف والتشهير.. لابن القاضي..

(296) خلافات القراء بالمغرب والأندلس 1 : 3.

(297) المرجع نفسه ص : 2 من الجزء الأول.

(298) قدمت هذه السنة 1408 هـ - 1988 م، والأستاذ الحسن وكاك أستاذ جامعي بكلية اللغة بمراكش،

درست عليه مادة الفكر الإسلامي المعاصر لما كان أستاذاً زائراً إلى كلية الشريعة بأكادير في سنتي 1981

- 1982 وهو من الأساتذة الذين يملكون طريقة عجيبة في التبليغ، وجهوده في الدعوة تذكر فتشك

ب — الرسائل :

(1) المشكلات اللغوية في القراءات القرآنية : تأليف الأستاذة خولة تقي الدين الهلالي.

مؤلفة هذه الرسالة مغربية الأصل مشرقية المنبت، بنت أستاذنا المرحوم الدكتور محمد تقي الدين الهلالي الذي كرس شطرا كبيرا من حياته في الدعوة إلى الله وفي خدمة اللغة العربية والذود عن حماها. وعَمَلٌ فلذة كبده هذا لاشك أنه يَحْمِلُ بوضوح أثر هذا البيت العلمي الهلالي في خدمة اللغة العربية لغة القرآن الكريم، وكما قيل.

بِأَبِهِ اقْتَدَى عَدِي فِي الْكَرَمِ وَمَنْ يَشَابِهُ أَبَهُ فَمَا ظَلَمَ

وقد قدمت هذه الدراسة لنيل دبلوم الدراسات العليا (ماجستير) من جامعة بغداد — 1969⁽²⁹⁹⁾.

(2) «الوضع الجديد لفن الخارج والصفات مع ما أولاه في الفواصل والتجويد»، تأليف :

الشيخ سيدي أحمد بن اسمه الموريتاني الديماني. تحقيق : محمد بن أحمد مسكة. إشراف : مولاي العباس الأمrani.

رسالة قدمت بدار الحديث الحسنية لنيل دبلوم الدراسات الإسلامية العليا في السنة الدراسية 1396 — 1976⁽³⁰⁰⁾.

(3) تقييد وقف القرآن الكريم، تأليف الشيخ محمد بن أبي جمعة الهبطي،، دراسة وتحقيق الأستاذ الحسن وكاك.

إشراف : الدكتور التهامي الراجي الهاشمي.

رسالة قدمت بدار الحديث الحسنية لنيل دبلوم الدراسات الإسلامية العليا⁽³⁰¹⁾ (1397 — 1977).

(4) اختلاف القراءات وأثره في التفسير واستنباط الأحكام تأليف الأستاذ عبد الهادي

ابن عبد الله حميتو⁽³⁰²⁾، إشراف : الدكتور التهامي الراجي الهاشمي.

(299) الجهود اللغوية خلال القرن الرابع عشر الهجري للدكتور عفيف عبد الرحمن ص : 87 / مجلة المورد / ع : (3 — 4) المجلد 10 / (1402 — 1981) ص : 403.

(300) نسخة مرقونة بخزانة دار الحديث الحسنية بالرباط (مجلد واحد).

(301) نسخة مرقونة بخزانة دار الحديث الحسنية بالرباط في مجلد واحد (نشرت مجلة دار الحديث الحسنية مؤخرا شطرا من هذه الرسالة وهو الباب الأول الذي يعد من اهم ما احتوت عليه هذه الدراسة) [مجلة دار الحديث الحسنية ع. 6. 1408 هـ — 1988 : ص 95 — 157]. وقد طبع البحث مؤخرا.

(302) الأخ الفاضل الاستاذ عبد الهادي حميتو رئيس شعبة الدراسات الإسلامية بالمركز التربوي الجهوي بآسفي، =

وقد نشرت مجلة دار الحديث⁽³⁰³⁾ الفصل الأول من الباب السادس من هذه الرسالة بعنوان : «حجية القراءات ومناهج الأئمة في الاستدلال بها على الأحكام الشرعية» والدراسة في عمومها غزيرة الفائدة موثقة المعلومات، تعتبر رائدة في موضوعها بالنسبة لما أنجز في الدراسات القرآنية بالمغرب في الفترة المعاصرة مما له ارتباط بعلوم عدة، من قراءات وتفسير وفقه وأصول، وذلك في مستوياتها العالية والدقيقة على الرغم من كونها باكورة أحيانا في البحث والتأليف.

5) الايضاح لما ينهم عن الورى في قراءة عالم أم القرى تأليف أي زيد عبد الرحمان ابن القاضي (ت. 1082 هـ) تقديم وتحقيق محمد بن علي بالوالي⁽³⁰⁴⁾

تحت إشراف الدكتور التهامي الراحي الهاشمي.

قدمت هذه الرسالة بدار الحديث الحسنية لنيل دبلوم الدراسات الاسلامية العليا في سنة 1400 — 1980 م.

3) ما كتب في شكل مقالات علمية :

فن توظيف المقالة في نشر الأفكار والأبحاث العلمية فن صاحب تطور وسائل النشر والاعلام، وهو منبر علمي آخر في مجال الكتابة عرفته الساحة العلمية بالمغرب في الفترة المعاصرة، وكان فرصة سانحة لأن تلتقي فيه العديد من الأقلام على اختلاف ألوانها ومشاربها العلمية والأدبية، لِعرض ما لديها من رؤى وفهم مع تنقيح وتكامل بين العلوم.

ولا يخفى ما لخصائص المقالة من أهمية من بينها : القَصْر الذي يعد من أهم خصائصها، وسرعة الإفادة، والتداول الواسع، والتكرار في مناسبات متقاربة. وقد استفادت القراءات القرآنية بدورها من هذا المنبر الهام، ونشرت فيها مقالات علمية متسلسلة عديدة، كانت حصّة الأسد فيها لأستاذنا الدكتور التهامي الراحي الهاشمي، كما كان لمجلة دعوة الحق النصيب الأكبر من المقالات التي نشرها في القراءات القرآنية. وفيما يلي عرض لمقالاته بمجلة «دعوة الحق»، ثم «المناهل» ثم مجلة دار الحديث الحسنية.

= لغوي وشاعر وأديب وفقه وذو اطلاع واسع في مجال القراءات القرآنية يعد أطروحة الدكتوراة في تاريخ القراءات القرآنية بالغرب الاسلامي تحت إشراف أستاذنا الدكتور التهامي الراحي الهاشمي [وقد اطلعت على جهوده القيمة وقد أوشكت اعماله في اطروحته على الانتهاء] وأخيرا جاءت هذه الأطروحة القيمة في ستة أجزاء ناقشها بدار الحديث الحسنية بالرباط والله نسأل أن يهيء أسباب طبعها لنفعها.

(303) العدد الرابع 1404هـ — 1984م من ص : (109 — 142).

(304) أستاذ بكلية الاداب والعلوم الانسانية بوجدة شعبة الدراسات الاسلامية. ورئيس المجلس العلمي بها وقد قدم أطروحته في القراءات مؤخرا ونوقشت بدار الحديث الحسنية وهو باحث جاد وخطيب مقتدر..

مقالات للدكتور التهامي الراجحي في القراءات القرآنية بمجلة «دعوة الحق»، كان أول اتصال للدكتور مع مجلة دعوة الحق⁽³⁰⁵⁾ من حيث النشر في عددها الثاني من السنة التاسعة الذي ظهر في منتصف شعبان 1385 هـ (دجنبر 1965 م) بمقال تحت عنوان :

1.0 — لم يكن القرآن بلغة قريش فحسب⁽³⁰⁶⁾ امتد في عشرين حلقة، خصص الأولى منه للحديث عن 22 لفظة هذلية وردت في القرآن الكريم هي : «اشترُوا» «لأعنتكم» «عزموا» «صلوا» «نورهم» «مراعماً» «ملوكا» «السوء» «فرقان» «حرَض» «وليجة» «انفروا» «السائحون» «غمة» «بدنك» «حصيد» «ظل» «المبدرون» «شاكلته» «رجما» «ملتحدًا» «يرجو».

1.1 — وأتم الحديث عن الألفاظ الهذلية الباقية في الحلقة الثانية التي نشرت في العدد الرابع من السنة التاسعة (شوال 1385، يراير 1966)، وهي «هضما» «هامدة» «ثاقب» «أجدات» «أواب» «يخرصون» «يرجون» «بالهم» «يهجعون» «ذنوب» «دُسر» «الأمد» «التفاوت» «ارجاء» «أطوار» «وزر» «بردا» «دهاق» «ظنين» «زرابي» «مسغبة».

1.2 — وفي الحلقة الثالثة التي نشرت بالعدد الخامس من السنة التاسعة (ذو القعدة 1385 مارس 1966) صفحات : (26، 27، 28، 29) تعرض ل : 29 لفظة كنانية وردت في القرآن، وهي : «الحاسئين» «شطر» «حصور» «تدخرون» «خلاق» «فورهم» «مبلسون».

«تَهْتُوا» «مُلُوكًا» «قَبْلًا» «مَعْجَز» «يَعْزَب» «تَبْتَثُس» «تَرْكَنُوا» «السَّرَائِيل» «فَجْوَة» «ضد» «ابلاس» «السرد» «أَوَاة» «أواب» «ركن» «مدينين» «أسفار» «أُقْتَتْ» «سَفَرَة» «الثاقب» «كنود» «دحورًا».

1.3. أما الحلقة الرابعة فقد نشرت في العدد السادس والسابع من السنة التاسعة (محرم 1386 — أبريل 1966 من ص : 23/26) تعرض فيها الأستاذ بالشرح ل : 16 لفظة

(305) مجلة شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية وبشؤون الفكر والثقافة تصدرها وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بالمغرب.

(306) هذا مبحث هام تعرض له السيوطي في الإلتقان، وذكر أقوال العلماء فيه كعادته (الالتقان في علوم القرآن 1 : 133 وما بعدها..).

اما تناول الدكتور التهامي الراجحي له، فهو تناول فيه كثير من التوسع والتقصي والترجيح للمعنى الذي له ما يؤيده.. فلفظة واحدة احيانا يكتب عنها حوالي صفحة، ويقف عند الأقوال الواردة في معناها ليخلص منها بترجيح احد هذه الأقوال، مثل كلمة (تدخرون) الانية الذكر : وهذا صنيع متميز عن صنيع صاحب الالتقان الذي قدم هو ايضا هذه الكلمات في نفس التصنيف لكنه لا يقف عند معانيها فيكتفي بإيراد معنى واحد وينتقل إلى لفظة أخرى، فجاء عمله فيه نوع من الرتبة والسرد، دون الوقوف والتحقيق.

جَمِيرِيَّة تُتْلَى فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَهِيَ : «سَيِّدَا» «تَفْشَلَا» «سَفَاهَةً» «زَيْلَنَا» «مَرْجُوا» «السَّقَايَةَ» «حَمَلُ مَسْنُونٍ» «فَسَيَنْغَضُونَ» «مَسْطُورًا» «حَسْبَانَا» عَتَا «مَآرِبَ» «غَرَامَ» «أُنْكَرَ» «بَعَلَا».

1.4 وفي العدد الثامن من السنة التاسعة تعرض لباقي الألفاظ الحميرية وهي 11 لفظا وهي «مرض» «مقاليد» «يُثْرَكَمَ» «أَلْتَنَاهُمَ» «زَعَمَ» «إِعْجَازَ» «وَبَيْلَا» «مَرْقُومَ» «رَايَةَ» «مَدِينِينَ» «إِمَامَ».

1.5 أما في العدد التاسع والعاشر من السنة التاسعة (ربيع الأول والثاني 1386 يوليوز غشت 1966 فتعرض في الحلقة السادسة من السلسلة المذكورة إلى ألفاظ جُرْهم وهي : «بَاعُوا» «شَقَاقَ» «خَيْرَ» «دَابَ» «أَلَا تَعُولُوا» «يَعْنُوا» «أَسَاطِيرَ» «شَرَّدَ» «تَحْسَبِينَ» «أَرَاذِلَنَا» «عَصِيبَ» «مَقْطُوعَ» «مَحْسُورًا» «حَرْبَ» «يَنْسَلُونَ» «الْوَدَقَ» «شَرْذِمَةَ» «رِيحَ» «الشُّوبَ» «الْقَطَرَ». «جَبَارَ» «الْأَنَامَ» «اسْتَغْشَوْا» وعدددها 23 لفظة.

1.6 — وتعرض الدكتور التهامي الراجي أيضا في العدد الأول من السنة العاشرة (رجب 1386 — نونبر 1966 ص 16 وما بعدها) إلى ألفاظ قيس غيلان الواردة في القرآن الكريم فأوردها كالآتي : «فُورَهُمَ» «غَلَّةَ» «حَرْجَ» «أُمَةً» «تَفْنَدُونَ» «صِيَاصِيهِمَ» «أَوَابَ» «رَحِيمَ» «يَلْتَكِمَ» «الْخِرَاصُونَ» «المُهَيِّمِينَ» «غَلَبَ» «خَاسَرَ».

1.7 — وفي الحلقة الثامنة من سلسلة مقالاته في التعريف بلغة القرآن تحدث عن الألفاظ النبطية الواردة في القرآن الكريم وذلك في العدد الثاني من السنة العاشرة (شعبان 1986 دجنبر 1966 من الصفحة 34 إلى 37 وهذه الألفاظ هي : «أَصْرِي» «كَفَلَ» «أَوَاهُ» «هَيْتَ لَكَ» «سِينَاءَ» «عَبَدْتَ» «مَقَالِيدَ» «الْيَمَ» «وَزَرَ».

1.8 — وَكَانَتْ الحلقة التاسعة مخصصة لألفاظ قبيلة تميم، وقد تضمنها العدد السادس والسابع من السنة العاشرة (محرم صفر 1387 — أبريل مارس 1967) ابتداء من الصفحة 22، وهذه الألفاظ هي : «بَغِيَّاءُ» «تَدَخَّرُونَ»، «قَرَحَ» «ثُمُرَ» «يَبْشِرُهُمَ» «أُمَّةَ» «سَرَابِيلَ» «الصَّدْفِينَ» «مَتْنًا» «سَخْرِيَا» «خَاشَعَةً» «آسَنَ».

1.9 — وفي العدد التاسع والعاشر من السنة العاشرة لمجلة «دعوة الحق» الصادر في ربيع الثاني جمادى الأولى 1387، يوليوز غشت 1967، الصفحة 76 وما بعدها تعرض الدكتور التهامي الراجي لألفاظ لهجة أزدشنوءة فأوردها كما يلي : «لَاشِيَّةَ» «تَعْضَلُوهُمْ» «أُمَّةَ» «الرَّسَ» «بَعَلَا» «كَاطَمِينَ» «غَسَلِينَ» «لَوَاحَةً»، وختم المقال بألفاظ عمان الواردة في القرآن الكريم وهي «الصَّاعِقَةُ» «خَيَالًا» «نَفَقًا» «خَمْرًا».

1.10 — وتحدث في الأعداد التي ظهرت في سنة 1388 (1968) عن ألفاظ قبيلة طي،

وحضر موت والأشعرين، وأثمار، وغسان، وبني حنيفة، واليمن، وتعرض في الأعداد التي ظهرت في السنوات الموالية إلى ألفاظ قبائل اليمامة وخزاعة وختعم ومذحج ومدين.

2.0 — نطاق الرسم القرآني : شارك أستاذنا الدكتور التهامي الراجي في مجلة دعوة الحق بسلسلة أخرى من المقالات تحت عنوان : «النصوص وأثرها الحميد في مساعدة الطلاب على حفظ القرآن الكريم وإتقان رسمه».

2.1 — خصص الحلقة الأولى من هذه السلسلة التي نشرت في العدد الثالث من السنة الثانية عشرة انطلاقا من الصفحة : 22 للنصوص التي تطرقت للحذف والإثبات و«الرشق» كما تطرق للنصوص التي تهتم ب «التكرار» والنصوص المتعلقة بالتجويد، وب «الناء المطلقة» وغير ذلك من النصوص.

2.2 — وتابع الحديث في هذا الموضوع في العدد الثاني من السنة الثالثة عشرة (رمضان — شوال 1389 يناير 1970) صفحة : 75 تحدث فيه عن النصوص المتعلقة بـ «الدنيا» التي يوقف عليها في القرآن الكريم.

2.3 — وفي نطاق الرسم أيضا كتب الأستاذ الدكتور مقالا تحت عنوان «المد في القرآن الكريم من الناحية الصوتية» نشر في العدد 7/6 من السنة 24 ابتداء من ص : 40 تعرض فيه لأنواع المد ومُدَّته عند القراءة.

2.4 — ثم استأنف الأستاذ الدكتور التهامي الراجي نشر مقالاته بمجلة دعوة الحق في نطاق التعريف بلغة القرآن الكريم وتتميمها للسلسلة «ليس القرآن بلغة قريش فحسب» فشرع في نشر مقالات حول اللغة الآرامية في القرآن الكريم ظهر المقال الأول منها في العدد السابع من السنة الثالثة عشرة، ووعد إن فسح الله في الأجل أن يتم هذا الموضوع.

3.0 وفي مضمار «القراءات القرآنية واللهجات العربية» كتب الدكتور سلسلة من المقالات وصلت إلى سبع حلقات.

3.1 — الحلقة الأولى ظهرت في العدد التاسع من السنة الرابعة عشرة، والحلقة الثانية منه في العدد 10 من نفس السنة ابتداء من الصفحة 37.

3.2 — أما الحلقة الثالثة الذي خصصها للحديث عن «جبريل» و «حَدَبٍ»⁽³⁰⁷⁾ و

(307) اصل الكلمة في المصحف الآية 96 من سورة الانبياء حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج وهم من كل حذب ينسلون» وذكر ابن جني ان ابن مسعود يقرأها جدث اي القبر، وكذا قرأها ابن عباس كما ذكر الزمخشري في الكشف عند تفسيره للآية ان الناء حجازية والفاء تيمية والاستاذ التهامي الراجي، يرى في مقاله أن أبا حيان الغرناطي في البحر المحيط وفق بين ما ذهب إليه ابن جني والزمخشري لما قال انها قراءة لهما معا أي ان ابن مسعود وابن عباس يقرآن (حذب) (جدث)... المقال اعلاه ص : 84).

«جؤنة»⁽³⁰⁸⁾ و «اجزأ»⁽³⁰⁹⁾ فقد نشرت في العدد السابع السنة الخامسة عشرة (ذو الحجة 1392 — يناير 1973).

3.3 — وخصص حلقة العدد التاسع والعاشر من السنة الخامسة عشرة (ربيع الأول 1393 — ماي 1973) انطلاقا من الصفحة 68 للحديث عن ألفاظ «الحج» «الحبك» «حرم».

3.4 — وفي العدد الأول من السنة السادسة عشرة من مجلة دعوة الحق الصادر في جمادى الأولى 1393 — يونيو 1973 م تعرض أستاذنا الدكتور التهامي الراجي الهاشمي للألفاظ «احزنه» «الحمد لله» «الحوب» «الحوت» وهي الحلقة الخامسة.

3.5 — أما الحلقة السادسة في هذه السلسلة فقد نشرت في العدد الثالث في السنة السادسة عشرة (ذو القعدة 1393 — دجنبر 1973) — من ص (25 — 28) تطرق فيها ل «حيث» «واستحي» و«خاشعة».

3.6 — أما الحصة السابعة والأخيرة في سلسلة «القراءات القرآنية واللهجات العربية فقد نشرت في العدد السابع من السنة السادسة عشرة (رجب 1394 — غشت 1974) ص : 64 وما بعدها، وهي مخصصة للحديث عن لفظ «خطوة» ومشتقاتها.

4.0 — كما شارك في مجلة دعوة الحق بسلسلة أخرى خاصة بالرواية المتخصصة في القراءات القرآنية عنوانها «حمل فرش»⁽³¹⁰⁾ في مروي الامام ورش.

4.1 — ظهرت الحلقة الأولى من هذه السلسلة في العدد العاشر من السنة التاسعة عشرة تعرض فيها لموقف ورش من نافع، وللبسمة عند ورش، والسكت والوصل في البسمة عنده أيضا.

4.2 — وفي العدد الأول من السنة «العشرون» من عمر مجلة «دعوة الحق» (صفر الخير 1399 — يناير 1979) تحدث الأستاذ الدكتور التهامي الراجي الهاشمي، انطلاقا من الصفحة : 52 عن ميم الجمع في رواية ورش، وعن قضية الهاء المصاحبة للميم، وعن الهمزة المفردة وعن الهمزة الساكنة الواقعة بعد غير الهمزة.

(308) اما كلمتا «جؤنة» و«اجزأ» فنص الدكتور التهامي الراجي على أنهما تميميتان من الألفاظ المستعملة في اللغة العربية في باب الجيم ولكن لا وجود لهما في القرآن الكريم.

(309)

(310) الفرش : في اصطلاح القراء هو الفرع.

4.3 — كما خصص الحلقة الثالثة من هذه السلسلة للحديث عن قراءة ورش لهمزة القطع وهمزة الوصل، وعن همزة المتحركة الواقعة فاء، وذلك في العدد السادس والسابع من السنة «العشرون» (رجب شعبان 1399 يونيو يوليوز 1979 صفحة : 100).

4.4 — وفي العدد الثامن من السنة «العشرون» صفحة : 52 تحدث الباحث عن همزة الواقعة عينا للكلمة أو لامها وعن قراءتها في رواية ورش، واعدان فسح الله في الأجل بإتمامها. — وفي مجلة المناهل العدد الثاني السنة الثانية مارس 1975 نشر الدكتور التهامي الراجي مقالا بعنوان «أبوحيان ناقد تخريجات قراءات الزمخشري».

ونشر في العدد الثاني من مجلة دار الحديث الحسنية (1401 — 1981) مقالا بعنوان : «نماذج في تخريج القراءات تعرض فيه لضوابط القراءة، ثم ساق نماذج يطبقها على تحديده المتقدم للضوابط مع استخدام أشكال الرياضيات المعاصرة لابرار نتائج ما يتوصل إليه.

وفي نفس المجلة العدد السادس (1408 — 1988) انطلاقا من الصفحة (47 إلى 69) نشر أستاذنا مقالا عنوانه : «هاء الكناية والدرس الصوتي المطبق في القرآن الكريم» عرف فيه أولا بهاء الكناية ثم تعرض لذكر أشكال هاء الكناية وصورها وقراءتها وحالات الشكل (أ) ومعطيات الشكل (ب) ومعطيات الشكل (ج) ومعطيات الشكل (د) وهاء الكناية الخارجية من حيث صورتها السمعية عن هذه الضوابط وتبرير مراتب قراءات اللفظة ومسألة هذه والوقف على هاء الكناية.

— مقالات في القراءات القرآنية للأستاذ محمد بن عبد العزيز الدباغ :

نشر الأستاذ محمد بن عبد العزيز الدباغ سلسلة من المقالات بمجلة «دعوة الحق»⁽³¹¹⁾ وقد جاءت هذه السلسلة في سبع حلقات، اقتصر فيها الباحث على رصد ما سجله الزمخشري في سورة الفاتحة، وفي النصف الأول من الحزب الأول من سورة البقرة، من وقفات مع القراءات القرآنية.

1.0 — وقد نشرت الحلقة الأولى من هذه السلسلة في مجلة «دعوة الحق» العدد السابع السنة الخامسة عشرة (ذو الحجة 1392 — يناير 1973).

وفي هذه الحلقة استعرض الأستاذ الدباغ أوجه القراءة التي أوردها الزمخشري في الفاتحة

(311) يُعَدُّ الزمخشري في تفسيره الكشاف من المفسرين الذين يتعرضون بالنقد لبعض طرق القراء، وقد أضاف إليه الشيخ الطاهر ابن عاشور ابن العربي وقال : «على أن في بعض نقدهم نظراً» (تراجع مقدمته القيمة في القراءات من تفسيره التحرير والتنوير 1: 51 وما بعدها).

آية آية ثم وصل إلى الاستنتاج قائلا : «هذه بعض القراءات التي سجلها الزمخشري في فاتحة الكتاب وهي كثيرة جدا نلاحظ أنها تنقسم إلى الأنواع الآتية :

- (1) اختلاف اللهجات فيما يتعلق بالإثبات.
- (2) اختلاف اللهجات فيما يتعلق بقطع الهمزة ومدّها.
- (3) اختلاف اللهجات فيما يتعلق بالإبدال وذلك يتجلى في قلب السين صادًا وفي إبدال الهمزة هاء.

(4) إبدال الكلمة بمرادفها.

(5) اتباع بعض اللهجات فيما يتعلق بحرف المضارعة.

(6) تحويل الحركة الذي يؤدي إلى اختلاف الاعراب، وهذا له تأثير على المعنى من حيث التأكيد وغيره من حيث العموم والخصوص.

(7) اختلاف الصيغة اللفظية وما يترتب على هذا الاختلاف من التحويل المعنوي شدة وضعفا كما يتجلى ذلك في قراءة مالك يوم الدين بالمد وبدونه، وإن الاطلاع على هذه القراءات ليحيى في نفس القارىء روحا تجذبه إلى العمق في الدراسة القرآنية من الناحية اللغوية والناحية المعنوية».

1.1 — وفي العدد التاسع والعاشر من السنة الخامسة عشرة (ربيع الأول 1393 هـ ماي 1973 من الصفحة 53 إلى 57) نشرت الحلقة الثانية بعنوان «بحث في القراءات القرآنية التي تحدث عنها الزمخشري في تفسيره الكشاف».

1.2 — وفي الحلقة الثالثة التي نشرت بالعدد الثالث من السنة السادسة عشرة (قعدة 1393 — دجنبر 1973 صفحات : 29 — 32) أورد الباحث في مقاله هذا بعض الآيات القرآنية من سورة البقرة (الآية : 7، 9، 10) وتناولها بالبحث والدرس والتحليل وبين طرق قراءتها بالقراءات المشهورة.

وأبرز إبداع الزمخشري — رحمه الله — في ذكر التأويلات الناتجة عن بيان المعنى المجازي لبعض الكلمات الموجودة في الآيات ومدى استخدام العنصر العقلي في تفسير الزمخشري.

1.3 — وفي الحلقة الرابعة من سلسلة الأستاذ محمد بن عبد العزيز الدباغ في مجلة دعوة الحق العدد السادس السنة السادسة عشرة ربيع الثاني 1394 ماي 1974) صفحات (87 — 90) واصل الأستاذ حديثه عن بعض الآيات من سورة البقرة (الآية : 14، 15، 16) منوها بالزمخشري الذي لم يكن يكتفي في تفسيره بإظهار بعض القراءات ولكنه كان يضيف

إلى ذلك التلويح في الشرح والتحليل سواء من حيث الوضع اللغوي أو من حيث ربطه بالاستعمال المجازي على اختلاف أشكاله.

1.4 — وفي الحلقة الخامسة التي نشرت بالعدد السابع من السنة السادسة عشرة رجب 1394 — غشت 1974 صفحات (58 — 63) استرسل الكاتب في شرح وتحليل آيات من سورة البقرة ابتداء من قوله تعالى : ﴿مَثَلَهُمْ كَمِثْلٍ خَسَقٍ فَسَاءَ الْمَثَلُونَ﴾ استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله... ﴿إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، مبينا طرق قراءة بعض الكلمات الواردة في ثانيا هذه الايات ومبرزاً دور الزمخشري في ترجيح بعض القراءات.

1.5 — وفي العدد الخامس من السنة السابعة عشر من مجلة دعوة الحق (محرم 1396 يناير 1976) من الصفحة 13 إلى الصفحة 16، تناول الأستاذ محمد بن عبد العزيز الدباغ في الحلقة السادسة منه سلسلة مقالاته قوله تعالى في سورة البقرة : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ...﴾⁽³¹²⁾ إلى قوله تعالى : ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحَجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾⁽³¹³⁾ ففسر الآيات وأبرز طرق قراءتها وما قام به الزمخشري في ترجيح بعض القراءات على الأخرى.

1.6 — وفي العدد العاشر من السنة السابعة عشرة (محرم 1397 — دجنبر 1976) نشر المقال الأخير من هذه السلسلة الذي تابع فيه الأستاذ الدباغ الشرح والتحليل وتبيين طرق قراءة بعض الكلمات الواردة في قوله تعالى : ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾⁽³¹⁴⁾ إلى قوله تعالى : ﴿فَأَمَّا يَاقِينُ كَمْ مَنِ هْدَى فَمِنْ تَبَعٍ هُذَاهِ فَلَاحُوفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾⁽³¹⁵⁾ موضحاً كما هو الشأن، موقف الزمخشري من القراءات وترجيحه بعضها على بعض...

ولأستاذنا الباحثة سيدي محمد المنوني⁽³¹⁶⁾ مقال يرتبط بهذا الفصل نشره بمجلة دعوة

(312) سورة البقرة، الآية : 21.

(313) الآية، 24 من نفس السورة.

(314) الآية : 25 من نفس السورة.

(315) الآية : 38 من نفس السورة.

(316) الأستاذ محمد المنوني عالم باحث مثالي السلوك والأخلاق تلقينا عنه دروساً نظرية وتطبيقية في المكتبة العربية وكيفية البحث والتوثيق وقراءة المخطوطات بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، ومن ثبُل الرجل وإدراكه الحقيقي لمهمة العالم أنه لا يتردد في افادة من سأله العلم مما جعله مقصوداً من قبل معظم الباحثين في التاريخ والعلوم الإسلامية... وكتاباته وتحقيقاته وإجائته الرائعة سارت بها الركبان. تراجع ترجمته في معجم المطبوعات المغربية ص : 336 وغيره.

الحق العدد الثاني من السنة الواحدة والعشرين (جمادى الأولى 1400 — أبريل 1980) من الصفحة 33 إلى الصفحة 36 تحت عنوان : «منوعات عن تلاوة القرآن الكريم بالترجيع والنغم».

تعرض فيه لتحسين الصوت بتلاوة القرآن، واعتبر ذلك من آداب القرآن الكريم، وان القلوب تخشع بالصوت الحسن كما ذكر ذلك ابن العربي المعافري⁽³¹⁷⁾ لكن مع مراعاة القواعد المصطلح عليها في التجويد، وان المأثور من قراءته ﷺ هو الترتيل، وفي قضية الترجيع والألحان ذكر الأستاذ المنوني أن المسألة خلافية، والجمهور لا يرى حرجاً في ذلك مادامت تراعى القواعد المتبعة في التجويد والتلاوة، ثم عرض رأي ابن العربي المجيز لذلك في الحدود المتعارف عليها وكذا رأي القسطلاني مشيراً إلى تأثير المغاربة بقراءة المشاركة لما يذهبون إلى الحج ويفضلونها، كما ان هناك مغاربة قراء اشتهروا بأصواتهم الحسنة المؤثرة.

— «أبو عبد الله الهبطي واضع وقف القرآن بالمغرب»، للأستاذ سعيد اعراب، نشر هذا المقال بمجلة دعوة الحق في ثلاث حلقات بمناسبة مرور أربعة عشر قرناً على نزول القرآن الكريم.

1.0 — الحلقة الأولى وقد نشرت بالعدد الرابع من السنة الحادية عشرة ذو القعدة 1387 هـ — فبراير 1968) صفحات (91 — 93) كشف فيها جوانب من حياة الشيخ أبي عبد الله بن أبي جمعة الهبطي⁽³¹⁸⁾ واضع وقف القرآن بالمغرب، ويصف جهوده في الوقف بأنها مبنية على مقاييس محدودة وقوانين مضبوطة وقواعد مدروسة ترجع في جملتها إلى الإعراب والمعنى، وربما كان بعضها خاضعاً لفن العربية، وبعضها لفن التفسير، والبعض الآخر لمدارك الفقه والتشريع، أو لوجه من وجوه القراءات، أو لأسرار أو حكم أخرى قد لا يدركها القارئ العادي، وإنما يعقلها العالمون المختصون في هذا الفن⁽³¹⁹⁾ وناقش قضية صحة نسبة التقييد إلى الهبطي، فهناك من يرى أن واضع وقوف القرآن هو ابن غازي شيخ الهبطي، وان الهبطي قيد ذلك عن شيخه، ونشره في تلاميذه والناس، ورد الأستاذ سعيد اعراب هذا الفهم، ونسب وضع الوقف للهبطي دون غيره، ثم تعرض لأسباب انتشار مذهبه في الوقف داخل المغرب وخارجه.

(317) ابو بكر محمد بن عبد الله بن محمد الاشيلي (468 — 543هـ) تذكرة الحفاظ للذهبي 4 : 1294 / البداية والنهاية 12 : 228 / بغية الملتزم 82 / الدياج المذهب 281 / الصلة.. 2 / 558 / طبقات المفسرين للسيوطي.

(318) تقدم التعريف به.

(319) ص : 92 من المقال اعلاه / وهذا يناقض ما ذهب إليه الشيخ عبد الله بن الصديق في رسالته الآتفة الذكر.

1.1 — الحلقة الثانية من نفس المقال نشرت أيضا بمجلة دعوة الحق العدد الثامن من السنة الحادية عشرة (ربيع الأول والثاني 1388 هـ — يونيه — يوليوز 1968/ صفحات : 104 — 106) وقد تعرض الأستاذ أعراب للوقف بصفة عامة ووقوف الهبطي بصفة خاصة، وقسمها إلى ثلاثة أقسام : ما وافق فيه الهبطي غيره كاللّداني⁽³²⁰⁾ وابن الأنباري وسواهما وهو أكثر وقفه. ماتركه ولم يعتمد لتجاذب الدليلين فيه أو لترجيح أدلة الوصل عنده أو لأنه الأصل، والوقف طارئ، ما انفرد به والناس أمام هذا القسم فريقان : فريق مؤيد، وفريق منتقد، وذكر أن من الذين انتقدوه وخطأوه في مواضع، أبو عبد الله محمد المهدي الفاسي في كتابه «الذرة الغراء في وقف القراء»، ومن الذين أيدوه ودافعوا عنه، أبو عبد الله محمد ابن عبد السلام الفاسي في كتابه «الوقف والابتداء» (خ.م 1953).

1.2 — وفي الحلقة الثالثة والأخيرة التي نشرت بالعدد التاسع والعاشر من السنة الحادية عشرة (جمادى الأولى 1388 هـ غشت 1968) صفحتي (126 — 127) واصل الأستاذ سعيد أعراب حديثه عن وقوف الهبطي، وهل هي من قبيل الواجب أو الجائز، وهل الوقف مروي بالنوع أو بالشخص، ثم ما نوقش فيه الهبطي مثل وقفه على آخر السور، مع أن الذي ذكره العلماء في كتب الخلاف مثل الشاطبية والتيسير أن ورشا يسكت أو يصله بأول السورة بعد... وذكر أن ما عليه عمل القراء إلى اليوم هو وضع علامة الوقف أواخر السورة، وهي العلامة التي لم تكن من وضع الهبطي وإنما وضعها بعض تلاميذه.

— وللاستاذ سعيد أعراب مقال آخر نشره بمجلة دعوة الحق العدد الثاني والثالث (ربيع الأول والثاني 1398 هـ يراير مارس 1978، صفحات (62 — 66) تحت عنوان «بين يدي مصحف الحسن الثاني» تناول فيه بعض مشاهير القراء المغاربة مع التلميح إلى آثارهم ومدارسهم.

— وله أيضا مقال آخر بعنوان : «المدرسة القرآنية في الصحراء المغربية» نشره بمجلة «دعوة الحق» العدد التاسع السنة السابعة عشرة نونبر 1976، وهو مقال تناول فيه مدارس سوس العتيقة في القراءات القرآنية وأهم شيوخها وأمع التلاميذ المتخرجين منها، ومعظم معلومات هذا المقال استقاها الباحث من مؤلفات المختار السوسي في الموضوع.

وفي مجلة دعوة الحق⁽³²¹⁾ أيضا نشر المرحوم الأستاذ عبد الله الجارري مقالا بعنوان «القرآن وتلاوته» عرف فيه بالتجويد وتعرض لحكم اللحن في القرآن، والوقف والابتداء،

(320) ابو عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت. 444هـ) تقدمت ترجمته.

(321) العدد 3 السنة 7 — رجب 1383 هـ دجنبر 1963 من ص : 9 إلى 13.

ومسألة التطريب في القرآن والتغني به، وحاجة الناشئة إلى من يقوم لهم أخطاءهم في القراءة، وقد ضمن المؤلف هذا المقال بنصه في كتابه «متعة المقرئين»⁽³²²⁾ الآنف الذكر.

وفي مجلة الايمان العدد التاسع من السنة الأولى (جمادى الأولى 1384 — 1964 م من ص : 27 إلى 29) نشر الأستاذ عبد الله الجراري مقالا بعنوان : «دار القرآن في عالم التجويد» ذكر فيه واقع القراءة اليوم، وكيف أن كثيرا من القراء يتبعون أصواتهم والأنغام المتفككة وأهواءهم متلونين فيها تلونا ينأى بها عن الحدود المرسومة... وبذلك تضيع التلاوة المرغوب فيها والمثاب عليها ويهيب بالخبراء من القراء أن يوجهوا ملاحظاتهم لكل من يبدو منه خروج عن جادة التلاوة الحق... ثم ذكر الغاية من إنشاء دار القرآن بالرباط، وأيضا هناك كثير من معلومات هذا المقال متضمنة في كتاب المؤلف الأستاذ عبد الله الجراري، متعة المقرئين...⁽³²³⁾

— وللاستاذ عبد الله الجراري في مجلة الايمان أيضا مقال آخر عنوانه : «بعث قراء الكتاب على التلاوة الصحيحة» العدد التاسع السنة الثالثة (دجنبر 1966 يناير 1967) والمقال هو نص المحاضرة التي ألقاها المرحوم عبد الله الجراري، بمناسبة زيارته مفتشا لمدرسة المقرئين بفاس التي أمر السلطان محمد الخامس بإنشائها لكنها أقبرت بعد تخرج فوجين منها⁽³²⁴⁾.

— وفي مجلة كلية الشريعة بفاس العدد الثامن والتاسع (محرم 1402 هـ نونبر 1981، من الصفحة 33 إلى 17) مقال بعنوان «الرسم القرآني وانعكاساته على وجوه القراءة» للأستاذ محمد الأزرق من علماء القرويين.

ب — التعليم :

لقد كان لأهل المغرب اعتناء كبير بتعلم القراءات القرآنية وتعليمها، وبذلوا من أجل ذلك جهودا في إقامة المدارس، واتخاذ الشيوخ والأساتيد، وإيواء الطلبة، وقد شهد النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري امتدادا لذلك الاعتناء وتلك الجهود، ووجد في تلك الفترة قراء وعلماء يحملون ثقافة القرن الثالث عشر الهجري، وهم يمثلون ما كان للمغاربة من حرص واعتناء باستظهار الكتاب برواياته السبع، وما كان لأولي الأمر من تشجيع وحث الناس على المضي في ذلك النمط من التعليم...⁽³²⁵⁾.

(322) متعة المقرئين ص : (7, 8, 9, 10, 11, 12).

(323) المرجع نفسه صفحات 92 — 93 وما بعدها.

(324) من اعلام الفكر المعاصر 1 : (173 — 177).

(325) على سبيل المثال هناك رسالة طويلة وجهها السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام إلى عماله فيها حث على

ويمكن تناول موضوع تعليم القراءات وتعلمها بالمغرب في القرن الرابع عشر الهجري من خلال ثلاثة عناصر أساسية ومتكاملة وهي : المدارس والشيخوخ، والطلبة.

1) المدارس :

وهي أحد مظاهر الاعتناء والاهتمام بالقرآن العظيم فوجودها في معظم أنحاء المغرب تؤدي رسالتها العلمية في مطالع القرن الرابع عشر الهجري إلى منتصفه دليل على الاستمرارية لما كان يبذله المغاربة منذ عدة قرون من جهود في خدمة كتاب الله والتفنن في حفظه، وإحاطته بهالة من الجلال والتقدير.

وهذه المدارس المتحدث عنها هي مؤسسات تعليمية تبناها الجماعة وأحيانا الأفراد⁽³²⁶⁾ وتكون إزاء مسجد جامع أو زاوية من الزوايا المشهورة بمدفن أحد الأولياء⁽³²⁷⁾ الذي قد تنتسب إليه تلك الجماعة أو القبيلة، ومن شأن هذه المدارس أن تكون «مفتوحة الأبواب لكل من جاء أيا كان، لايسأل من أين، ولا أين ؟ وإدارة شؤونها التعليمية بيد أستاذها، فيأوي من يشاء ويصرف من لم يرد»⁽³²⁸⁾.

وبذلك فهي تلتقي مع المساجد الصغرى التي توجد في كل قرية من حيث إن الجماعة من أهل القرية تبناها، وتتكلف بشروط الأستاذ الذي يعمرها، لكنها تختلف عنها من حيث المستوى التعليمي، ومن حيث روادها من الطلبة سنا وتحصيلا، فالطلبة الذين يغشون هذه المدارس يكونون قد حصلوا قسطا من التعليم أقل مما يمكن أن يكون في الغالب هو حفظ القرآن الكريم برواية ورش، ومؤونة الطلبة تكون من احتياطي المدرسة الذي تتكفل به الجماعة⁽³²⁹⁾، أو الأستاذ ان كان هو صاحب المدرسة...⁽³³⁰⁾ أو وكل إليه ذلك الأمر.

وقد ميز الأستاذ محمد المختار السوسي — رحمه الله عليه — بين ثلاثة مستويات في هذه المدارس من حيث ما تختص به وتهتم به قائلا : «وقد كانت المساجد للقرى مواضع حفظ

= التمسك بالاسلام عقيدة وعبادة ومعاملة، ومما جاء فيها، «ويلزم العامل كل دوار أو جماعة مشاركة طالب علم يرجعون إليه في أمر دينهم وتعليم صبيانهم وجهانهم ويقوم بالأذان والصلوات الخمس في أوقاتها ومن لم يفعل زجره وعاقبه..» [اتحاف اعلام الناس لابن زيدان.. 5 : 99].

(326) مدارس سوس العتيقة ص : 57,55.

(327) المرجع السابق ص : 125 — 130.

(328) المرجع نفسه ص : 57.

(329) المرجع نفسه ص : 55.

(330) الاعلام للمراكشي 7 : 108 — 109.

متن القرآن وفي كبرياتها موضع لاتقان رسمه المصحفي يرتحل إليها، ثم هناك مدارس كثيرة للمرتبة الثالثة، وهي تعاطي فن القراءات السبع⁽³³¹⁾.

ومدارس المرتبة الثالثة هي التي عليها مدار هذا الحديث أي المدارس التي تهتم بفن القراءات القرآنية، فهي وإن كانت أقل عددا إذا ما قورنت بالمدارس العلمية الأخرى⁽³³²⁾ التي تهتم باللغة العربية والآداب والعلوم الإسلامية، فإنها مع ذلك كانت متوفرة في عدة جهات من أنحاء المغرب مدنا وقرى وسهولا وجبالا، وقد اشتهرت منطقتا جباله⁽³³³⁾ وسوس⁽³³⁴⁾ بالتعاطي لعلم القراءات القرآنية، كما اشتهرت منطقة تافيلالت بعلم التجويد التطبيقي⁽³³⁵⁾.

وفي سوس وهي المنطقة التي اشتهرت بعلم الاقراء منذ عدة قرون توجد العديد من هذه المدارس. مما جعل أكابر العلماء يشدون إليها الرحال مثل ما فعل سيدي محمد بن عبد السلام الفاسي (ت. 1214 هـ) الذي رحل في آخر القرن الثاني عشر لأخذ القراءات فنزل بآيت صواب «فأفاد العلوم وأخذ فن القراءات القرآنية»⁽³³⁶⁾ ومثل سيدي الزوين الحوزي (ت. 1311 هـ) الذي تلقى علم القراءات على الأستاذ الطاهر البعيري الذي أسس مدرسة للقراءات هو وأولاده برأس الوادي...⁽³³⁷⁾ كما أن المؤرخ المختار السوسي يذكر أن منطقة سوس كانت منتجعا لأهل الجنوب في أخذ القرآن⁽³³⁸⁾.

وإذا أمعنا النظر في خريطة مدارس القراءات القرآنية بسوس فإننا نجدها تتوزع بين السهول والجبال، فهي في الساحل وفي آيت بعمران، وفي هشتوكة. وفي جبال جزولة ورأس

(331) سوس العالمة ص : 32.

(332) مدارس سوس العتيقة ص : 135.

(333) العديد من القراء السوسيين اخذوا القراءات القرآنية من جباله مثل علي الحياطي (ت. 1358 هـ) وهو من القراء الكبار ترجمته بالمعسول 18 : 126 / واحمد النجاري (ت. 1286 هـ) ومحمد بن ابراهيم أعجلي (ت. 1271) والحسن أضرضور الذي كان أستاذا مقرئا محققا شارطا في آيت بعمران بـ تَدْرَارْت (وموساكنة) وعنه أخذ الأستاذ إبراهيم الماسي الذي كان مشارطا بآيت اورير تحت رعاية التهامي الجلاوي وعليه درس شيخ زاوية سيدي الزوين سيدي سعيد الجرמוني الذي اخذ عنه الشيخ علال القاسمي العبيدي العشراوي شيخ القراءات بسيدي الزوين حاليا ببارك الله في انفاسه.

(334) سوس العالمة ص : 33 / المعسول 18 : 134 / المعسول 14 : 135.

(335) المعسول 18 : 89 — 94 — 95.

(336) سوس العالمة ص : 33.

(337) مدارس سوس العتيقة ص : 37 / سوس العالمة ص : 33.

(338) مدارس سوس العتيقة ص : 38.

وأشهر مدارس الساحل في القراءات هي أم المدارس السوسية وأقدمها، وأعني مدرسة سيدي وكاك بأكلو⁽³⁴⁰⁾ وهي من المدارس السوسية التي ظلت تؤدي مهمتها بين مد وزجر فحينما تكون للفنون وأخرى للقراءات السبع، شأنها في ذلك شأن مجموعة كبيرة من مدارس سوس التي تخضع في توجيهها لتخصص الأستاذ الذي يتولى مهمة التدريس فيها،⁽³⁴¹⁾ وقد تحظى مدرسة واحدة بمقرىء وفقهه⁽³⁴²⁾ وتبقى للطلبة حرية اختيار التخصص الذي يريدون، وقد عرفت المدرسة الوكاكية في النصف الثاني من القرن الثالث عشر أستاذا مقرئا ومؤلفا هو سيدي أحمد النجاري البعمراني⁽³⁴³⁾ (ت. 1286 هـ) الذي أصل في هذه المدرسة الملازمة لتعليم القرآن حتى غلب على تعليم الفنون⁽³⁴⁴⁾ ووصل عدد طلبتها في عهده إلى مائتي طالب عداً.

أما مدارس آيت بعمران التي اشتهرت بالقراءات القرآنية إلى حدود منتصف القرن الرابع عشر الهجري فأذكر منها

— المدرسة التنكرفائية : اشتهر من مر بها من الشيوخ محمد بن عبد الله الضحاكي⁽³⁴⁵⁾ (ت 1323 هـ) الذي تخرجت على يده فيها عشرات المقرئين في الروايات.

-
- (339) سوس العالمة ص 155 وما بعدها / المعسول 18 : 134 / مدارس سوس العتيقة ص 93 إلى 136.
- (340) معلومات عن تاريخ هذه المدرسة تراجع في سوس العالمة ص : 17, 18, 19 كما انها اول مدرسة عرفت في بوادي القُرب الاسلامي [المرجع نفسه ص 154].
- (341) مثل المدرسة العيلاوية بآيت بعمران / ومدرسة «النايزلة»، ومدرسة «تسيل واسيف»، والمدرسة البونعمانية بآيت برايم التي اشتهرت بالقراءات طيلة القرن الثالث عشر الهجري إلى أن جاء إليها سيدي مسعود المعدري عام 1279 هـ وحولها إلى مدرسة علمية، ومن أخذ عنه العلم بها في حدود هذا العهد جد والذي للام سيدي محمد بن ابراهيم السملالي الهرواشي البعمراني (توفي في رجب 1331 هـ) وهو الذي كان مشارطا بمدرسة إسك بآيت بعمران لما حل بها مولاي الحسن الأول في رحلته الثانية إلى سوس عام 1303 هـ.
- (342) كالمدرسة الاغرمية الجزارية مثلا التي جمعت بين المقرىء محمد بن علي الفوركلاني الرسموكي، ومحمد بن عبيل الغرمي فقيها.. (مدارس سوس العتيقة ص : 97).
- (343) شريف حسني من الشرفاء البوجرفاوين كما علمته من أسرته ترجمته في المعسول : 18 : 123 — 124.
- (344) سوس العالمة ص 155.
- (345) من تلاميذ أحمد النجاري درس بأكلو كما درس بماسة وشارط في (تانكارفة) و(آيت ايسمور) و(تيكوت) بهتشوكة واخيرا استقر ب (بوجرفا) الى أن توفي هناك، واذا ذاك كان محمد بن ابراهيم الهرواشي بإيسك يدرس العلوم فانتقل بعض طلبة الضحاكي من (بوجرفا) إلى (ايسك) لاختذ مبادئ العلوم (المعسول 12 : 198).

— المدرسة البوجرفاوية : اشتهرت في مطالع القرن الرابع عشر الهجري بالشيخ الضحاكي المذكور ومن تلقى عنه في هذه المدرسة السيد جامع البعمراني⁽³⁴⁶⁾ الذي قال : «كنا عنده من أصحاب القراءات خمسة وثمانين، وهناك أصحاب قالون والبصري والمكي، فكان يمر على ألواحهم أصحاب حمزة من أصحابه، والمقصود بأصحاب حمزة من أتقنوا السبع، وكان هو يمر على ألواح السبعين فقط، تجعل امام بيته الذي ينزل فيه فيأخذها مرة واحدة في الهاجرة إليه. فإذا مر بها وضعها في نافذة فيحركها فيتناولها أربابها».

ولاشك أن هذا الذي ذكره الحاكي كان في آخر حياة الشيخ، وبعد تقلباته العديدة فالمعهود ان الشيوخ وإن كانوا يستعينون أحيانا ببعض نجباء طلبتهم المتقدمين في الدراسة فإنهم لا يطمئنون إلى ذلك في غالب الأحوال، إذ من عادتهم أن يتفقدوا جميع الطلبة ويتعهدوهم بالمتابعة وتقويم التحصيل وهذا الذي ذكره العزاوي عن شيخه الضحاكي كان في آخر حياة الشيخ وبعد أن أنهكه المرض والمهرم، والعزاوي من آخر طلبته فهو الذي يحكي لنا عن وفاة الضحاكي ما يأتي «فحين قربت وفاته ذهبنا إليه كلنا لوداعه، فصار يوصي كل واحد منا بالتقوى وخوف الله وأشعرنا بقرب وفاته، فلم ينشب أن توفي 1323 هـ عن أزيد من ثمانين سنة»⁽³⁴⁷⁾.

— المدرسة البوبكرية : وتعرف بمدرسة الخميس أو سيدي حسين أيضا أشهر من مر فيها محمد بن مولود الحمزاوي الروائي، زاول فيها التدريس سنوات، وهو أستاذ عالي الكعب في الفن مثابر على بثه في الناس بصير كبير، حتى كان كل الطلبة في تلك الجهة من تلاميذه⁽³⁴⁸⁾. أخذ القرآن عن أبيه مولود، والقراءات عن السيد أحمد الترنيتي السبعي⁽³⁴⁹⁾ كما درس المقرئ ابن مولود بالمدرسة العبالوية بآيت بعمران، وأبطأ فيها كثيرا، وفاق الطلبة فيها على عهده المائة عدا⁽³⁵⁰⁾.

— مدرسة سيدي هو الحسن الاختصاصية، اشتهرت بالروايات على يد المقرئ محمد بن الحسن الماسي الذي توفي فيها، وهو من تلاميذ أحمد النجاري⁽³⁵¹⁾.

— المدرسة الاغرمية الجراوية : أشهر من درس فيها القراءات المقرئ محمد بن علي

(346) ومن تلاميذ الهرواشي المذكور أيضا، ترجمته في المعسول (12 : 197 وما بعدها).

(347) المعسول 12 : 198.

(348) مدارس سوس العتيقة ص : 96.

(349) ذكر الأستاذ المختار السوسي انه غير مشهور (المرجع السابق ص : 96) ولعله الآتي ذكره عن قريب.

(350) نفس المرجع والصفحة / سوس العالمة ص : 164.

(351) المعسول 18 : 118، وفيه ذكر لبقية تلاميذ احمد النجاري في القراءات الذين نبغوا.

الفوركلاني الرسمى، وكان فيها من الطلبة لديه عام 1320 هـ نحو مائة طالب⁽³⁵²⁾.

— مدرسة المزار، اشتهرت هذه المدرسة المسكنية بالقراءات القرآنية، على يد الشيخ المقرئ سيدي عبد الله الرثرائي⁽³⁵³⁾ الذي أخذ القراءات في سوس⁽³⁵⁴⁾ وانتقل إلى جباله فكان يشارط شهورا حتى يجمع ما ينفقه ثم يتوجه إلى القراءة⁽³⁵⁵⁾ حتى أتم نهمته واستقر به المقام بمدرسة المزار وذلك من سنة 1300 هـ. ووجد فيها في حدود 1319 إلى 1323 هـ. وتخرجت على يديه أفواج من الطلبة القراء⁽³⁵⁶⁾.

— المدرسة التزيتية : آخر من كان فيها من الشيوخ الحاج محمد المقرئ السبعي أخذها عن عبد الله الرثرائي شيخ مدرسة المزار بمسكنية⁽³⁵⁷⁾ وقد حازت هذه المدرسة الشرف العلمي بعمارة الشيخ أحمد أبي الوقت لها وهو آخر من حمل العشر الكبرى والصغرى بسوس مطلقا وقد توفي في أسبوع انطلاق المسيرة الخضراء نحو الصحراء ويمتاز أيضا ببعض المشاركة في العلوم العربية والاسلامية⁽³⁵⁸⁾.

— مدرسة إمي لتين : اشتهرت في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري بالأستاذ مبارك الملكي الحمزاوي، أخذ عن عبد الله الرثرائي حتى تخرج، ثم تلقى المعارف على يد (أغبو) المتوفى (1332 هـ)⁽³⁵⁹⁾.

— مدرسة تزي الاثنين : اشتهرت في أواخر القرن الثالث عشر الهجري بالحاج محمد

(352) مدارس سوس العتيقة ص : 97.

(353) ترجمته في المعسول 14 : 132 / نعته المختار السوسي باستاذ الجيل في القراءات (ت. 1340 هـ تقريبا) سوس العالمة ص : 164 وذكر في المعسول لائحة بأسماء المتخرجين على يديه من القراء [14 : 132 وما بعدها].

(354) على يد السيد علي التاني بمدرسة (سيدي أبي السحاب) والسيد علي الخياطي في مدرسة (ايدوسكا) فطال عنده حتى توفي فرحل إلى جباله وعاد منها وتلقى على سيدي محمد الجنوبي الذي كان بحرا في الروايات حتى إن المترجم قال : كنا نظن انه لا نظير للخياطي حتى رأينا سيدي محمد الجنوبي، فإذا به بحر لا تكدره الدلاء، وذلك لأنه زاد إلى القراءات اتقان الفنون العلمية فانتسعت مجالاته، (المعسول 14 : 139) وهو احد اللذين قدما للعرض امام السلطان الحسن الأول وفاز بجائزة حفاظ السبع.

(355) ولذلك شاع بين الطلبة في القرن الرابع عشر الهجري قولهم : اقرأ لتشارط، وشارط لتقرأ.

(356) المعسول 14 : 132.

(357) مدارس سوس العتيقة ص : 95.

(358) الاستاذ الحسن وكاك منبهة الشيخ أبي عمرو الداني 2 : 289 (نسخة مرقونة).

(359) المرجع السابق ص : 115، وكان الأستاذ محمد اعبو مشارطا في المدرسة المحمدية بهشتوكة التي تعد بمثابة الأزهر السوسي.

المقرئ للروايات المتوفى أوائل القرن الرابع عشر الهجري⁽³⁶⁰⁾ وهو من أسرة تلازم إتقان القراءات زيادة على حرف ورش، من أهل «تاويرت» و«انو» «الصوابيين» فقد ملأ هذه المدرسة بالقراءات فتخرج به نحو مئات، ثم تبعه أحفاده في مدارس أخرى زيادة عن هذه⁽³⁶¹⁾.

— المدرسة الثالثة : ممن اشتهر بها الشيخ عمر المقرئ الشهير الذي كان فيها في بداية القرن الرابع عشر الهجري (1304 هـ)⁽³⁶²⁾.

— مدرسة تسيل وآسيف الايلانية : اشتهرت بالروايات حين شارط فيها الشيخ عبد الله خرباش⁽³⁶³⁾ الحمزاوي المشهور⁽³⁶⁴⁾ كما اشتهرت على يد هذا الشيخ أيضا مدرسة «النايزلة» وقد عَمَرَتْ بالطلبة على عهده ثم بقيت بعده في تداع⁽³⁶⁵⁾ وهو الذي عمر مدرسة الجامع الكبير بتارودانت بالقراءات⁽³⁶⁶⁾ وكان له نظام عجيب في علاقاته مع طلبته⁽³⁶⁷⁾ وأفرغ طاقة علمية لا يستهان بها إبان وجوده أستاذاً للقراءات بمدرسة الجامع الكبير بتارودانت⁽³⁶⁸⁾.

— المدرسة البعيرية : أسسها الشيخ الطاهر البعيري المقرئ الذي تلقى عنه فيها العديد من الطلبة في القرن الثالث عشر الهجري منهم سيدي الزوين الحوزي الشهير وبقيت المدرسة تحت إشراف أولاده تؤدي دورها زهاء قرن، وهي من مدارس رأس الوادي كما سبقت الإشارة⁽³⁶⁹⁾.

(360) مدارس سوس العتيقة ص 114.

(361) سوس العالمة ص : 164.

(362) مدارس سوس العتيقة ص : 116.

(363) ترجمته في المعسول 14 : 202 وما بعدها. أخذ القراءات عن محمد بن العربي الهواري (ت. 1345 هـ) تلميذ أحمد التجاري ومن عادة ابن العربي أن يفتح لمن حفظ من طلبته القراءات العلوم العربية (المعسول 18 : 116).

(364) مدارس سوس العتيقة ص : 118. ونجده محمد كوثر الرداني كان من الباحثين في الخزنة الحسنية بالرباط وهو محقق خلال جرولة ل محمد المختار السوسي.

(365) المرجع السابق ص : 132.

(366) كان الشيخ عبد الله خرباش آخر من درس فيها القراءات القرآنية ثم هدمت أخيراً وترك محلها مستراحاً لكن عوض عنها بمدرسة الحسن الثاني للقراءات السبع التي نامل لها الاعتناء والدعم.

(367) المعسول : 14 : 225.

(368) (المرجع السابق 14 : 202) من ذلك انه اشتغل بالقرآن وفنون قراءاته وانتسخ بيده معظمها وحفظها حفظاً متقناً، ومما يحكيه تلاميذه انه حفظ منظومة القيسي في التجويد في ليلة واحدة واصبح يناظر بها، وما تزال مخزائنه بتارودانت نسخة خطية للشاطبية كتبها في مجلد ضخيم... ومن رأى هذه النسخة عرف مقدار رسوخ الرجل في فنه كما نص عليه الأستاذ الوزير.

(369) مدارس سوس العتيقة ص : 132/ والأسرة البعيرية تنتسب إلى السباعيين (سوس العالمة ص : 152).

— المدرسة الاغبالية : ذكر الأستاذ محمد المختار السوسي — رحمة الله عليه — ان هذه المدرسة عرفت برفع راية القراءات منذ أجيال، ولم يكن أساتذتها يخلون من معاطاة الفنون أخذًا وتدريسًا، ومن مشاهيرهم محمد بن أحمد، وسيدي محمد بن الحسن نزيل الاختصاص⁽³⁷⁰⁾ وسيدي إبراهيم⁽³⁷¹⁾ نزيل مسفيوة المتوفى أخيرًا⁽³⁷²⁾.

هذه معظم المدارس السوسية التي عرفت بالقراءات القرآنية مع مطالع القرن الرابع عشر الهجري إلى منتصفه مع العلم أن هناك مدارس أخرى عرفت بالقراءات في فترات مثل «بونعمان»⁽³⁷³⁾ و «نزورالت»⁽³⁷⁴⁾ و «إكض»⁽³⁷⁵⁾ و «المولود»⁽³⁷⁶⁾ و «بومروان»⁽³⁷⁷⁾ و «بعض المدارس الصوابية»⁽³⁷⁸⁾، و «المدرسة البرحلية»⁽³⁷⁹⁾ وغيرها وهذا كله يعبر عن ازدهار فن القراءات بسوس وعن اعتناء المغاربة بالقرآن الكريم، لكن كما لا يخفى، فإن هذا الازدهار أعقبه أفول، وقد سجل المرحوم محمد المختار السوسي كلمته عن هذا الأفول حين قال : «وقد كانت القراءات السبع، بل العشر بل العشران مزدهرة بسوس دائما، ولها مدارس خاصة في (هشتوكة) و (رأس الوادي) و (بعمرانة) و (ماسة) وغيرها، ومضى أعلام كبار صَالِحُونَ من صفوف حملتها (...) وتبدلت الأحوال، وأفل نجم الاعتناء بغير حرف ورش ثم كنا نتعلل بأن في بقاء حرف ورش خيرا كثيرا، إلا أننا اليوم نشاهده أيضا يندثر بسرعة حتى إننا لنرى جيلا ينشأ بيننا يكاد يجهل كل شيء، فلئن بقي الحال هكذا — ونخاف أن يبقى كذلك — فإن سوس ستكون خاوية على عروشها فيطوى فيها القرآن طيا، لا قدر الله، وما يريح بعد خسران القرآن⁽³⁸⁰⁾؟!

هذا عن سوس، أما عن مناطق المغرب الأخرى فقد كان هناك أيضا اعتناء، لاحالة،

(370) هو المتوفى بمدرسة سيدي هو الحسن، سابق الذكر.

(371) سيدي إبراهيم الماسي الذي شارط بآيت اورير تحت عناية الباشا الكلاوي كإسبق الذكر.

(372) سوس العالمية ض : 164 / مدارس سوس العتيقة ص : 94.

(373) وذلك في القرن الثالث عشر إلى حدود 1279هـ.

(374) عرفت بالقراءات على عهد محمد بن إبراهيم أعجلي (ت. 1271هـ).

(375) اقرأ بها أيضا (أعجلي).

(376) اشتهرت بالقراءات على عهد ج علي أبي الوجوه (توفي نحو 1346هـ) مقرأ حافظ.

(377) من المدارس التي شارط فيها أبو الوجوه ودرس فيها القراءات.

(378) نشر فيها القراءات الشيخ المذكور.

(379) اشتهرت بذلك منذ عهد العالم المشارك الحسين الشوّشاوي المتوفى أوائل ق. 9هـ.

(380) المعسول 18 : 134 بتصرف قليل.

بالقراءات القرآنية وسأذكر ما أعرفه من ذلك؛ ففي منطقة «الحوز» لا يخفى أن الذي اشتهر فيها في مطالع القرن الرابع عشر الهجري هو سيدي الزوين الأودي الحوزي (ت. 1311 هـ) ⁽³⁸¹⁾ صاحب المدرسة الشهيرة الطائفة الصيت والتي تستقطب طلبة الاقراء من كل جهة ⁽³⁸²⁾ ومؤسس هذه المدرسة كما لا يخفى هو سيدي الزوين نفسه، الذي رصد لطلبها ريع ممتلكاته وفلاحته ⁽³⁸³⁾ وخلفه في التدريس بها ولده سيدي محمد (فتحا) ⁽³⁸⁴⁾ وتخرج منها قراء كبار اقتدوا بشيخهم في نشر الاقراء، ومازالت مدرسة سيدي الزوين الحوزي تؤدي رسالتها في تحفيظ القراءات وأحكام القراء إلى يومنا هذا، ويعلق عليها آمال كبيرة في القيام بهذا الواجب بسبب موت المدارس الأخرى، وهناك مدارس أخرى بآيت أورير، ⁽³⁸⁵⁾ والرحامنة والسراغنة ودمنات وغيرها...

وفي منطقة الشياظمة التي كانت تستفيد في القراءات القرآنية من عدة ينابيع منها فاس وسوس والصحراء، ومن الحوز، ومن عبدة، ودكالة، نجد فيها في القرن الثالث عشر الهجري الشيخ عبد الله السكياطي الرخراشي ⁽³⁸⁶⁾ (ت 1244 هـ) تلميذ سيدي محمد بن عبد السلام الفاسي ⁽³⁸⁷⁾ وأستاذ سيدي الزوين الحوزي، وفي مطالع الرابع عشر الهجري نجد من خلفه في الشهرة والاتقان والورع وهو سيدي عبد الله بن عبد الحفيظ التلمستي ⁽³⁸⁸⁾ صاحب مدرسة القراءات الشهيرة على ضفاف نهر تانسيفت، غير بعيد عن مصب الوادي، وقد كانت هذه المدرسة بمثابة معدن للقراء والحفظة إلى عهد قريب، ومازال من أهل تلك الزاوية من يحفظ السبع إلى اليوم... ⁽³⁸⁹⁾

(381) الاعلام للمراكشي 7 : 108.

(382) وصل عدد طلبتها في عهد مؤسسها سيدي الزوين الى خمسمائة طالب عدا (المرجع نفسه).

(383) وأكثر من ذلك حبس جميع ما يملك على المدرسة وأمضى له هذا الحبس السلطان مولاي الحسن الأول (المرجع السابق).

(384) توفي يوم الخميس 17 قعدة 1329 (الاعلام للمراكشي 7 : 109).

(385) هذه المدرسة اشتهرت بالمقرء الشيخ ابراهيم الماسي الذي أحيا العشرين بالحوز.

(386) سابق الذكر، ترجمته في الاعلام للمراكشي 8 : 333/ وفي آسفي إليه ص : 26 — 27.

(387) المتوفى 1214 هـ. السلوة 2 : 318، فهرس الفهارس 2 : 848.

(388) تلميذ سيدي الزوين الحوزي ينظر سنده في القراءات في فهرس الفهارس 2 : 849.

(389) أعرف حافظا سبعيا من هناك يدعى السيد عبد الحميد الدمسي انهي قراءة السبع في الستينات بسيدي الزوين وطلب العلم يدكالة في مدرسة اولاد ابن الشاوي قرب الزمامرة وهو الآن بأسفي يبذل جهدا مشكورا في دار القرآن تقبل الله أعماله.

ومدرسة الفقيه النفاعه سيدي البشير بن قدور⁽³⁹⁰⁾ المعروف بابن جدير الذي كان لا يتقن القراءات ولكن حل بمدرسته أحد النبغاء الصحراويين المعروف بابن العربي البوعيطاوي⁽³⁹¹⁾ الذي كان يحفظ العَشْرَيْن مع إتقان واعتداد بالنفس،⁽³⁹²⁾ ومكث في هذه المدرسة سنين عديدة ينشر علم القراءات، ولديه خزانة هامة من المخطوطات والمطبوعات استفاد منها طلبته في تلك الجهة اطلاعا واستنساخا⁽³⁹³⁾ وتخرج على يديه هناك قراء كبار اشتهروا بالحفظ والانتقان والمعرفة في العلم مثل الفقيه والمقرئ المحقق السيد سعيد بن أحمد الكعيدة الذي شارط في زاوية أقرمود ما يقرب من خمسين سنة⁽³⁹⁴⁾ وما زال من تلامذته صهره السيد عبد القادر بن الفقيه البصراوي الذي لازمه كثيرا⁽³⁹⁵⁾ ومثل المقرئ الحافظ السيد محمد بن إبراهيم القرمودي المعروف «بالسي زروال» حمزاوي متقن⁽³⁹⁶⁾ أستاذ السيد أحمد الكنتري الراجي شيخ مدرسة سيدي علي بن معاشو بحد الدري التي تدرس فيها القراءات السبع على يد هذا الشيخ إلى يومنا هذا وتخرج على يديه هو أيضا من يحفظ السبع..⁽³⁹⁷⁾ ومن يتقن

(390) توفي عام 1347هـ درس بمدرسة بوعنفر في الحوز وتخرج على يديه العديد من الفقهاء، وما زال أحد أولاده يزاول خطة العدالة بخميس تكايط بناحية السويرة اسمه السيد سعيد بن البشير بن قدور.

(391) نسبة إلى أولاد بوعيطه، أسرة صحراوية صنفها المختار السوسي من الاسر العلمية البعمرانية (سوس العالمة ص : 139).

(392) مازال أبناء الأسر الذين اخذ والدوهم عنه يحكون ذلك كما حكاه لهم آباؤهم... مثل أسرة «الكعيدة» بأقرمود التي نالت حظاً وافراً من خزانة هذا الرجل، ولكن ذلك أصابه التلاشي وأيادي الورثة وبقيت منه سورة اطلعت عليها وهي تعكس جهوداً في الرمزيات، وأحكام القراء والمنظومات المتداولة في القراءات، وكل ما رأيته ليس في حساب المفقود أو النادر.

(393) انتقل ابن العربي الصحراوي إلى السراغنة وترك كل ذلك لشيخه في العلم السيد البشير بن قدور وتلميذه السيد سعيد بن لكعيدة وقد كان ابن العربي عقد على ابنة استاذة لكنه لم يبن بها وعند موته بالسراغنة توجه تلميذه مع شيخه لاقسام ما ترك هناك..

(394) وهي متعطشة للعلم منذ أن تركها إلى رحمة الله عام (1377هـ — 1957).

(395) هذا الرجل مسن زرتة رفقة الوالد في صيف (1408هـ — 1988هـ) ببيته، ولما استوتينا في المجلس قلت له ماقاله الشاعر :

وإذا الشيخ قال أف فما مل الحياة وإنما الضعف مل

فرد علي على الفور : إن (أف) يقرأها (المكي) أف ويقرأها البصري عكسه بكسرة واحدة، وهذه في سياق الحديث حتى لا تمر ! ثم توفي رحمه الله عليه يوم الاثنين 03 جمادى 2 / 1418هـ / 97/10/06.

(396) توفي 1387هـ 1967 وحضرت جنازته رحمه الله عليه، وخلف خزانة لا بأس بها انتقل أهمها إلى تلميذه السيد أحمد الكنتري بالشراء حسب ما أفادينه أحد الورثة، ولكن الشيخ أحمد لم يقر لي بذلك.

(397) مثل المقرئ السيد عبد الله الدروي الذي مازال يزاول بنفس المدرسة ومقرئ مدرسة الحسن الثاني للقراءات السبع بتارودانت حالياً وغيرهما.

علم التجويد النظري والتطبيقي مثل الأستاذ عمر محسن الذي ساهم بجهود مشكورة في نشر علم التجويد بمدينة الدار البيضاء⁽³⁹⁸⁾.

وهناك مدرسة «تالاً» بآيموزوغار قرب عين الحجر واشتهرت بالمقرء بنشمسة وأشهر تلاميذه المتأخرين المقرء والفقيه ابن العرثان الكريمي حافظ للسبع المتوفى أخيراً⁽³⁹⁹⁾.

وفي الحامول و«بالكريمات» حالياً مازال الشيخ محمد بن إبراهيم الزغاري السباعي الأصل البصراوي يواصل رسالته في الإقراء مع تفرغ للمشاركة منذ سنة 1368 هـ، إلى يومنا هذا.

هذا عن أشهر مدارس القراءات بمنطقة الشياظمة في القرن الرابع عشر الهجري إلى اليوم أما في منطقة «عبدة»، فقد اشتهرت مدرسة البوسونية قرب ثلاثاء بوكذرة، وكانت محج طلبة القراءات من كل جهة⁽⁴⁰⁰⁾ واشتهرت بلاد أحمر بالقراءات القرآنية ولا أدل على ذلك من وجود زاوية سيدي التهامي الاويري⁽⁴⁰¹⁾ شيخ سيدي الزوين الحوزي، ومدرسة الفقيه المعاجري قرب سبت جزولة التي أخذ بها شيخ القراءات بسيدي الزوين حالياً السيد علّال ابن إسماعيل العبدى المويسي الكّادي، كما أخذ أيضاً على المقرء سيدي أبانا شيخ القراءات ببلاد عبدة وعلى سيدي سعيد الجرّموني⁽⁴⁰²⁾ شيخ مدرسة سيدي للزوين سابقاً. وذكر الأستاذ علّال الفاسي، أن السلطان سيدي محمد بن عبد الله وصل في بعض أسفاره التفقدية إلى بلاد أحمر من منطقة آسفي وخرج ذات ليلة متنكراً لتفقد الأحوال فرأى جماعات من القراء يرتلون القرآن ورأى فقيها مشرفاً على تلك الجماعات ومربياً لها، ومفسراً لبعض الآيات فسرّه ذلك كثيراً، وفي الغد جاء القواد والأعيان لاستقباله، وقدم له القراء وكان من بينهم

(398) أخذت عنه علم التجويد النظري والتطبيقي بالمعهد الديني بمسجد ج علي قرب القرية سنة 1392 — 1393 بالدار البيضاء كما درسه بمدرسة الفلاح بالدرب الكبير والمسجد البوسفي بالحبس وهو الآن إمام مسجد الأمير عبد الله السعودي بعين الذئاب بالبيضاء.

(399) الفقيه المقرء السيد عبد الرحمن بن أحمد المعروف بابن العركان (ت. 1406 هـ — 1986 م) كان ماهراً في قراءة حمزة ولكنه لم يقرئها أحداً في حين أنه أقرأ القرآن برواية ورش للكثير، وكذلك علوم اللغة العربية والفقه، وكان واسع الحفظ للأدبيات، أخذ العلم بمدرسة (تيعزات) على الفقيه سيدي القرني وتزوج ابنته. رأيته مرة وهو في أوج صحته بمدرسة سيدي عيسى بالنعيرات في ربيع 1969 وأنا أحقق رسم القرآن هناك.

(400) كان يرحل إليها بعض طلبة الشياظمة من أجل إتقان القراءات مثل الفقيه المقرء «السّي زروال» السابق الذكر والسيد مبارك بوذينة الخبازي القرمودي الذي توفي عازباً مع إتقان للقراءات السبع معترف له به من قبل أقرانه.

(401) نسبة إلى الاويرات قرب الشماعية، تقدمت الاحالة على ترجمته.

(402) أخذ سيدي سعيد الجرّموني العشرين عن المقرء الشيخ ابراهيم الماسي السوسي الذي كان مشارطاً بمسبوة بمدرسة آيت أورير.

ذلك الفقيه الذي رآه، فأمر بتنحية القائد، وعين ذلك الفقيه مكانه وقال للناس : إن أهل القرآن والمعرفة أولى بالولاية من غيرهم، ثم قرر أن يرسل أولاده ومن يرافقهم عادة من أبناء المحاسيب وأعيان الجيش والمخزن، للإقامة هناك سنوات لحفظ القرآن وتجويده، ودراسة العلوم الإسلامية، واستمر الأمر على ذلك زمن مولاي سليمان ومولاي عبد الرحمان، وسيدي محمد ابن عبد الرحمان، وفي هذه القبيلة درس كل من السلطان مولاي الحسن الأول، ومولاي عبد العزيز، ومولاي عبد الحفيظ... (اهتمام الأسرة العلوية بحفظ القرآن للأستاذ علال الفاسي، دعوة الحق ع. 4 س 11 فبراير 1968 ص (20 — 23)).

واشتهرت في دكالة مدارس للقراءات مثل مدرسة مولاي الطاهر القاسمي⁽⁴⁰³⁾ «التي قامت بواجب عظيم في بابها»⁽⁴⁰⁴⁾ ومدرسة زاوية التونسي، وزاوية الغالي ومدرسة الحاج بوعزة، ومدرسة محمد الحيمر، ومدرسة المعطي الجراي بأولاد عمران⁽⁴⁰⁵⁾.

ويذكر الأستاذ عبد الله الجراي أن هذه المدارس كان جلها يؤدي رسالتين مزدوجتين، رسالة القراءات وآدائها، ورسالة العلم ومبادئه،⁽⁴⁰⁶⁾ وإذا كانت مدارس القراءات بدكالة قد جادت لنا بمثل الشيخ أبي شعيب الدكالي⁽⁴⁰⁷⁾ فحسبها ذلك، فقد قدّم بين يدي السلطان الحسن الأول⁽⁴⁰⁸⁾ واستظهر سورة «الرحمان» بالروايات والشيخ خليل، مع صغر سن وجرأة فريدة حتى قال لهم السلطان — رحمة الله عليه — لما أراد مكافأته وتشجيعه : «يضاعف لأبي شعيب لصغر سنه وكبر فنه...»⁽⁴⁰⁹⁾ وبهذه المنحة السلطانية استطاع أن يلتحق بالقاهرة ويدرس ما لم يجده ببلده.

وفي العدوتين اشتهر السيد الهاشمي الضرير بالقراءات وتدريسها، وعنه أخذ العديد من القراء مثل أبي إسحاق التادلي الذي بادله الفقه بالقراءات، ومثل المقرئ الفذ محمد متجنوش الذي كان يقرأ القراءات بالإنفراد لا بالجمع والإزداف مع إتقان فريد لعلم التجويد⁽⁴¹⁰⁾ وقد أتقن

(403) ترجمته في آسفي وما إليه قديما وحديثا «للعلمة الفقيه الكانوني ص : 18).

(404) نفس المرجع والصفحة.

(405) متعة المقرئين للأستاذ عبد الله الجراي ص : 93.

(406) نفس المرجع والصفحة.

(407) توفي : (1356هـ — 1937م) من اعلام الفكر المعاصر 2 : 296).

(408) كان ذلك من اجل امتحان عام دعا إليه السلطان مولاي الحسن الأول لأجل الاختبار فحضر كغيره لمراكش واختبر الجميع فوجد الشيخ ابو شعيب احفظهم.

(409) المحدث الحافظ أبو شعيب الدكالي للأستاذ عبد الله الجراي ص 17 — 18.

(410) تقدم التعريف به في هذا الفصل.

القراءات على يديه أخوه السيد محمد المهدي متجنوش⁽⁴¹¹⁾ الذي اتخذ فيما بعد كتاباً قرآناً لتعليم القراءات بالروايات السبع⁽⁴¹²⁾ ومن حفظ عنه القرآن بالسبع السيد محمد بن المكي بريش الرباطي عن كِبَر⁽⁴¹³⁾ ولا ننسى دروس الشيخ أبي شعيب الدكالي في الشاطبية التي كان يتقن تحليلها وتفهمها... وتلقاها عنه العديد من أبناء العدوتين⁽⁴¹⁴⁾

وفي مكناس، وهي المدينة التي اشتهرت بقراء كبار ومازال فيها بقية خير من ذلك مثل الشيخ المقرئ الحافظ المحقق سيدي إبراهيم الهلالي⁽⁴¹⁵⁾ ثم أحيي فيها كرسي للقراءات ضمن سلسلة الكراسي العلمية التي أحدثت مؤخرًا،⁽⁴¹⁶⁾ وفي هذا دليل وإشارة إلى تاريخ هذه المدينة في الاهتمام بفن القراءات القرآنية، فبالأمس كان الشيخ الفقيه محمد بن فضول السقاط — رحمه الله عليه —⁽⁴¹⁷⁾ معتكفا بمدرسته بسيدي عبد الواحد الأشقر بشارع القبايين بمكناس يدرس القرآن ويدارسه بالروايات لطلبته» كل طالب ورغبته فيما يريد من القراءات جمعاً أو أفراداً، زيادة على تلقينه القرآن العظيم لِلنَّشْءِ كسلفه⁽⁴¹⁸⁾ وظل على تلك الحال حتى وُري جثمانه التراب في تلك المدرسة⁽⁴¹⁹⁾ «وكان رحمه الله يعد شيخ الجماعة في القراءات»⁽⁴²⁰⁾ بعد شيخه السيد العربي بنشمسي⁽⁴²¹⁾ هذا فضلاً عن جهود مقرئين آخرين

(411) تقدمت ترجمته وتآليفه في القراءات والتجويد.

(412) «العلامة الرياضي محمد المهدي متجنوش» للاستاذ عبد الله الجراري ص : 14 وما بعدها/ وقد كان أيضاً للسيد عبد السلام كليطو الرباطي كُتَاب يدرّب الحوت بالرباط، وهو حمزاوي اخذ عنه محمد بن عبد السلام السّائِح (من أعلام الفكر المعاصر 2 : 451) وكذلك السيد محمد بن عبد الله بُرَيْطَل السّلوِي (المرجع نفسه 2 : 421).

(413) توفي (1373هـ — 1953م) أجازته شيخه متجنوش وأجاز هو الأستاذ عبد الله الجراري الذي أخذ عنه حرف المكي. (من أعلام الفكر المعاصر 2 : 463/ «العلامة الرياضي... ص : 24).

(414) المحدث الحافظ.. ص : 97، 98.

(415) يراجع ما ذكره في كتابه «التيان..» من معلومات هامة عن قُرَاء مدينة مكناس وعلمائها ص : 149 وما بعدها.

(416) «إحياء الكراسي العلمية بالعاصمة الاسماعيلية» دَعْوَةُ الحق ع : 259 محرم — صفر 1407/ شتبر — اكتوبر 1986 ص : 135.

(417) ترجمته في «التيان» للاستاذ ابراهيم الهلالي ص : 149 — 150.

(418) المرجع نفسه ص : 150.

(419) توفي يوم السبت بعد صلاة العصر 29 ربيع الثاني 1361هـ، ابريل 1941، (نفس المرجع والصفحة).

(420) نفس المرجع والصفحة.

(421) توفي 12 قعدة الحرام 1322هـ شيخ جماعة القُرَاء الاساتذة ببلدة مكناسة الزيتون [اتحاف اعلام الناس... 5 : 444 وما بعدها].

بنفس المدينة اما بالتدريس أو بالافادة(422) أو قراءة الحزب الراتب بالسبع(423).

وقد كانت مدارس أخرى مشتهرة بالقراءات مثل مدرسة مدينة زرهون إزاء ضريح المولى إدريس الأكبر لتكوين القراء السبع يقصدها طلاب القرآن الكريم من سائر نواحي المغرب كما كانت لها فروع عدة في مدن المغرب وقراه(424) وفي فاس العاصمة العلمية لا يخفى ما كانت تضمه من شيوخ القراءات الذين يجمعون بين الاقراء والعلم والورع، وطبعوا بذلك أجيالا من تلاميذهم(425) ومثل ذلك يقال عن تطوان وطنجة التي أسست بإقليمها مدرسة دار ازهيرو وتازة، والقصر الكبير وشفشاون، والريف وقراه، وماجاور ذلك من جبال(426) فكل هذه المناطق وغيرها كانت تطفح بالمدارس والشيوخ والطلبة مع عناية وإبداع خاص يميز المنطقة في الضبط والتحقيق..(427) كل هذا كان لأهل القرن السابق ولا بد ان يكون لأهل القرن اللاحق المزيد.

(2) الشيوخ :

في حقيقة الأمر المقرئون لايسمون بالشيوخ فحسب، فهم شيوخ بالنسبة لمن يأخذ عنهم ويرجع إليهم، ولكنهم أساتيد كما يوصفون في الكتب التي تترجم لهم وهي الكلمة الدالة على مهارة المثقف بالقرآن ودراسة علومه وقراءاته وتوجيهاتها(428).

ومن صفات أساتذة القراءة أن يطرد فيهم الفضل والصلاح، وعندما يقول مؤلف تراجم عن أستاذ إنه مقصود في القراءات السبع وانه كان صالحا ورعا زاهدا فإن هذه الصفات تتلازم بشكل متشابه في غالب الأحيان حيثما كان الحديث عن أي زميل له،(429) وهذا التجانس بين الفئات كان عنصرا واضحا في المجتمعات ما قبل طغيان التمدن الحالي الذي أعطى

(422) يراجع هامش فيه إحالات على (اتحاف اعلام الناس «لابن زيدان من النقطة (أولا) بالحروف من هذا الفصل.

(423) التبيان ص : 85 و 149.

(424) متعة المقرئين ص : 91.

(425) الفكر السامي : 2 / 305 / 4 : 38 / مختصر العروة الوثقى له صفحات 6، 7، 8، 11.

(426) متعة المقرئين ص : 91.

(427) مثل اختراع «الحط» بقبائل جباله (سعيد اعراب : المدرسة القرآنية بالصحراء المغربية : دعوة الحق ع 6 س 17 مارس 1976 / الميثاق ع : 163 السنة 10.

(428) من اعلام الفكر المعاصر 2 : 305.

(429) التيارات السياسية والفكرية بالمغرب خلال قرنين ونصف قبل الحماية للاستاذ ابراهيم حركات ص : 25.

مفهوما فضفاضاً للحرية⁽⁴³⁰⁾ ذوب العديد من المقومات الشخصية التي تتمازج فيها عناصر المعرفة والاعتقاد والسلوك والسمت وما إلى ذلك.

ومن المعلوم أن دور الأستاذ في مدرسة الإقراء ليس دائماً تعليمياً صرفاً ينحصر فقط في شحن أذهان الطلاب بالمكتوب لهم أو الملقن، وإنما يتعدى ذلك إلى التأثير في طلبته بسلوكه وأخلاقه وسمته وإيثاره، فهو قدوتهم في الحال والمآل، ولذلك يحرص العديد من الأساتذة على طلبتهم الذين يتوسمون فيهم بواذر الخير ويحثونهم بأن يتحلوا بالآداب والأخلاق العالية وخوف الله والمحافظة على الشعائر في أوقاتها⁽⁴³¹⁾ والتعود على ضبط أمورهم وتصرفاتهم، كل ذلك من أجل تهيئتهم لأداء رسالتهم ولتيسير سبل الاندماج في المجتمع عليهم، وحتى بعد التخرج تبقى علاقة النصح والتوجيه مستمرة بين الأستاذ وطلابه، والتزاور بانتظام، وتبادل العلم والكتب وما إلى ذلك، وهذا كله يفسر التأثير الروحي المتبادل بين الأستاذ المقري وطلابه، وهذا أحد العلماء⁽⁴³²⁾ يصف شيخه المقري السيد محمد بن الفقيه الورياعلي الشهير⁽⁴³³⁾ قائلاً : «الأستاذ ذو مناقب جمة، ومقام عظيم يكفي أن أقول في بعض ما رأيت منها، أني أقسم بالله، لقد جلست بين يديه سنين ملازماً له في الجمل من الغلس إلى المساء إلا الأوقات الضرورية ما رأيته إلا في عبادة وطاعة، ولقد أحسن إلي تعليمًا وتهذيبًا، وعلمني كثيرًا من ضروريات العبادة وألقح فكري بالتفكير، وعرفني عملاً وتخلقًا...».

أما الفقيه المنوزي السوسي⁽⁴³⁴⁾ فيقول عن شيخه في القراءات السيد محمد بن أحمد المشهور بابن السلطان البوزيدي الاسكاوري (ت 1323 هـ)⁽⁴³⁵⁾ : «فعليه تأديت وتخرجت ومنه اقتبست أفكاراً شتى وأخلاقاً دمثة لكونه جال في الدنيا لاسيما الغرب فأخذ عن قرائه، وله خبرة تامة بالقراءات، وعلوم الرسم والخط والتجويد، وقد قرأت عليه قراءة نافع مع رسومها وحدودها وتجويدها وإتقانها إتقاناً كلياً إلى النهاية من حذف وإثبات، وإمالة

(430) ينظر كلام نفيس للشيخ أحمد بن خالد الناصري في كتابه (الاستقصاء 9 : 114 — 115) عن تشويه الغرب لمفهوم الحرية.

(431) تختلف أساليب علاج تهاون الطلبة في أداء واجبات الصلاة من أستاذ لآخر، ويكون التقييم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة وأحياناً يوكل تتبع ذلك إلى الطلبة فيما بينهم، وعند الاختلاف يحتكمون إلى الأستاذ.

(432) الفقيه محمد بن الحسن الحجوي في كتابه الفكر السامي 4 : 381.

(433) اخذ عنه العديد من أعيان فاس وإعلامها (نفس المرجع والجزء والصفحة).

(434) ترجمته في المعسول (3 : 248)، افاد منه كثيراً صاحب المعسول وكتبه من مصادره، وقد ألف المنوزي عن المدارس.

(435) نفس المرجع والجزء والصفحة.

بنوعها،⁽⁴³⁶⁾ وتفخيم وترقيق، وغنة⁽⁴³⁷⁾ ورزوم، وإشمام⁽⁴³⁸⁾ بحسب معرفتها الوقتية، وإدغام بِنَوَعِيَّه،⁽⁴³⁹⁾ وكيفية مخارج الحروف وأنواعها وضوابطها نظما ونثرا وقرأت عليه قراءة قانون⁽⁴⁴⁰⁾ ختمة واحدة مفردة، ثم قراءة عبد الله بن كثير⁽⁴⁴¹⁾ كذلك مع نصوصها واختيارها، وحفظت عليه غالب المتون العلمية مثل ابن عاشر⁽⁴⁴²⁾ والجرومية،⁽⁴⁴³⁾ ومنظومة الزواوي⁽⁴⁴⁴⁾ ولامية الأفعال،⁽⁴⁴⁵⁾ ولامية الجراي⁽⁴⁴⁶⁾ ولامية الزقاق⁽⁴⁴⁷⁾، وتحفة الحكام لابن عاصم⁽⁴⁴⁸⁾ وأكثر القصائد الأدبية..»

فكلا النصين يشير إلى عنصر التربية إلى جانب عنصر المعرفة ويشير في نفس الوقت إلى أن المتحدث مفعم بالتقدير والاعجاب لشيخه وأستاذه ويصوره تصويرا يليق بمقامه عنده، سلوكا عاليا بالدرجة الأولى، ثم معرفة دقيقة ومتقنة لا تقتصر على معرفة فن واحد، فالأستاذ قد يجمع بين علم القراءات وعلوم اللغة العربية والفقه، إذ قلما كان يبرز عالم دون أن لا يكون له إلمام بالقراءات أو مقرئ شهير دون ألا يكون له اطلاع في الفقه ومعرفة باللغة العربية، كل هذا في إطار التكامل المعرفي بين ما هو سائد في المجتمعات من العلوم، وحينما يتأكد الأستاذ المقرئ من حفظ طلبته للقراءات يفتح معهم دراسة العلوم الأخرى⁽⁴⁴⁹⁾.

3) الطلبة :

وتسميتهم بالطلبة يصدق عليهم لاعتبارات عدة، فهم يتطلبون معرفة فن عال هو فن

(436) صغرى وكبرى.

(437) صوت يخرج من الخيشوم.

(438) تقدمت الإشارة إلى الروم والاشمام في أبيات.

(439) صغير وكبير.

(440) أحد رواة نافع : تقدمت ترجمته.

(441) المعروف في المغرب بالملكي، تقدم التعريف به.

(442) نظم في العقيدة وفقه العبادات والتصوف.

(443) متن في النحو بالنسبة للمبتدئين لابن أجروم شرح، ونظم، وأغربت كلماته، وكتب له القبول.

(444) في الجمل ومعاني الحروف وهي عبارة عن كتاب «قواعد الإعراب» لابن هشام الانصاري منظوما.

(445) في الصرف لابن مالك صاحب الالفية في النحو.

(446) السلاوي في الجمل بالنسبة للمبتدئين. تلي الآجرومية في التلقين وتسبق نظم الزواوي.

(447) في الفقه المالكي.

(448) في الفقه المالكي شرحها التسولي شرحا موسعا، وهو المعتمد كثيرا بين أهل العلم والقضاء بالمغرب «تشتمل على فقه المعاملات فقط.

(449) ينظر مثال عن ذلك في المعسول 116/18.

القراءات القرآنية، ويجوبون من أجله الآفاق طمعا في تحصيله وتحقيقه وإتقان توجيهاته، وطلبة القراءات القرآنية بالمغرب هم ممن اتقنوا رواية ورش عن نافع إتقاناً ليس بعده من مزيد، ومنهم من يقرئ بهذه الرواية فترة من الزمن ليستعين بما يحصل عليه على افتتاح علم القراءات⁽⁴⁵⁰⁾ ويكون ذلك الاقراء له زيادة في التمكن.

أما بواعث الطلبة على التعاطي لفن القراءات فقد تقدم الحديث عنها⁽⁴⁵¹⁾ ويأتي عنصر التنافس والغيرة في صفوف الطلبة في المقدمة، فقد يحدث للطلاب من الأحداث ما يهز مشاعره في موقف من المواقف، ويجعله يستشعر بالنقص أو الضعف أمام غيره من الحفظة، فيهتز بسبب ذلك، ويسيح في الأرض طلباً للمعرفة والتحصيل.

فهذا الأستاذ أحمد النجاري البعمرائي⁽⁴⁵²⁾ الآنف الذكر يرمي بلّوح في مسجد قريتهم⁽⁴⁵³⁾ ويلتحق بشمال المغرب دون أن يعرج على أسرته ليخبرهم بما حدث له وأين هو متجه؟ فقد حفظ القرآن بالمسجد المذكور، وانتقل إلى مدرسة بونعمان⁽⁴⁵⁴⁾ وأتقن حرف المكي، وجاء ليزور والديه فدخل إلى مسجد قريته الذي تعلم فيه أولاً، وعند أستاذه الذي أقرأه القرآن برواية ورش ووجده يصحح الألواح القرآنية فأعطاه الأستاذ لوحاً ليصححه ويعينه فيما هو مشغول به، وبعد هنية سأل الأستاذ تلميذه قائلاً: أي كلمة وصلت بها أيها النجاري بالقلم؟ فقال له أبو العباس النجاري: كلمة «برازقين» في قوله تعالى ﴿وَمَنْ لَّسَمَ لَهُ بَرَاذِقِينَ﴾⁽⁴⁵⁵⁾ فقال له الأستاذ هل راء كلمة «برازقين» مفخمة أو مرققة في قواعد الأداء والتلاوة؟ فلم يستحضر النجاري الجواب، واحتار ووضع اللوح في الحين بجانب الأستاذ، وخرج ولم يودع أحداً وآلى على نفسه أن لا يرجع إلى بلده حتى يتقن السبع والعشر. وفي طريقه بأحد الجبال تعرض له ثعبان وقت الهاجرة ولم يكن من النجاري إلا أن ضربه بحافة نعله فمزقه قائلاً:

إن سُمَّ كلمة «برازقين» أقتل من سمك، ومع تلك الحيرة والغيرة مزق الطالب الثعبان كل

(450) المعسول 14 : 132 وما بعدها.

(451) «دواعي اهتمام المغاربة بالقراءات» النقطة الأولى من هذا الفصل.

(452) شيخ الإقراء بمدرسة سيدي وكاك بأكلو، خلف قراء عديدين عاشوا في القرن الرابع عشر الهجري..

ترجمته في المعسول 18 : 123.

(453) يَبْرُزْنَ بآيت بعمران.

(454) تقدمت الإشارة إليها.

(455) سورة الحجر، الآية : 20.

ممزق، وسار ولم يرجع إلا بعد أن أتقن السبع والعشر وقرأ في جباله بمصطلح وعدد جباله في القراءات(456).

وقرأ أحدهم يحفظ رواية ورش وحدها الحزب في جماعة بمسجد مع شيخ سبيعي، وقد حصلت للأول هفوات في القراءة أمام الشيخ السبيعي ولما انتهوا من قراءة الحزب سأله الشيخ وقد عرف أنه من منطقة يكثر فيها شجر التين هل نضج التين عندكم أم لا ؟ ففهم الطالب الحافظ لرواية ورش فقط أن كلام الشيخ مدخول، وأن فيه دلالة على أنه لا يتقن حفظ القرآن وإنما يتقن أكل التين الذي تعود أن يأكله في بلده ومسقط رأسه، فأسرها الشاب الطالب في نفسه ولم يتنفس الصعداء إلا بعد أن قطع المسافات من بلاد الشياظمة إلى مدرسة البوسونية ببلاد حمير، ولم يرجع منها لبلده حتى أتقن السبع إتقاناً شَهِدَ لَهُ به(457) !

ولا ينحصر الخدش في الحفظ في مستوى الورشيين، فهو بين السبعين أيضاً، فقد شارط أحد الأغنياء مقرئاً سبيعاً من أجل تعليم ولده وتحفيظه القرآن فنقول الآخرون بدافع التنافس والغيرة في حفظه للسبع، وقالوا انه لا يحفظ السبع، وبلغ ذلك إلى علم المقرئ السبيعي، وكان قد نوى مغادرة المكان بانهاء التعاقد فألى على نفسه الا يغادر صاحبه حتى يقرئ ولده حرف حمزة ويصبح بارعاً فيه على مرأى ومسمع من الآخرين، وقد أبره الله تعالى، وتلميذه السبيعي مازال حياً يرزق!(458).

وهكذا كانت الهمم عند ذوي النفوس الحية يتفاعلون مع واقعهم، ويعتنون بتحصيل العلوم والفنون لايهمهم ما يصيبهم من أجل ذلك مرددين قول القائل :

نفسي تنازعني فقلت لها اصبري موت يريحك أو صعود المنبر

هذه نماذج حكايات ذات أبعاد ومرام تحكي عن طلاب العلم والمعرفة، وتصور نوعاً من البواعث التي تدعوهم إلى المغامرة والصبر والجلد من أجل الحصول على مبتغاهم من المعرفة

(456) انتهى مما كتبه لي حفيده بتصرف.

(457) ذاك هو المقرئ السيد مبارك بوذينة الحبازي القرمودي توفي عازباً في النصف الأول من ق 14هـ.

(458) الشيخ السبيعي هو السيد محمد بن ابراهيم القرمودي المعروف «بالسيد زروال» الآنف الذكر، كان متمكناً في القراءات ومعرفة أحكام القراءة درس بحاحة وعند ابن العربي الصحراوي البوعيطاوي وفي البوسنة بحمير رفقة المقرئ السيد مبارك بوذينة المذكور، وهو ابن خالة الفقيه والمقرئ السبيعي السيد سعيد بن احمد الكعيدة شيخ زاوية أفرمود في الفقه والقراءات (ت. 1957م).

وتلميذ «السيد زروال» المذكور هو السيد احمد بن عبد الرحمن الكنتري أحد ائمة مساجد السويرة حالياً وشيخ مدرسة سيدي علي بن معاشو بخد الدري، يتوفر على خزانة هامة في القراءات لا يخل بها جزاء الله خيراً.

والعلم وفرض الذات، وفيها أكثر من دلالة على اهتمام المغاربة بالثقافة القرآنية والتفاني فيها، وتخصيص نفيس الأعمار والأوقات لها، فقد يقضي الطالب السنوات من أجل تحقيق الرسم أو القراءات دون أن يشعر بأي غضاضة بل يجد في ذلك لذة ومتعة، ولكن أين ذهب كل هذا الاعتناء والاهتمام، ولماذا اختفى، وكيف اختفى وما الشكل الذي أخذه أو سيأخذه؟ إن هذا الاعتناء وهذا الاهتمام قلّ وضعف حتى لم يعد يذكر بسبب إعراض الناس والطلبة عن هذا الفن، فَبَعْدَ أن كان معتنى به اعتناء كثيراً، وكان غالب العلماء ملمين به أو مُتَقِنِينَ لَهُ «تناقص حتى كان في جهة، وأرباب العلم والفهم في جهة أخرى فتحسب مئات من العلماء قلما تجد منهم من يتقنه، كما تحسب عشرات من مُتَقِنِيهِ، ثم لا تراهم إلا من حفظة القرآن فقط بلا علم ولا فهم، وهذا هو السبب حتى تناقصت أهميته شيئاً فشيئاً بعدما كان في الأوج، أما اليوم فقد دخل هذا الفن في خبر كان، ولم يبق من أربابه الا الأقلون» (459).

وأما التأليف فيه كما يتضح مما تقدم في هذا الفصل، فانه تأليف لا يمكن فصله عن طابع المرحلة التي كانت تعرفها باقي العلوم الاسلامية واللغوية الاخرى من طغيان الشروح والحواشي وحواشي الحواشي والأراجيز...، مما أدى إلى موجة من الجمود كانت قد خيمت على التأليف والتدريس وأدت إلى استغلاق العلوم، ولم يعد الطالب يحصل على مبتغاه إلا بعد جهد جهيد لتعقد مناهج التأليف والتدريس والسير على نمط واحد خلال قرون دون التفكير في عنصر التغيير والتبديل، مما تطلب موت تلك المرحلة واعادة النظر في مناهج التأليف والتدريس، وهي المرحلة التي قد يعرفها علم القراءات كغيره من العلوم والفنون في ضوء البحث العلمي الجامعي الحديث وكذا جهود المتطوعين من اهل العلم والبر لاستدراك مآفات بإذن الله تعالى.

الفصل الثالث

علوم القرآن

تمهيد :

من عناية المغاربة بالقرآن الكريم عنايتهم بعلوم القرآن التي هي أدوات مساعدة وأساسية لفهم كتاب الله تعالى على الوجه الصحيح، وقد يلاحظ أنني أفردت علم القراءات القرآنية في الفصل الثاني من هذا الباب عن باقي علوم القرآن، مع العلم أن مصطلح علوم القرآن يشمل علم القراءات أيضا لكن تناولي لها في فصل مستقل يعود إلى ما تختص به القراءات القرآنية من العناية الزائدة لدى المغاربة على اعتبار أنها ليست علما كباقي علوم القرآن فحسب، وإنما هي فوق ذلك، قرآن كريم أيضا.

1 — تعريف بعلوم القرآن :

وأقصد بعلوم القرآن في هذا الفصل تلك العلوم التي تستند إلى القرآن الكريم، وتسهل فهمه على الوجه الصحيح⁽¹⁾، والتي أصبحت فيما بعد مختصرة في شكل مباحث يضمها مؤلف واحد، علما بأن هذه العلوم يقوم كل منها مستقلا عن الآخر متميزا عنه ؛ ونظرا لأهمية هذه العلوم وتشعبها خصت في بداية عصور التدوين بالتأليف في كل علم منها على حدة، وذلك قبل أن يظهر مصطلح «علوم القرآن» الذي تدرج تحته هذه العلوم اليوم، والذي يضم خلاصاتها وأهم ما ورد فيها⁽²⁾.

2 — تقسيمها :

ويمكن تقسيم هذه العلوم حسب محتوياتها إلى قسمين :

أ — علوم تتحدث عن تاريخ القرآن، وذلك من حيث نزوله، وأسباب نزوله، والمكي والمدني منه، والناسخ والمنسوخ منه، وتدوينه، وحفاظه، وقراءاته.. وما وقع في رسمه وترتيب سورته وآياته..

(1) د. فاروق حمادة : مدخل إلى علوم القرآن والتفسير ص : 5.

(2) مناهل العرفان.. 1 : 20.

ب — علوم أخرى مساعدة على فهم القرآن، ومنها علوم اللغة العربية، وعلم الغريب والمغرب والمجاز، والترادف والمشتراك والاعجاز القرآني، والمحكم والمتشابه.. وغيرها⁽³⁾.

وكما لا يخفى فإن علوم القرآن، وما يرتبط بها من علوم مساعدة على فهم النص القرآني كعلم أصول الفقه ضرورية للمفسر، وعليه الامام بها وبالسنة النبوية قبل التصدي لتفسير القرآن الكريم.

ولذلك قال الحارث بن أسد المحاسبي المتوفى سنة 243هـ — رحمه الله عليه — في كتابه (فهم القرآن)⁽⁴⁾ «ما الذي ينبغي أن أعرفه قبل طلب الفهم لكتاب الله عز وجل لئلا أغفل. فأعتقد ما لا يرضي الله جل ثناؤه من المعاني أو أنفي ما يرضيه من المعاني فأخطر عليه فأبتدء بدعة أو أوجب فرضاً، وقد أسقط بالنسخ بعد وجوبه، أو يشبهه علي تلاوته فيجد العدو موضع تزين للشك فيما اشتبه علي...؟! قال :.... أن تعلم أن القرآن منه ناسخ ومنسوخ ومحكم ومتشابه فمنه متشابه في التلاوة من غير أن ينسخ بعضه بعضاً، ومنه متشابه لاختلاف أوقاته في الواجب وفي الكائن مما أخبر الله أنه كائن، ومنه متشابه والمعاني مختلفة، ومنه مقدم ومؤخر، ومنه خاص وعام، ومنه موصول ومفصول، ومنه مقدم ومؤخر، ومنه خاص وعام، ومنه موصول ومفصول، ومنه غريب اللغة، ومنه ما لا يعرف معناه إلا بالسنة أو بالاجماع ومنه ما لا يعرف معناه إلا بعد تلاوة ما يأتي في سوره.. وغير ذلك..»⁽⁵⁾.

ومن خلال ما أودعه المحاسبي في هذا الكتاب، وفي مقدمته على الخصوص يمكن استشفاف ما يقصد بعلوم القرآن بمعناها الاصطلاحي، ودورها في ضبط فهم القرآن فهما علمياً لا يستند إلى الرأي الفطير واتباع الهوى مثل الذي وقع للعديد من المعاصرين الذين ادعوا الاجتهاد في القرآن والاسلام بدون مراعاة الضوابط الموضوعية لذلك.

3 — تدرج التأليف فيها عبر العصور إلى العصر الراهن :

إننا نجد أن كبار المفسرين درجوا على وضع مقدمات تمهيدية في علوم القرآن مع إبداء آرائهم وتحقيقاتهم في هذه المباحث⁽⁶⁾، وقد تطول فتفرد بمؤلف خاص على هيئة مقدمة

(3) ينظر «مدخل الى علوم القرآن والتفسير» للدكتور فاروق حمادة ص : 6.

(4) طبعه حسين قوتلي مع كتاب العقل لنفس المؤلف..

(5) ص : 325 من المصدر نفسه، نقلاً عن «مدخل الى علوم القرآن والتفسير» للدكتور فاروق ص

10 — 11.

(6) ينظر على سبيل المثال المقدمات العشر التي صدر بها الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور تفسيره «التنوير والتنوير».

وكل ذلك يقصد منه التهيؤ العلمي لخوض غمار تفسير كتاب الله الذي يتهيب منه العلماء الورعون، وفيه أيضا برهان على مصداقية تفاسيرهم واستنادها في الفهم على أسس علمية ثابتة درجت عليها الامة الاسلامية.

ولكن هذا لا يعني أن علوم القرآن ظلت تحتضنها مقدمات التفاسير فحسب، فتلك سنة درج عليها أئمة التفسير، منذ عهد محمد بن جرير الطبري (ت. 310هـ) وابن عطية (ت. 546هـ) والقرطبي (ت. 671هـ)، وابن جزي (ت. 751هـ)، والسيوطي (ت. 911هـ) الى جمال الدين القاسمي، والشيخ محمد الطاهر ابن عاشور في الفترة المعاصرة.. وفي رأي أنهم لا يلجأون إلى هذا النوع من التحقيق في علوم القرآن واستجلاء ضوابط التفسير واصوله والامعان في ذلك الا لظروف يفرضها العصر الذي يعيش فيه المفسر، وتكون الامة قد تعرضت فيه لهزات عنيفة قد يحدث منها ما يحدث من الخلل في الافكار والمعتقد، فيحتاج الناس إلى من يثبت عليهم أمر دينهم ولغتهم بالقول الثابت ويعود بهم إلى الطريق المشروع في فهم كتاب الله تعالى وتفسيره..⁽⁸⁾.

وإذا تساءلنا عن عمر «علوم القرآن» فإننا نجد أنها تعود إلى العهد النبوي حيث كان النبي ﷺ أعرف الناس بكتاب الله قراءة وفهما وتطبيقا، وقد تلقى عنه الصحابة الكرام القرآن وعلوم القرآن، وعندهم تلقاها التابعون وتابعوهم إلى عصور التدوين، فخصت بالتأليف والتدوين بإفراد كل علم منها على حدة إلى القرن الرابع الهجري، فكتب فيها محمد بن خلف ابن المرزبان (ت. 309هـ) كتاباً سماه : «الحاوي في علوم القرآن»⁽⁹⁾.

وفي القرن الخامس ألف علي بن ابراهيم بن سعيد الحوفي المصري (ت. 430هـ) كتابه «البرهان في علوم القرآن»⁽¹⁰⁾ ويظهر أنه سبق الزركشي إلى هذا العنوان بثلاثة قرون...

(7) مثل ما صنع السيوطي في كتابه الاتقان فهو مقدمة لتفسيره «التحبير في علوم التفسير» / الاتقان 1 : 4.

(8) وهذا ينسحب على تفسير الطبري وتفسير ابن عطية، وتفسير ابن جزي وتفسير ابن تيمية وتفسير ابن عاشور.. على سبيل المثال فالتأمل لعصور هذه التفاسير يجد أن علم التفسير كان يعرف نوعاً من البلبلة الفكرية.. ومحاولات الانحراف بالتفسير عن طريقه المشروع، وتحميل النص القرآني ما لا يحتمل من التأويلات البدعية.

(9) ينظر مباحث في علوم القرآن للدكتور صبحي الصالح ص : 122.

(10) مناهل العرفان للزرقاني 1 : 28، وذكر صاحب الاتقان 1 : 8 ان للحوفي تفسيراً ايضاً.

وفي الغرب الاسلامي ظهرت مؤلفات الداني، ومكي بن ابي طالب⁽¹¹⁾، وكتاب الناسخ والمنسوخ⁽¹²⁾ لأبي محمد علي بن احمد بن حزم (ت. 456هـ) وغيرها.

وفي القرن السادس الهجري ألف أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (ت. 597هـ) كتابه «فنون الافنان في عيون علوم القرآن»⁽¹³⁾ وهو من بين أهم كتب هذا العالم الموسوعي الغزير التأليف، كما ألف أبو بكر بن العربي المعافري (ت. 543هـ) كتابه الناسخ والمنسوخ⁽¹⁴⁾ الذي قال عنه ابن جزى في مقدمة تفسيره : «وقد صنف الناس في ناسخ القرآن ومنسوخه تصانيف كثيرة وأحسنها تأليف القاضي ابي بكر بن العربي»⁽¹⁵⁾.

ففي قول ابن جزى أكثر من دلالة فهو قد دل على أن التأليف في موضوع النسخ كثير، وأن الموضوع مطروق من قبل العديد، لكنه فضل واستحسن من بين كل ذلك ما كتبه ابن العربي، إما لمنهجه في التأليف، وإما لتحريره وضبطه وإما لتقارب الأمزجة والطباع باعتبار أن كليهما ينتمي إلى المدرسة القرآنية بالغرب الاسلامي ذات التأليف الدقيق المتميز. وألف ابن العربي أيضا «قانون التأويل»⁽¹⁶⁾ وقصيدة في القراءات،⁽¹⁷⁾ وكتب في أحكام القرآن..⁽¹⁸⁾ كتابه القيم الذي لا يستغنى عنه في بابه.

ولا يغيب عنا ما كتبه معاصره عبد الحق بن عطية في مجال علوم القرآن والتفسير، فمقدمة تفسيره المطبوعة مع مقدمة كتاب المباني⁽¹⁹⁾ من أهم مصادر علوم القرآن بمعناها الاصطلاحي وقد أعيد طبع مقدمة ابن عطية مع تفسيره المحرر الوجيز بعناية وزارة الاوقاف بالمغرب وتحقيق

(11) يراجع فصل القراءات القرآنية من هذا البحث.

(12) طبع هذا الكتاب بيروت — دار الكتب العلمية ط 1. 1406 — 1986 / 75 صفحة — حجم متوسط بتحقيق د. عبد الغفار سليمان البنداري... (إن صحت نسبته إلى ابن حزم).

(13) نشره الاستاذ احمد الشرقاوي إقبال بالدار البيضاء مطبعة النجاش ط 1. 1970م / 127 صفحة حجم صغير.

(14) مطبوع بعناية وزارة الأوقاف بالمغرب وتحقيق الدكتور الوزير عبد الكبير العلوي المدغري في مجلدين كما سيأتي.

(15) التسهيل لعلوم التنزيل 1 : 7.

(16) حققه الأستاذ مصطفى الصغيري وقدمه رسالة جامعية لنيل دبلوم الدراسات الاسلامية العليا بدار الحديث الحسنية. ثم حققه محمد السليماني من جامعة الجزائر وطبع بدار الغرب الإسلامي طبعة أنيقة.

(17) هدية العارفين 2 : 90.

(18) مطبوع بتحقيق محمد الجاوي عدة طبعات في أربعة مجلدات وهو من أهم مصادر الفقه المالكي.

(19) مطبوعتان في مؤلف واحد بعناية المستشرق آرثر جفري ط 2. القاهرة — مطبعة الخانجي 1392 — 1972 / 348 صفحة.

المجالس العلمية⁽²⁰⁾ في اطار عملية بعث التراث العربي الإسلامي وإحيائه..

وفي القرن السابع الهجري الف علم الدين السخاوي (ت 643هـ) كتابه جمال القراء،⁽²¹⁾ كما ألف أبو شامة «المرشد الوجيز في علوم تتعلق بالقرآن العزيز»⁽²²⁾.

ثم ظهرت كتب أخرى تهتم باستقصاء جزئية من جزيات القرآن مثل «بديع القرآن»⁽²³⁾ و«حجج القرآن»⁽²⁴⁾، و«اقسام القرآن»⁽²⁵⁾ و«امثال القرآن»⁽²⁶⁾ مما استوجب اختصار هذه العلوم في علم جديد موحد سمي «بعلوم القرآن».

وهكذا ظهر في القرن الثامن «البرهان في علوم القرآن» لبدر الدين الزركشي (ت. 794هـ) وهو كتاب قيم فريد في بابهِ⁽²⁷⁾ كما لا يخفى.

وفي القرن التاسع، كثر التأليف في علوم القرآن، فصنف جلال الدين البلقيني المتوفى سنة (824هـ) كتابه «مواقع العلوم من مواقع النجوم»⁽²⁸⁾ وقد ساق الامام السيوطي محتويات هذا الكتاب الدقيقة والتشريحية لعلوم القرآن ثم قال عنه :

«... نقحه وهذبه، وقسم أنواعه، ورتبه ولم يسبق إلى هذه المرتبة، فانه جعله نيفا وخمسين نوعا منقسمة إلى ستة أقسام، وتكلم في كل نوع منها بالمتين من الكلام»⁽²⁹⁾.

وفي القرن العاشر برز مؤلف السيوطي «الاتقان في علوم القرآن»⁽³⁰⁾ الذي زاد فيه عمن

(20) وصلت وزارة الأوقاف في طبع هذا التفسير إلى المجلد الحادي عشر، كلها من تحقيق المجلس العلمي بفاس وأخيرا تم إنهاؤه بعد توزيعه على باقي المجالس العملية الأخرى بجهات المملكة وطبع تاما في 16 جزءاً.

(21) الاتقان.. 1 : 7.

(22) نفس المصدر والجزء والصفحة.

(23) ومنها بديع القرآن لابن أبي الأصعب، وهو كتاب مطبوع ينظر محتواه في الاتقان النوع الثامن والخمسون 2 : 83.

(24) الفقيه نجم الدين الطوفي (ت. 716هـ) ويسمى «جدل القرآن» ايضا.

(25) مثل «البيان في اقسام القرآن» لابن القيم مطبوع بالرياض طبعة غير محققة (د.ت) 280 صفحة — حجم متوسط.

(26) الف في الماوردي، (الاتقان... 1 : 8) وغيره.

(27) الكتاب موسوعة في بابهِ مطبوع طبعات عدة. بتحقيق ذ. محمد ابراهيم أبو الفضل في أربعة مجلدات.

(28) انظر حديثا مسهبا عن المؤلف والمؤلف في الاتقان 1 : 3.

(29) المصدر نفسه والجزء والصفحة.

(30) حققه الاستاذ محمد ابراهيم ابو الفضل على الرغم من الجهد الذي صرف في تحقيقه فالذي يظهر لي أن كتاب «الاتقان» مازال في حاجة إلى المزيد من العناية العلمية حتى تنتظم معلوماته أكثر وتسهل الاستفادة منه على وجه علمي موثق ومضبوط.

سبقه تفصيا لعلوم القرآن وأنواعها حتى أوصلها الى ثمانين نوعا مدججة، وإلا لزادت على الثلاثمائة نوع — على حد قوله —⁽³¹⁾، وقد قصد بتأليفه هذا أن يكون مقدمة لكتابه «التحبير في علوم التفسير»⁽³²⁾، وبقي كتاب «الاتقان...» منهلا لكل وارد لعلوم القرآن بفضل ما اودعه فيه مؤلفه من الدرر الكامنة في مؤلفات أخرى قام السيوطي بتقصيها وجمعها حتى لا تحتجب على الناس باحتجاب مظانها، مما جعل كل من يكتب بعد السيوطي في علوم القرآن يكون عالة على كتابه «الاتقان».

وفي القرن الأخير نشط التأليف في علوم القرآن بعد أن عرف ركودا وتوقفا يكاد يكون كلياً منذ عهد صاحب الاتقان، فألف الشيخ طاهر الجزائري (ت. 1338هـ) كتابه «البيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن عن طريق الاتقان»⁽³³⁾ والشيخ جمال الدين القاسمي المحدث والمفسر كتابه «محاسن التأويل» الذي خصص الجزء الأول منه للحديث عن علوم القرآن⁽³⁴⁾ والشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني ألف كتابه «مناهل العرفان في علوم القرآن»⁽³⁵⁾ والشيخ عبد الله دراز «النبأ العظيم»⁽³⁶⁾ و«مدخل إلى القرآن الكريم»⁽³⁷⁾ وإعجاز القرآن والبلاغة النبوية⁽³⁸⁾ للاستاذ مصطفى صادق الرافعي، و«التصوير الفني» لسيد قطب⁽³⁹⁾، و«مباحث في علوم القرآن»⁽⁴⁰⁾ للدكتور صبحي الصالح، وتاريخ القرآن لعبد الصبور شاهين⁽⁴¹⁾ وغيرها.

— تصنيف جهود المغاربة المعاصرين في التأليف في علوم القرآن :

أما عن علماء المغرب وباحثيه فلم يكن جهدهم في علوم القرآن بالقليل وحظهم في الاعتناء بها باليسير، فقد أدركوا أهمية علوم القرآن في فهم كتاب الله قديماً وحديثاً، وصرفوا جهودهم في الاعتناء بهذه العلوم والتأليف فيها، ومازالت هذه العناية متواصلة إلى اليوم دراسة

(31) الاتقان 1 : 7.

(32) المصدر نفسه 1 : 3 — 4.

(33) مطبوع بمصر مطبعة المنار القاهرة 1334 في 280 صفحة.

(34) مطبوع بتصحيح وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ط 1. القاهرة دار احياء الكتب العربية 1376هـ.

(35) مطبوع دار إحياء الكتب العربية (د. ت) في مجلدين.

(36) الكويت طبعة دار القلم 1970 / 127 صفحة.

(37) ترجمة محمد عبد العظيم علي طبعة دار القرآن الكويت 1971.

(38) ط. 8 القاهرة المكتبة التجارية الكبرى 1389هـ.

(39) طبعة دار الشروق ط. الشرعية 8. 1403.

(40) دار العلم للملايين ط. 15. 1983م.

(41) الكويت دار القلم 1966.

وتدرّيسا وتحقيقا وتأليفاً⁽⁴²⁾.

وقد نقل المقرئ في أزهار الرياض⁽⁴³⁾ أن دواعي «التأليف سبعة، شيء لَمْ يسبق إليه فيؤلف، أو شيء ألف ناقصاً فيكمل أو خطأ فيصحح، أو مشكل فيشرح، أو مطول فيختصر، أو مفرق فيجمع أو منشور فيرتب».

واني أرى أن هذا قد ينطبق على علماء المغرب في نتاجاتهم العلمية، فمن عاداتهم ألا يصنفوا تصنيفاً لم تدعهم حاجتهم إلى تصنيفه، فهم مقلون عموماً لكنهم مجيدون من حيث الاستفادة العلمية، ولذلك تجدهم يحرصون على أن يأتوا في تواليهم بما يميزها عن غيرها من إضافات علمية وتنقيحات وتصويبات وعرض الآراء ومناقشتها، وهذه تكاد تكون طبيعتهم منذ أن تشبعوا بالثقافة العربية الإسلامية، ولذلك فالعالم المغربي بصفة عامة لا يخرج عن طوقه فإذا تعاطى للتأليف فهو أهل له، وإذا أحجم عنه فمعنى ذلك أنه لن يتكلفه، فهو أفقه الناس بنفسه وأعرفهم بحدود إمكانياته وقدراته العلمية ولذا لم يجد معظم الجيل المعاصر منهم عن هذه السجايا كما سنرى من خلال عرض تواليهم في علوم القرآن.

ومن خلال تتبعي لما كتبه المغاربة في علوم القرآن في الفترة المعاصرة تبين لي أنه يمكن حصر جهودهم في هذا المجال في ثلاثة أنواع من التأليف :

أولاً : التأليف والتحقيق.

ثانياً : الرسائل والاطروحات الجامعية.

ثالثاً : المقالات العلمية.

أولاً : **التأليف والتحقيق** : وطبيعة ما هو كائن في هذا النوع من التأليف تقتضي تصنيفه أيضاً إلى ثلاثة أصناف :

أ — مقدمات التفاسير

ب — مؤلفات في علوم القرآن.

ج — تحقيق مؤلفات في علوم القرآن.

أ — **مقدمات التفاسير** :

تضمنت مجموعة من تفاسير المغاربة المعاصرين مقدمات ومباحث في علوم القرآن، درج

(42) وكمثال على ذلك ما تم عرضه في فصل القراءات القرآنية.

(43) الجزء الثالث ص : 34.

فيها مؤلفوها على سنن من سبقهم، وتقفوا فيها أثر من تقدمهم، ولا ضير إن استفادوا مما كتب قبلهم، فهناك مواطن أعطوا فيها آراءهم، وعبروا عن أفكار تلك المباحث بتعابيرهم وها أنذا أعرض للمواضيع المطروحة في هذه المقدمات مع اختيار نماذج منها :

مقدمة : «الريان في تفسير القرآن»⁽⁴⁴⁾ لمحمد بن محمد سالم المجلسي العلوي الفاطمي الحسني⁽⁴⁵⁾ (ت. 1302هـ).

ينتسب هذا المفسر إلى أسرة المجلسيين الصحراوية، وقد سماها المختار السوسي — رحمه الله — «بالمالية الصحراوية»⁽⁴⁶⁾ وقال عنها : إنها «من أعظم الأسر العلمية القاطنة في صحراء سوس، تسلسل فيها العلم منذ اجيال، وهي ذات خزانة طافحة بالكتب»⁽⁴⁷⁾ وهم انفسهم قضاة⁽⁴⁸⁾ ومفتون ومؤلفون ومدرسون في خيام كبرى تنتقل بتنقلات حيمم للانتجاع، على عادة أرباب الخيام، وبحسب التلميذ الوارد أن يأتي بناقة أو أكثر يتخذ حليها طعامه وحده، فتداول كل طائفة من الطلبة رعي نياقهم في كل نهار، ومع كل طالب لوحته الخاصة، أو لوحاته، فيأخذ كل على حدة دروسه وحده، ولا تفارقه لوحته لا في الحي ولا في المرعى، وعادة الأستاذ ان يظل نهاره كله جالسا يمر به الطلبة يتلقون الدروس ؛ ولا بد أن يتعدد الأساتذة، وقد يصل الطلبة عند السالميين مئات، وأما العشرات فإنها تلازمهم على العادة⁽⁴⁹⁾ وقد قرأنا لعلمائهم تفسيراً لأحدهم...⁽⁵⁰⁾ وانما فصلنا بعض التفصيل، ليعلم

(44) هذا التفسير مخطوط عند أسرة المؤلف بالصحراء المغربية يوجد في سبعة مجلدات ضخام، ينظر مقال الاستاذ محمد حجي «جولة في مكتبات الصحراء المغربية» مجلة المناهل ع. 28 ربيع الأول 1404 دجنبر 1983 ص : (7 — 20). ومقال لي في دعوة الحق عدد 337.

(45) نسب المؤلف كما هو مثبت في تفسيره : «محمد بن محمد سالم بن محمد سعيد بن محمد بن عمر بن ابي السيد بن أبي بكر بن علي بن يعمدش (معناه : سالم) بن وديعة الله بن عبد الله بن احمد بن يفت (معناه : اخيار) بن بدر (اي يعيش) بن ابراهيم المجلسي العلوي الفاطمي الحسني الادريسي المالكي الاشعري» (ينظر ص : 3 من مخطوط «الريان في تفسير القرآن».

(46) سوس العالمة ص : 141.

(47) منها بالداخلية وبالعيون (محمد حجي المقال السابق ص : 11).

(48) الذي زودني بجزء من هذا التفسير هو حفيد المؤلف السيد احمد حبيب الله المجلسي مستشار بمحكمة الاستئناف بالعيون، من علماء هذه الأسرة الأفاضل (ينظر التعريف به في المقال السابق ص : 12 — 13).

(49) بلغ عدد تلاميذ ابن مؤلف التفسير «عبد الله بن محمد بن محمد سالم «الراتيين من أولاد بير 150 و120 من تندغة و105 من اهل تاكونات، بالاضافة إلى غير الراتيين من مختلف قبائل الصحراء، (المقال السابق ص : 14).

(50) ولعل في هذا إشارة إلى تفسير «الريان..» للمجلسي.

القارئ كيف دراسة الصحراويين السوسيين..»⁽⁵¹⁾.

تحتوي مقدمة هذا التفسير على أحد عشر فصلا في علوم القرآن وتقع في تسع وخمسين صفحة من المخطوط مقياس 22 × 30,6 سم، 32 سطرا بخط مغربي مقروء هو خط المؤلف نفسه.

وقد تناول في هذه الفصول ما يأتي :

الفصل الأول : في ذكر الأئمة الناقلين للقرآن العزيز وبيان القراءة المشهورة والقراءة الشاذة، واختلاف القراء والتعريف بالقراء العشرة ورواتهم من (ص : 4 — 7).

الفصل الثاني : في بيان معنى القرآن ونزوله وجمعه في المصحف ونقطه وتخزيه وذكر أسمائه وبيان المكّي والمدني (7 — 10).

الفصل الثالث : في المعاني والعلوم التي تضمنها القرآن وفنون العلوم التي تتعلق به من ص : (10 — 15).

الفصل الرابع : في أسباب الخلاف بين المفسرين والوجوه التي يرجح بها بين أقوالهم. ص : (15 — 16).

الفصل الخامس : السلف الصالح أمام تفسير القرآن فريقان منهم من فسر القرآن وتكلم في معانيه، ومنهم من توقف عن الكلام في احتياط لما ورد من التشديد في ذلك.. (16 — 18).

الفصل السادس : في المواقف وهي أربعة أنواع : تام، وحسن، وكاف وقبيح، وذلك بالنظر إلى الاعراب والمعنى، ص : 18.

الفصل السابع : في الكلام على نزول القرآن على سبعة احرف. (18 — 19).

الفصل الثامن : في إعجاز القرآن وإقامة الدليل على أنه من عند الله تعالى (19 — 21).

الفصل التاسع : في فضل القرآن العظيم.. تناول في آخره قضايا فقهية واحكاما تتعلق بالتلاوة، والمصحف وكتابته وبيعه وقراءته بغير العربية مع إشارته إلى الأحاديث الموضوعة التي توردها بعض كتب الفضائل (21 — 26).

(51) سوس العالة ص : 141.

في الاستعاذة والتسمية، واستطرد في هذا الفصل إذ ذكر أحكام القراءة في الإدغام، والهمز، والنون الساكنة، والامالة، ومذاهبهم في الرءاء و ذكر اللامات، والوقف على المرسوم، واختلاف القراءة في الزوائد على أربعة أقسام، إثبات في الوصل والوقف، حذف في الحالين، إثبات في الوصل وحذف في الوقف، حذف في الوصل وإثبات في الوقف، وفي نهاية هذا الفصل قال : «هنا انتهى الكلام على الأصول»، وأما فرش الحروف فأتبعها في كل سورة سورة حتى يتم كتاب الله عز وجل إن شاء الله تعالى»⁽⁵²⁾ وسأسوق نماذج نصوص من كلامه في هذه المقدمة التي اعتمد فيها من المصادر تفسير ابن جزي⁽⁵³⁾ وخاصة مقدمته، والنشر في القراءات العشر،⁽⁵⁴⁾ والمنبهة للداني،⁽⁵⁵⁾ وابن القاصح على الشاطبية⁽⁵⁶⁾ وهذه هي المصادر التي تكررت مرات عديدة في هذه المقدمة⁽⁵⁷⁾.

وما اخترت تقديمه مما جاء في مقدمة «الريان» هو الفصل الرابع في أسباب الخلاف بين المفسرين والوجوه التي يرجح بها بين أقوالهم، قال : «فأما أسباب الخلاف، فهي اثنا عشر، الأول : اختلاف القراءات، الثاني : اختلاف وجوه الإعراب وإن اتفقت القراءات، الثالث : اختلاف اللغويين في معنى الكلمة، الرابع : اشتراك اللفظ بين معنيين فأكثر، الخامس : احتمال العموم والخصوص، السادس : احتمال الإطلاق والتقييد، السابع : احتمال الحقيقة والمجاز، الثامن : احتمال الأضمار والاستقلال، التاسع : احتمال كون الكلمة زائدة أو غير زائدة، العاشر : احتمال حمل الكلام على الترتيب أو على التقديم والتأخير، الحادي عشر : احتمال أن يكون الحكم منسوخاً أو محكماً،

(52) استغرق هذا الفصل من ص : (28 إلى 57) ! ولا يخفى مقياس أوراق المخطوط المشار إليها.

(53) صرح به في هذه المقدمة في الصفحات : [4، 10، 11، 12، 13، 14، 15، 17، 18، 20، 27].

(54) صرح به في هذه المقدمة في الصفحات : [27، 28، 29، 32، 42، 47، 48، 49، 50؛ 51، 55].

(55) نقل منها في موضوع جمع القرآن 22 بيتاً دفعة واحدة ص : (9 — 10) من المخطوط.

(56) ذكره في هذه المقدمة في الصفحات : (28، 29، 32، 33، 42، 48، 50..]

(57) وهناك أربعة عشر مصدراً ذكر كل واحد منها مرة واحدة ومن بينها الاتقان في علوم القرآن للسيوطي

ذكره في هذه المقدمة المستفيضة مرة واحدة في ص : 12.

الثاني عشر : اختلاف الرواية في التفسير عن النبي ﷺ وعن السلف رضي الله عنهم.

وأما وجوه الترجيح فهي اثنا عشر :

الأول : تفسير بعض القرآن ببعض. فإذا دل موضع من القرآن على المراد بموضع آخر حملناه عليه، ورجحنا القول بذلك على غيره من الأقوال.

الثاني : حديث النبي ﷺ، فإذا ورد عنه عليه الصلاة والسلام تفسير شيء من القرآن عولنا عليه لاسيما إن ورد في الحديث.

الثالث : أن يكون القول قول الجمهور وأكثر المفسرين، فإن كثرة القائلين بالقول تقتضي ترجيحه.

الرابع : أن يكون القول قول من يقتدى به من الصحابة كالخلفاء الأربعة وعبد الله ابن عباس لقول رسول الله ﷺ : اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل.

الخامس : أن يدل على صحة القول كلام العرب من اللغة والإعراب أو التصريف أو الاشتقاق.

السادس : أن يشهد لصحة القول سياق الكلام ويدل عليه ما قبله وما بعده.

السابع : أن يكون ذلك المعنى هو المتبادر إلى الذهن فإن ذلك دليل على ظهوره ورجحانه.

الثامن : تقديم الحقيقة على المجاز، فإن الحقيقة أولى أن يعمل عليها اللفظ عند الأصوليين، وقد يترجح المجاز إذا كثر استعماله حتى يصير أغلب استعمالا من الحقيقة، فيسمى مجازا راجحا. وقد اختلف العلماء في أيهما يقدم، فمذهب أبي حنيفة تقديم الحقيقة لأنها الأصل، ومذهب أبي يوسف تقديم المجاز الراجح لُرجحانه، وقد يكون أفصح وأبرع فيكون أرجح.

التاسع : تقديم العموم على الخصوص، فإن العموم أولى لأنه الأصل إلا أن يدل دليل على التخصيص.

العاشر : تقديم الإطلاق على التقييد إلا أن يدل دليل على التقييد.

الحادي عشر : تقديم الاستقلال على الإضمار إلا أن يدل على الإضمار.

الثاني عشر : حمل الكلام على ترتيبه إلا أن يدل دليل على التقديم والتأخير» (58).

(58) مقدمة «الريان في تفسير القرآن» لمحمد بن محمد سالم المجلسي مخطوط ص : 15 : 16، وهو الفصل الرابع من هذه المقدمة حرفا بحرف.

(2) مقدمة : «تنبيه الانام على ما في كتاب الله من المواعظ والأحكام»⁽⁵⁹⁾. لأحمد بن محمد الرهوني التطواني (ت. 1373هـ).

ترجم له تلميذه الاستاذ المؤرخ محمد داود في كتابه تاريخ تطوان،⁽⁶⁰⁾ وحلاه بقوله : «شيخنا الفقيه العلامة المشارك قاضي القضاة ووزير العدلية سابقا أبو العباس أحمد بن محمد الرهوني التطواني من أجل علماء المغرب في عصرنا، ولد رحمه الله — بتطوان يوم الأربعاء ثامن جمادى الأخيرة عام 1288، وقد نشأ بهذه المدينة وفيها قرأ القرآن والعلوم الاسلامية العربية ثم ارتحل إلى فاس فقرأ على شيوخها»⁽⁶¹⁾ ثم رجع إلى بلده تطوان فتولى بها وبغيرها جملة وظائف ما بين عدالة وفتوى وقضاء ووزارة، ثم شغل وظيف مفتش للتعليم الاسلامي ثم عين رئيسا للمجلس الأعلى للتعليم المذكور إلى أن توفي رحمه الله⁽⁶²⁾ وقد ألف كتباً عديدة في مختلف العلوم...»⁽⁶³⁾

وذكر أن شيخه الرهوني هذا اشتدت به الضائقة في آخر حياته وكثرت عليه الديون وباع من كتبه ما يساعد به على التخفيف من ضائقته، وذلك لإحدى إدارات الحماية الاسبانية «وقضى السنوات الأخيرة من عمره منبوذاً من اصحاب السلطة والجاه مبعداً عن الوظائف العلمية، منزوياً في بستانه خارج تطوان بعيداً عن الخلق، مُتَّطعاً لعبادة الله، أذكره فاذكر فيه شيخي الجليل وأستاذي العزيز رجل العلم والحلم، والكرم والنبيل.. الرجل العالم المشارك الذي هو استاذي في مختلف العلوم خصوصاً في هذا التاريخ،»⁽⁶⁴⁾ الذي أعد الفضل الأول فيه

(59) مخطوط بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم : 2158 د يحتوي على مقدمة في علوم القرآن وتفسير سورة الفاتحة كتب بخط مغربي مقروء كتابة موسعة بحيث لا تتعدى أربع كلمات في السطر في المتوسط.

(60) تاريخ تطوان لمحمد داود 1 : 50.

(61) ذكر الفقيه احمد الرهوني شيوخه في فاس في كتابه «عمدة الراوين في تاريخ تطاوين» مخطوط الخزانة العامة بتطوان صفحات : 132 — 173، ومن بينهم أحمد بن الخياط الزكاري الذي استجازه فأجازه...

(62) ذكر محمد داود انه توفي يوم 13 ربيع الثاني 1373هـ/ 21 دجنبر 1953م / تاريخ تطوان 1 : 38.

(63) أعرف من كتبه المخطوطة بالخزانة العامة بالرباط : تقييد في السحر يرد فيه على الشيخ محمد عبده في نفيه السحر عن الرسول ﷺ في تفسيره للمعوذتين/ وتحرير المقال بمئة الواحد المتعال في مسألة الكسب وخلق الأفعال ويظهر عليه الوضوح والتبسيط في هذا الموضوع الكلامي الشائك و«الفوائد الحسنة والتنبهات المستحسنة» كل هذه المؤلفات توجد بالخزانة العامة تحت رقم : 2/2161 د وتراجع بقية مؤلفاته في مجلة الإيمان ع : 136 يونيو 1934 ص : 71 — 80.

(64) يظهر أن الأستاذ محمد داود لما كان بصدد الترجمة لشيخه أحمد الرهوني طلب منه صورة فتوغرافية، وهي المثبتة للفقيه في «تاريخ تطوان» 1 : 38 وكتب عليها الفقيه الرهوني مايلي : «الظاهر عنوان الباطن» — هدية مني للأخ العلامة سيدي محمد بن احمد داود / احمد بن محمد الرهوني 23 ربيع الثاني 1346هـ.

راجعاً إليه وإلى إرشاداته وتوجيهاته وإفادته رحمه الله»⁽⁶⁵⁾.

وقد اشتملت مقدمة تفسيره «تنبيه الأنام» على خمسة وعشرين فصلاً، وسأعرض عناوينها مع الإشارة إلى ما ورد في بعضها حسب أهميته :

الفصل الأول : في فضل القرآن الكريم وتلاوته وتعليمه.

استغرق ثلاثاً وعشرين صفحة من المخطوط تميزت بعرض أحاديث فضائل القرآن.

الفصل الثاني : وجوب التدبر عند تلاوة القرآن (4 صفحات..)

الفصل الثالث : في أن فَضْلَ القرآن إنما يحصل لمن عمل به وإلا كان على صاحبه حسرة يوم القيامة إلا أن يعفو الله عنه.

الفصل الرابع : في فَضْل تفسير القرآن الكريم.

الفصل الخامس : في اثم من قال في القرآن برأيه.

الفصل السادس : في المكّي والمدني من السور والآيات.

الفصل السابع : في الحضري والسفري.

الفصل الثامن : في النهاري والليلي.

الفصل التاسع : في الصيفي والشتائي.

الفصل العاشر : في الأرضي والسماوي.

الفصل الحادي عشر : في أول ما نزل.

الفصل الثاني عشر : في آخر ما نزل.

الفصل الثالث عشر : في معرفة أسباب النزول.

الفصل الرابع عشر : في كيفية إنزاله.

الفصل الخامس عشر : في بيان كفيات الوحي

الفصل السادس عشر : أنزل القرآن على سبعة أحرف.

الفصل السابع عشر : في معرفة أسمائه وأسماء سورة.

الفصل الثامن عشر : السورة.

(65) تاريخ تطوان 1 : 50.

الفصل التاسع عشر : في إعراب أسماء السورة.

الفصل العشرون : في جمعه وترتيبه.

الفصل الواحد والعشرون : ترتيب الآيات والصور والرسم توقفي.

الفصل الثاني والعشرون : في عدد سوره وعآياته وكلماته وحروفه.

الفصل الثالث والعشرون : في معرفة رواته وحفظه.

الفصل الرابع والعشرون : في مبادئ علم التفسير

الفصل الخامس والعشرون : في الاستعاذة.

وقد جاءت هذه المقدمة في 155 صفحة من المخطوط بعدها شرع في تفسير الفاتحة، وكما يظهر من تقسيماتها فإنه اعتمد فيها من جملة ما اعتمد كتاب الإتقان للسيوطي ويحيل عليه مكتفيا بملخص وجيز لمعظم هذه المباحث واعد بالتوسع والإيفاء في ثانيا تفسيره. وأسوق نموذجا مما كتبه الفقيه أحمد الرهوني في الفصل الثالث عشر من معرفة أسباب النزول.

«اعلم أنه قد ألف في هذا الموضوع عدد من الأئمة، منهم علي بن المديني، (ت. 234هـ)، والواحدي (ت. 468هـ) والجعبري (ت. 687هـ)، وابن حجر (ت. 852هـ) والسيوطي (ت. 911هـ) كتابا سماه «لباب النقول في أسباب النزول»، وله فوائد، منها معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم، ومنها تخصيص الحكم به عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب، ومنها ان اللفظ قد يكون عاما، ويقوم الدليل على تخصيصه، فإذا عرف السبب قصر التخصيص على ما عدا صورته، ومنها الوقوف على المعنى وإزالة الاشكال، قال الواحدي (ت. 468هـ) : «لا يمكن تفسير الآية دون الوقوف على بيان نزولها،» وقال ابن دقيق العيد : «بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن هـ. نخ وقد ذكر السيوطي في الاتقان فذلكة حسنة في بيان أسباب النزول وسنين ذلك بحول الله وقوته في محاله، والله القوي المعين.»

وهكذا يظهر تمكن الرجل من افكار هذا المبحث المتشعب في علوم القرآن، واستطاع أن يضغط معلوماته في سطور معدودة جدا ذاكرة أشهر من ألف فيه من العلماء، وفوائد هذا العلم، ومحل الخلاف فيه، والاستشهاد بأقوال العلماء فيه، وتقويم الجهد الذي أتى به السيوطي في الاتقان في هذا العلم...

3) مقدمة : «مقاصد الأسرار والخفي وجواهر المرضية والكاملة في نهاية الأخرى»⁽⁶⁶⁾
تأليف الحاج الحسن بن محمد بن أبي جماعة البعقلي السوسي (ت. 1368هـ)⁽⁶⁷⁾.
تعرض فيه لعلوم القرآن وخصص لها فصلين :
الأول : «فصل في فضل القرآن» ساق فيه مجموعة من الأحاديث في فضائل القرآن مجردة
من أسانيدھا ورواتها»⁽⁶⁸⁾.
الثاني : «فصل في حروف القرآن».

استعرض فيه الحديث الذي يروي قصة سيدنا عمر بن الخطاب مع هشام بن حكيم، في
شأن القراءة،⁽⁶⁹⁾، وعلق عليه قائلا : «فالقرآن نزل بلسان العرب وإن وجدت فيه كلمات
فارسيات أو حبشيات إنما هو على سبيل الاتفاق، أي اتفاق الألسنة، فلا بعد فيه، فلا يظن
ظان أنه توجد كلمة في القرآن بغير لغة العرب، فإنه مكذب لكلام الله «بلسان عربي
مبين»⁽⁷⁰⁾ ولم يوجد في القرآن إلا العربية المحضة، فالقسطاس⁽⁷¹⁾ مثلا ميزان بلغة العرب
وبغيرها وقس، وإنما نزل بألسنة طوائف العرب العاربة والمُتَعَرِّبة فإسماعيل وأولاده مُتَعَرِّبُونَ
من جرهم، والعمالقة وعرب اليمن بناء على أنهم غير اسماعيليين (...)

فالفرائض والحدود والأحكام الشرعية لا تختلف في القرآن وإنما تختلف اللغات والحروف،
فالْحُرُوف كلها شاف فمن قرأ على حرف فلا يدعه رغبة عنه فإنه كفر، بل يَتَبَرَّك
بحروف نزوله إن شاء، ويومن أنها أنزلت كذلك، ومن جحد بأية جحد به كله، وإنما تكون
الأحرف في موضع لا تختلف بها الأحكام، فكل حرف قرأت بها أصبت...»⁽⁷²⁾.

(66) تفسير الفاتحة والحزب الأول من سورة البقرة مطبوع في جزئين الأول خاص بالتفسير في 168 صفحة
والثاني مزج فيه بين التفسير والعديد من الأحكام الفقهية يقع في 224 صفحة الطبعة الأولى بالدار البيضاء
المطبعة العربية بدارب غلف 1354هـ.

(67) ترجمته بتفصيل في المعسول 11 : (155 — 186) وذكر تاريخ وفاته في سوس العالمية ص : 218.

(68) ينظر الجزء الأول من «مقاصد الأسرار والخفي...» ص 41 وذلك في أقل من صفحة.

(69) ينظر هذا الحديث في صحيح البخاري كتاب فضائل القرآن باب انزل القرآن على سبعة أحرف الحديث
رقم : 4992.

(70) سورة الشعراء، الآية 195.

(71) «وزنوا بالقسطاس المستقيم» سورة الشعراء، الآية : 182.

(72) مقاصد الأسرار والخفي... 1 : 41، وينظر كذلك ما قاله في شأن القراءات في 1 : 3.

وتعرض في ثانيا تفسيره لمباحث أخرى في علوم القرآن⁽⁷³⁾ والفهم الصحيح للقرآن،⁽⁷⁴⁾ ومفهوم التأويل عند السلف والخلف،⁽⁷⁵⁾ ومباحث لغوية..⁽⁷⁶⁾.

4 مقدمة : «الفكر السامي في تاريخ الفقه الاسلامي»⁽⁷⁷⁾.

لمحمد بن الحسن الحجوي الثعالبي⁽⁷⁸⁾ (ت. 1376هـ).

تعرض فيها لتعريف القرآن الكريم ومكانته في التشريع وحجيته، وعدد آيه، والموضوعات التي عالجها القرآن، وعدد آي أحكامه التي اعتبر الفهم والاستنباط فيها مفتوحا لا يتوقف مستشهدا بقول صاحب المعيار نقلا عن الشيخ أبي مدين : «إن للقرآن نزولا وتنزيلا، أما النزول فقد تم بموته عليه السلام وأما التنزيل على الوقائع واستنباط الأحكام فلم يزل إلى آخر الدهر»⁽⁷⁹⁾.

ثم عرض لنزول القرآن منجما والحكمة منه ونص على أنه «لم يكن القصد من إنزال القرآن أن يكون بين يديهم كتاب يتبركون بلفظه يقرؤونه على الموقى فقط بل أن يعملوا بأحكامه ويتهدبوا بهذيبه وتنتظم أحوالهم به ويتخلقوا بأخلاقه حتى يصيروا به أمة مهذبة لها جامعة ورابطة وتهذيب تهذب به غيرها من الأمم وهذا لا يكون إلا بانزاله منجما ولو نزل دفعة واحدة لاشتغلوا بلفظه وتركوا معناه كما هو واقع فينا الآن فتدبر ذلك»⁽⁸⁰⁾.

وذكر أن الأسئلة الواردة في القرآن هي أساس قضية السؤال والإفتاء المعمول به في جميع العصور الإسلامية⁽⁸¹⁾.

ثم عرض لسبب النزول وبين أنه «علم خاص يستعان به على فهم القرآن ولا سيما ما ثبت منه بطريق صحيح أو حسن، فهو حجة في التأويل وان لم يكن مخصصا، لأن العبرة

(73) المرجع السابق 1 : 109 — 110.

(74) المرجع نفسه 1 : 3/32 — 2.

(75) المرجع نفسه 1 : 1 : 38 — 39.

(76) المرجع نفسه 1 : 1 : 40.

(77) طبعة المدينة المنورة المكتبة العلمية وعناية الأستاذ عبد العزيز عبد الفتاح القارىء، ط : 1 1376هـ. في أربعة مجلدات استغرقت مباحث علوم القرآن 25 صفحة من المجلد الأول.

(78) ترجمته بقلمه في الفكر السامي 4 : 376 وما بعدها.

(79) الفكر السامي 1 : 26.

(80) المرجع نفسه 1 : 27.

(81) نفس المرجع 1 : 28.

بعموم اللفظ لا بخصوص السبب»⁽⁸²⁾.

ولكتابة القرآن وتدوينه وما تميزت به من دقة في التوثيق في جميع مراحلها، ودور سيدنا عثمان في الحسم في إنهاء الخلاف وتوحيد الناس على مصحف إمام.

كما بين أن تكاليف القرآن العظيم تمتاز باليسر والسهولة والرفق عن تكاليف السنة التي يرى أنها كثرت بسبب كثرة السؤال⁽⁸³⁾..

وتعرض في النهاية إلى النسخ في القرآن الكريم والحكمة من وقوعه ومن بقاء المنسوخ متلوّاً ويرى أن في ذلك تذكيراً «بحكمة التخفيف والامتنان بتلك النعمة واستحضار تلك الحال السابقة، وثواب التلاوة، والتعبد، والاعجاز، وفوائد أدبية»⁽⁸⁴⁾.

5 — مقدمة كتاب «إبداء التسيير لقراء التفسير»⁽⁸⁵⁾.

للفقيه محمد الرضي السناني المالكي الفاسي⁽⁸⁶⁾ (ت. 1385هـ).

تناول فيه مباحث في علوم القرآن من المقدمة الأولى إلى المقدمة السادسة عشرة⁽⁸⁷⁾.

المقدمة الأولى : في تعريف القرآن

المقدمة الثانية : في أسماء القرآن.

المقدمة الثالثة : في بعض فضائل القرآن.

(82) نفس المرجع والجزء والصفحة.

(83) الفكر السامي 1 : 32.

(84) المرجع نفسه 1 : 33.

(85) مطبوع بالمطبعة العصرية بفاس لصاحبها الحاج ادريس بوعباد (د.ت) في 203 صفحة حجم متوسط، تناول فيه المقدمات المذكورة في علوم القرآن وتفسير الفاتحة وترجمة للشيخ أبي شعيب السارية دفين آرمور.

(86) فقيه علامة محقق ناسك أديب لغوي من علماء القرويين بفاس انتقل إلى الدار البيضاء من فاس، وقام بمهنة التدريس تطوعاً، ثم قطن مدينة آرمور وقام بنفس العمل إلى أن توفي صباح يوم الخميس 24 صفر 1385 وأقبر بمسجد ضريح مولاي بوشعيب بأرمور، له عدة مؤلفات وصلت إلى 25 مؤلفاً ذكرها في كتابه «الشذرات»... تراجع ترجمته في «التأليف ونهضته بالمغرب في القرن العشرين للاستاذ عبد الله الجراري ص : 149/ وفي تحاف ذوي العلم والرسوخ بتراجم من اخذت عنه من الشيوخ لمحمد بن الفاطمي ص : 199/ مجلة كلية الشريعة بفاس، ع : 11. ربيع الأول 1403 يناير 1983 ص : (99 — 104) (ترجم له الأستاذ ابن الفاطمي المذكور) وفي كتابه الشذرات يذكر كثيراً من طفولته ومعاملات والده له، وطبائعه ومزاجه... (2 : 104 — 105 / 2 : 89)، وقال عنه تلميذه الشيخ عبد الله بن الصديق «وكان منقطع النظر في التحقيق «بدع التفاسير ص : 166.

(87) استغرقت هذه المقدمات من الكتاب 39 صفحة، وغلبت عليها النقول من الاتقان والنقاية للسيوطي.

المقدمة الرابعة : في انقسام القرآن إلى فاضل ومفضول.
 المقدمة الخامسة : في الكلام على السورة والآية.
 المقدمة السادسة : في الكلام على إنزال القرآن. للإيجاء كيفيات.
 المقدمة السابعة : في الكلام على جمع القرآن.
 المقدمة الثامنة : فيما يقرأ به وما لا يقرأ به، القراءات أنواع.
 المقدمة التاسعة : في حرمة قراءة القرآن بالعجمية وبالمعنى وتفسيره بالرأي. والفرق بين التفسير والتأويل.

المقدمة العاشرة : من اشتهر بحفظ القرآن واقرائه... الخ.
 المقدمة الحادية عشرة : القرآن منه مكّي ومدني.
 المقدمة الثانية عشرة : في الكلام على التفسير والتأويل وطبقات المفسرين.
 المقدمة الثالثة عشرة : في سرد العلوم التي يحتاج المفسر إليها.
 المقدمة الرابعة عشرة : في الفرق بين التفسير وعلم التفسير.
 المقدمة الخامسة عشرة : في بيان سند المؤلف في التفسير.
 المقدمة السادسة عشرة : في آداب من يحضر دروس التفسير.
 وقد تخللت هذه المقدمات المركزة والمفيدة تعليقات وتذييلات للمؤلف أغنت تناوله لهذه المباحث⁽⁸⁸⁾ وسأسوق نموذجاً منها،
 نموذج من المقدمة «الرابعة عشرة» من مقدمات محمد الرضي السناني في علوم القرآن وتعلق بالفرق بين علم التفسير والتفسير⁽⁸⁹⁾.

قال : «علم التفسير غير التفسير، وكثير من الناس لا يميز بينهما وليس بصواب، وكيف يستقيم ذلك وهذا جلال الدين الاسيوطي يقول : وهو، أي علم التفسير، علم نفيس لم أقف على تأليف فيه لأحد من المتقدمين حتى جاء شيخ الاسلام جلال الدين البلقيني فدونه ونقحه وهذبه ورتبه في كتاب سماه [(مواقع العلوم من مواقع النجوم، فأتى العجب العجائب، وجعله خمسين نوعاً من نخط أنواع علوم الحديث (...)]⁽⁹⁰⁾

(88) كما في الصفحات 7 — 10 — 18 — 26 — 27 — 28.

(89) ابداء التيسير لقراء التفسير ص : 35 — 36.

(90) الاتقان في علوم القرآن. 1 : 3 / ابداء التيسير ص : 35.

وحيث عرفت أن التفسير غير علم التفسير لا عَيْنُهُ فنقول : أما التفسير فقد سبق بيانه وأما علم التفسير فحقيقته — كما في النقاية —⁽⁹¹⁾ علم يبحث فيه عن أحوال الكتاب العزيز، قال في شرحها باثره من جهة نزوله وسنده، وآدابه، وألفاظه، ومعانيه المتعلقة بألفاظه، والمتعلقة بالأحكام وغير ذلك فقوله : من جهة نزوله أي زما وكيفية، وقوله : وسنده، أي المنقسم إلى متواتر وآحاد وشاذ ؛ وقوله : وآدابه، أي آداب تفسيره، فهو على حذف مضاف... وقوله : وألفاظه، أي من جهة أن منها العربي، والمغرب، والغريب، والحقيقة والمجاز بأنواعه، والمشارك والمترادف، والمراد في هذا واللذين بعده، أنه يبحث عنها إجمالاً لا تفصيلاً إن هذا محله التفسير لا علم التفسير كما هو ظاهر، وقوله : ومعانيه أي المتعلقة بألفاظه، كالفصل والوصل والاطناب، والمساواة والايجاز، وقوله : والمتعلقة بالأحكام، أي كالعام بأقسامه الثلاثة، والجمل والمبين والمؤول والمفهوم، والمطلق، والمقيد، وقوله : وغير ذلك أي كبيان ما وقع فيه من أسماء الأنبياء والملائكة وغيرهم (...).

والحاصل أن هذا العلم اعني علم التفسير⁽⁹²⁾ جعلوه كالدفتري فأنبتوا فيه نحو مائة نوع كلها لا غنى للمفسر عنها رحمهم الله وجزاهم عنا خيراً آمين⁽⁹³⁾.

6 القرآن رسالة الله إلى جميع البشر⁽⁹⁴⁾.

تأليف محمد عبد السلام بن عبود⁽⁹⁵⁾.

تضمن هذا التفسير من جملة ما تضمنه مبحثين هامين : الأول في التأويل⁽⁹⁶⁾ والثاني في إعجاز القرآن⁽⁹⁷⁾ ونظراً لطول نفس المؤلف في تناولهما آثرت أن أعرض خلاصات هذين المبحثين عنده.

في تناوله للتأويل عرض المؤلف لما يقوله المفسرون في معنى الآيات المحكمات والمتشابهات،

(91) النقاية للسيوطي مطبوعة مع شرحها «اتمام الدراية لقراء النقاية» هامشا على مفتاح العلوم للسكاكي في 319 صفحة، القاهرة مطبعة محمد علي صبيح (د.ت).

(92) وكما لا يخفى فهو يقصد بعلم التفسير علوم القرآن بمعناها الاصطلاحي ولا مُشَاخَّة في الاصطلاح.

(93) ابداء التيسير لقراء التفسير ص : 35 — 36.

(94) مطبوع بمطبعة الاطلس بالدارالبيضاء (د.ت) 308 صفحة بحجم كبير، سيأتي التعريف به ضمن التفاسير.

(95) أورد له الاستاذ عبد الله الجارري ترجمة مختصرة مع تعداد تأليفه التي وصلت إلى اثني عشر مؤلفاً يطغى عليها ما يتعلق بالتربية والتعليم (التأليف ونهضته بالمغرب ص : 165).

(96) استغرق 20 صفحة من ص : (70 — 90).

(97) استغرق 21 صفحة من (189 — 210).

وَمَنْ هم الذين في قلوبهم زيغ، وَمَنْ هم الراسخون في العلم، وانتهى إلى القول : «فمن اراد أن يدرس القرآن الكريم فعليه أن لا يعتمد في فهم هذا النوع من الآيات على فهمه الخاص، بل يجب عليه أن يطلع على ما فسر به رسول الله ﷺ هذه الآيات ومن فعل غير ذلك يكون من الضالين الذين لا يمكن بحال من الأحوال أن يصلوا إلى الحقيقة وأن يهتدوا بهدي القرآن، فمن كان من المؤمنين بالقرآن فعليه أن يعتمد على ما رواه الصحابة والتابعون في تفسير القرآن، وإلا كان من اصحاب الأهواء الذين لا يصلون إلى الحقيقة أبدا، ومن كان من الذين لا يؤمنون بالقرآن، ولكن من أهل الإنصاف الذين يبحثون على الحقيقة فعليه أيضا أن يعتمد في بحثه على تفسير رسول الله ﷺ الذي نقله الصحابة، فإن اعتمد على فهمه الخاص فانه لا يصل إلى الحقيقة أبدا...» (98).

وفي مبحث الاعجاز الذي عضده بنصوص من القرآن، وأقوال العلماء والمفسرين القدامى مثل الطبري، وآراء البلاغيين مثل الجاحظ وغيره انتهى إلى القول : «قلت) وقد عجزت الانسانية من عهد رسول الله ﷺ، إلى عهدنا هذا بأن تأتي بكتاب أهدى للبشر من القرآن الكريم، فقد أحدث هذا الكتاب انقلابا في العالم لم يسبق له نظير ويشهد بذلك التاريخ والواقع، فلقد كانت الأمة العربية قبل القرآن من أحط أم الأرض، فلما آمنت بالقرآن صارت أعظم أمة على وجه الأرض، وقادت الانسانية إلى الحضارة والسمو قرونا طويلة فلما ضعفت ضعفت ايمانها في هذه العصور، وصارت مثل الأمم، ولو انها رجعت إلى إيمانها الأول بالقرآن ستعود لها ولاشك الزعامة والعظمة، ونشاهد في عصرنا هذا ونقرأ في التاريخ أن الفرد من المسلمين المومن بالقرآن المتمسك به، والذي لا يصدر إلا عن أوامره، يكون أرقى البشر أخلاقا، ويتمتع برضاء الله، وربما ظهرت على كثير من هؤلاء المومنين كرامات كدليل من الله على رضاه عنهم مما يدل على أن القرآن نور من الله يضيء به نفوس المومنين المتقين ويضيء به العالم كله...» (99).

— وعنده ان القرآن معجز من ناحيتين : البلاغة المدهشة التي أعجزت الامة العربية ؛ وما اشتمل عليه القرآن من اخلاق بلغت الغاية القصوى في السمو وتطهير النفوس...

ب — مؤلفات في علوم القرآن :

هناك حصيلة غير يسيرة من مؤلفات المغاربة في علوم القرآن في الفترة المعاصرة وسأعرضها بحسب ما أعرف عنها..

(98) القرآن رسالة الله الى جميع البشر ص : 72.

(99) المرجع نفسه ص : 197.

- 1 — «حاشية على الاتقان في علوم القرآن»⁽¹⁰⁰⁾.
- لأبي اسحاق ابراهيم بن محمد التادلي الرباطي (ت. 1311هـ)
- 2 — نظم في الناسخ والمنسوخ مع شرح لهذا النظم⁽¹⁰¹⁾
- لمحمد يحيا الولاتي (ت. 1330هـ).
- 3 — «جواب لمن يتصدى لقراءة التفسير وليس أهلاله»⁽¹⁰²⁾.
- تأليف احمد بن محمد بن الخياط الزكاري (ت. 1343هـ) كتبه للقاضي أبي عبد الله محمد ابن الطالب معينو السلوي.
- 4 — تقييد في فضل البسملة واعرابها⁽¹⁰³⁾
- تأليف التهامي بن المدني كنون (ت. 1331هـ)
- 5 — قصيدة رجزية في علوم القرآن⁽¹⁰⁴⁾
- لمحمد المهدي متجنوش (ت. 1344هـ)
- خصص منها أربعين بيتا في علوم القرآن واقتبس من المنبهة للداني وصرح بذلك، وعرض لمن حفظ القرآن من الصحابة ولجمع القرآن⁽¹⁰⁵⁾.
- 6 — «نيل النجاح والفلاح في علم ما به القرآن لاح»⁽¹⁰⁶⁾.
- أرجوزة للسلطان مولاي عبد الحفيظ العلوي (ت. 1356هـ) ضمنها - إعجاز القرآن والبلاغة طبعت بفاس عام 1327هـ في 106 صفحة⁽¹⁰⁷⁾.

(100) الاغتيال ص : 252/ أبو اسحاق التادلي الرباطي للاستاذ عبد الله الجارري ص : 99. معلمة القرآن والحديث في المغرب الأقصى لعبد العزيز بن عبد الله ص : 44.

(101) المعسول 8 : 286.

(102) طبع على الحجر مرتين (ينظر معجم المحدثين والمفسرين والقرآن بالمغرب الأقصى لعبد العزيز بن عبد الله وهي طبعة سالفة للمرجع السابق ص : 17) / معجم المطبوعات ص : 105..

(103) ذكره المراكشي في الاعلام 3 : 95، 96 عند ترجمته لمؤلفه.

(104) نشرها الأستاذ عبد الله الجارري في كتابه : «العلامة الرياضي محمد المهدي متجنوش ص : 83 — 84.

(105) المرجع نفسه ص : 82.

(106) معجم المحدثين والمفسرين ص : 21 (معجم المطبوعات ص : 220).

(107) المرجع نفسه.

- 7 — القول الحميد في تعظيم القرآن المجيد⁽¹⁰⁸⁾.
تأليف عبد الواحد بن علي بن عبد الله.
8 — بستان العرفان في بعض ما يتعلق بالقرآن⁽¹⁰⁹⁾.
تأليف محمد بن عبد الكبير الكتاني (ت. 1327هـ).
9 — التبيان لفصائل القرآن⁽¹¹⁰⁾.
تأليف محمد بن عبد الكبير الكتاني⁽¹¹¹⁾ (ت. 1327هـ)
10 — رسالة في إثبات التدوين والجمع لأهل القرن الأول الهجري من الصحابة والتابعين⁽¹¹²⁾.
تأليف محمد عبد الحي الكتاني (ت. 1382هـ).
11 — مجالي الامتان فيما روى لنا بالتسلسل من سور القرآن⁽¹¹³⁾
تأليف محمد عبد الحي الكتاني⁽¹¹⁴⁾ (ت. 1382هـ).
12 — جواهر البيان في تناسب سور القرآن⁽¹¹⁵⁾.
تأليف العلامة سيدي عبد الله بن الصديق.
الكتاب تناول فيه مؤلفه تناسب سور القرآن الكريم، وهو علم جليل القدر، قل التأليف

(108) معجم المحدثين والمفسرين والقراء بالمغرب الاقصى لعبد العزيز بن عبد الله ص : 25، وذكر انه طبع بالرباط على الحروف في 39 صفحة، والكتاب هو لوالد الاستاذ عبد العزيز بن عبد الله...
(109) مخطوط في خمسة كراريس، ينظر «ترجمة الشيخ محمد الكتاني الشهيد» لمحمد الباقر الكتاني ص : 251 وكذا التأليف ونهضته بالمغرب ص : (112 — 119).
(110) المرجعان السابقان ص : 252 وص (112 — 119) مخطوط في كراستين.
(111) «ترجمة الشيخ محمد الكتاني الشهيد» لمحمد الباقر الكتاني/ التأليف ونهضته ص : (112 — 113).
(112) نص المحاضرة التي القاها في مؤتمر المستشرقين الذي انعقد بالمدرسة العليا بالرباط عام 1346هـ/ فهرس الفهارس 1 : 32.
(113) فهرس الفهارس 1 : 25.
(114) ترجمته في مقدمة كتاب، فهرس الفهارس 1 : (6 — 32).
(115) طبع مرتين الأولى بالقاهرة مطبعة محمد عاطف وسيد طه (د. ت) والثانية ببيروت عالم الكتب 1406 هـ — 1986 / 166 صفحة حجم صغير.

فيه وندر، وما زالت انظار المتأملين في هذا العلم تتطلع إلى المزيد من العطاء فيه، وقد قدم فيه المؤلف جهدا علميا جديرا بالتقدير فقد تطلب وجه اتصال السور بما قبلها، وما سبقت له، بعد أن قدم له بمقدمة تشتمل على مسائل تتعلق بتعريف السورة لغة واصطلاحا، وأسماء سور القرآن، والتأكيد على أن ترتيب سور القرآن توقيفي مدعما آراءه بأقوال العلماء، وفرق بين تناسب الآي وتناسب السور، ونص على أن كتابه هذا هو ثالث كتاب⁽¹¹⁶⁾ ألف في هذا العلم الشريف الذي لا يعدو ثلاثة أنواع وهي :

1 — تناسب بين السورتين في موضوعهما وهو الأصل والأساس.

2 — تناسب بين فاتحة السورة والتي قبلها كالحواميم.

3 — مناسبة فاتحة السورة لخاتمة ما قبلها مثل آخر سورة الطور وبداية سورة «النجم»⁽¹¹⁷⁾.

ثم تعرض لمناسبة ابتداء القرآن بالفاتحة، وجاء فيه بتفسير مركز ودقيق لهذه السورة وذكر اهم ما تضمنته من المعاني والمقاصد مما جعلها بحق أم القرآن، وبين أنها بذلك تناسب كل سورة من القرآن جاءت بعدها...⁽¹¹⁸⁾.

ومنها إلى سورة البقرة، وبعد أن تحدث عن مناسبتها للفاتحة وأنواع التناسب الأخرى الموجودة فيها، انتقل إلى بحث هام جدا ناقش فيه تناسب السور الأربع الأولى من المصحف الكريم⁽¹¹⁹⁾، وبعد ذلك تتبع التناسب بين كل سور القرآن.

والاستاذ المؤلف سيدي عبد الله بن الصديق لا يالو جهدا في كتابه هذا، من حين لآخر بأن يأتي بتنبهات لها ارتباط بسياق كلامه لكنها نفسية زادت من ثراء الكتاب، وكذلك مبحث «نحة إشارية» فقد ورد عنده هذا المبحث مرتين في الكتاب الأول في صفحة : «42 والثاني في صفحة : 44 ويكفي أن يقرأهما القارئ ليعلم مستوى الفهم للقرآن وقضاياه لدى الشيخ عبد الله بن الصديق ؛ وأسوق نموذجا من هاتين اللمحتين :

اللمحة الإشارية الأولى وقد ساقها بمناسبة حديثه عن قصة سيدنا يوسف عليه السلام في القرآن قال : «لما امتنع يوسف عن فعل الفاحشة، وقاوم في نفسه شهوة الانسان، كما خالف

(116) لعله يقصد «البرهان» لابن الزبير، وتناسق الدرر في تناسب السور للسيوطي ولكن هناك أيضا «الدرالأزهر في مناسب الايات لعبد الله بن طاهر الشريف (ت. 1045هـ) (النوغي : 1 : 256).

(117) جواهر البيان في تناسب سور القرآن ص : 20.

(118) المرجع نفسه من ص : (20 — 25).

(119) المرجع نفسه صفحات : 27، 28، 29.

دعوة النساء يؤيدهن الشيطان، مخافة الوقوع في معصية الملك الديان، أفردت قصته بسورة في القرآن، يتردد اسمه فيها على تطاول الزمان، تنويها بشأن العفة والطهر والبعد عن الخنا والعصيان، وتنبها على بلايا الأبدان، لا تبلغ في كفة الميزان، ثواب الصبر عن الوقوع فيما يغضب الرحمن، أيوب عليه السلام أبلى في جسمه وأهله وماله، فأثنى الله عليه بقوله : ﴿إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب﴾⁽¹²⁰⁾ لكن يوسف عليه السلام أثنى الله عليه بقوله : ﴿إنه من عبادنا المخلصين﴾⁽¹²¹⁾ فنظمه في سلك الكلم، حيث قال عنه : ﴿واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصا﴾⁽¹²²⁾ وشتان بين المخلص والأواب، فتدبر آيات الكتاب تفهم سر الخطاب، ويرفع عنك الحجاب، أرشدنا الله وإياك إلى الصواب⁽¹²³⁾.

13 — الإحسان في تعقب الاتقان للسيوطي⁽¹²⁴⁾.

تأليف أبي الفضل عبد الله بن الصديق الغماري.

هذا الكتيب صحَّح فيه مؤلفه بعض السقطات التي وقع فيها السيوطي في كتابه «الاتقان في علوم القرآن» حيث لاحظ الشيخ عبد الله بن الصديق أن كتاب «الاتقان...» للسيوطي على أهميته وعظيم مزاياه ضم آراء شاذة وروايات ساقطة، فأت مؤلفه أن ينبه على شذوذها وسقوطها فاتخذها بعض المستشرقين وأذناهم سلماً إلى الطعن في بعض آيات القرآن الكريم فيما يتعلق بجمعه⁽¹²⁵⁾.

14 — ذوق الحلاوة ببيان امتناع نسخ التلاوة⁽¹²⁶⁾.

تأليف أبي الفضل عبد الله بن الصديق الغماري.

يذكر المؤلف أن بحثه هذا لم يسبق إليه «وهو يتعلق بنسخ تلاوة آية من القرآن، أي نسخ لفظها بعد أن كانت من القرآن فلا تبقى قرآناً. وهذا ما خالفت فيه علماء الأصول قاطبة ومعهم المتخصصون في علوم القرآن

(120) سورة (ص) الآية : 43.

(121) سورة يوسف، الآية 24.

(122) سورة مريم الآية 51.

(123) جواهر البيان ص : 42.

(124) مطبوع في القاهرة دار الانصار (د.ت) 40 صفحة — حجم صغير.

(125) الاحسان في تعقب الاتقان ص : 3.

(126) مطبوع في القاهرة دار الانصار ط 1 محرم 1402 هـ — نونبر 1981 / 32 صفحة، حجم صغير.

وقد أورد المؤلف الروايات القائلة بنسخ التلاوة متقصيا إياها باعتبار أنها الدليل الذي استند عليه القائلون بنسخ التلاوة، وفي أعقابها قال : «وحكى القاضي أبو بكر الباقلاني (128) في كتاب الانتصار (129)، عن قوم انكار هذا النوع من النسخ، لأن الأخبار فيه أخبار آحاد ولا يجوز القطع على إنزال قرآن ونسخه، بأخبار آحاد، لا حجة فيها» (130). ثم قال : «وهذا صحيح، وأقول زيادة عليه. — وإضافة إليه — : إن نسخ التلاوة، يقضي العقل باستحالة وهذا ما لم يتفطن إليه احد ممن قالوا بالجواز...» (131) وتساءل المؤلف لِمَ يَمْتَنِعُ نسخ التلاوة ؟ وأجاب بأنه يمتنع للأسباب الآتية :

- 1 — أنه يستلزم البداء، وهو ظهور المصلحة في حذف الآية بعد خفائها، وهو في حق الله محال، وما أبدوه من حكمة في جوازه، مجرد تمحل وتكلف لا يدفع المحال.
- 2 — إن تغيير اللفظ بغيره، أو حذفه بجملة، إنما يناسب البشر لنقصان علمه وعدم احاطته، ولا يليق بالله الذي يعلم السر وأخفى.
- 3 — إن ما قيل إنه كان قرآنا ونسخ لفظه، لا نجد فيه أسلوب القرآن، ولا طلاوته، ولا جرس لفظه.
- 4 — إن منه ما يخالف أسلوب القرآن.
- 5 — إن الأخبار الواردة في سبب نسخ (الشيخ والشيخة اذا زنيا) أخبار منكورة، وعرض المؤلف إلى بيان وجه إنكارها بتفصيل.
- 6 — إن تلك الجمل التي قيل إنها كانت من القرآن جاءت متقطعة، لا رابط يربطها بآيات القرآن الكريم، ولم يقولوا لنا، أين كان موضعها في المصحف الشريف؟ (132).
- 7 — تقرر في علم الأصول أن القرآن لا يثبت إلا بالتواتر، وما لم يتواتر، لا يكون قرآنا،

(127) ذوق الحلاوة.. ص : 3.

(128) القاضي ابو بكر بن الطيب الباقلاني (ت. 404هـ).

(129) هذا الكتاب مطبوع بعنوان : «نكت الانتصار لنقل القرآن» بتحقيق محمد زغلول سلام القاهرة نشأة المعارف 1971 / 445 صفحة :

(130) ذوق الحلاوة ص : 14.

(131) ذوق الحلاوة ص : 15.

(132) المرجع نفسه ص : 19.

والكلمات التي قيل بقرآنيتهما ليست بمتواترة فهي شاذة، والشاذ ليس بقرآن، ولا يجوز تلاوته⁽¹³³⁾.

8 — ان السنة النبوية، وقع فيها نسخ المعنى اي الحكم كما وقع في القرآن الكريم، ولم يثبت عن النبي ﷺ، انه رجع عن لفظ من الفاظ حديثه، أو بدله بغيره أو قال للصحابة عن حديث : لا تحفظوه فقد نسخت لفظه أو رجعت عنه فلا تبلغوه عني⁽¹³⁴⁾.

وهكذا فَنَدَّ الشيخ الحافظ القول بنسخ التلاوة في القرآن الكريم، واعتبره لا يستند إلى أدلة ترقيه إلى مستوى القرآن من حيث تواتر وروده... ومن ثم فإن مثل تلك الروايات تشكل خطورة على بعض الفئات خاصة إذا علمنا أنها هي التي تتخذها الجهات الاستشراقية مغمرا في عقيدة المسلمين وغالبا ما ينساق معها بعض المبتدئين من القراء والباحثين⁽¹³⁵⁾.

15 — فضائل القرآن⁽¹³⁶⁾.

تأليف أبي الفضل عبد الله بن الصديق.

16 — بدع التفاسير⁽¹³⁷⁾.

تأليف أبي الفضل عبد الله بن الصديق.

وهو من كتب المؤلف التي تضمنت تحقيقات علمية، وملاحظات دقيقة تنبئ عن فكر عالم خبير بالعلوم الإسلامية ومقوماتها، واحتكاك علمي طويل بمصادر التفسير دراسة وتدرسا وتحقيقا، مما جعله يعرض إلى تقويم العديد من التفاسير المعتمدة وذكر ما لها وما عليها في عبارات مقتضبة ومركزة⁽¹³⁸⁾.

(133) المرجع نفسه والصفحة.

(134) ذوق الخلاوة.. ص : 19.

(135) ينظر ما قاله الشيخ عبد الله بن الصديق في كتابه الآنف الذكر «الاحسان في تعقب الاتقان» ص : (5 — 9).

(136) ذكر مؤلفه في بدع التفاسير أنه طبع، (ص : 182) من الطبعة الثانية/ وذكر المرحوم عبد الله الجارري في «التأليف ونهضته بالمغرب..» ص : 394 — 395 ان هذا الكتاب يقع في جزئين مطبوع بمصر بدار التأليف.

(137) مطبوع مرتين الأول بالقاهرة مكتبة القاهرة 1385هـ — 1965م والثانية بالدار البيضاء، دار الرشد الحديثة 1406 — 1986 في 188 صفحة حجم متوسط.

(138) ينظر بدع التفاسير من ص : 152 إلى 162 على سبيل المثال.

17 — تعليقات على كتاب إعجاز القرآن للخطابي⁽¹³⁹⁾.

تأليف أبي الفضل عبد الله بن الصديق الغماري.

18 — قبسة من أنوار الوحي⁽¹⁴⁰⁾

تأليف الدكتور محمد تقي الدين الهلالي⁽¹⁴¹⁾ (ت. 1407هـ)

هذا الكتاب على صغر حجمه فيه أثر من علم الدكتور الواسع وفهمه الدقيق، وذلك أنه ساق معلوماته على شكل مبسط : سؤال وجواب، مما جعله جذاباً للقارئ لا يشعر وقد أنهى من بدايته إلى نهايته، وهذه غاية كبرى مرجوة من كل تأليف في العلوم الإسلامية، فليسر والسهولة والتبسيط دليل على التمكن والفهم الواسع لدى من تتسم تواليفه بهذه السمات. وكتاب قبسة من أنوار الوحي عبارة عن دروس في التفسير والحديث سبق للمؤلف أن ألقاها على طلبة بعض الجامعات في المشرق فيما بين سنتي 1952 — 1958، وجعلها أربعة أقسام : الأول : نبذة من علوم القرآن، والثاني تفسير سورة الفتح، والثالث : نبذة من علوم الحديث، والرابع : نبذة من الأحاديث مع شرحها شرحاً يعالج مشكلات العصر.

19 — المدخل لعلوم القرآن والتفسير⁽¹⁴²⁾

تأليف الأستاذ علال الفاسي⁽¹⁴³⁾ (ت. 1394هـ)

(139) ينظر بدع التفسير ص : 183، أما الخطابي المقصود فهو حَمْدُ بفتح الميم واسكان الميم بن محمد بن ابراهيم الخطابي البستي (ت. 388هـ) الفقيه الحافظ من أوائل الذين ألفوا في الإعجاز. [تذكرة الحفاظ : 4 : 198].

(140) مطبوع بمطبعة المعارف الجديدة — الرباط 1405 — 1985 / 146 صفحة / حجم صغير.

(141) الدكتور محمد تقي الدين الهلالي من علماء المغرب الأفذاذ داعية إلى الله حيث ما حل وارتحل، أتقن علوم الأداة والعلوم الإسلامية، والعلوم العصرية، وأتقن اللغات الأجنبية وقد قضى حياته في العلم وطلبه وإنفاقه، وخلف أثراً علمية غنية بالتدقيق والتحقيق، وسيأتي عرض ما تبقى منها مما له صلة بهذا البحث ترجم له المرحوم عبد الله الجراري في كتابه التأليف ونهضته بالمغرب ص : 123/ وتحدث هو عن نفسه في استجواب أجرته معه مجلة دعوة الحق ع. 3، السنة الأولى صفر 1377هـ، شتنبر 1957 ص : (24 — 26)، وهي المجلة التي كان يحبها وقد اثنى عليها مرات في بعض جلساتي معه، ومع الأسف أنها لم تنشر أي تعريف به وبأهم أعماله بمناسبة وفاته، وفاء لأحد من أقلامها القدامى اللامعين/ وترجم له الأستاذ الخطيب الواعظ السيد عمر محسن في تقديمه لكتابه سبيل الرشاد، وقد نقلت مجلة الفرقان هذه الترجمة بمناسبة وفاته في عدها العاشر من السنة الرابعة (ذو القعدة / ذو الحجة 1407 / يوليو — غشت 1987 ص : 6).

(142) نشرته مؤسسة علال الفاسي مطبعة الدار البيضاء — الدار البيضاء (د.ت) 144 صفحة — حجم متوسط.

(143) ترجمته في غلاف كتابه (النقد الذاتي) مطبعة الدار البيضاء 1974م.

وأصل هذا الكتاب المحاضرات التي كان يلقيها المؤلف على طلبته بالدراسات الإسلامية العليا بدار الحديث الحسينية عند أول نشأتها وقد ظهرت موسوعية العلامة علال الفاسي في مباحث هذا الكتاب، وإطلاعه وتقصيه لكل ما كتب قديما وحديثا، وتوجيه ذلك المقروء توجيهنا ناضجا يعكس وضوح الرؤية وسعة الأفق، وأسوق له نموذجا مما قاله في نشأة علوم القرآن وتدوينها قال :

«علوم القرآن عبارة عن طوائف المباحث والفنون المتصلة بالقرآن، وقد استعمل العلم في هذا التركيب، جمعا لأنه يدل على كل علم يخدم القرآن، في لفظه أو معناه ولم يقصد إلى علم واحد فحسب (...) وقد أكثر العلماء في الحديث عن هذه العلوم القرآنية حتى ذكر ابن العربي أنها تبلغ خمسين علما وأربع مائة وسبعة آلاف علم وسبعين ألف علم (...) ولكننا نعتبر القرآن كتاب هداية قبل كل شيء، وقد هداونا إلى خيرات كثيرة منها العلوم المختلفة».

— وبعد أن عرض لتاريخ علوم القرآن، وكيف نشأت وتدرجت عبر العصور عناية وتأليفا قال : إلا أنه «وقع في العصور المنحطة إهمال لدراسة القرآن وعلومه وتفسيره، وتركب على ذلك اقتصار في التأليف الراجع إلى هذه الفنون.

(...) وكان شيخنا سيدي أحمد العمراني، وهو يدرس لنا كتاب النُّقَاية للسيوطي⁽¹⁴⁴⁾ يطلعنا على كتاب له في مبادئ عدة من العلوم من جملتها ما يرجع لاصطلاح التفسير، واصطلاح الحديث (...).

ومنذ أن اخذت الكليات العربية الحديثة تعنى بالثقافة الإسلامية صدرت مؤلفات في علوم القرآن لا بأس بها، منها كتاب : «مناهل العرفان في علوم القرآن» للزرقاني ومنها كتاب «مباحث في علوم القرآن» للدكتور صبحي الصالح، وهذا الأخير يكاد أن يكون تلخيصا للأول مع بعض الإضافات⁽¹⁴⁵⁾.

20 — مدخل إلى علوم القرآن والتفسير⁽¹⁴⁶⁾.

تأليف الدكتور فاروق حمادة⁽¹⁴⁷⁾.

(144) كتاب النُّقَاية في مبادئ العلوم «للحافظ للسيوطي مطبوع سبق ذكره.

(145) المدخل لعلوم القرآن والتفسير لعلال الفاسي ص : 21.

(146) مطبوع بالرباط مطبعة المعارف الجديدة ط 1. 1399 — 1979 / 264 صفحة بالفهارس، حجم متوسط.

(147) استاذنا الدكتور فاروق حمادة حمصي أصلا — نسبة إلى حمص الشام — مغربي دارا ومهجرا، تلقى دراسته =

يعد هذا الكتاب من بين أهم كتب أستاذنا الدكتور فاروق حمادة، يسد فراغا في ساحة الكتاب الجامعي، ويسر شطرا من مهمة الأستاذ والطالب، ولا يخفى أن الكتاب جاء في المستوى المطلوب من حيث منهجية تأليفه، وتوثيق معلوماته وتبسيط عباراته بأسلوب سهل ودقيق، ينم عن ممارسة في التأليف، يضاف إلى ذلك تقصيه لأهم مباحث علوم القرآن التي لا يُستغنى عن معرفتها، مثل ظاهرة الوحي التي وفق المؤلف في عرضها، وتوثيقها بالنصوص القرآنية والحديثية وجمع النص القرآني وتدوينه، وحديث الأحرف السبعة، ومبحث القراءات القرآنية، والتفسير والمفسرون.. وقد زاد من قيمة الكتاب خبرة المؤلف وإطلاعه على أهم المصادر والمراجع التي ينبغي اعتمادها في هذا الباب، ثم كيفية التعامل معها، والخروج منها بمباحث تواكب سير البحث العلمي الجامعي علما بأن الكتاب كان أصله محاضرات جامعية يدرس بها مؤلفه ورقاها إلى المستوى الذي هي عليه الآن.

21 — المدخل لدراسة القرآن

لأستاذ محمد الحبيب التجكاني

ذكره ضمن مؤلفاته في كتابه المطبوع «نظام التبرعات في الشريعة الإسلامية» (دار النشر المغربية — البيضاء 1403 — 1933).

22 — «فضل الكريم المنان على قارئ القرآن»⁽¹⁴⁸⁾

لأبي العباس أحمد بن محمد الرهوني التطواني.

= الجامعة بجماعة دمشق — كلية الشريعة — على نخبة طيبة من أساتذتها منهم محمد سعيد رمضان البوطي ومحمد أديب صالح، وفتحني الدرني وغيرهم.. وظهرت مواهبه في التأليف مبكرا، فقد حقق «أخلاق العلماء» للأجري ونشره بالمشرق وهو باكورة تأليفه كما نشر مقالات بمجلة التمدن الإسلامي في دمشق والشهاب ببلنات التي نشر فيها قصائد شعرية من إنتاجه، وحج عام 1966م، ولما التحق بالمغرب اتم دراسته العليا فتخرج من كلية الحقوق بالرباط، ومن دار الحديث الحسنية التي حصل فيها على دبلوم الدراسات الإسلامية العليا في علم الحديث في يونيو 1975 ثم دكتوراه الدولة في نفس التخصص 28 شتنبر 1978، وقد زاول التعليم العالي في جامعة القرويين وفي جامعة سيدي محمد بن عبد الله وهو الآن بجامعة محمد الخامس بالرباط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية — شعبة الدراسات الإسلامية أستاذ التعليم العالي جاد في مجال البحث والتحقيق والتأليف والتدريس والإشراف على الرسائل الجامعية وقد استفدنا منه كثيرا في علم الحديث ومازال يذلل صِعَابَنَا في البحث جزاه الله خيرا وشكر له...

1. محمد العربي الشاوش: «شخصيات مغربية: من علماء المغرب في القرن الرابع عشر الهجري أبو العباس أحمد بن محمد الرهوني التطوان»... (مجلة الايمان ع: 136، رمضان إلى ذي الحجة 1404/ يونيو إلى

سبتمبر 1984 ص 71 — 80.

23 — سورة الواقعة وفضائلها⁽¹⁴⁹⁾

لمحمد بن عبد السلام ابن عبود.

24 — تأليف في اعراب لفظة «ثمود»⁽¹⁵⁰⁾

لعبد السلام الشرفي (ت. 1343هـ)

ج — تحقيق مؤلفات في علوم القرآن :

لقد اهتم بعض الباحثين المغاربة بتحقيق كتب في علوم القرآن تحقيقا حرا لا يرتبط بالحصول على شهادة جامعية، يظهر من خلال اختيارهم لها على وجه التحديد دون غيرها، أن هناك معايير علمية ناضجة عند هؤلاء المحققين، وانهم يعرفون كيف يصرفون جهودهم، وقد عرضت في فصل القراءات ما بذلوه من مجهود في هذا المضمار وعيا بالرسالة العلمية المنوطة بهم في هذه الجهة من الأمة الاسلامية.

وقد دل اختيارهم الكيفي على تكامل في المصادر التي حققوها في علوم القرآن من ذلك.

1 — كتاب دلائل الاعجاز لعبد القاهر الجرجاني⁽¹⁵¹⁾

حققه الاستاذ محمد بن تاويت التطواني.

وقد قال الأستاذ عبد الله الجرجاني عن هذا التحقيق : «إن ابن «تاويت» برهن بتعليقه وهوامشه على مقدرة في البلاغة وأسرارها»⁽¹⁵²⁾

(وقد طبع الكتاب بمطبعة المهدي بتطوان في جزئين 320 صفحة دون ذكر تاريخ الطبع، كما ذكر ذلك صاحب معجم المطبوعات ص : 78).

(149) مطبوع مع كتاب المؤلف المذكور «علم الجمال الروحي مع شرح الصلاة المشيشية» بتطوان مطابع الشيوخ ديسمبر 1982 مقياس 14 × 24 سم، 48 ص (مجلة الكتاب المغربي ع 1 مارس 1983 ص : 153).

(150) معجم المطبوعات المغربية ص : 189.

(151) الكتاب من بين أهم الكتب التي شملت عملية البعث والاحياء في المشرق مبكرا، فقد صحح أصله علامات المعقول والمنقول الامام محمد عبده والاستاذ اللغوي محمد محمود التركي الشنقيطي ووقف على تصحيح طبعه وعلق على حواشيه الأستاذ محمد رشيد رضا وطبع مرات، كما حققه الاستاذ محمود شاكر، وتحقيقه جيد وتلك عادة عطاءات هذه الأسرة العلمية.. وأضاف الأستاذ بن تاويت جهده إلى هذه الجهود، وقد رايت في خزنة ابن عاشور في تونس تعليقا للشيخ الطاهر المفسر على دلائل الإعجاز وهو جد نافع إن يسر الله إخراجة.

(152) التأليف ونهضته بالمغرب ص : 107.

2 — المذهب فيما وقع في القرآن من المعرب⁽¹⁵³⁾ ؟

تأليف جلال الدين السيوطي (ت. 911هـ).

تحقيق الدكتور التهامي الراحي الهاشمي.

وهذا الكتاب مع عظيم أهميته ظل مخطوطاً إلى أن يسر الله تحقيقه وطبعه بالمغرب، وقد كتب أحد المشارقة عن هذا الكتاب منوهاً بالاعتناء بطبعه وبجهد محققه فقال : «إن هذا الكتاب طريف في موضوعه وإنه — بعد أن عمل فيه المحقق قلمه وأفرغ فيه الكثير من علمه، يحمل أكثر من قيمة، ويخوض في أكثر من علم، فهو مرجع في الدراسات القرآنية وفي الدراسات اللغوية بفضل تلك الحواشي والتعليقات التي أوردها المحقق، كما أنه يدخل في الدراسات المعجمية المحضة لأنه رصد لألفاظ القرآن التي تعود لأصل غير عربي»⁽¹⁵⁴⁾.

3 — فضائل القرآن⁽¹⁵⁵⁾.

للإمام أحمد بن شعيب النسائي (ت. 303هـ).

تحقيق الدكتور فاروق حمادة.

وموضوعات هذا الكتاب كلها ألصق بعلوم القرآن، ومن عادة الكتب المؤلفة في الفضائل. أن تجمع بين الغث والسمين من الأحاديث لكن هذا الكتاب على خلاف ذلك فقد ألفه عالم محدث من أصحاب السنن المعتمدة عند المسلمين من أحاديث رسول الله ﷺ، وهو الإمام النسائي⁽¹⁵⁶⁾.

ومن المباحث العامة التي تضمنها الكتاب وهي في موضوع علوم القرآن ما يأتي :

— كيف نزول القرآن ؟

— باب : من كم أبواب نزل الوحي ؟

(153) مطبوع تحت إشراف «اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي بين حكومة المملكة المغربية، وحكومة دولة الإمارات العربية المتحدة» مطبعة فضالة — المحمدية المغرب (د. ت)

وقد ذكر الدكتور عفيف عبد الرحمن في كتابه الجهود اللغوية خلال القرن الرابع عشر الهجري ص :

113 أن كتاب «المذهب» للسيوطي حققه عبد الله الحبوري ونشره بمجلة المورد ع 1، 2 المجلد 1971/1 ص : 97 — 126 بغداد.

(154) دعوة الحق ع : 228 إبريل 1983 ص : 60 — 64.

(155) الدار البيضاء دار الثقافة — مطبعة النجاح الجديدة ط 1. 1400 — 1980 143 صفحة.

(156) أحمد بن شعيب النسائي (ت. 303هـ) انظر ترجمة المحقق له في فضائل القرآن مع الاحالات على مصادر ترجمته ص : (31 — 93).

- على كم نزل القرآن ؟
- باب : كيف نزل القرآن
- باب بلسان من نزل القرآن ؟
- باب كم بين نزول اول القرآن وآخره ؟
- باب عرض جبريل القرآن
- باب ذكر كاتب الوحي.
- باب ذكر قراء القرآن
- باب ذكر الأربعة الذين جمعوا القرآن في عهده صلى الله عليه وسلم.
- باب جمع القرآن...
- إلى غير ذلك من الأبواب الهامة والمفيدة في هذا المجال..

4 — فنون الأفنان في عيون علوم القرآن

لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (ت. 597هـ) نشره وقدم له احمد الشرقاوي اقبال⁽¹⁵⁷⁾.

والكتاب من أهم مصادر علوم القرآن رغم ما يبدو من صغر حجمه، فهو ثاني كتاب لابن الجوزي في علوم القرآن بمعناها الاصطلاحي بعد كتابه : «المجتبى في علوم تتعلق بالقرآن»⁽¹⁵⁸⁾ وأول مصدر ذكره السيوطي في لائحة مصادره في الانتقان في علوم القرآن⁽¹⁵⁹⁾.

5 — تحقيق مقدمة المحرر الوجيز⁽¹⁶⁰⁾.

لعبد الحق ابن عطية الاندلسي (ت. 546هـ)

وقد حققت ضمن ما حقق من تفسيره كما سبق القول، وهي من المقدمات المهمة في علوم

(157) الدار البيضاء مطبعة النجاح الطبعة الأولى 1970 / 125 صفحة / حجم صغير.

(158) مباحث في علوم في علوم القرآن للدكتور صبحي الصالح ص : 124.

(159) ينظر الانتقان 1 : 7.

(160) تحقيق المجلس العلمي بفاس طبع وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية بالمغرب 1395 — 1975 الجزء الأول من المحرر الوجيز ص : (1 — 60).

القرآن، وهي دليل على ما كان يلقيه علماء المغرب في العلوم القرآنية⁽¹⁶¹⁾.

ثانيا : الرسائل والأطروحات الجامعية :

إن ما يسمى بالبحث العلمي الجامعي حديث عهد بالمغرب الأقصى وهو وليد ما بعد فترة الاستقلال، وقد ظهرت مجموعة أعمال علمية ذات صلة بعلوم القرآن، وإن الطابع الذي يميز هذه الأعمال هو اهتمام الباحثين المغاربة المعاصرين بتحقيق ما كان لسلفهم مننتاجات علمية في علوم القرآن، ثم ان هذا المحقق على قلته لم يعرف طريقه إلى الطبع والتداول إذ بقي معظمه بين رفوف المؤسسات الجامعية التي أنجز في حظيرتها⁽¹⁶²⁾. مما يجعل هذا التراث المحقق وان تم إنقاذه لم يتجاوز عوائق الطبع والنشر ليحرر إلى الاستفادة منه في الواقع بشكل موسع وليغزو ساحات القراء من مختلف المشارب.

ومن جهة أخرى فإن لدار الحديث الحسنية حصّة الأسد في هذا المنجز من الأعمال العلمية، فهي المؤسسة الإسلامية التي سبقت إلى هذا الميدان، وكان لها فضل الريادة فيه في هذا البلد، علما بان المؤسسات الجامعية الأخرى مثل كليات الآداب والعلوم الإنسانية لم يهتم فيها بالدراسات الإسلامية العليا الا مؤخرا⁽¹⁶³⁾. وها أنا أعرض لما أنجز في علوم القرآن في إطار البحث العلمي الجامعي إلى حدود كتابة هذا البحث :

1 — الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم

تأليف القاضي ابي بكر بن العربي المعافري (ت. 543هـ) دراسة وتحقيق الدكتور عبد الكبير العلوي المدغري⁽¹⁶⁴⁾.

قدّم هذا الكتاب محققا ومصحوبا بدراسة علمية عن مؤلفه وعصره وشيوخه وتلامذته وتأليفه.. أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في الدراسات الإسلامية العليا من دار الحديث الحسنية التابعة لجامعة القرويين، قدمه الأستاذ الوزير عبد الكبير العلوي المدغري تحت إشراف الدكتورة

(161) مقدمتان في علوم القرآن، تصحيح وطبع آرثر جفري ص : 4.

(162) خصوصا ما يتعلق منه بالدراسات القرآنية.

(163) أحدثت شعب الدراسات الإسلامية مستوى السلك الأول والثاني (الاجازة) ابتداء من مطلع الثمانينات الميلادية 1400هـ ومستوى السلك الثالث في السنة الدراسية 1984 — 1985.

(164) وزير الاوقاف والشؤون الإسلامية حاليا، قام بطبع اطروحته «الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم» لابن العربي دراسة وتحقيق في مجلدين بعناية وزارة الأوقاف بالمغرب سنة 1408هـ — 1988 وأهدى النسخة الأولى المطبوعة منه إلى جلالة الملك الحسن الثاني بمناسبة الدروس الحسنية الرمضانية 1408هـ.

عائشة عبد الرحمن، وذلك بتاريخ 15 شعبان 1399 — 10 يوليوز 1979، ونال به درجة الدكتوراه بميزة حسن جدا.

وإني أرى أن الذي يمكنه أن يخبرنا عن أهمية هذا الكتاب في علوم القرآن من المعاصرين هو الذي جد في تحقيقه وعاشره سنوات قبل أن يخرج به للناس من رفوف الخزائن التي كادت أن تُؤذي به.. قال المحقق عن هذا الكتاب : «إنه من أحسن ما ألف في علوم القرآن ومن أجود الكتب التي أفردت لناسخه ومنسوخه، وأقومها نظاما وطريقة، وأمتعها أسلوبا، وأعذب عبارة، وأحلاها بيانا، وأغزرها علما، وأعمقها فهما وأقواها حجة، سلك فيه صاحبه مسلكا لم يتفق لمن سبقه فيما أعلم، فكان يذكر السورة وما فيها مما هو من قبيل النسخ وما هو من قبيل العموم والخصوص، ويذكر الأقوال الواردة في ذلك ويحققها ويمحصها وينقدها نقد العالم (...) ثم يدلي بدلوه ويأتي بقوله مع ما يشهد له ويدل عليه من منقول ومعقول، فتراه في كل ذلك قوي الحجة واضح المحجة»⁽¹⁶⁵⁾.

ولعل هذا هو نهج أبي بكر بن العربي المعافري في معظم تآليفه، وذلك صنيعة مع الأقوال التي يوردها، ولذلك تجده اذا كتب يحيل كثيرا على مؤلفاته الأخرى، مما يدل على أنه سلك فيها مسلكا متقاربا في التحقيق والتمحيص فهو في الأحكام يحيل على معظم تآليفه، وفي الناسخ والمنسوخ أيضا وهكذا.

أما القيمة العلمية لكتابه الناسخ والمنسوخ فهي ثابتة لبقية كتب ابن العربي المعافري الذي لا يجادل احد في عالميته وقوة عارضته، وبعد نظره وجزالة عبارته، ويكفي في قيمة كتاب الناسخ والمنسوخ ما وسمه به ابن جزى من المتقدمين، إذ فضله على جميع ما كتب في الناسخ والمنسوخ على كثرته وتعددده⁽¹⁶⁶⁾.

2 — قانون التأويل.

تأليف أبي بكر بن العربي المعافري (ت. 543هـ)

دراسة وتحقيق الأستاذ مصطفى الصغيري.

قدم هذا الكتاب رسالة علمية بدار الحديث الحسنية لنيل دبلوم الدراسات الإسلامية العليا بتاريخ 29 جمادى الأولى 1397هـ يوليوز 1977.

(165) الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم 1 : 1.

(166) ينظر التسهيل لعلوم التنزيل لابن جري : ص 7.

3 — البرهان في ترتيب سُورِ القرآن.

تأليف الامام أبي جعفر احمد بن ابراهيم بن الزبير الغرناطي (ت. 708هـ)
دراسة وتحقيق الاستاذ محمد شعباني.

قدم هذا الكتاب رسالة علمية بدار الحديث الحسنية لنيل دبلوم الدراسات الاسلامية العليا بتاريخ 26 جمادى الثانية 1406 — 8 مارس 1986 في جزئين الأول خصص منه 65 صفحة في علوم القرآن، جمع القرآن، ترتيبه، التناسب بين الآيات، بين السور...⁽¹⁶⁷⁾ وعصر ابن الزبير وترجمته، ومخطوطة البرهان، والثاني للتحقيق.

4 — الفوائد الجميلة على الآيات الجليلة.

لأبي علي الحسين بن علي بن طلحة الرجراجي الشوشاوي (ت. 899هـ).
دراسة وتحقيق الأستاذ ادريس غزوزي.

قدم هذا الكتاب رسالة علمية بدار الحديث الحسنية لنيل دبلوم الدراسات الاسلامية العليا بتاريخ 30 ذي الحجة 1398 — 1 دجنبر 1978 تحت اشراف الاستاذ مولاي مصطفى العلوي مدير دار الحديث الحسنية سابقا.

وجاء هذا العمل في ثلاثة مجلدات الأول خاص بالدراسة والثاني والثالث للتحقيق، وقد سبق للعلامة عبد الله كنون أن دعا في جريدة الميثاق⁽¹⁶⁸⁾ لسان رابطة علماء المغرب — إلى العناية بهذا الكتاب والعمل على تحقيقه ونشره، وقد تعرض في مقاله إلى الشوشاوي ومؤلفاته وخص من بينها «الفوائد الجميلة» لأهميته.

5 — اعجاز القرآن في منهج القاضي عبد الجبار عرض مقارن.

تأليف الاستاذ فاضل عبد النبي.

قدمت هذه الدراسة رسالة جامعية بدار الحديث الحسنية لنيل دبلوم الدراسات الاسلامية العليا بتاريخ 4 جمادى الأولى 1405 — 26 يناير 1985. وقد تساءل الباحث في مطلع دراسته لماذا القاضي عبد الجبار ؟

وأجاب : «إنه الباحث الوحيد المعروف إلى حد الآن الذي ناقش كل خصوم القرآن وبسط

(167) حاول الباحث في دراسته أن يبرز أن عمل ابن الزبير في البرهان وجه من أوجه الاعجاز لم يسبق اليه بالتأليف. طبع مؤخرا بعناية وزارة الأوقاف المغربية.

(168) جريدة الميثاق ع. 237 السنة الثالثة : / طبع كتاب الفوائد المذكور بوزارة الأوقاف أيضا في 1409هـ.

شبهاتهم ووضحها، ثم أبطلها من عدة أوجه مختلفة وبأسلوب يعتمد المنحى العقلي والجدل الكلامي وافترض الردود ونقضها، وقد ناقش القاضي في موضوع الاعجاز اليهود والدينية والسمنية والإمامية والباطنية، وبعض الفرق الكلامية فيما خالفوا فيه المعتزلة حول قضايا تتصل بالاعجاز كالقول بالصرفة، وقضية الحكاية والمحكي، والقاضي في كل حوار مع أولئك يدافع عن سماوية القرآن وعن اعجازه وعن إثبات المعجزة عموماً...»⁽¹⁶⁹⁾

6 — المنحى الاعتزالي في البيان وإعجاز القرآن⁽¹⁷⁰⁾.

تأليف الأستاذ أحمد أبي زيد.

وهي دراسة علمية قدمت رسالة جامعية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط لنيل دبلوم الدراسات العليا — شعبة اللغة العربية / 1981.

وقد خصص الأستاذ الباحث الباب الرابع من رسالته للتفسير الاعتزالي لقضية إعجاز القرآن، وحاول شرح النظرية الاعتزالية في إعجاز القرآن وذلك في الفصلين اللذين شملهما هذا الباب من الرسالة⁽¹⁷¹⁾.

7 — فضائل القرآن لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت. 224هـ)

دراسة وتحقيق الأستاذ أحمد الخياطي.

رسالة دبلوم قدمت بدار الحديث الحسنية تحت إشراف الدكتور التهامي الراجي، ونوقشت في شهر يوليوز 1988.

تقع في أربعة أجزاء خصص الأول منها للدراسة وقد حقق الكتاب في السعودية منذ أكثر من عشر سنوات حققه الأستاذ محمد التجاني جوهري بجامعة أم القرى بمكة ولكن كتب أبي عبيد مع ذلك جدية بكل عناية واهتمام نظراً لعلم الرجل وعدالته وضبطه كما شهد له المحققون وأهل الشأن بذلك..

ثالثاً : المقالات العلمية :

وفي مجال علوم القرآن بمعناها الاصطلاحي كتب المغاربة في الفترة المعاصرة مقالات في علوم القرآن تضمنتها في معظمها، ان لم نقل كلها مجلة دعوة الحق التي تصدرها وزارة الأوقاف

(169) ص : (ج. ط) من نفس الرسالة وقد حضرت مناقشتها بالدار حين استنفت المناقشات بعد توقف.

(170) طبعت هذه الدراسة لاساتذا أحمد أبي زيد استاذ الدراسات البيانية والاعجاز بكلية الآداب بالرباط بمطبعة المعارف الجديدة ط 1 / 1986 402 صفحة حجم متوسط.

(171) انطلاقاً من الصفحة 247 إلى 293 من النسخة المطبوعة، خاص بالحديث عن إعجاز القرآن عند المعتزلة.

والشؤون الإسلامية منذ مطلع عهد الاستقلال واورد هذه المقالات موثقة، تباعا حسب أهميتها.

1 — اعجاز القرآن للمرحوم العلامة محمد السائح⁽¹⁷²⁾ وهو مقال منشور بمجلة دعوة الحق العدد السابع السنة الثانية رمضان — شوال 1378هـ — ابريل 1959 من الصفحة 19 إلى 25.

ومعلومات هذا المقال جد نافعة، وفيه طابع الاصاله والجدة، فقد تناول فيه صاحبه اعجاز القرآن في ثلاث نقط أساسية وهي : إعجاز القرآن بأسلوبه، واعجازه ببلاغته، وإعجازه بما فيه من سنن الكون ونوامس العمران وقد لاحظ في هذا المقال ملاحظته الفريدة، وهي وجود فواصل أخرى بالاضافة إلى التي بنيت عليها السورة وهو تتبع في الأسلوب على نهجه بني التوشيح.

ومن جملة ما قاله في النقطة الأولى : «القرآن اختص بأسلوب غريب، ونظم مدهش عجيب انفرد فيه بمقام لا تبلغه القوى البشرية (...)» وإن كانت مادته الحروف كالخلق العجيب الذي مادته التراب، ولهذه النكتة الدقيقة والجوهرة العميقة، صدرت تسع وعشرون سورة منه عدد حروف المعجم بشرط الحروف الهجائية حروفا مقطعة، كأنه للتبنيه على المادة التي وقع منها الصوغ (...)» وإن أسلوب القرآن ليس جاريا على الفنين اللذين يصاغ فيهما اللسان العربي وهما : الشعر والنثر، كما أنه وان كان في عديد النثر لم يجر على طرائق النثر وأنواعه (...)» وإذن فما أسلوبه ؟.

أسلوبه كما قال الله تعالى : ﴿الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني﴾⁽¹⁷³⁾ وكما قال سبحانه : ﴿كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير﴾⁽¹⁷⁴⁾ فهو تفصيل آيات ينتهي إلى مقاطع يشهد الذوق بانتهاء الكلام عندها، ثم تنثنى وتعاد مراعى فيها ما روعي في الأولى ثم الثانية كذلك على غرارها وهكذا دواليك...⁽¹⁷⁵⁾ ثم مثل لذلك بسورة الفاتحة ثم قسم أسلوب القرآن إلى نوعين الأول التنويع اللفظي والثاني التنويع البياني ووضح كل واحد

(172) محمد بن عبد السلام السائح الاندلسي الرباطي (ت. 1367هـ — 1949م) ترجمته في «اتحاف ذوي العلم والرسوخ بترجم من اخذت عنه من الشيوخ لمحمد بن الفاطمي ص : 205/ من اعلام الفكر المعاصر 2 : 140 التأليف ونهضته بالمغرب ص : 173.

(173) الزمر الآية : 22.

(174) هود، الآية : 1.

(175) المقال اعلاه ص : 19.

منهما بالأمثلة من القرآن ثم عرض لإعجاز القرآن ببلاغته من خلال ثلاثة جوانب 1 — الإيجاز في السور المكية. 2 — الاطناب في السور المدنية 3 — التشبيه في القرآن، وختم المقال بإعجاز القرآن بما فيه من سنن الكون ونواميس العمران، وفيه تعرض لبعض أقوال العلماء القدماء والمعاصرين، وذكر أن القرآن تحدث عن فلسفة التاريخ وأنه أوماً إلى أن الربا من مثيرات الحروب ؛ وعلى أي فالمقال في غاية ما يكون، وقد أضفى عليه العلامة محمد السائح من علمه ونظيره الثاقب ما جعله غزير العلم كثير الفائدة.

2 — النسخ في القرآن للأستاذ محمد عبد الملك الكتاني.

مقال منشور بمجلة دعوة الحق العدد الأول السنة العاشرة رجب 1386 هـ نونبر 1966 من الصفحة (9 إلى 14).

3 — مسألة النسخ على بساط البحث للأستاذ أحمد التجاني⁽¹⁷⁶⁾ نشرته مجلة دعوة الحق ع : 3 السنة 10 رمضان 1386 — يناير 1967 (15 — 19) وهو رد على مقال الأستاذ محمد عبد الملك الكتاني الذي رد بدوره على مقال سالف في نفس المجلة، للأستاذ أحمد التجاني في موضوع النسخ أيضاً..

والأستاذ أحمد التجاني من الذين لا يقولون بوجود النسخ في القرآن، وفي صدر مقاله المذكور ينقل عن الشيخ محمد شلتوت في لقائه معه بمصر قوله : «إن مدة التشريع في المدينة لم تتجاوز العشر سنين، وفترة كهذه ليس من شأنها أن يحدث فيها من التطور الاجتماعي ما يستدعي نسخ حكم من الأحكام، وزاد يقول : ما قلت لتلاميذي في يوم من الأيام إن النسخ موجود في القرآن، وإني أذنتك أن تروي هذا الجواب عني في المغرب والجزائر كما أني مستعد لإجابة من يكتابني في هذا الشأن».

4 — ذكرى نزول القرآن وتحقيق في تاريخه للأستاذ عبد الله كنون⁽¹⁷⁷⁾.

مجلة دعوة الحق العدد الثالث السنة الحادية عشرة شوال 1337 يناير 1968 من الصفحة 39 إلى 45.

وفي هذا المقال يرى الأستاذ عبد الله كنون أن نزول القرآن منجماً حسب الوقائع والاحداث نشأت عنه علوم ومباحث واسعة تسمى علوم القرآن لا بد للمفسر أن يلم بها، والا عميت عليه الأنباء في معرفة معني الآي الكريمة وأسرار التنزيل، فمنها العلم بأسباب

(176) الأستاذ أحمد التجاني كان موظفاً بوزارة الأوقاف المغربية وهو من أصل جزائري كان له اهتمام بالتفسير وعلوم القرآن وترجمة القرآن كما سنرى من خلال باقي مقالاته في الموضوع.

(177) سيأتي التعريف به عند عرض تفسيره.

النزول... ومنها معرفة المكّي والمدني... ومنها معرفة الناسخ والمنسوخ...»⁽¹⁷⁸⁾.

كما يرى أن مدة نزول القرآن هي مدة تاريخ الرسالة من تاريخ البعثة إلى ما قبل وفاة النبي ﷺ بقليل.

5 — ارتسامات بعض المفسرين حول القرآن وتفسيره.

مقال للاستاذ محمد الطنجي⁽¹⁷⁹⁾ منشور بمجلة دعوة الحق العدد التاسع والعاشر من السنة الثامنة ربيع الأول والآخر 1385 هـ يوليو غشت 1965، (13 — 16) بين أن القرآن كتاب هداية ثم تعرض لتعريف السبكي للقرآن وابن حزم والشاطبي مفضلاً رأي الأخير وعرض لقضية نزول القرآن والاقوال المتضاربة فيها مقترحاً عدم الخوض في ذلك في هذا العصر مادامنا نفتقر إلى نص من الوحي قاطع في الأمر.. وبين أن الأصل الأول في التفسير بيان الرسول ﷺ وأن معرفة أسباب النزول لها أهميتها وقول الصحابي ملزم في سبب النزول... وبعد انتصاره إلى التفسير بالمأثور حذر مما وقع فيه من الوضع.

6 — ما وقع في القرآن بغير لغة العرب.

مقال للاستاذ الدكتور محمد تقي الدين الهلالي تسلمته مرقونا من أسرة المؤلف⁽¹⁸⁰⁾ عالج فيه قضية وقوع المعرب في القرآن من خلال الواقع التاريخي لشبه جزيرة العرب ومراكزها التجارية على رأسها مكة، ومن خلال ما قاله العلماء المتقدمون في الموضوع وانتهى إلى إثبات رأيه قائلاً : «إنما يمكن أن يقال ذلك إذا كان في القرآن تراكيب أعجمية، أو كلمات باقية على عجمتها، أما وجود كلمات قد صقلتها العرب بألسنتها ونحت بها مناحي كلماتها ودخلت في أوزانها فلا يمكن أحداً أن يدعي ذلك فيها..» وعن كتاب «المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب»⁽¹⁸¹⁾ يقول : «فلا نعلم أنه موجود في هذا الزمان، لكن الملخص الذي نقله منه مؤلفه في كتاب الاتقان، لا يدل على أن المؤلف مع غزارة علمه كان أهلاً أن يؤلف في هذا الباب لأنه فيما يظهر لم يكن يعرف إلا اللغة العربية، والمؤلف في هذا الموضوع يحتاج إلى إلمام باللغات التي قيل، إن بعض مفرداتها قد عرب ودخل في القرآن، فإن لم يلزم بها كلها

(178) المقال نفسه ص : 39.

(179) الاستاذ محمد الطنجي من علماء المغرب المحققين عاش طويلاً في تركيا وتاهل من هناك وعاد إلى المغرب وشارك في تحقيق كتاب المدارك للقاضي عياض وغيره، ثم عاد مجدداً إلى تركيا وصفه الاستاذ المنوني بفقيه التراث الخلدوني (مصادر تاريخ المغرب ص : 204).

(180) يقع هذا المقال في 9 صفحات من الحجم الكبير مرقونا بالالة الكاتبة، مما يدل على أنه قدم للنشر مثل مقالات المؤلف الأخرى التي نشر معظمها في مجلة دعوة الحق.

(181) تقدم عرضه وهو محقق ومطبوع بالمغرب.

فلا اقل من الامام ببعضها، وأكثر علماء العرب مقصرون في علم اللغات... وقد كان عمر رضي الله عنه يعرف اللغة العبرانية ويقرأ التوراة ويفهمها»⁽¹⁸²⁾ والمقال قيم بما ضرب فيه الدكتور من الأمثلة، وبما قارن فيه بين العربية والعبرانية وغيرها من خلال الالفاظ التي يقال عنها إنها من المغرب في القرآن... وعمدته في تتبعها هو كتاب الاتقان لجلال الدين السيوطي..

7 — مركز المصحف الشريف بالمغرب للاستاذ محمد المنوفي مقال منشور بمجلة دعوة الحق العدد الثالث السنة الحادية عشرة شوال 1387 هـ يناير 1968 م.

8 — تاريخ المصحف الشريف بالمغرب للاستاذ محمد المنوفي مجلة معهد المخطوطات بالقاهرة بالمجلد 15، ج 1، مايو 1969 (3 — 47).

9 — مخطوطات مغربية في علوم القرآن والحديث.
للاستاذ محمد المنوفي.

مجلة دار الحديث الحسنية العدد الثالث 1402 — 1982. صفحات : (53 — 122).
ولا تخفى أهمية كتابات الاستاذ الباحثة السيد محمد المنوفي في مجال الافادة والتوثيق.

10 — القرآن يفسر بعضه بعضا للأستاذ أحمد التجاني دعوة الحق العدد السادس والسابع، السنة الحادية عشرة صفر 1388 — ماي 1968 صفحات : (34 — 36) وهو الحلقة الثانية من المقال تحت نفس العنوان.

تناول في هذا المقال استشهاد بعض الناس بآيات قرآنية في غير ما سيقّت له مما يخرجها عن مدلولها الحقيقي الذي وردت من اجله في سياق القرآن الكريم، من ذلك : ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾⁽¹⁸³⁾، ﴿فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون﴾⁽¹⁸⁴⁾، ﴿وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى﴾⁽¹⁸⁵⁾.

وأزال ما يستشكل على الناس من الجمع بين قوله تعالى في سورة النساء ﴿وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله﴾⁽¹⁸⁶⁾ وبين قوله في نفس السورة : ﴿ماأصابك من حسنة فمن الله وماأصابك من سيئة

(182) المقال المذكور ص : 3.

(183) الصفات الاية : 96.

(184) الانبياء : الاية : 7.

(185) النجم الاية : 4.

(186) الآية : 77.

فمن نفسك» (187) بأن حل الاشكال يلتمس في سورة الشورى في قوله تعالى : ﴿وما أصابكم من مصيبة بَمَا كَسَبْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ (188) وشرح ذلك قائلا : اقترفت في يومي عشر سيئات فعفا لي سبحانه عن سبع تصديقا لقوله : ﴿وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات...﴾ (189) فالعفو عن السبع سيآت صدر من الله نصا وهو قوله : «يعفو عن كثير، بقيت ثلاث سيئات محيت بعفو الله الذي وسعت رحمته كل شيء، فمحوها وقع عند الله لأن عدم العفو عنها إذن منه سبحانه في أن أعاقب عليها». إذن ﴿قل كل من عند الله﴾ (190) يتجاوب مع نظيره في سورة الشورى ﴿وما أصابكم من مصيبة بَمَا كَسَبْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ (191).

ثم يقول : «وَبِمَا أَنَّ الْقُرْآنَ تَرَاثُ مَشَاعٍ بَيْنَ جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ فَكُلٌّ مِنْ فِيهِ الْكَفَاءَةُ وَعِنْدَهُ مَا يَنْفَعُ الْمَجْتَمَعَ الْإِسْلَامِي أَنْ يَجُودَ بِمَا عِنْدَهُ» (192).

ويضرب مثلا من الواقع لما وصل إليه المجتمع من عدم التدبر في القرآن قائلا : «تعود طلبة القرآن الترحم على الميت عند الدفن بالآيات التي ذكرت فيها الرحمة» ﴿وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون﴾ (193) إلى أن يختموا بقوله تعالى : ﴿وإن عليكم لحافظين...﴾ (194) على أن كلمة الحافظين من الحفظ والرحمة والعطف والحال أن معناها هاهنا بمعنى الرقابة والحراسة، فإن قبلها ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالْدين...﴾ (195).

11 — القرآن وعلومه في عهد الدولة العلوية الشريفة للاستاذ العابد الفاسي (الحلقة الأولى).

دعوة الحق العدد الرابع السنة الحادية عشرة ذو القعدة 1387 فبراير 1968.

(187) الآية : 78.

(188) الآية : 28.

(189) الشورى، الآية : 23.

(190) النساء الآية : 77.

(191) الآية : 28.

(192) المقال نفسه ص : 34 — 35.

(193) البقرة : 156.

(194) الانفطار، الآية : 10.

(195) الانفطار نفس الآية.

ومما جاء فيه ان الدراسات القرآنية كانت «عاملا قويا في نشر اللغة العربية وآدابها والغوص في معانيها الدقيقة مما يمت إلى أساليب القرآن ولغاته المختلفة فكتب المغاربة في هذا الميدان الشيء الكثير وشرحوا قول النبي عليه السلام أنزل القرآن على سبعة أحرف، وبينوا وجوب متابعة المصحف العثماني في الرسم وأدلووا بدلائهم في كل الموضوعات التي ترجع إلى تجديد النطق بالكلمة كما نطق بها العرب، وعلى حسب المسموع منهم في ذلك، من تحقيق، وتسهيل، ومد، وتوسط، واشمام وامالة، وبرعوا في ذلك البراعة الفائقة وندر من اهل العلم من لم يكن له إلمام بهذه القواعد إن لم تساعده ظروفه على التخصص..» (196).

12 — القرآن وعلومه في عهد الدولة العلوية الشريفة للأستاذ العابد الفاسي (الحلقة الأخيرة) (197).

تناول فيه أشهر المقرئين في العهد العلوي ودعا إلى بعث علوم القرآن بإحداث دار علمية لها مثل دار الحديث أو تدرج في التعليم العالي شعبة مستقلة تفيد في هذا المجال.

13 — القرآن وذكرى مرور أربعة عشر قرنا على نزوله. للأستاذ عبد الله الجراري.
دعوة الحق ع : 3، س : 11 شوال 1387 يناير 1968 (95 — 97)

14 — ذكرى... ومعجزة.

للأستاذ حسن الحجوي

مقال منشور بدعوة الحق العدد 3 السنة 11 شوال 1387 يناير 1968 (138 — 145).

تناول فيه نقطا في شكل عناوين : النزول والتلقي، المصحف الامام، مشكل القراءات السبع، الاعجاز باللفظ، الاعجاز بالمعاني، القرآن سبق علماء العصر الحديث...

15 — معنى نزول القرآن

للأستاذ محمد بن تاويت.

دعوة الحق 3 : س 11 شوال 1387، يناير 1968.

16 — عناية محمد الخامس بالقرآن وعلومه للأستاذ محمد ادريس العلمي.

مجلة دعوة الحق العدد الثالث السنة الحادية عشر شوال 1387 يناير 1968.

(196) المقال المذكور ص : 39.

(197) دعوة الحق ع : 2 س 11 ذو الحجة — محرم 1388 مارس — ابريل 1968 (35 — 39).

17 — قضية التفسير الجديد للقرآن.

للدكتور محسن عبد الحميد.

مجلة الهدى السنة الرابعة العدد 13 جمادى الأولى 1406 يناير — فبراير 1986 (5 — 9).

18 — قراءة في مصادر التفسير للأستاذ زيد بوشعراء.

مجلة الهدى السنة الخامسة العدد 15 ربيع الآخر 1407، دجنبر 1986 (4 — 10).

مقال ممنهج ومركز شكلا ومضمونا، حاول فيه كاتبه أن يرصد مصطلح «مصادر» عند مجموعة من المؤلفين في علوم القرآن والتفسير فهي عند الزركشي (الماخذ) وعند الذهبي في «التفسير والمفسرون» مصادر التفسير، وعند الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور (استمداد علم التفسير) وعند استاذنا الدكتور محسن عبد الحميد «أصول التفسير النقلية والعقلية» وبين أن بين شروط التفسير ومصادر التفسير اتصالا وانفصالاً ما تُمَّ تَابَع الحديث عن كل مصدر من مصادر التفسير على حدة مبتدئا بالقرآن ومثليا بالسنة ثم المأثور عن الصحابة ثم المأثور عن التابعين ثم مطلق اللغة ثم العقل، وختم مقاله بملاحظات اخيرة فجاء المقال يعكس شخصية صاحبه في غاية ما يكون... مما ينبىء عن باحث دقيق وممنهج ستستفيد منه الدراسات القرآنية باذن الله وهو أخونا الأستاذ زيد بوشعراء أستاذ الدراسات القرآنية بكلية الاداب بوجدة نجل الاستاذ الباحث المؤرخ مصطفى بوشعراء، وهم من الأسر السلاوية العريقة علما وفضلا.

19 — قواعد لتفسير القرآن الكريم مقتبسة من كلام الغزالي.

للاستاذ محمد بن تاويت الطنجي.

— مجلة البينة السنة الأولى ع : 5 ربيع الآخر 1382هـ.

شتبر 1962 (القسم الأول)

وفي القسم الثاني في نفس المجلة عدد 7 من نفس السنة جمادى الآخرة 1382هـ. نونبر

1962.

20 — أوائل سور القرآن الكريم وأسمائها.

(مجلة الايمان س 9 ع. 84 ابريل 1979 ص : 45).

21 — حول فهم النصوص القرآنية

للاستاذ علي عبد العظيم.

مجلة الايمان ع : 2 س 2. رمضان 1384؛ يناير 1965 (ص : 23 — 28)

22 — التصوير الموضوعي في القرآن الكريم

للأستاذ مصطفى بوهندي

(جريدة السنة العدد 10، رمضان 1408، ص : 6)

ويقصد صاحب المقال المزج بين التصوير الفني، ووحدة الموضوع المطروق يقول : «ثم إن هدف التفسير عموماً، أن يعرف الوسائل والأدوات التي توصلنا بها إلى هذه المعاني والأغراض، وهدف التصوير الموضوعي أن يكتشف ذلك التناسق العظيم من الناحية الفنية بين الصور والمشاهد المختلفة للموضوع الواحد وفي ذلك كشف عن أجوبة جديدة من عجائب القرآن التي لا تنقضي وكشف عن وجه آخر من أوجه الإعجاز التي طالما تحدث عنها العلماء وغيرها... وذلك دلالة أخرى على أن هذا الكتاب من عند الله سبحانه وتعالى».

23 — مقارنة منهجية لكشف بناء القرآن الكريم

للأستاذ خالد الدادسي بلحبيب.

الفرقان، ع 16، س 5/ محرم — صفر 1409هـ، شتنبر 1988 ص : (20 — 23) مقال تعرض فيه صاحبه إلى بناء القرآن الكريم على الآية والسورة، معتمدا ما في كتب علوم القرآن وما قاله صاحب مناهل العرفان، وفي نهاية المقال وجه دعوة الى الباحثين ورثة كتاب الله «بتوسيع مفهوم علوم القرآن ليشمل علم البناء أو النظم أو سائر القضايا المنهجية والمصطلحية.» مستدلاً بقولة لابن خلدون في فضل سبق إلى تعيين العلم، ويبقى على الآخرين أن يتموا ذلك..

الفصل الرابع

مباحث قرآنية

تمهيد :

من خلال تتبعي لمظاهر عناية المغاربة بالقرآن الكريم في الفترة المعاصرة تبين لي أن لديهم مجموعة من الأعمال الفكرية ترتبط بالقرآن ففضلت أن أعرض هذه الأعمال عرضاً توثيقياً بـ «مباحث قرآنية»، وقد ترددت كثيراً بين أن أسميها بهذا الاسم أو أسميها بـ «موضوعات قرآنية» وتكون هذه التسمية الأخيرة أقربها مما يسمى اليوم بالتفسير الموضوعي، وهو الذي يعالج موضوعاً معيناً من القرآن الكريم بجمع الآيات التي تتحدث عنه في صعيد واحد، ثم التعرض لها بالتفسير والبيان، مثل الصبر في القرآن، والعلم في القرآن والعدل في القرآن... وهكذا، ولكن بما أن هذه الأعمال لا يتجه معظمها صوب التفسير الموضوعي بمعناه الاصطلاحي المشار إليه فضلت أن أعنونها بـ : «مباحث قرآنية».

على أن أتناول تقديم نتائج المغاربة في هذا المجال بتصنيفها إلى ثلاثة أصناف :

أ — الكتب.

ب — الرسائل الجامعية.

ج — المقالات.

أ — الكتب :

1 — «واضح أن البرهان على تحريم الخمر في القرآن»⁽¹⁾

تأليف الأستاذ عبد الله بن الصديق.

وهو رد على بعض أساتذة جامعة الأسكندرية الذي زعم أن ليس في القرآن آية تدل على حرمة الخمر تصريحاً.

(1) مطبوع (التأليف ونهضته.. ص : 96 3)

2 — «فضائل النبي في القرآن»⁽²⁾.

تأليف ذ. عبد الله بن الصديق.

3 — «كمال الايمان في التداوي بالقرآن»

تأليف الاستاذ عبد الله بن الصديق الغماري.

وهو كتيب صغير يقع في 84 صفحة مقياس 13 × 18 سم، مطبوع عدة طبعات⁽³⁾ الثالثة منها بدار الفرقان للنشر الحديث.. الدار البيضاء دون تاريخ، وقد رد فيه المؤلف على الشيخ محمود شلتوت⁽⁴⁾ الذي ينكر التداوي بالقرآن، وقد سمع الشيخ ابن الصديق حديثا مذاعا بالراديو للشيخ شلتوت أنكر فيه التداوي وجعله من قبيل الدَّجَل والخرافات، فتعجب ابن الصديق لجرأة هذا الأزهري وقال : «كيف يصح أن يتهم على إنكار شيء ثبت عن رسول الله ﷺ قولا وعملا وإقرارا؟! كما ثبت عن الصحابة والتابعين وأجمع الائمة على جوازه، بل القرآن نفسه يدل عليه ويرشد إليه لمن استعمل فكره، وأمعن نظره»⁽⁵⁾.

ثم يضيف المؤلف ابن الصديق قائلا «لكن سوابق هذا المبتدع في إنكار السنة ومحاربتها، والحض على إهمالها في تفسير القرآن الذي وكل الله إلى رسوله تبيينه للناس دلثني على أنه مستهتر فيما يقول، لا يستند إلى ما تواطأ عليه العلماء من الأدلة إلا بقدر ما يوافق رأيه وهواه، فهو يرجع — فيما يعرض له من تفسير بعض الآيات — إلى رأيه المجرد وإذا ما صادفه حديث صحيح عن النبي ﷺ، يخالف ما قال، رده بأسلوب خبيث يدل على الدهاء والمكر، ذلك بأن يقول : جاء في «الروايات» كذا و تقول «الروايات» كذا ليوهم بذلك أنه ما خالف إلا روايات لاقيمة لها في نظر الفاحص المدقق والواقع أن ما سماه «روايات» حديث صحيح عن النبي ﷺ، أخذ به العلماء والتزموه، بل قد يكون من قبيل المستفيض أو المتواتر، وقد يهمل الحديث فلا يتعرض له إطلاقا كأنه لم يرد في شيء من كتب السنة أو التفسير»⁽⁶⁾.

وقد جرت بين الرجلين ردود علمية حامية في شأن نزول عيسى عليه السلام الذي كان ينكره الشيخ محمود شلتوت ؛ ومع ذلك كان هذا الأخير يقدر الشيخ عبد الله بن الصديق

(2) مطبوع بمكتبة القاهرة (المرجع السابق ص : 394 — 395).

(3) طبع بدار التأليف بمصر (التأليف ونهضته.. ص 395).

(4) شيخ جامع الأزهر سابقا، عالم معاصر له تفسير القرآن غير تام وله الاسلام عقيدة وشريعة وغيرها.

(5) كمال الايمان.. ص : 5.

(6) المرجع نفسه ص : 5 — 6.

ويعترف بعلمه وفضله، ولما طبع الشيخ عبد الله بن الصديق كتابه «إقامة البرهان على نزول عيسى في آخر الزمان»⁽⁷⁾ زار الشيخ محمود شلتوت في بيته وسلّم إليه هذا الكتاب، وهنأ أحد الشيوخ الأستاذ عبد الله بن الصديق لأنه نجح في شهادة العالمية فقال له الشيخ شلتوت : نحن نهنيء شهادتنا الأزهرية بأخذ الشيخ عبد الله لها، ولا نهنيء بها، لأنه عالم من بلده، وقال هذا بحضور جماعة من العلماء كانوا في زيارته وهذه وحدها كافية لأن تشهد للشيخ محمود شلتوت بأخلاق العلماء وسعة صدره وتفريقه بين الرد العلمي والخصومة الشخصية⁽⁸⁾.

4 — كتاب الرؤيا في القرآن والسنة

تأليف عبد الله بن الصديق الغماري

وهو من حجم 13 × 18 سم يقع في 163 صفحة مطبوع بتطوان المطبعة المهدية دون تاريخ — قال مؤلفه في مقدمته :

«أما بعد فهذا كتاب في الرؤيا ذكرت فيه ما جاء منها في القرآن العظيم والسنة المشرفة (...) وقد كتب قبلي في هذا الموضوع، جماعة من الحفاظ فلجعفر الفرياني كتاب الرؤيا، وكذا لأبي ذر الهروي، ولابن أبي الدنيا كتاب المنامات، وكذا لجعفر المستغفري، وكتابي أوسع وأعم بفضل الله»⁽⁹⁾.

5 — «كشاف الأخذان عما في القرآن من الإخبار بأمر وقعت في هذا الزمان».

تأليف محمد الزمزمي بن محمد بن الصديق الغماري.

يقع مخطوطا بخزانة تطوان 9/914 وتاريخ كتابته 1360هـ — 1941م⁽¹⁰⁾

6 — «كشف الران عن قلب مانع الزيارة ومفضل الوظيفة على القرآن».

تأليف محمد المفضل ابن عزوز المكناسي (ت. 1319هـ 1901م⁽¹¹⁾) والوظيفة هي أحد أوراد الطائفة التجانية، وينعت الاستاذ عبد الله الجراري مؤلف هذا الكتاب بأنه «من العلماء

(7) وله كتاب آخر بعنوان : «عقيدة اهل الاسلام في نزول عيسى عليه السلام» الطبعة الثانية — عالم الكتب 1406هـ — 1986 بيروت قال عنه : «فهذا الكتاب وإقامة البرهان صيوان لكنهما في الاسلوب وطريقة الاستدلال مختلفان».

(8) ينظر كمال الايمان ص : 3 — 4.

(9) كتاب الرؤيا في القرآن والسنة ص : 4.

(10) فهرس مخطوطات خزانة تطوان قسم القرآن وعلومه إعداد المهدي الديبرو، ومحمد بوخبزة.

(11) التأليف ونهضته ص : 250.

المشاركين والمطلعين في اتساع وبداهة واجادة ومن الذين خلفوا تراثا قيما وانتاجا مفيدا»⁽¹²⁾.

7 — «مجمع الدرر في التوسل بالأسماء والآيات والصور».

تأليف الشيخ محمد مصطفى ماء العينين (ت. 1328هـ) مطبوع على الحجر بفاس في 68 صفحة مطبعة العربي الأزرق 1312هـ⁽¹³⁾

8 — آيات وأسماء تنفع في السحر⁽¹⁴⁾.

تأليف الشيخ محمد مصطفى ماء العينين (ت. 1328هـ) مخطوط بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم : 1597 د.

9 — رسالة قرآنية

تأليف محمد بن عبد السلام بن عبود المكناسي ثم السللاوي (ت. 1344هـ)

ذكرها له الاستاذ عبد الله الجارري حين ترجم له، كما ذكر أن له رسالة أخرى مماثلة بعث بها إلى تلميذه⁽¹⁵⁾ الفقيه محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي الذي قال عنه حين ترجم له ضمن ثبت شيوخه : «كان يحنني كثيرا على قراءة التفسير، وما لقيته قط إلا وذكرني في الله، وزهدني في الدنيا، وأرشدني إلى نبد الغفلة، واتباع طريق السنة، وعمل الخير، وكان قوالا للحق.. وبسبب ذلك أؤذي وأخرج من فاس، وكان بعيدا عن التصنع... وهو ضد طبيعة عصره»⁽¹⁶⁾.

10 — «السر المذاع في جواز قراءة القرآن أمام المذيع»⁽¹⁷⁾ تأليف محمد بن الحسن

الحجوي الثعالبي (ت. 1376هـ)

11 — هل يصح ثواب القراءة والذكر للأموات، وهل القراءة عليهم بدعة؟⁽¹⁸⁾.

تأليف محمد بن الحسن الحجوي (ت. 1376هـ)

(12) نفس المرجع والصفحة.

(13) معجم المطبوعات المغربية ص : 197 / معلمة القرآن والحديث ص : 35 — 36.

(14) وقد تعرض المؤلف في كتابه نعت البدايات إلى الكلام على أسرار الحروف وخواص كتاب الله مبتدئا بالبسملة.. من ص : (195 — 266).

(15) من أعلام الفكر المعاصر 2 : 153.

(16) مختصر العروة الوثقى ص : 54.

(17) مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم : 134 ح (تقدم ذكره في فصل القراءات).

(18) مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم : 115 ح

12 — «القرآن فوق كل شيء»⁽¹⁹⁾

تأليف محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي.

13 — «دعوة القرآن»⁽²⁰⁾

تأليف العلامة عبد العزيز بن ادريس (ت. 1378هـ)⁽²¹⁾ واسمه الكامل عبد العزيز بن عبد الرحمن العمراوي الشهير بابن ادريس، من الرعيل الأول الذي عرفهم الوطنية، ومن خيرة العلماء المتفتحين الذين درجوا في حلقات القرويين وأبهاها ثقافيا وسياسيا.⁽²²⁾

من السابقين إلى التعليم الحر، له باع طويل في الرياضيات والاجتماعيات والتوقيت، وكتابه «دعوة القرآن» عبارة عن أحاديث ألقاها بالإذاعة الوطنية فور الاستقلال، يورد فيها آيات قرآنية، وأحاديث نبوية يفسرها تفسيراً يدعو إلى التأثر والموعظة ويبعث وعياً ويقظة في نفوس المؤمنين، ويوجه قلوبهم إلى الله⁽²³⁾ وهو كل ما ترك الشهيد عبد العزيز من إرث في مجال التأليف.

14 — صفحات من المعجم القرآني.

تأليف المرحوم عبد الله الجارري (ت. 1403)⁽²⁴⁾.

كتبه في نطاق أعمال لجنة ملكية تشرف عليها وزارة التربية الوطنية أنجز منه حروف : التاء والحاء، والذال، والصاد، والضاد، والهاء، والواو، والياء، وهي مرقونة وبجوزة الوزارة⁽²⁵⁾.

وطريقته في هذا المعجم أن يأتي باللفظة القرآنية ويشرحها شرحاً معجمياً ضافياً مستدلاً بالحديث النبوي وقديم الشعر على دلالتها، ثم يأتي بأغراض السورة التي وردت فيها تلك اللفظة

(19) مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم : 120 ح

(20) مطبوع بالرباط مطبعة الرسالة الطبعة الأولى 1966 مقياس 15 × 21 سم.

(21) ترجمته في : التأليف ونهضته ص : 366 / أعلام المغرب العربي لعبد الوهاب بن منصور 1 : 278، إتخاف ذوي العلم والرسوخ ص : 73.

(22) التأليف ونهضته ص : 366.

(23) المرجع نفسه ص : 367.

(24) ترجمته في ظهر غلاف كتابه : من أعلام الفكر المعاصر الجزء الثاني ط : 1 الرباط — الأمانة 1971 وكذا الفهرس العلمي للاستاذ رشيد بن مبارك المصلوت ص : 217 / ومعجم المطبوعات المغربية ص : 79 و«العالم المجاهد» لنجله الدكتور عباس الجارري..

(25) التأليف ونهضته.. ص : 9.

فمثلا كَلِمَةُ (وَدَى) أوردتها وقال : قال الله سبحانه ﴿ومن قتل مومنا خطأ فتحرير رقبة مومنة ودية مسلمة إلى أهله﴾ الآية 92 — من سورة النساء — ودية مسلمة، مؤداة إلى أهله — ورثة المقتول. (26).

ودى القاتل القتل يديه دية — إذا أعطى وليه المال، الذي هو بَدَل على النفس، وفاؤها محذوفة والهاء عوض مثل عدة، وتقول في الامرِ القتل بدال مكسورة لا غير. (27)

وسمي المال دية تسمية بالمصدر، والجمع ديات، كهبة وهبات، وعدة وعدات، واتدى الولي على وزن افعل إذا أخذ الدية، ولم يثأر بقتيله، وفي حديث القسامة ودي النبي ﷺ الصد قتيلا اي اعطى ديته (28).

وهذا أحد معاني المادة، وثانيها : السيلان يقال ودي الفرس ليضرب أو يبول إذا أدلى، ومنه الودى (29). الماء الخارج من الانسان كالمدى، وثالثها : الودي صغار الفسلان، أي صغار النخل الواحدة فسيلة.

والوادي — مفرج ما بين جبال أو تلال أو آكام جمعه أو داء وأودية وربما اكتفوا بالكسرة عن الياء، يقول أبو الريبس التغلبي (30).

سيفي وما كنا بنجد وما قرقر قمر الواد بالشاهق
واودى هلك فهو مود، ووردت المادة في اثني عشرة آية من عدة سور من القرآن الكريم منها :

سورة النساء المحتوية مضامينها بعض ما يلي من أغراض :

أسباب قِوامة الرجال على النساء، النهج القويم في معاملة المرأة، علاج الشقاق بين الزوجين — إرسال حكمين، الأمر بحسن معاملة الخادم والمولى، القرين الصالح عون على الخير، أهل الكتاب اشتروا الضلالة بالهدى، فحرفوا الكلم عن مواضعه، اتفاق الرسل في أسس الدين، واختلافهم في التفاصيل، أزواج الجنة مبرآن من العيوب الجسمية والنفسية، الأصول التي بني عليها التشريع في الاسلام، جرت سنة الله أن الحق يعلو على الباطل وأن البقاء للأصلح، لا

(26) بينت السنة أنها مائة من الإبل، وأنها على عاقلة القاتل وهم عصبته، انظر تفصيل ذلك في كتب الفقه.

(27) فهو من الافعال التي تبقى لذا الامر على حرف واحد، وقد حصروها ونظموها تقريبا على الطالب.

(28) البخاري كتاب الديات باب القسامة (فتح الباري (12 : 229).

(29) بتخفيف الياء في الافصح بخلاف المني.

(30) قرأ ورش بآثبات الياء بعد الدال وصلا ووقفا، والبزي بآثباتها مطلقا، وقنيل في الوصل واختلاف عنه في الوقف...

تقبل مسامرة أهل البدع والأهواء خوفا من الأذى، ما يصيب المسلم كفارة له حتى الشوكة يشاكها العدل غير مستطاع بين الأزواج، فتجب مراعاته على قَدْرِ الامكان»⁽³¹⁾.

على هذا المنوال سار المرحوم الأستاذ عبد الله الجراري فيما كتبه من صفحات من المعجم القرآني الذي شاطره العمل فيه أساتذة آخرون منهم :

العلامة ادريس بن الماحي الادريسي القيطوني،⁽³²⁾ والاستاذ محمد بن تاويت التطواني⁽³³⁾.

ولا يخفى ما للمعجم القرآني من أهمية في مساعدة المفسر أثناء عملية التفسير، فقد جهد العلامة الراغب الاصفهاني في مفرداته⁽³⁴⁾ وفي مقدمة تفسيره⁽³⁵⁾ محاولا أن يحصر المعجم القرآني وأن يشرح الفاظ القرآن في مواضعها من النص وأن يكشف عن العلاقة بين المادة الواحدة في استعمالاتها المتعددة، كل ذلك من أجل أن يهيء للمفسر جوا من الشمول والاستقصاء الذي تدق معه النظرة، ويعمق به التأمل في المعاني واستقصائها، وجمع جزئياتها وشعبها⁽³⁶⁾. وظلت محاولة الراغب صحيحة في واد، فلم تلق من عناية الباحثين ما تستحقه رغم الجهود التي بذلت في مجال التأليف في التفسير والدراسات القرآنية خصوصا منها التفاسير التي اهتمت بالجوانب اللغوية للنص القرآني..

وقد كان التفكير في هذا الإنجاز العلمي، وإعداد لجنة من الأخصائيين وذوي المؤهلات عملا هاما في إطار خدمة القرآن الكريم، والاستفادة من كنوزه المعرفية استشعره المغاربة في الفترة المعاصرة وفكروا فيه باعتباره خطوة هامة في سبيل فهم القرآن وتفهيمة ؛ إذ أن ضبط الألفاظ القرآنية ضبطا معجميا، ليس من المنجزات السهلة التي تكون في مقدور أي كان، فالمعجم القرآني ينبغي أن يضبط وفق معاني الفاظ القرآن إبان الدعوة وقبلها وبعدها وفق الفترة التي حددها علماء اللغة والشعر للاستشهاد بكلام العرب في المدن والبادي، أي قبل أن يختلط المجتمع العربي بالأعاجم وتطغى العجمة والرطانة على الألسنة... وإلا حملنا الألفاظ القرآنية ما لا تحتل من الدلالات والمعاني القابلة للتغيير والتطور..

(31) صفحات من المعجم القرآني مرقونة بمكتبة المؤلف الاستاذ عبد الله الجراري وكذا خ. ع الرابط رقم : P .1777

(32) التأليف ونهضته ص : 287 / معجم المطبوعات المغربية ص : 443.

(33) التأليف ونهضته ص : 287 / الخزانة العامة بالرباط قسم المطبوعات رقم P 1780 بحث منشور بالرباط في 28 يونيو 1968 جزء 1 ك، 56 صفحة.

(34) معجم مفردات الفاظ القرآن مطبوع بتحقيق نديم مرعشلي دار الفكر بيروت (د. ت).

(35) مطبوعة بآخر كتاب : تنزيه القرآن عن المطاعن للقاضي عبد الجبار ط 1. 1329 مصر المطبعة الجمالية.

(36) دراسات في القرآن لأحمد خليل ص : 136.

15 — «فضيحة المبشرين في احتجاجهم بالقرآن المبين».

للاستاذ عبد الله كنون.

مطبوع بالمطبعة المهدية بتطوان 1365هـ — 1945م في 63 صفحة وقد أعيد طبعه تحت إشراف المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة — إيسيسكو — ويوزع ضمن منشوراتها.

16 — «تهذيب الأخلاق من خلال القرآن».

تأليف عبد الجليل القباچ.

وهي سلسلة تربوية توجيهية يواصل المؤلف نشرها تباعا، وقد وصلت إلى الجزء الثاني عشر⁽³⁷⁾ ويهدف من ورائها إلى خدمة الاسلام، وتقريب مبادئه من المسلمين، وجعلها في متناولهم بأسلوب يساير واقعهم...⁽³⁸⁾.

17 — الدروس الحسنية.

نص المحاضرات التي أُلقيت في التفسير والحديث بحضرة جلالة الملك الحسن الثاني. مطبعة فضالة 1387 — 1967، 339 صفحة بعناية وزارة الاوقات والشؤون الاسلامية بالمملكة المغربية.⁽³⁹⁾

18 — زوال الحيرة بقاطع البرهان، بالجواب لما نشرته.

جريدة الزهرة تحت عنوان : أين حماة القرآن ؟

تأليف احمد سكيرج (ت. 1363هـ)⁽⁴⁰⁾.

المطبعة الجديدة بفاس 1358هـ، 86 صفحة.

19 — الدعاء المستجاب من الحديث والكتاب⁽⁴¹⁾

تأليف احمد عبد الجواد.

(37) تطبع بالرباط مطبعة — الرسالة، وقد طبع الجزء الثاني عشر منها 1985م. في 52 صفحة.

(38) مجلة الكتاب المغربي 1 مارس 1983 / وكذا العدد 2 مارس 1984 وع. 1985/3 وع 4 / 1986.

(39) ومنذ تاريخ طبع هذه الدروس وهي تطبع لتشمل ما أُلقي في شهر رمضان من كل سنة وفي هذه الدروس أكثر من دلالة على عناية المغاربة بالقرآن الكريم، واحتفائهم بالعلم والعلماء والاستفادة من خبرات الطاقات العلمية في العالم الاسلامي اجمع، من خلال هذه الدروس التي يتبعها جمهور المسلمين المغاربة وغيرهم.

(40) معجم المطبوعات المغربية ص : 158.

(41) الدار البيضاء — مطبعة النجاح الجديدة 1984 مقياس 16 × 11 سم 200 صفحة.

«يبحث هذا الكتيب في الذكر والتسبيح وفضلهما، ويستعرض عددا من الاذكار التي هي عبارة عن سور أو آيات من القرآن الكريم واسماء الله الحسني... ويختم بأوراد أيام الأسبوع.»⁽⁴²⁾

20 — رسالة مشتملة على آيات وأحاديث في فضائل ذكر الله.

تأليف عبد الله بن دستان مصطفى (ت. 1303هـ).

مخطوط بالخزانة الحسنية بالرباط.

أول النسخة : «الحمد لله رب العالمين».

آخرها : «وذلك في شهر شعبان سنة خمس وسبعين ومائتين والـ ألف من الهجرة النبوية والحمد لله أولا وآخرا».

والنسخة بخط مغربي معتاد بمِداد أسود وأحمر، وقع الفراغ من نسخها عام : 1307، ولم يرد فيها اسم الناسخ.

34 ورقة. 25,8 × 18,9 سم، 24 سطرا⁽⁴³⁾.

21 — صراع المذهب والعقيدة في القرآن⁽⁴⁴⁾.

تأليف ذ. عبد الكريم غلاب.

الأستاذ عبد الكريم غلاب غني عن التعريف في ميدان التأليف والكتابة بالمغرب لكنه في ميدان الدراسات القرآنية قليل المشاركة، وقد ظهرت له مؤخرا كتابات في هذا الباب، نحا فيها نحو أستاذه أمين الخولي⁽⁴⁵⁾، فيما يخص التفسير الموضوعي⁽⁴⁶⁾.

22 — مجتمع المومنين من هدي القرآن⁽⁴⁷⁾.

تأليف ذ. عبد الكريم غلاب.

وهو كتاب على غرار سابقه يفسر فيه بعض الآيات التي تتحدث عن تكوين المجتمع تفسيراً

(42) مجلة الكتاب المغربي ع. 3 مارس 1985 ص : 206.

(43) نقلا عن فهارس الخزانة الحسنية للأستاذ محمد العربي الخطابي ج 6 : 283.

(44) بيروت دار الكتاب اللبناني الطبعة الأولى 1973.

(45) يراجع ما كتبه عنه د. بدوي طبانة تحت عنوان : اضاء على جماعة الأمناء، مجلة الفيصل السعودية العدد :

70 ربيع الآخر 1403هـ السنة 6 يناير فبراير 1983 ص : (78 — 82).

(46) يراجع ما قاله في كتابه «مجتمع المومنين» ص : 6 و7.

(47) الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة ط 1. 1408 — 1988، 293 صفحة، مقياس 18 × 25 سم.

موضوعيا، وقد أشار إلى ذلك بقوله : «وهو ما اتجهت إليه في موضوع : «مجتمع المؤمنين» كما اتجهت إلى مثيله من قبل في موضوع الصراع بين الايمان والشرك، والكفر والنفاق، في كتابي «صراع المذهب والعقيدة في القرآن»⁽⁴⁸⁾.

23 — هذا القرآن.

تأليف عبد الحي العمراني.

وهو كتاب ألفه صاحبه بمناسبة احتفال المغرب بمرور أربعة عشر قرنا على نزول القرآن الكريم، وذلك سنة 1387هـ — 1967، وهو الحفل الذي دعي له نخبة من جهابذة العلم والفكر والتفسير، من كافة أقطار العالم الاسلامي، وقد تحدث المؤلف في الكتاب عن القرآن، واهتمام المغاربة به دراسة وتدريسا، وقراءة وتفسيرا، كما أشار إلى ما تضمنه القرآن في مجالات عدة مثل العقيدة والايمان والاخلاق، والتشريع⁽⁴⁹⁾.

24 — تحت ظلال القرآن والسنة.

تأليف عبد الحي العمراني.

والكتاب صنو سابقه، وقد طبعا معا تحت اشراف اللجنة المشتركة لنشر واحياء التراث الاسلامي بين المغرب ودولة الامارات، وذلك في مطبعة فضالة المحمدية بالمغرب سنة 1403هـ

25 — القرآن الكريم والطب الحديث⁽⁵⁰⁾.

تأليف الدكتور ادريس بن يوسف⁽⁵¹⁾.

يرى مؤلف هذا الكتاب أن في القرآن من العلم ما يحير الذهن، ويدهش العقل، وأن الإعجاز القرآني لا ينحصر في كونه أعلى قمة في البلاغة والفصاحة أو في كونه يشتمل على الإعلام بالغيب.. بل ويتجلى كذلك في كونه تحدث عن دقائق العلوم⁽⁵²⁾ وفي اطار هذه القناعة صارت مباحث الكتاب العلمية التجريبية مع محاولة المؤلف التماس الادلة من القرآن الكريم، وجعلها محاور لتلك المباحث..

(48) المرجع نفسه ص : 7.

(49) هذا القرآن ص : 3.

(50) مطبوع بالدار البيضاء — مطبعة النجاح الجديدة ط : 1. 1406 — 1986، مقياس 18 × 25 سم. 190 صفحة بالفهارس.

(51) دكتور في الطب، مجاز في الحقوق، واستاذ الرياضيات سابقا.

(52) القرآن الكريم والطب الحديث ص : 13.

26 — المنهج العلمي الرياضي في دراسة القرآن الكريم⁽⁵³⁾ تأليف الأستاذ ادريس

الخرشاف⁽⁵⁴⁾

وقد عرض فيه المؤلف للمعالم العامة للنظرية الرياضية التي يعتمدها، كما أعطى فيه لمحة خاطفة عن القرآن مع التركيز على قضية خلق الانسان، وتفنيد نظرية دارون، ثم على قضية فواتح السور (الحروف المقطعة) مستعملا الحاسب الالكتروني والعلاقات الرياضية.

27 — (يس) مركز ثقل القرآن.

تأليف ذ. ادريس الخرشاف.

ويمثل هذا الكتيب الحلقة الأولى في سلسلة المنهج العلمي الرياضي في دراسة القرآن الكريم، وقد طبع بالبيضاء، دار الطباعة الحديثة ط 1. 1404 — 1984 مقياس $22,5 \times 15,5$ سم، 90 صفحة.

28 — ليلة القدر خير من ألف شهر.

تأليف ذ. ادريس الخرشاف.

ويمثل الحلقة الثانية من سلسلة المنهج العلمي في دراسة القرآن الكريم، طبع بالبيضاء، دار الطباعة الحديثة ط : 1 1404 — 1984.

29 — التصنيف الشجري لارباع القرآن الكريم⁽⁵⁵⁾.

تأليف ادريس الخرشاف.

وهو الكتاب الثالث للمؤلف في سلسلة المنهج الرياضي في دراسة القرآن الكريم : «يتوسل فيه المؤلف بالمنهج الرياضي الى تمييز الأرباع المدنية من الأرباع المكية حسبما قرره علماء النزول من الأئمة السابقين، فقد صنف السُّور ومكان نزولها باختلاف الرواة، وضع لكل منها رمزا، ووضع جدولا لذلك بواسطة الحاسوب، ثم قام بالدراسة لبيان مسقط الارباع، ثم وضع تصنيفها الشجري، والنتيجة في نظر المؤلف، هي إعطاء نظرة شاملة على الأرباع، والمواضيع

(53) البيضاء، دار النشر المغربية ط 1. 1984.

(54) أستاذ مساعد بكلية العلوم بالرباط قسم الرياضيات، خريج جامعة دمشق كلية العلوم قسم الرياضيات، حاصل على دكتوراه السلك الثالث من باريز بالمعهد العالي للإحصاء. (مجلة الفرقان ع : 3 س 1، محرم — صفر 1405هـ، أكتوبر — نونبر 1984 ص : 57).

(55) اندازالبيضاء، دار الفرقان 1985، مقياس : 24×27 سم، 132 صفحة.

التي تطرحها، وإدراك التشابه الموجود بينها، أو بين مواضيع آيات في منها»⁽⁵⁶⁾.

وفي استجواب مع المؤلف⁽⁵⁷⁾ نص على أن الحلقة الثالثة في سلسلة المنهج الرياضي غرضه منها «وضع قضايا القرآن ومستوياته في خطاطة شجرية عامة تسهل الاحاطة به وإدراك مكوناته بسهولة بالنسبة لمن يجهل القرآن الكريم»⁽⁵⁸⁾.

ثم بعد ذلك سيصدر له : محمد رسول الانسان «وفيه سيرهن على كون الرسول ﷺ مجرد مبلغ للقرآن، ولا دخل له فيه، وبعد ذلك سيفسر سورة يوسف وفاتحتها «كما أنه بصدد أبحاث أخرى عن الأحرف المقطعة في القرآن، وعن المقارنة بين القرآن والانجيل...»⁽⁵⁹⁾.

كما نص المؤلف على أن محاولته في الاعجاز العددي للقرآن تختلف عن محاولات الذين سبقوه بكونه لا يعتمد ما اعتمدوه من المنهج الاحصائي العددي الذي يراه غير ناجع مثل المنهج التحليلي الذي اعتمده في «تحليل الآيات والسور والارباع ومعرفة التناسق والترابط الموجود بين هذه العناصر»⁽⁶⁰⁾ يعني التناسب بمصطلح المفسرين.

30 — مطابقة الاختراعات العصرية لما اخبر به سيد البرية⁽⁶¹⁾ تأليف احمد بن محمد ابن الصديق.

وهو كتاب يتناول فيه المؤلف الاستشهاد على المخترعات العصرية بالآيات القرآنية والاحاديث النبوية.

يقول عن قوله تعالى : ﴿والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفاء، والناشرات نشرا، فالفارقات فرقا، فالملقيات ذكرا عذرا أو نذرا انما توعدون لواقع﴾⁽⁶²⁾.

«فهذا وصف للطائرات الحربية بجميع حركاتها وافعالها تعصف بقنابلها»!⁽⁶³⁾

(56) مجلة الكتاب المغربي ع. 4 مارس 1986 ص 24.

(57) أجرته معه مجلة الفرقان ع : 3، س 1 محرم — صفر 1405 هـ اكتوبر — نونبر 1984. (ص : 57 — 61).

(58) المرجع نفسه ص : 58.

(59) الفرقان نفسه العدد والصفحة.

(60) المرجع نفسه ص : 59.

(61) مطبوع بيروت المكتب الشعبية (د.ت) 17,5 × 25 سم 144 صفحة.

(62) المراسلات الآية الاولى.

(63) مطابقة الاختراعات.. ص : 16.

ثم يقول : «ومنها التلفون والتلغراف والراديو، ويشير إلى ذلك قوله تعالى : ﴿ويقذفون بالغيب من مكان بعيد﴾ (64) (65).

31 — معلمة القرآن والحديث بالمغرب الأقصى (66)

تأليف الاستاذ عبد العزيز بن عبد الله.

وأصله «معجم المحدثين والمفسرين والقراء بالمغرب الأقصى» الذي سبق للمؤلف أن طبعه سنة 1392 هـ والمعجم أدق من المعلمة وقد أغفل من المعلمة العديد مما ذكر في المعجم، مع أن الكتاب في جوهره لم يتغير..

32 — ترجمة معاني القرآن باللغة الانجليزية.

للدكتور محمد تقي الدين الهلالي بالاشتراك.

مع الدكتور محمد محسن (67).

ب — الرسائل الجامعية :

واقصد بها الرسائل الجامعية التي لها صلة بالقرآن الكريم وتبحث في جانب من جوانبه من ذلك :

1 — الأمثال في القرآن الكريم

إعداد أبي بكر المريني

إشراف د. عباس الجراري.

نوقشت هذه الرسالة بدار الحديث الحسنية في صفر 1400 هـ يناير 1980 م، من اجل نيل دبلوم الدراسات الاسلامية العليا.

وموضوع الأمثال في القرآن مطروق قديما وقد ألف فيه الماوردي كتابا سماه «أمثال القرآن» (68).

(64) سورة سباء، الآية : 58.

(65) المرجع السابق ص : 18.

(66) طبع بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية مركز البحوث 1405 هـ 1985 / 18 × 25 سم 207 صفحة.

(67) مجلة الفرقان ع : 10، س 4 ذو القعدة — ذو الحجة 1407 هـ يوليوز — غشت 1987 ص : 7.

(68) يراجع الاتفاق للسيوطي 1 : 8.

2 — أساليب التوكيد في القرآن الكريم

إعداد وفيق مصطفى الشعبي

قدمت هذه الرسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا من كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، ونوقشت سنة 1399 = 1979. تحت إشراف د. حسان تمام، تقع في 239 صفحة، 26 سم.

3 — أصول المسيحية من القرآن الكريم.

إعداد دواود علي الفاضل.

قدمت لنيل دبلوم الدراسات الإسلامية العليا من دار الحديث الحسنية بالرباط تحت إشراف العلامة العباس الأمrani في شعبان 1393 — 1973.

4 — موسى عليه السلام بين القرآن والبهتان.

بإعداد فؤاد عبد اللطيف عثمان سرطاوي.

رسالة دبلوم نوقشت بدار الحديث الحسنية بالرباط بتاريخ ربيع الأول 1398، 24 يراير 1978.

5 — المدرسة القرآنية في المغرب من الفتح الإسلامي إلى ابن عطية⁽⁶⁹⁾.

تأليف عبد السلام أحمد الكنوني⁽⁷⁰⁾.

والكتاب في أصله رسالة جامعية قدمت بدار الحديث الحسنية لنيل دبلوم الدراسات الإسلامية العليا تحت إشراف الدكتورة عائشة عبد الرحمن بتاريخ 17 جمادى الأولى 1394 — 1974.

6 — دليل الأنفس بين القرآن الكريم والعلم الحديث⁽⁷¹⁾ تأليف ذ. توفيق محمد عز الدين⁽⁷²⁾.

(69) مطبوع بالدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة ط : 1 1401 — 1981 نشر مكتبة المعارف الرباط، الجزء الأول مقياس 17,5 × 25 سم 327 صفحة.

(70) أستاذ بجامعة القرويين كلية أصول الدين تطوان.

(71) مطبوع بالقاهرة دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع ط 1 1407 — 1986 مقياس 81 × 25 سم 508 صفحة.

(72) أستاذ بكلية الآداب والعلوم الإنسانية — ابن مسيك جامعة الحسن الثاني البيضاء.

وأصل الكتاب رسالة جامعية مقدمة بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة من اجل الحصول على درجة الماجستير في الفلسفة الاسلامية، تحت اشراف الدكتور مصطفى حلمي.

ج - المقالات :

1 - وأقصد بها ما كتبه المغاربة من مقالات ذات صلة بالقرآن بوجه من الوجوه.

1 - الرد القرآني على كتيب هل يمكن الاعتقاد بالقرآن ؟ للاستاذ عبد الله كنون.

وقد نشر الاستاذ سيدي عبد الله كنون هذه الردود القرآنية على صفحات مجلة دعوة الحق في أعدادها :

الثاني من السنة 16 رمضان 1393هـ - أكتوبر 1973 صفحتي (21 - 22)

والثالث من السنة 16 ذو القعدة 1393هـ - دجنبر 1973 صفحتي (10 - 11)

والسادس من نفس السنة ربيع الآخر 1394هـ - ماي 1974 صفحات (25 - 29)

والسادس من نفس السنة ايضا رجب 1394هـ - غشت 1974 صفحات :

(22 - 26) ثم طبعت طبعها الأولى في كتيب خاص بنفس العنوان بدار الكتاب اللبناني سنة 1982م

2 - معالم الاخلاق الاجتماعية في القرآن الكريم

للاستاذ محمد السوسي

مقال منشور بمجلة دعوة الحق ع. 5 س 10 ذو الحجة 1386هـ ابريل 1967 صفحات

(36 - 40)

3 - ملوك الدولة العلوية في خدمة كتاب الله الاكبر.

بقلم محمد محي الدين المشرفي

دعو الحق ع : 4 س 11، ذو القعدة 1387هـ - فبراير 1968 - (63 - 71).

4 - ثقافة القرآن والثقافة العالمية.

للاستاذ محمد الحمداوي.

والمقال رد على ما كتبه الاستاذ التهامي الوزاني في العدد الرابع من السنة الثامنة من مجلة

دعوة الحق تحت عنوان : «ثقافة القرآن ثقافة عالمية» حيث اعتبر ان الحكمة المذكورة في القرآن

هي حكمة الاغريق، وان ذا القرنين المذكور في القرآن هو الاسكندر المقدوني، وقال باحتمال

نبوة افلاطون وارسطو، وتأثر القرآن بمنطق أرسطو...⁽⁷³⁾

5 — العقلية القرآنية ومظاهرها الاجتماعية والفكرية في المغرب.

للاستاذ عبد القادر زمامة.

بحث قيم منشور بمجلة دعوة الحق العدد الرابع السنة العاشرة، ذو القعدة 1386 — مارس 1967 صفحات : (110 — 117).

تتبع صاحبُ المقال مظاهر التفاعل بين المغاربة وكتاب الله عز وجل في مجالات عدة، ودعا إلى بحث هذا التفاعل وحياته والاستفادة منه باعتباره رصيда متينا خصوصا في هذا العصر الذي صرنا نشاهد الاضاليل والترهات تحاول ان تحتل مكانة العقائد الصحيحة والحقائق الثابتة.

6 — القرآن وترهات بعض المستشرقين.

للاستاذ عبد الله العمراني.

دعوة الحق ع 3، س 11 شوال 1387هـ، يناير 1968 صفحات (127 — 132).

7 — القرآن المبين

للاستاذ عبد القادر الصحراوي.

دعوة الحق ع. 3 السنة الحادية عشرة شوال 1987، يناير 1968 صفحات (98 — 102).

وفي مقاله يدعو إلى الاستفادة من النصوص القرآنية في تقوية ملكات أبنائنا في اللغة العربية، «فينبغي أن نستفيد منه أعظم الاستفادة في تقويم ألسنة أبنائنا والارتقاء بأذواقهم، وإزهافِ حسم اللغوي، وطبع ملكاتهم بالأسلوب الأرق والأمتن».

8 — القرآن حضارة الانسان وسعادته في الماضي والحاضر والمستقبل للعميد الرحالي

الفاروقي.

مجلة دعوة الحق ع. 4 السنة 10 ذو القعدة 1986هـ مارس 1967 صفحات : (10 — 12).

(73) تراجع مجلة دعوة الحق العددان (6،7) السنة 8 ذو الحجة محرم 1384 — ابريل ماي 1965 صفحات : (3 — 6)، وقد استمرت ردود الاستاذ محمد الحمداوي على مقال العميد التهامي الوزاني في حلقات بمجلة دعوة الحق، وقد طبع الحمداوي مقالاته بمجلة دعوة في كتاب بعنوان «في نطاق التفكير الاسلامي» بدار الثقافة بالبيضاء ط : 1 1399 — 1979).

9 — الدولة العلوية والقرآن الكريم.

دعوة الحق. 4 السنة 11 ذو القعدة 1397، فبراير 1968 صفحات : (27 — 29).

10 — القرآن الكريم دعوة الى التوحيد والتجديد والثقة بالنفس.

العميد الرحالي الفاروقي.

مجلة دعوة الحق ع. 3 السنة 11 شوال 1387، يناير 1968 صفحات : (48 — 50).

11 — اللغة العربية وأثر القرآن في تطورها للعميد الرحالي الفاروقي.

مجلة اللسان العربي الصادرة بالرباط العدد السابع الجزء الأول 1970، صفحات :

(121 — 125).

12 — تكوين الجنين في القرآن والحديث.

للعلامة محمد بن عبد السلام السائح (ت. 1367هـ) مجلة دعوة الحق العدد التاسع والعاشر

للسنة الثالثة عشرة رمضان 1390 شتنبر 1970 صفحات : (14 — 16)

13 — قصة اهل الكهف

للأستاذ حسن السائح

— دعوة الحق العدد السابع السنة 16 رجب 1394، غشت 1974 صفحات

(43 — 49).

14 — دعوة القرآن في الماضي والمستقبل

للاستاذ حسن السائح.

دعوة الحق العدد الثالث السنة 11، شوال 1387، يناير 1968 صفحات

(118 — 124)

15 — وحدة التفكير القرآني

للاستاذ حسن السائح

مجلة دعوة الحق العدد 2، دجنبر 1965 صفحتي (5 — 6)

16 — الاسلام والتطور

تطلقا من سورة الرعد وقول الله عز وجل ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا

بِهِمْ...﴾

للاستاذ حسن السائح.

مجلة دعوة الحق : (6 — 7) السنة 20 رجب — شعبان 1399 هـ يونيو يوليوز 1979
صفحات (94 — 99) الحلقة الأولى.

تعرض في المقال لمضامين سورة الرعد بعد التعريف بها وعدد آياتها مركزاً على الآية الثانية عشرة من السورة.

17 — الاسلام والتطور

للاستاذ حسن السائح

دعوة الحق العدد الثامن السنة 20، رمضان 1399، غشت 1979، صفحات
(45 — 51) الحلقة الثانية من المقال السابق.

18 — في التفسير الحضاري، تأملات في القرآن الكريم للاستاذ حسن السائح.

دعوة الحق ع : 234 جمادى الأولى، والأخير 1404 هـ مارس 1984 صفحتي :
(77 — 78)

19 — الكتاب المنزل من مقاصده وتوجيهاته.

للأستاذ محمد العربي الخطابي

دعوة الحق ع : السنة 18، ابريل 1977، ربيع الآخر 1397 هـ، صفحات : (14 —
21)، وأصل المقال محاضرة ألقاها الأستاذ محمد العربي الخطابي بوزارة الثقافة بالرباط يوم 12
ربيع الأول 1397 3 مارس 1977، وتصميمها كالآتي :

حدود العقل — الدين والعلم — القرآن مصدر الأفكار الإسلامية — تدبر النص القرآني
— منهج القرآن في الدعوة إلى العلم — العلم والايمان — العقيدة والاخلاق — العدل قيمة
كلية.

20 — البدء والاستمرار

للاستاذ محمد العربي الخطابي

مقال بدعوة الحق — العدد السادس، السنة 18، رجب 1397 هـ، يوليوز 1977
صفحات : (11 — 15)، عالج فيه الآيات الخمس الأولى من سورة العلق، ومما جاء في هذا
المقال : «في الآيات الخمس الأولى من سورة العلق كلمات : القراءة، والتعليم، والحكم وهي
رموز واشارات لها قيمتها ودلالاتها سيما وأنها وردت في أول الآيات التي تلقاها الرسول في
بيان ربه، وهذه الكلمات تحوم كلها حول الإنسان وصلته بالخالق سبحانه..»

21 — نظرات في إشعاع القرآن.

للأستاذ محمد العربي الخطابي.

مقال في دعوة الحق تناوله في ثلاثة عناصر :

القرآن دعامة حضارة — القرآن وأهل المغرب — القرآن ومذاهب التاريخ.

تراجع دعوة الحق : ع : 3 السنة 11 شوال 1387 يناير 1968 (146 — 150)

22 — القرآن والمغرب المعاصر

للأستاذ محمد العربي الخطابي

وهو مقال يتمم الذي سبقه من حيث عناية أهل المغرب الشديدة بالمحافظة على القرآن الكريم منذ الفتح الإسلامي إلى الآن.

دعوة الحق ع : 4 السنة 11 ذو القعدة 1387 هـ فبراير 1968 (97 — 99).

23 — القرآن والتاريخ

للأستاذ محمد زنيير

دعوة الحق العدد 3 السنة 11 شوال 1387 يناير 1968.

24 — دلالة القرآن على صدق الرسول عليه السلام

في نظر الفيلسوف ابن رشد.

للأستاذ محمد الطنجي

دعوة الحق العدد الثالث السنة الحادية عشرة شوال 1387 يناير 1968.

25 — من وحي القرآن

للدكتور محمد عزيز الحبابي

دعوة الحق العدد الثالث السنة 11 شوال 1387، يناير 1968.

26 — أئمة الدولة العلوية وتمسكهم بكتاب الله وبيان رسوله الكريم.

للدكتور محمد تقي الدين الهلالي.

دعوة الحق العدد الرابع السنة 11، ذو القعدة 1387، فبراير 1968.

وهكذا يتجلى من خلال استعراض هذه المقالات أنها لا تخرج من حيث ما تناوله عن الدفاع عن القرآن الكريم وثقافته وصلته الوثيقة باللغة العربية، وصلاحيته لكل زمان ومكان

وكذا مظاهر عناية المغاربة بالقرآن الكريم من حيث التلقين والتحفيظ والقراءات والتجويد والتفسير قديما وحديثا وصلة القرآن بالعلوم الانسانية الأخرى.

2 — مقالات تتعلق بترجمة القرآن الكريم :

أثير موضوع ترجمة القرآن الكريم في الفترة المعاصرة نتيجة المد الحضاري وتطلع الشعوب إلى ما عند الآخرين، مثلما أثير في العصور الاسلامية الأولى نتيجة دخول شعوب غير عربية إلى الاسلام، وقد تعرض بعض أعلام البعث الاسلامي الحديث إلى هذا الموضوع ليقولوا فيه كلمتهم، وكان من اللازم عليهم ذلك، لأن القرآن الكريم تعرض منذ عدة قرون إلى ترجمات مغرضة ومختلفة، قام بها قساوسة ورهبان، أساءوا إلى القرآن الكريم أيما إساءة... وشوهوا صورة الإسلام في أذهان شعوبهم بذلك⁽⁷⁴⁾.

وكلنا يعلم أن الترجمة من لغة إلى لغة، بشكل عام ليس أمرا سهلا فهي فن له أصوله، ومن بين هذه الأصول إجادة اللغتين المترجم منها، والمترجم اليها واحترام النص المترجم — على الأقل — في شكله ومصطلحاته..

أما إذا تعلق الأمر بكتاب مقدس، وهو عند المسلمين من أقدس المقدسات، فإن ترجمته تحتاج إلى منهجية وروية وتؤدة، كما أن ترجمة القرآن كما أنزل أمر متعذر، مهما بلغ المترجم من الإحاطة، وكل ما هو ممكن هو ترجمة معانيه، أما ترجمته الحرفية كلمة كلمة فهذا أمر لا جدوى منه، ولا يعطي الصورة الحقيقية للنص القرآني لخصوصيته وخصوصية لغته.

والغريب أن أغلب أعمال المستشرقين في هذا الصدد تروم الترجمة اللغوية الحرفية للقرآن، وهي لا تفيد، الشيء الذي جعلهم لم يصلوا لحد الآن إلى ترجمة مفيدة للقرآن رغم أن تراجمهم للقرآن وصلت في أوروبا وحدها إلى ترجمته إلى ثلاث وعشرين لغة أو روية ووصلت عدد طبعاتها إلى 671 طبعة كلها تروج في المجتمع الأوروبي حاليا، مع العلم أن القرآن ترجم لحد الآن إلى 72 لغة⁽⁷⁵⁾ وليس هناك أي قيد أو شرط في أن يتناول شخص ما القرآن الكريم

(74) أول ترجمة لاتينية للقرآن كانت سنة 1143 م باسبانيا (دعوة الحق ع = 2 س 16 اكتوبر 1973 / مقال للدكتور عبد الله العمراني : القرآن الكريم في مجال الطبع والترجمة والنشر ص : 33) (مجلة المسلم المعاصر يونيو 1987 / مقال للدكتور حسن المعارجي «المحرفون للكلم»).

وأخطر هذه الترجمات هي ترجمة الايطالي مراتشي لأنها أكثر عمقا وخبثا استغرق فيها 40 سنة (يراجع مقال لفهمي هويدى : من يملك حقوق نشر القرآن الكريم ؟ مجلة العربي، ع = 355 يونيو 1988 ص : 48) — (52).

(75) البيبلوغرافيا العالمية لترجمات القرآن اكريم مركز الابحاث للتاريخ والفنون والثقافة الاسلامية استانبول 1986.

من حيث الترجمة أو الطبع، فلا أحد يملك حقوق الترجمة أو الطبع أو النشر لهذا الكتاب، فهو من الله الى الناس كافة، في حين أن الانجيل لا يمكن طبعه أو ترجمته إلا باذن كنسي⁽⁷⁶⁾. وعند المسلمين 16 منظمة فرعية تابعة للمؤتمر الاسلامي ولا تهتم واحدة منها بأمر ترجمة القرآن الكريم الاهتمام المطلوب المسابير للتحديات.. ولا شؤون طبعه ونشره⁽⁷⁷⁾.

وترجمة معاني القرآن الكريم امر لا ينهض به فرد واحد، وهو أجدر بأن تتقاسم أعباءه لجنة علمية تضم أساتذة أفذاذا في الترجمة وفي التفسير والقراءات والحديث والأصول واللغة العربية والبلاغة واللسانيات.

وفي المغرب عبقرية يمكنها إن نسقت الجهود أن تخرج بترجمة مفيدة للقرآن الكريم⁽⁷⁸⁾، ظهرت في الفترة المعاصرة، ترجمات من العربية الى الانجليزية والفرنسية، قام بها بعض علماء المسلمين الموثقين، لكنها تظل نقطة في بحر الترجمات الموجودة حاليا بتلك اللغات وبغيرها، فقد قام أبو الأعلى المودودي، وعبد الله يوسف علي، ومحمد أسد بترجمة القرآن إلى الانجليزية، بينما نقله إلى الفرنسية محمد حميد الله، الهندي الأصل المقيم في باريس.

ومازالت محاولة المغاربة في هذا المجال منتظرة منهم، خاصة إذا علمنا أن أعمالهم في هذا المجال لم تتجاوز مشاركة المرحوم الدكتور محمد تقي الدين الهلالي — المشار إليها آنفا — وبعض المقالات حول ترجمة القرآن العظيم التي منها :

1 — حكم ترجمة القرآن الكريم

للعامة محمد بن الحسن الحجوي (ت. 1376هـ)

مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم : 113هـ.

وقد تم نشره في مجلة المغرب العدد الثالث عشر 1933.

2 — ترجمة القرآن العظيم

للمرحوم أبي بكر بن الطاهر زنيير (ت. 1376هـ) مجلة المغرب المجلد 2، العدد 16 يناير

1934.

(76) فهمي هويدي، المقال السابق.

(77) المقال نفسه.

(78) مثل ما تقوم به وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية بالمغرب من العناية بترجمة الدروس الحسينية إلى الفرنسية والانجليزية.

وينص أبو بكر زبير على أن من أسباب كتابته في هذا الموضوع هو ما أثاره العلامة الضليع سيدي محمد الحجوي في ترجمة القرآن ونشره بمجلة المغرب العدد الثالث عشر».

وقد تقصّى أبو بكر زبير الأقوال الواردة في مسألة ترجمة القرآن⁽⁷⁹⁾ وأوردها بالتتابع وقال : «فأنت ترى ظاهر هذه النصوص متضاربا بعضها يقول بالجواز، وبعضها يقول بالمنع والمسألة من الأهمية بمكان، لاسيما في وقتنا الحاضر...»⁽⁸⁰⁾.

وانتهى إلى القول بالترجمة المعنوية وبجوازها قياسا على التفسير المجمع عليه، وتحريم الترجمة الحرفية اللفظية التي يعتبر من يطمح إليها، ويحاولها، فإنما يحاول ضربا من المحال، مع ما تحدى الله به خلقه من قوله : «قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا»⁽⁸¹⁾.

3 — اللغات في الإسلام وترجمة القرآن إليها.

للعلميد الرحالي الفاروقي

دعوة الحق العدد الثاني السنة الخامسة عشرة صفر 1392 — ابريل 1972 — (12) —
(15) يرى فيه ان الرسول ﷺ يعرف جميع اللغات لأنه مبعوث لكافة البشر ولو قدر له البقاء لكلم العجم بلسانهم !

فكونه يعرف جميع اللغات هذه دعوى تحتاج إلى دليل، ولم يورده الشيخ رحمه الله عليه في مقاله.

وانتهى إلى القول بترجمة معاني القرآن لا بترجمة ألفاظه وقد أورد في مقاله نصا للامام الشاطبي من الموافقات يناقش فيه جواز ترجمة القرآن بالمعنى.

4 — حول ترجمة القرآن الكريم.

للاستاذ محمد كمال شبانة.

دعوة الحق ع 6 السنة 4 شوال 1380، مارس 1961، صفحات (20 — 27) الحلقة الأولى منه وأتمه في العدد الموالي من نفس المجلة ابريل 1961 صفحات : (13 — 27)

(79) ساق اثني عشر قولاً في المسألة دون التقيد بمذهب فقهي معين.

(80) المقال نفسه ص : 10.

(81) الإسرائ الآية : 88.

— وكذلك ما أشار إليه ذ. علّال الفاسي في كتابه «مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها» ص : 103 وما بعدها.

5 — رأي مسلم في ترجمة القرآن على أيدي المعجم

للاستاذ أحمد التيجاني.

دعوة الحق العدد (6 — 7) السنة 8 ذو الحجة — محرم 1984 — ابريل — ماي 1965
صفحات (7 — 9).

وصاحب المقال ممن ترجم القرآن إلى اللغة الفرنسية وقد تتبع في مقاله مغالطات بعض المترجمين للقرآن وسقطاتهم الفادحة مثل المترجم كازمرسكي.

6 — القرآن الكريم في مجال الطبع والترجمة والنشر للدكتور عبد الله العمراني.

دعوة الحق ع. 2 السنة 16 رمضان 1393، اكتوبر 1973 صفحات (30 — 35).
الحلقة الأولى : وقد تم نشر الحلقة الأخيرة منه بنفس المجلة ع 3 السنة 16 ذو القعدة
1993 — دجنبر 1973 صفحات (12 — 18).

وقد عرض صاحب المقال لتاريخ ظهور ترجمات القرآن في المغرب.. مع تقويم لهذه الترجمات
ومآلها...

الباب الثاني

درس التفسير بالمغرب

تمهيد :

لا يخفى أن منهج التلقي بالسماع والمشافهة منهج أصلي في الشريعة الإسلامية، إذ بواسطته حفظ الكثير من ديننا قرآنا وسنة وفناوي الصحابة والتابعين وأقوال الأئمة، ولم يحتج إلى تعضيد هذا المنهج بالرواية الكتابية إلا بعد حين. وقد ظل منهج نقل العلم بالرواية الشفوية قائم الذات خصوصا في العلوم التقليدية بما فيها القرآن الكريم برواياته والحديث النبوي الشريف، وقد وجدنا في القرن الرابع عشر الهجري من حفظة كتاب الله برواية أو روايات من يستنكر اعتماد المصحف والرجوع إليه للثبوت لأنهم يعدون ذلك ثلثة في حفظ الحافظ وإتقانه، وأحيانا يعدونه لصا، وهذا يعكس لنا استمرار الرواية الشفوية وتواتر العلم عن طريقها ولذلك شاع بين العلماء المتأخرين قولهم : «العلم يؤخذ من أفواه الرجال».

ونظرا لهذه المكانة التي يحتلها منهج التلقي بالسماع عند عامة المغاربة وخاصتهم، فضلت أن أرصد من خلاله حركة الاعتناء بالقرآن الكريم عند المغاربة من ناحية التفسير والتعاطي لتدريسه في مختلف الجهات مع التركيز على أهم المراكز العلمية ذات الاشعاع البعيد مثل فاس، والعدوتين، ومراكش، وسوس، والصحراء.

وقصدي من هذا التتبع للدرس التفسيري عند المغاربة في المراكز المذكورة أن أعرف كيف كان المغاربة يدرسون التفسير، ومستوى الشيوخ الذين يتصدرون لتدريسه، والمصادر التي يرجعون إليها وهم بصدد التفسير، أو التي يعتمدون عليها ويتكئون على عبارتها ورؤية مؤلفيها، وأخذ صورة مكتملة عن وضعية الدرس التفسيري عندهم، ومعرفة الإيجابيات والسلبيات التي تحيط بهذا الدرس حتى يمكن للباحثين في هذا المجال تحديد المعوقات التي قد تحول دون تقدم درس التفسير وجعل كتاب الله ميسرا بتفاصيله لدى معظم فئات الناس يتذوقونه، ويتدبرون معانيه، ويأتمرون بأمره، وينتهون بنهيه ليلا يكون للناس على الله حجة بعد التبليغ والبيان.

هذا وان حصري للحديث في هذا الباب واقتصاره على المراكز المذكورة، لايعني أبداً أن المراكز العلمية الأخرى بالمغرب لا يهتم فيها بالتفسير، إذ لربما كانت بعض المدن الأخرى أنشط في هذا المجال، خاصة في الدور الأخير بعد تعميم التعليم وتوفر وسائل المعرفة من كتب وأشرطة ومجلات وصحف، وإحياء الكراسي العلمية، ووجود كراسي الوعظ والارشاد بالمساجد.

وأضرب مثالا من مدينة الدار البيضاء، تلك المدينة المجاهدة التي تجمع طاقات حية مغربية ليس في الصنائع والفكر الاقتصادي والتجاري فحسب، وإنما في التدين والأخلاق والحب في الله والغيرة على العقيدة الاسلامية، فطالما أقيمت في مساجدها العتيدة دروس التفسير، فقد تطوع بإلقاء التفسير فيها العديد من العلماء مثل الشيخ عبد الرحمن النتيقي، والشيخ زين العابدين بنعبود والمرحوم السيد الزبير الحسني الذي حضرت دروسه بالمسجد المحمدي بدرب الأحباس سنة (1393هـ — 1973م) ومابعدا وفي رمضان على الخصوص، وكان — رحمه الله — في درسه التفسيري يتكئ على الاعجاز العلمي للقرآن، وعلى استنباط العقيدة الصحيحة من القرآن الكريم بأسلوب مشوق وجذاب، مع لهجة مهذبة ونطق سليم، تراعى فيه مخارج الحروف، وكان كلام الرجل في دروسه يخرج من القلب ليقع في القلوب ويخرج المتعلم وغير المتعلم من درسه وقد وعى ما كان يقول، حافظا للآيات المفسرة من كثرة ترادها والتعريح عليها بعد كل جولة من جولاته الايضاحية.

كما حضرت الدرس التفسيري الذي كان يلقيه شيخنا الفقيه العلامة الحاج محمد (فتحاً) المذكوري كُتُوبِي بالمسجد الجامع بعين الشق : كما ألقى منه حلقات بمسجد السنة بنفس المدينة وهو — رحمه الله — كان شيخا مسنا في عمره، لكنه في فكره يتقد حيوية وحرارة، ودعوة إلى الاسلام الصحيح المبني على الفهم السديد لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

كما أخذت بها التفسير شفوياً بواسطة تفسير الجلالين على الأستاذ الحاج محمد الشاتي بمسجد الحاج علي، وبه حضرت تفسير سورة العصر للعصر للأستاذ إبراهيم كمال في محاضرة له على طلبة المعهد الديني كانت الأولى والأخيرة كما حضرت للدروس القيمة في العقيدة التي كان يلقيها الدكتور محمد تقي الدين الهلالي في مسجد بلفيدير وكان يتناول فيها بالشرح كتابه «سبيل الرشاد»، ويحرص على تأصيل ما يأتي به من الكتاب والسنة.

ومثل الدار البيضاء في النشاط التفسيري مدينة أزموّر قُربها الذي اشتهرت في هذا المجال بأحد الشيوخ الفاسيين المحققين وهو العلامة السيد محمد الرضى السنائي الذي جعل هذه المدينة العريقة تشع علما بوجوده فيها، وتعرف رحاب مساجدها تفسير كتاب الله، فقد جلس في جامع «سيدي خديم» يدرس التفسير، وابتدأ هذا الدرس أواخر ربيع الأول النبوي عام

1362 هـ. وأخذ عنه العلم في هذا الدرس العديد من تلاميذه ومريديه وقد سبق الحديث عن كتابه الذي أنتجته هذه الحلقات.

وكذلك الشأن بالنسبة لمدينة مكناس، فقد ذكر الشريف ابن زيدان درس السيد محمد ابن عبد الواحد الشبيبي المكناسي (ت. 1324 هـ) بالمسجد الجامع⁽¹⁾ وحضر المرحوم عبدالله الجراري درس السيد محمد المكي السوسي (ت. 1369 هـ)⁽²⁾ وغيرهم كثير..

ومثل هذا يقال عن باقي المدن المغربية، وإن كنت أطمح في هذا البحث إلى إبراز النشاط العلمي المتميز، والاعتناء الزائد بتفسير كتاب الله الذي قد يطغى على بعض العلماء.

وسأعرض معلومات هذا الباب من خلال فصول أربعة : الأول : عن درس التفسير بالقرويين، والثاني : عن درس التفسير بالعدوتين، والثالث : عن درس التفسير بمراكش والرابع عن درس التفسير بمسوس والصحراء.

(1) اتخاف اعلام الناس .. 4 : 285 — 286 ، 318 .

(2) من اعلام ... 2 : 35 .

الفصل الأول

درس التفسير بالقرويين

ما من شك أن درس التفسير بجامعة القرويين يُعد من الدروس العريقة بهذه الجامعة، ويشهد لذلك الكرسي المخصص لهذه المادة من بين كراسي المواد العلمية الأساسية الأخرى، كما أن هناك أوقافا مخصصة لآراء تفاسير معينة⁽¹⁾ وإذا كان من حق المغاربة والمسلمين عامة أن يفخروا بمنجزات حضارية، فأولى بهم أن يذكروا باعتزاز ما لهم من عراقة في العلم والتعليم، سواء من حيث المؤسسات، أو النظام المؤسسي، الذي تجسده جامعة القرويين والمعاهد التابعة لها، بثقلها التاريخي وبأعراقها الجامعية التي تعد رائدة فيها.

كما أن إشعاع هذه الجامعة لم يقتصر على علمائها وطلبتها ومحيطها بالمغرب فحسب، بل تعدى ذلك إلى بلدان أخرى في مختلف الجهات.

وبما أن وجه مناسبة الحديث يشدني إلى درس التفسير بجامعة القرويين منذ مطلع القرن الرابع عشر الهجري إلى اليوم. فإنه قد بدا لي أن أتناول هذا الحديث من خلال النقاط الآتية :

(1) مكانة جامعة القرويين.

(2) محاولات إصلاحية مبكرة.

(3) درس التفسير.

أ — أصلته

ب — أهم شيوخه.

ج — المصادر المعتمدة فيه.

د — أثره العلمي والديني والاجتماعي.

(1) مكانة جامعة القرويين :

تعد جامعة القرويين معقلا كبيرا وعريقا من معاقل العلم الاسلامي بالجنح الغربي من الأمة الاسلامية، ومركز إشعاع فكري وحضاري أصيل فهي أكبر من الأزهر وأقدم⁽²⁾ وفيها تخرج

(1) ذ. المنوني : كراسي الأساتذة بجامعة القرويين (دعوة الحق ع 5، من 9 مارس 1966 ص : 91).

(2) بدع التفاسير ص : 165.

علماء المغرب، ودرس فيها أبو بكر ابن العربي والحاتمي، وابن خلدون، وأبو الحسن الشاذلي، وابن غازي والشيخ زروق وغيرهم كثير...⁽³⁾

وإذا كانت اللبنة الأولى لهذه الجامعة الإسلامية الشعبية العريقة قد وضعت في النصف الأول من القرن الثالث الهجري⁽⁴⁾ فإن في هذا التأسيس المبكر دليلا على أن الدين الإسلامي دين منقذ للبشرية، ومنتشل لها من ظلمات الجهل إلى نور العلم والعرفان.

وقد وفق الله المولى إدريس، وهو يرفع قواعد مدينة فاس إلى مطمح سام وهدف نبيل، يتجلى في طلبه أن تكون فاس دار علم ومعرفة، لذلك قال في دعائه : «اللهم اجعلها دار علم وفقه، يتلى فيها كتابك، وتقام بها حدودك واجعل أهلها متمسكين بالسنة والجماعة ما أبقيتهم»⁽⁵⁾

وأجاب الله تعالى دعاءه الصادق، وطفحت فاس بالعلم والعلماء، وحج الناس إليها من كل حذب وصوب، وأمَّها القاضي والداني، والعالم، والمتعلم بفضل معلمة جامعة القرويين التي كانت بمثابة منار يهدي السُّرَّاء، ويتكون في رحابها وبين أساطينها قادة الفكر، وزعماء الرأي، وإلى مدرسيها والمتخرجين منها ومن فروعها — تلجأ الأمة إذا حَزَبَ أمر أودَّهم خطب، وإليها يرجع الفضل — أخيرا — في جلب كل نفع للبلاد ودفع كل خطر عنها⁽⁶⁾.

ووقع التلاحم العجيب بين هذه الجامعة ومحيطها، وانعكس ما يدور في رَحَابِ الجامعة من حركة علمية دؤوبة وعلم نافع على المجتمع، وأثَّرت الجامعة ومن فيها في الطباع، ورفقت الأخلاق والأذواق، وجعلت المنهج الإسلامي يضبط حياة الناس، وشُهِدَتْ صلاة الجماعة هنا وهناك، واستيقظ الناس وغدوا وأمسوا وراحوا على صوت الأذان وتلاوة القرآن، ووُزِنَتْ الأمور بموازين الشرع الإسلامي، وعرف لأهل العلم والفضل حَقُّهم ونُزِّلُوا منازلهم حتى قيل «لولا فاس لما ذكر المغرب»⁽⁷⁾.

وقد احتكت جامعة القرويين بغيرها من الجامعات الإسلامية المجاورة لها، مثل جامعة قرطبة،

(3) نفس المرجع والصفحة.

(4) أسست في فاتح رمضان 245هـ. (النبوغ.. 1 : 47).

(5) جذوة المقتبس نقلًا عن مجلة الإيمان ع : 107 رجب 1401هـ ماي 1981 ص 73 (مقال للأستاذ محمد الفاسي).

(6) الأستاذ إبراهيم الكثاني : اعلام المغرب العربي لعبد الوهاب بن منصور 1 : 192.

(7) ذ. محمد الفاسي : فاس من العواصم الإسلامية الكبرى، (مجلة الإيمان ع 107، س 11 رجب 1401هـ ماي 1981 ص : 73).

وغرناطة، واشبيلية، والزيتونة، والأزهر، وغيرها ؛ وآلت إليها تركة العلم بالأندلس ؛ وآوت ما تبقى هناك من عالم ومدرس، وصارت بذلك أكبر معلمة علمية بهذه الديار ومركزاً للعلوم العربية الاسلامية، والآداب، والرياضات، وغيرها.

ولم يفتأ سلاطين المغرب يولون كبير اهتمامهم للقرويين، ويصدرون في العديد من مواقفهم من استشارة أهل العلم بها، ويخصون العلماء بالتَّجَلُّة والتقدير، والتشجيع المادي والأدبي، ويُعَنِّون بشؤون الطلاب، ويحرصون على تتبع سير الحركة العلمية بهذه الجامعة، إدراكاً منهم لما لها من انعكاسات على الأوضاع الأخرى.

لكن جامعة القرويين أصابها في العهود الأخيرة من التَحَجُّر والجُمود ما أصاب مثيلاتها من الجامعات الاسلامية الأخرى، ولم يعد في المواد المُدرَّسة ولا في أساليب التدريس والبحث ما يثير العقول، ويكسبها القدرة على الابداع، والعطاء. وتضررت بذلك العلوم الدينية التي انحصرت في فقه الفروع المجرد عن الأصول والأدلة، وعَقِد الاختصارُ المباحث، مما جعل الطاقات والمواهب تضيق في حل أُلغاز المختصرات، وفي الاشتغال بوضع الحواشي على الشروح...، واهتم العلماء بالقشور دون اللباب، وتسرب العقم إلى باقي العلوم الأخرى، لغوية، ومنطقية، وفلكية، وغيرها... وقل من يدرس تفسير القرآن، بل أحيطت مزاولته بخرافات وأوهام... !

وقد أدرك أئمة المغرب وسلاطينه الأجلَّة استفحال الداء في جسم جامعة القرويين ومناهجها منذ وقت مبكر، فعاجلوا بمجهود إصلاحية سديدة، ظلت تتوالى منذ مطالع القرن الثالث عشر الهجري إلى اليوم، وقد انتعش بفضلها العلم الاسلامي عامة في هذه الجامعة، وتفسير القرآن الكريم خاصة كما سنرى.

(2) محاولات إصلاحية مبكرة :

لئن كانت جامعة القرويين قد مرت بمرحلة التأسيس، ثم مرحلة التتويج المشار إلى ملامحها آنفاً، فإن المرحلة الثالثة يصح أن تُنَعَت بأنها مرحلة الإصلاح والتنظيم⁽⁸⁾.

ففي المراحل السابقة، كانت القرويين تقوم بواجبها العلمي تلقائياً في الغالب، وكان العلماء غير ملزمين بما يُدرَّسون، فهم الذين يختارون من الكُتُب ما يشاؤون تدريسه، ومن الفنون ما يُوافِقُ أذواقهم، لكن هذه الحرية الفريدة في التدريس لم تثمر في العهود الأخيرة، بل أضرت بالمستوى الثقافي المنشود، وتأكدت الحاجة إلى خضوع القرويين للتنظيم والإصلاح⁽⁹⁾.

(8) ذ. عبد الهادي التازي، جامع القرويين 3 : 722.

(9) نفس المرجع والجزء والصفحة.

وكان أول من أدرك هذه الحاجة، وسعى فيها أشواطاً فريدة هو السلطان سيدي محمد ابن عبد الله العلوي،⁽¹⁰⁾ ثم توالى بعده إصلاحات القرويين في السلاطين والملوك إلى يومنا هذا.

فقد تدخل السلطان محمد الثالث في إصلاح المناهج الدراسية بالقرويين لِمَا لَاحَظَ من عُقْمِهَا وابتعادها عن المصادر الأساسية حيث قال في منشوره الاصلاحى : «إننا نأمرهم أن لا يدرسوا إلا كتاب الله تعالى بتفسيره، ومن كتب الحديث : المسانيد، والكتب المستخرجة منها، والبخاري، ومسلما، وغيرهما من الكتب الصّحاح، ومن كتب الفقه : المدونة، والبيان والتحصيل، والمقدمة لابن رشد، والجواهر لابن شاس، وكتاب النوادر، والرسالة لابن أبي زيد، وغير ذلك من كتب الأقدمين، وعلى الذين يريدون تدريس مختصر الشيخ خليل أن يدرسوه بشرح الشيخ بهرم الكبير، والمواق، والخطاب، والشيخ علي الاجهوري، والخرشي الكبير، لاغير ؛ وماعدا هذه الشروح الخمسة، كلها ينبذ ولا يدْرُس به، وان من عدل عن الشراح المذكورين واشتغل بالزرقاني وأمثاله من شراح الشيخ خليل، فإن شأنه كمن يهرق الماء أو يتبع السراب...»⁽¹¹⁾.

وأضاف العالم المصلح سيدي محمد بن عبد الله إلى هذه الدعوة، تأسيس مجالس للمذاكرة بين العلماء بحضوره كل يوم جمعة بعد الصلاة⁽¹²⁾، وكانت مجالسه هذه نواة للمجالس الحديثة التي ستعرفها رحاب قصور أُخْلَافِهِ فيما بعد.

وواصل السلطان المولى سليمان⁽¹³⁾ سير والده في الاصلاح الفكري والعقدي وساهم فيه مثل والده. وقد كان من خريجي جامعة القرويين، وعاصر الحركة السلفية التي ظهرت في نجد على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وكانت له مع رجالاتها مفااتحات هنالك، وتبنى العديد مما تقول به من العودة إلى أصول الدين في صفاتها ونقائنها بعيدة عن كل الشوائب المؤدية إلى الشرك بالله...⁽¹⁴⁾

وقد كان يتفق مع والده سيدي محمد بن عبد الله في الرجوع إلى السلفية باعتبارها هي الطريق الأقوم والأمتن، وإن كان يختلف معه في بعض ما جاء في منشوره الاصلاحى، خصوصا

(10) توفي 1204هـ اتخاف اعلام الناس 3 : 148 — 363.

(11) جامع القرويين 3 : 723.

(12) اتخاف اعلام الناس... 3 : 184 — 185.

(13) (توفي 1238هـ الترجمانة الكبرى للزياني ص : 75، 466، 547 وغيرها.

(14) ذ. علال الفاسي : حديث المغرب في المشرق ص : 4 — 5.

ما يتعلق بالشروح التعليمية لمختصر خليل، فكان المولى سليمان يرى فائدتها للطلاب، ويرى أن اشتغالهم بالشروح والخواشي من شأنه أن يشحذ أفكارهم، وينمي طاقات المناقشة عندهم، وعنده أن مختصر خليل والقرس عليه مما يساعد على اقتحام غوامض المسائل، بل رأى إضافة العناية بمختصر ابن الحاجب⁽¹⁵⁾.

وقد اهتم السلطان المولى سليمان بالتفسير وعلومه على وجه التعيين، وتجاذب أبحاثاً عميقة فيه مع كبار شيوخه وشيوخ العصر من علماء القرويين، وكتب اعتراضات على بعض التفسيرات الرائجة بين العلماء آنذاك، مثل تفسير البيضاوي⁽¹⁶⁾، وشجع على إلقاء التفسير، مثل ما فعل والده الذي نص على التفسير في أول منشوره الاصلاحى للدلالة على أهمية التفسير وكونه أصلاً أصيلاً في كل الدراسات الإسلامية، لذا ينبغي إثارة اهتمام العلماء به وتحفيزهم على الخوض فيه بالذاكرة والممارسة.

— ولم يغفل السلطان المولى عبد الرحمان⁽¹⁷⁾ عن جامعة القرويين، حتى في الظروف الحالكة التي مرت بها البلاد في عهده، وركّز على طرق التدريس ونهه على ضعف المردودية في الظاهر المولوي الذي كتبه إلى ابن عمه القاضي مولاي عبد الهادي والمؤرخ في 12 محرم الحرام 1261⁽¹⁸⁾ ومما جاء فيه.

«ولد عمنا الأرضي الفقيه القاضي مولاي عبد الهادي، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته، وبعد، فقد بلغنا توافر طلبه العلم على العادة، وجدهم في الطلب، غير أنه قلَّ التحصيل والإفادة، وذلك لمخالفة الفقهاء في إقراءهم عادة الشيوخ، وإعراضهم عما ينتج التحصيل والرسوخ، فإن الفقيه يبقى في سلكة سيدي خليل نحو العشر سنين، وفي الألفية العامين والثلاث، أكثر ما يجلب من الأقوال الشاذة والمعاني الغريبة الفاذة، وكثرة التشغيب بالاعتراضات وردّها، ومناقشة الألفاظ وعدّها، ويخلط على المتعلم حتى لا يدري الصحيح من السقيم، ولا المنتج من العقيم، وفي ذلك تضییع الأعمار، التي هي أنفوس المتاجر، بلا فائدة، وتعمير الأوقات التي يرتجى نفعها بلا عائدة، فتجد الطالب يرحل في طلب العلم من بلاده، ويتغرب عن أهله وأولاده، ويقیم المدة المتطاولة لأیحصل مع كثرة دؤوبه على طائل، ولا يقف على محصول ولا حاصل (...) وهذا يؤدي إلى ضیاع العلم الذي هو ملاك الدين، ويحمل

(15) جامع القرويين 3 : 725.

(16) عبد الله كنون : عناية السلطان المولى سليمان العلوي بعلم التفسير، دعوة الحق ع : 4 س 11 ذو القعدة 1387، فبراير 1968 (24 — 26) / الاعلام للمراكشي 7 : 14

(17) توفي 1276هـ (اتخاف اعلام الناس 5 : 2 — 274).

(18) اتخاف اعلام الناس 5 : 118 — 121.

على عموم الجهل في العاملين، وما هذا كان يفعل أهل الإفادة والتحرير، الذين يحرصون على نفع طلبة العلم، رغبة فيما عند الله من الأجر الكبير، فقد كانوا يسهلون لهم طرق العلم واستفادته، ويرتكبون ما يقرب تحصيل العلم وزيادته، ويتنزلون لعقول الطلبة على قدر افهامهم، ويحتالون على حصول الفهم والعلم للمتعلمين بلطيف عبارة كلامهم، حتى يحصل اللبيب على مراده في أقرب أوان (...)؛ فبوصول كتابنا هذا إليك، أجمع المدرسين، وأرشدتهم لما فيه المنفعة العامة، والافادة التامة، وهو الاقتصار في التقرير على حل كلام المؤلفين، وإفهامه للسامعين المتعلمين، مع التنبيه على ما فيه من خطأ وتحريف من غير إكثار هذر (...). فلا يجاوز الفقيه في سلكة خليل العام، وان اطال ففي عامين، ولا يجاوز في الألفية الشهر أو الشهرين، كما كان يفعل ذلك جهابذة العلم ونقاده، بل كانوا يسردون خليل في أربعين يوما، والألفية في أقل من ذلك، ويحصل الطلبة في ذلك على علوم جمّة، ومسائل مهمة لا يحصلونها في هذا التماطل والتطويل...»⁽¹⁹⁾

وأما ما يصوره الظهير من حالة التعليم المزرية بالقرويين والتي يذهب ضحيتها العديد من الطلاب الذين يعانون الفاقة ومفارقة الأهل، وقلة التحصيل بسبب عقم مناهج التدريس والمواد المدرسية، وضياح الطالب بين حلقات الدروس لسنوات إن لم يجد من يرشده ويوجهه، فإن هذا أمر استفحل في جامع القرويين، وأصبح في حاجة ماسة إلى الإصلاح والتنبيه على ما فيه من سلبيات، خصوصا وان البلاد تمر من أزمة وتحديات، وبدأت تتجه إليها الأنظار والأطماع الأجنبية..

ولا يخفى أن هذا الظهير التوجيهي، قد أصدره المولى عبد الرحمان بن هشام في وقت قد جدت في المغرب أحداث تنذر بخطورة الوضع، وتحولت معها الأنظار المغربية إلى الجوانب السياسية والعسكرية، خصوصا بعد انهزام الجيوش المغربية في موقعة إيسلي 1260 هـ أمام الجيوش الفرنسية، بسبب دعمهم لمقاومة إخوانهم الجزائريين وكان هذا إيذانا بإمكان وقوع المغرب هو أيضا ضحية للمستعمر، واقتنع المغاربة بضرورة العناية بالتجديد العسكري والاجتماعي⁽²⁰⁾.

وقد تزامنت رسالة أحد الطلبة السوسيين إلى أهله وذويه، وهو منقطع إلى العلم بالقرويين مع الظروف المتحدث عنها إذ أرسل هذه الرسالة في سنة 1260 هـ⁽²¹⁾ وهي على طولها

(19) اتحاف اعلام الناس 5 : 118 — 121.

(20) حديث المغرب في المشرق ص : 6 — 7.

(21) هذا الطالب هو السيد علي بن ابراهيم السملالي الساحلي اخو العلامة النابغة احمد بن ابراهيم السملالي الذي =

وأهميتها اقتبس منها حاله وحال المدينة والجامعة من حوله، قال : «.. واقرأوا منا السلام على كل من كانت بيننا وبينه معرفة ما، قرابة أو غيرها، والجيران، وسائر ما احتوت عليه بلدتنا لاسيما وخصوصا والدتنا أطال الله عمرها، وأبقاها في دار الدنيا، وطلبنا من الحق سبحانه أن يمن علينا باللقاء معها، هي وتوابعها ذكرا وأنثى، بل حتى حيطان دارنا تشوقنا لرؤيتها والتطوف بها غاية التشوق، نعم فمرادي ومقصودي من الله ومنكم أن تدعو لنا في مظان الاجابة بصالح الحال، ونيل المرام، والمقصود بالذات، ان تَمُنُّوا وَتَجُودُوا علينا بإرسالكم إلينا ما أمكن لكم من الزاد، فقد انقضى ما عندي قبل كتيبي هذا بخمسة أشهر أو أكثر، فوالذي بعث بالحق محمدا ما كان في ملكي حين الكُتِبَ ما أشرب به عند السقاء في السكة، ولا ما أشتري به خبزة واحدة، فضلا عن غيرها، ومن كذب فعليه ما يلزمه. وترتب في ذمتي سَلَفًا، نحو ثمانية مئائيل أو أكثر، ونالكم من جهتنا التفریط الكثير، لاسيما وأنتم تعرفون ما نحن فيه، فإن رأيت جوابكم في قريب فنعم، وإلا فشيخاي الفقيه المرينسي، والفقيه الكروددي، طلبا مني أن أبيع لهم القاموس بسبعين مثقالا مرارا بعد مرار، ثم بعد ذلك راودني عليه أيضا الفقيه الشريف مولاي أحمد الصقلي بالعدة المذكورة، فعزمت على البيع وموافقته على ما طلب مني، ومنعني من البيع أخونا سيدي محمد بن بلقاسم وتركته، والآن فلا تستهزئوا في إرسالكم إلينا ما هو مقصودنا منكم، فوالله مَا بَعْتُ إِلَّا (حاشية العبادي) (22) التي عندي لأشتري بها حائكا نحتاج إليه غاية، وبعث الذي كان على ظهري بأربع أوراق ونصف، وما ملكت غيره (...)، ونحن في مسكن واحد وعِشْرَةَ واحدة، وأما الصحة، ففهمنا من إبايتكم الجواب لنا في المراسلات المتوجهات إليكم قبل هذه الساعة أنكم بمعزل عن السؤال عنها، ولكن المحتاج لا يذهل على محل حاجته، واستحضرنا مقالة الناس ولا بأس بذلك مع الفائدة، فنحن على خير وعافية لله الحمد وله المنة كما هو الواجب والمطلوب...» (23)

ثم يتحدث عن معركة إيسلي وما خلفته من القتلى في صفوف المسلمين، ودخول النصاري

= قربه السلطان الحسن الأول اليه في رحلته الثانية لسوس 1303 هـ واعجب بعلمه وقوة استحضاره، وتوفي فجأة في موكب السلطان سنة 1303 هـ وقد عرفت عن طريق أسرة هذا الطالب المتحدث عنه أنه كان نابغة وذهب إلى فاس لاتمام دراسته لكنه توفي هناك رحمة الله عليه سنة 1263 هـ. وقد ترجم المختار السوسي لهذه الاسرة العلمية في كتابه المرسوم 12 : 296 وما بعدها.

(22) لعله يقصد حاشية ابن القاسم العبادي على شرح جلال الدين المحلي على الورقات لإمام الحرمين (الفكر السامي 2 : 442).

() وهذا وجه صريح من وجود معاناة طالب العلم في مجال حضري محيط بأبواب البر والاحسان ومع ذلك فهو يتطلع إلى أسرته في أقصى جنوب المغرب لتمدّه بالمساعدة مع صعوبة المواصلات وبُعد الشقة، وضرورة بقاءه بفاس حتى الإنهاء، ومع ذلك نمنعوياته مرتفعة في مواصلة الطلب.

إلى وجدة... وبدخولها تزعزعت وتروعت الادريسية النافحة الأطياب، صانها الله من الكافر، وفك أسر المدخولة — روعا شديدا، وكسدت سلعها وانسدت أسواقها وطلبة العلم يخرجون كل واحد قصد بلده، وانقطعت القراءة رأسا، فلو رمى الرامي بحجرة من جامع القرويين لاتقع على فرد واحد من بني آدم حتى كادت الجماعة تنقطع منه، وبيوت المدارس لايسومها أحد، لابيع ولاغيره، بل حتى بالعارية، فإن أعطيت واحدا مفتاح بيت رماك بها، وأسعار المدينة في غاية الغلاء دقيقا وسمنا وكل ما يحتاج إليه، إلا سلع المدينة فلا يسومها أحد، والناس يحتالون على الجهاد غاية وساح السلطان العامة في النابتة خمس سنين تأليفا لهم للجهاد، وكل من أراد أن يجاهد في سبيل الله يدفع له من بيت المال درهمين ونصفا مئة، وكل ما يحتاج إليه من السلاح والبارود والرصاص وغير ذلك، نطلب الله تعالى أن يُعَلِّب جانب المسلمين وَيُسَكِّنَ الروع والسلام، من ولدكم الضعيف علي بن إبراهيم وأخيه سيدي محمد بن بلقاسم طالبين منكم الدعاء بنيل المرغوب، وكتب عن عجل كما سيخبركم به الحامل في جمادى الثانية عام 1260 هـ⁽²³⁾.

وفي مطالع القرن الرابع عشر الهجري بدأ يصل إلى المغرب الأقصى ما كان يتفاعل في المشرق العربي من بوادر اليقظة والتجديد، وذلك عن طريق وافدين مغاربة ومشاركة من العلماء والتجار⁽²⁴⁾، ثم عن طريق ما تقذف به حركة المطابع من كتب نافعة تم إحيائها وبعثها، مثل كتب ابن تيمية، وابن القيم، والشاطبي، والشوكاني، وابن الحاج، وغيرهم⁽²⁵⁾، هذا فضلا عن المجالات، والدوريات، والصحف⁽²⁶⁾.

وقد كانت هذه الكتب تصل إلى العاصمة العلمية والسياسية آنذاك، ويتداولها علماء القرويين، وأصبحت عندهم موضع التعليق، والقبول، والرد، من مختلف الجماعات والأفراد⁽²⁷⁾، لكنها جعلت المستنيرين منهم يدركون أن هناك تغييرا حضاريا يقع من حولهم ينبغي التجاوب معه.

كما برز في هذه الفترة الشيخ عبد الله السنوسي، وهو واحد من علماء القرويين، لكنه سافر إلى المشرق، واتصل بأقطاب الفكر السلفي في مصر، والحجاز، واستنار بأفكارهم، وعاد

(23) المعسول 12 : 301 — 303.

(24) ينظر المقال الهام للأستاذ محمد المنوني : الطابع الاسلامي للوطنية المغربية في مطالع القرن العشرين (حوليات كلية الاداب والعلوم الانسانية — عين الشق — البيضاء (02) ع : 2 1985 ص : 43 — 60).

(25) حديث المغرب في المشرق ص : 7.

(26) ذ. محمد المنوني : المقال السابق.

(27) علال : المرجع السابق.

إلى المغرب «ليصدع بدعوته في داخل الجامعة القروية وليجمع من حوله ثلة من الطلبة والأنصار، وبما أنه كان شديدا في دعوته، قويا في خطابته، مؤلما في حجته، فقد ألب عليه جماعة من العلماء، اتهموه بما يتهم به عادة كل مخلص وكل مصلح، حتى كتبوا في شأنه رسالة رفعوها إلى السلطان مولاي الحسن يطالبون فيها بفصله من كرسي الجامعة، ويحكمون عليه بالابتداع والخروج عن المألوف، ولكن هذه الرسالة لم تجد أذنا واعية عند السلطان، بل تكفل الملك نفسه بالتعليق عليها بخطه، مؤكدا للعلماء أن ما يدعو إليه الشيخ السنوسي هو ما يتفق مع الاسلام الصحيح والسنة المطهرة⁽²⁸⁾ وهكذا حمى الملك المغربي الداعية السلفي، ليواصل عمله في تنوير العقول، وتطهير النفوس، وقد تتلمذ عليه الكثيرون ممن واصلوا العمل بفكرته من بعده»⁽²⁹⁾ (30).

وقد كان السلطان الحسن الأول — رحمه الله — في مستوى تقييم الأحداث بمساندته دعوة الشيخ عبد الله السنوسي إدراكا منه أن الوقت قد حان لأن ينبعث الإصلاح من القرويين نفسها، ومن بني جلدتها، لا أن يفرض عليهم هذا الإصلاح من الجهات العليا كما كان الشأن سابقا، ومنذ ذلك الحين لم يعد شأن الإصلاح الديني والتوعية الاجتماعية موكولا إلى أولى الأمر والسلطان وحدهم، وإنما تقاسم العبء معهم فيه نخبة من العلماء المستنيرين وظل الحال على ذلك في عهد السلطان الحسن الأول، ثم في عهد السلطان المولى عبد الحفيظ الذي قرب إليه الشيخ أبا شعيب الدكالي بعد عودته هو أيضا من المشرق ليفيد رحاب جامع القرويين من روح السلفية، فقد كان أبو شعيب يوجد بالأزهر لما كان الأستاذ محمد عبده يلقي دروسه في التفسير، وكان يطالع مجلة المنار التي أنشأها الشيخ محمد رشيد رضا،⁽³¹⁾ وعاش علاوة على مصر في الحجاز حيث كانت أفكار الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية قد عمت البلاد⁽³²⁾.

لقد عاد الشيخ شعيب يدعو إلى تحرير الفكر من القيود وفهم الدين على طريق سلف

(28) راجع هذه الرسالة في مقال الأستاذ غلال الفاسي (دعوة الحق ع : 4، س 11 فبراير 1968) ص : 20 — 23.

(29) من تلامذته في المشرق الشيخ احمد محمد شاكر وبالمغرب الشيخ محمد بن العربي العلوي.

(30) غلال : المرجع السابق ص : 8.

(31) يذكر الشيخ محمد رشيد رضا ان «المنار» يرسل — من اول نشأته — إلى وزير خارجية المغرب الاقصى وغيره من كبراء البلاد، مجلة «المنار» المجلد 6 ج 14 بتاريخ الأربعاء 16 رجب 1321/7 أكتوبر 1903 : ص : 609.

(32) جامع القرويين 3 : 735.

الأمة قبل ظهور الخلاف وكان يقول : «لقد كان الاعرابي على عهد الرسول ﷺ يتعلم عن عباداته الشخصية، في مجلس واحد، ما يكون به مسلماً فصار يتعذر على المسلم الآن أن يتعلم مذهبه الديني الموروث في عدة سنين»⁽³³⁾.

«على المسلمين أن يأخذوا العقائد من القرآن من غير فلسفة فيها، وعليهم أن يستدلوا بالطريقة السهلة التي سلكها الإسلام في الاستدلال، ان ما وقع فيه الخلاف في صدر الإسلام هو غير واجب، والأمر فيه على الخيار، فمن ترجع عنده شيء اخذ به»⁽³⁴⁾.

«إن الهدف هو القضاء على الخرافات الدخيلة في الإسلام وعلى الاعتقادات المبتدعة في الأولياء، وعلى ما تدعو إليه الطرق المتصوفة من ضلالات وترهات إن الهدف الحث على تربية البنات والبنين، وإصلاح كتب العلم وطريقة التعليم، هكذا كان الشيخ يردد في المجالس العلمية»⁽³⁵⁾.

ولقد عمد بادیء ذي بدء إلى تدريس التفسير الذي كان يشاع «أن قراءته تنذر بموت السلطان»، وأن «الخوض» في القرآن مما لا يناسب، وهي أفكار كانت تهدف إلى إبعاد الناس عن أصول القرآن وموارده الأولى حتى يسهل تضيعهم في المعارج والمنعطفات.

ولقد استعان الشيخ شعيب بنفوذ في البلاط الملكي ففسر ودرّس القرآن وحمل بعض العلماء على «الخوض»⁽³⁶⁾ في بحور القرآن.

وكتب إليه أحدهم ساخراً : «يا شعيب ما نفقه كثيراً مما تقول وأنا لنراك فينا ضعيفاً، ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز»، ولكن شعيباً لم يلتفت إلى النقد والسخرية بل كان ماضياً في طريقه، واستطاع خلال ثلاث سنوات قضائها بفاس أن يكون «مدرسة» لأفكاره... ونشأت (حركة) في جامعة القرويين تدعو للقيام على البدع التي كانت تزري بسمعة البلاد وتدعو إلى المطالبة بوضع نظام إصلاح للتعليم بالقرويين»⁽³⁷⁾.

3) درس التفسير :

ان الحديث عن درس التفسير بالمغرب الأقصى وبجامعة القرويين على الخصوص في القرون

(33) المرجع نفسه.

(34) المرجع نفسه.

(35) المرجع نفسه.

(36) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الأنعام، الآية : 68 [واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره..].

(37) جامع القرويين 3 : 735.

الأخيرة، هو جزء من الحديث عن هذا الدرس في القرون المتقدمة، اذ لا يمكن تصور درس التفسير في القرن الرابع عشر الهجري بعيداً عن تصوره في القرون التي قبله لأسباب.

منها : طبيعة تفسير القرآن على الخصوص، فهو من العلوم التي فيها نوع من التشابه والتقارب فيما يقال ويكتب، فمنذ أن استقرت مناهج التأليف في التفسير وهو يعرف بهذا النوع من التشابه والتقارب من عهد محمد بن جرير الطبري إلى عهد الشيخ محمد عبده⁽³⁸⁾ وإذا كان هذا النوع من التقارب الملحوظ حاصلًا في التفاسير المؤلفة، فهو في الدروس التفسيرية أولى وأحرى لأن مادتها من تلك التفاسير. ومنها : أن المتصدين لاقراء التفسير في القرن الرابع عشر الهجري يحملون ثقافة القرن الثالث عشر قبله فهم امتداد لشيخوهم الذين يحملون ثقافة من قبلهم، ومن ثم يجر الأمر الى التسلسل، والاتباع، واحتذاء حذو من تقدم.

والثالث يرجع إلى ما عرفه تفسير القرآن الكريم في العهود الأخيرة من القلة والندور، وانحسار ملحوظ في تعاطيه بين العلماء نتيجة وطأة الخرافة وسيطرتها على العقول، فهم يربطون بين تدريس التفسير وما يقع من أحداث ومصائب، فتعاطي التفسير يُسبب موت السلطان⁽³⁹⁾، وخراب المدينة التي يزاوّل فيها،⁽⁴⁰⁾ وقلة المطر أو كثرتها، ومن ثم صار التفسير عندهم مصدر شؤم، ولم يعد القرآن وتفسيره فلا حسناً للقوم ! زد على ذلك ترويجهم لدسياسة مغرضة تقول بان «صوابه خطأً وخطأه كفر...» هذا فضلاً عن التهديدات التي تلحق من يفسر القرآن⁽⁴¹⁾.

كل هذه العوامل وغيرها كانت وراء قلة تعاطي التفسير في حلق الدروس عند المغاربة، وهناك من يذهب إلى أنهم لا يتعاطونه الا في رمضان⁽⁴²⁾ قصد التبرك، مثل ما يفعلون من سرد صحيح البخاري، أما ما يتعلمونه ويُفنون فيه الأعمار فهو فقه الفروع وعلوم الاداة من لغة ونحو وصرف، ومنطق وغيرها. وشاع عن فقهاءهم : «عليك بالفقه ولو رفعت المجرور» كناية على أنه هو العلم الذي يسأل عنه الشخص بعد تخرجه من الجامعة، وبسببه يرتزق، ويتولى القضاء وغيره... أما أصل هذا الفقه ومن أين جاء ؟ وكيف جاء ؟ وما الوسيلة لإغنائه وتطعيمه، وتنقيته، مما علق به من الشوائب، وجعله يتطور وفق تطور الاحداث والمستجدات

(38) محمد الفاضل ابن عاشور : التفسير ورجاله ص : 32 — 33.

(39) الفكر السامي : 4 : 313 / من اعلام الفكر المعاصر 1 : 235.

(40) ذ. الحسن العبادي : الملك المصلح سيدي محمد بن عبد الله ص : 190، وفيه رسالة هذا الملك إلى الشيخ التاودي ابن سودة يعرض فيها لما لحق بأحد العلماء بمكناس لما وُجد يدرس التفسير.

(41) المرجع نفسه / الفكر السامي 4 : 313.

(42) «سبيل التوفيق في ترجمة عبد الله بن الصديق ص : 19.

فهذا أمر لا علاقة لهم به، ومن هنا ضاع تعاطي تفسير كتاب الله بينهم، كما ضاع تعاطي علم الحديث، وقُلَّ الشيوخ المبرزون فيها.

أ - أصلاته :

ومع ما قلناه عن وضعية درس التفسير بالقرويين في العهود الأخيرة وما أحاط به من صعوبات وقلة مَنْ يتعاطاه فإن هذا الدرس أصيل بالجامعة وله كَرَّاسٌ مُخَصَّصَةٌ من أجل تدريسه وأوقاف من أجل تفاسير معينة كتفسير الثعالبي مثلاً⁽⁴³⁾، لكن في العهود الأخيرة أصاب العلوم الإسلامية ما أصابها من الجمود ليس في المغرب فحسب، بل في العالم الإسلامي أجمع⁽⁴⁴⁾ ومن بينها تفسير القرآن الكريم.

ونحن بصدد تحديد أصالة درس التفسير بالقرويين دون الإغفال في القدم أكثر، نقف : وصف لهذا الدرس في آخر القرن العاشر الهجري يمكننا من خلاله أن نتصور الكيفية التي يلقي بها والخطوات والمباحث والمصادر التي يعتمدها الشيخ ؛ من ذلك درس الشيخ أحمد الرموري (ت. 1001هـ)⁽⁴⁵⁾ صاحب كرسي التفسير والقراءات بالقرويين، وجامع الأندلس، فقد كان «طلق العبارة جداً، فصيح اللسان، جيد الحفظ دقيق الفهم، يقول الواصف لدرسه : حضرت مجلسه يوم قراءته لقوله تبارك وتعالى : ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا..﴾ إلى قوله : .. خالدون»⁽⁴⁶⁾، وحكى رحمه الله في تأويلات الآية ما ينيف على ثلاث وعشرين تأويلاً، كلها باللفظ، وهو ينقلها رحمه الله ويعد في أصابعه الثاني والثالث إلى آخرها⁽⁴⁷⁾، ثم قال رحمه الله : قال الامام الفخر الرازي، فإن قلت : قوله تعالى : ﴿ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾، هذه الآية، تشهد لمذهب المعتزلة في قولهم بتخليد العصاة من المؤمنين الذين ماتوا ولم يتوبوا، لقوله : ﴿ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾، ثم قال رحمه الله : وأجيب عن الآية لأهل السنة بأوجه أقربها وجهان : أحدهما أن معنى قوله :

(43) جامع القرويين 3 : 709 / ذ. محمد المنوني : كراسي الاساتذة بجامع القرويين : [دعوة الحق مارس 1966].

(44) المختار السوسي : مدارس سوس العتيقة ص : 58 وما بعدها.

(45) امتازت دروسه في التفسير بما ينقل فيها من اقوال المفسرين وتأويلاتهم، وما يورد عليهم من الاعتراضات والاستشكالات فيناقش ويحلل ويأتي من عنده بما يرفع الابهام ويزيل الاشكال وكان الرموري يقضي شهر رمضان في مراكش يؤم باحمد المنصور في صلاة التراويح لحسن قراءته وتجويده [الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين 2 : 361 — 362].

(46) البقرة الآية : 274.

(47) ظاهرة الاستعانة بالاصابع في عد الصور والحالات التي يقررها العالم في دروسه، ظاهرة ملازمة لشيء - التدريس بالقرويين وتوابعها من المعاهد، اذ يعد ذلك من وسائل ايضاحهم وتقريبهم الفهوم إلى الأذهان.

ومن عاد، معناه : عاد إلى اعتقاد حلية الربا بدليل : ﴿وأحل الله البيع وحرم الربا﴾ أي فمن خالف ذلك واعتقد الحلية فهو مخلد في النار، ولاشك أن من حلل ما حرم الله فهو كافر، والكافر مخلد في النار والخلود على بابه والجواب الثاني أن نزول الخلود بمعنى طول المدة، فيكون المعنى ومن عاد إلى فعل الربا فيدوم بقاءه في النار ثم يخرج، والخلود بمعنى طول المدة وارد في كلام العرب..»(48)

ويذكر الاستاذ محمد حجي عن هذه الفترة السعدية أن المغرب عرف ازدهارا علميا، كما نشطت رحلات علماء مشاركة إلى المغرب، بسبب تشجيع ملوك المغرب السعديين للعلم والعلماء، فجاءوا «من مكة والمدينة، وبيت المقدس، وحتى من بلاد الترك والفرس، وعرف لهم نشاط في التفسير والحديث والادب»(49)

ويضيف أنه «قد أبان الاحتكاك بين علماء التفسير المغاربة والمشاركة اختلافا أساسيا في الأسلوب والوسائل، ذلك أن المفسرين المشاركة اعتمدوا اعتمادا مطلقا تفاسير الشرقيين على اختلاف مذاهبهم دونما تخرج أو تحرز مما يخالف مذهب الجماعة منها، وكادوا لا يعرفون شيئا عن مؤلفات علماء الغرب الاسلامي في هذا المضمار، بينما كان مرجع علمائنا بالدرجة الأولى إلى تفاسير الأندلسيين، والمغاربة الملتزمين مذهب السنة، وإذا أتوا بشيء من تفسير بعض المشاركة كالزخشري انتقدوه ودحضوا آراءه الاعتزالية أكثر مما أخذوا منه، وذلك، ما جعل بعض هؤلاء الوافدين ينتقصون شيوخ التفسير المغاربة، على كثرتهم وطول باعهم في ذلك العصر»(50).

ففي قوله المغاربة يرجعون إلى تفاسير الأندلسيين والمغاربة الملتزمين مذهب السنة، فإنه يقصد أشعريتهم، والا فلا وجود لتفسير أندلسي أو مغربي وضعه عالم سلفي التزم فيه عقيدة السلف، وإنما هناك العديد من التفاسير التي ألفها مفسرون أشعريو العقيدة، وهؤلاء هم الذين تروج تفاسيرهم بين أيدي المغاربة إلى اليوم بدءا بآبن عطية، وآبن العربي وآبن الفرس، والقرطبي وغيرهم... ويدافعون عن عقيدة أبي الحسن الأشعري المعروفة عنده بالمرحلة الماتوريدية(51).

(48) الحركة الفكرية.. 2 : 361 — 362.

(49) الحركة الفكرية 1 : 70 / اهتم العلماء المشاركة بالتفسير والحديث لما رحلوا إلى المغرب لأن بضاعتهم في الفقه غير نافقة في الوسط المغربي الذي يقف عند حدود الفقه المالكي.

(50) المرجع نفسه.

(51) علما بأن الأشعري كان معتزليا ثم ما توريدا ثم على مذهب اهل السنة والجماعة في آخر حياته وأبان عن ذلك في كتابه : «الابانة عن اصول الديانة».

ونجد وصفا آخر بعد قرنين لهذا الدرس بفاس للشيخ العنبري (ت. 1164هـ) ينقله صاحب نشر المثاني قائلا :

«وكان بعد صلاة الصبح وتوابعها يقرأ تفسير القرآن العظيم، ويفتح تقرير الآية بإعرابها، ونقل كلام المعربين وشواهد كلام العرب، ثم يقرر ما ورد في تفسير الآية من الحديث، ويذكر ما تيسر من الكتب البيانية (...) وقد رأيت دأما على هذه الحالة لا يتزحزح عنها ساعة وهو إمام خطيب بجامع الشرفاء نحو اثنتي عشرة سنة آخرها سنة موته»⁽⁵²⁾.

ويمكن ان نستنتج من هذا النص الوقت المختار لدرس التفسير عند العنبري وهو بعد صلاة الصبح، كما نستنتج الاهتمام بعلوم الآلة من لغة ونحو وصرف والشغف بنقل اقوال المعربين من الشواهد من كلام العرب، ثم بعد ذلك يبحث عن التفسير بالمأثور، ثم علوم البلاغة والبيان...

ويلاحظ اهتمام فقهاء الفروع بالبحث عن الشواهد لعلم النحو، ولكنهم لا يبحثون عن الشواهد لعلم الفقه، وهي الظاهرة الغريبة التي تتميز بها حواشيمهم وشروحهم على المختصرات من قلة الاكتراث بربط الفقه بنصوص من الكتاب والسنة والاجماع..

وفي القرن الثالث عشر الهجري ظهرت بوادر نزعة اصلاحية — كما سبق القول — كانت بمثابة رد فعل ضد عقلية سادت طويلا وقد صاحب بروز هذه النزعة الاصلاحية انتعاش في الحياة العلمية وفي درس التفسير على الخصوص، إذ ازدهرت حلقات التفسير بالمساجد كما بالبلاط المحمدي والسليمان، وفي كثير من معاهد العلم هنا وهناك وبرز عدد من كبار العلماء الذين عرفوا بمقدرتهم في الفروع العلمية الاسلامية المختلفة بما فيها علم التفسير، وقد كان المولى سليمان من هؤلاء المتضلعين في فن التفسير...

ولمع في مجالس المولى سليمان التفسيرية الشيخ الطيب ابن كيران⁽⁵³⁾، والزرروالي⁽⁵⁴⁾، والشيخ محمد بن الحاج⁽⁵⁵⁾ وغيرهم، كما ألف الشيخ احمد بن عجيبة (ت. 1224هـ) تفسيره المركز الدقيق المسمى «بالبحر المديد في تفسير القرآن المجيد» الذي يقع مخطوطا في عدة مجلدات

(52) ذ. محمد المنوني : كراسي الاساتذة بجامعة القرويين (دعوة الحق ع : 5 س 9 مارس 1966 ص : 91) — (97).

(53) توفي 1228هـ (السلوة 3 : 2) ذكر الحجوي ان له تفسيراً من سورة النساء إلى حم غافر «ليس له نظير» [الفكر السامي 4 : 295] النبوغ : 1 : 294.

(54) توفي 1230 هـ محمد بن عمرو الزروالي، (السلوة 3 : 5).

(55) توفي : 1232 (السلوة 3 : 4) الاعلام للمراكشي 3 : 117.

بالخزانة الحسنية بالرباط⁽⁵⁶⁾.

وفي الاعلام للمراكشي تعريف بجهود الشيخ حمدون بن الحاج ونشاطه في التفسير قال : «... وكان يقرأ التفسير بعد صلاة العصر «بالبضاوي» وخواشيه زاده، والاسيوطي وزكرياء، مع مراجعة الكشاف، وخواشي الطيبي والسَّعْد، وزكرياء مخرج احاديثه ومختصراته كإبي السعود، وكان يعتمد عليه ويتهج بذكره، وابن كمال باشا والنسفي ويراجع النيسابوري، وابن عرفة، وابن عادل، والثعالبي وابن كثير، والبقاعي واحكام ابن العربي الخ.

ثم يقرأ بين العشائين التفسير أيضا، ولا يتقيد بتفسير بل يذهب حيث ما ذهب التحقيق...»⁽⁵⁷⁾.

وقد ختم السيد حمدون الكشاف للزخشرى تفسيراً، وكذا تفسير البقاعي⁽⁵⁸⁾ وكان ينكت على البضاوي مما جعله يؤلف حاشية على هذا التفسير، وأخرى على تفسير أبي السعود، كما فسر سورا من القرآن⁽⁵⁹⁾.

وقد سُجِلت طريقة هذا الشيخ في إلقاء التفسير ومما قيل عنها : إن عاداته «التحري من نقص عما يحتاج إليه في إيضاح المعنى أو زيادة لا تليق بالغرض، وكان يراعي المعنى الحقيقي والمجازي، والتأليف، والغرض الذي سبَّق له الكلام ويواخي بين المفردات، فيبتدئ بتحقيق الالفاظ المفردة ويتكلم عليها من جهة اللغة، ثم التصريف، ثم الاشتقاق ثم يتكلم عليها بحسب التركيب، فيبتدئ بالأعراب، ثم ما يتعلق بالمعاني، ثم البيان، ثم البديع، ثم يبين المعنى المراد، ثم أسباب النزول، ثم علم الحديث والاثَر، ثم علم المناسبة، ثم الاستنباط، ثم الاشارات، ثم لا يبقِي ولا يدع من الاستدلال ضد أهل الأهواء والبدع»⁽⁶⁰⁾.

وما من شك أن هذه الصورة الحية لدرس التفسير عند الشيخ حمدون بن الحاج في القرن الثالث عشر الهجري ظلت طريقة ومسلَكاً لمن جاء بعده من الشيوخ من تلاميذه وتلاميذهم إلى النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري بجامع القرويين وغيره، فعلى هذا المنهج كانوا

(56) تحت رقم : 11121 ز. طبع منه مجلد بعناية أحد المستشرقين، وهو من بين المشاريع العلمية التي تعترم وزارة الأوقاف المغربية طبعها قريبا، حسب ما بلغني وقته.

(57) الاعلام : 3 : 119.

(58) المرجع نفسه 3 : 121.

(59) المرجع نفسه 3 : 129.

(60) «رياض الورد إلى ما انتهى إليه هذا الجوهر الفرد» لمحمد الطالب بن حمدون بن الحاج مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم 111 د.

يسرون، وهذه هي الطريقة التي كانوا يفضلون، لأن العالم الحقيقي بالتفسير عندهم هو من يستطيع أن يغطي هذه المباحث التي يجر إليها الكلام في تفسير الآيات، تغطية كافية تعكس باعه في العلم ومبلغه في الفهم، دون أن يحيد عن هذه الخطوط العريضة للطريقة الأمثل التي صورها لنا الشيخ محمد بن حمدون عن درس والده في التفسير — رحمهم الله —.

ب — أهم شيوخه :

إن الجانب الأساسي الذي يمكن من خلاله رصد درس التفسير بالقرويين في القرن الرابع عشر الهجري، هو جانب الشيوخ المتعاطين لتدريس التفسير، والا فهناك صعوبات تعترض المتتبع لمراحل هذا الدرس بدقة وامعان.

وأصل هذه الصعوبات يعود إلى درس التفسير نفسه وما أحاط به من ملاسبات في شأن تدريسه وعدم تدريسه، وقد مسته بلية سوء المعتقدات، وأصبح متعاطيه في المزايدات ومحط الأنظار والاشارات.

فإذا أضفنا إلى هذه التخويفات، خصوصية الدرس في حد ذاته، وكونه يتناول كتاب الله تعالى، وهو الكتاب الذي له مكانته وهيبته في النفوس فإننا ندرك مدى التحفظ والاحتياط الذي كان يصاحب الجلوس لاقراء التفسير بالقرويين.

أما إذا عدت إلى الذين كتبوا عن جامعة القرويين وعلمائها أو من أشار إلى تلقيه فيها، خلال القرن الرابع عشر الهجري، فإنك إما أن تجده يشير إلى الخرافات التي أحاطت بدرس التفسير، وكونه يسبب موت السلطان⁽⁶¹⁾ وإما أن تجده يعد التفسير من الفنون والعلوم التي عرف وجوده بالضرورة في القرويين على الدوام مثل الحديث، والفقه، والعمل الفاسي⁽⁶²⁾. وهناك من نص على «ان التفسير لا يقرأه احد في القرويين ولا الحديث إلا في رمضان»⁽⁶³⁾.

والغريب أنه في ظل المقولة الأولى التي تربط درس التفسير بموت السلطان، نجد علماء بارزين في التفسير من علماء القرويين يرحلون إلى المشرق ويتعاطون التفسير ويحضر دروسهم الجمل الغفير من المعجبين بدروسهم ويسجل لنا حتى موضوع الدرس...⁽⁶⁴⁾ وهناك طلبة

(61) الفكر السامي 4 : 313 / جامع القرويين 3 : 735.

(62) جامع القرويين 3 : 726.

(63) سبيل التوفيق.. ص : 19.

(64) إتحاف اعلام الناس... 4 : 358.

يذكرون شيوخهم في التفسير في النصف الثاني من الثالث عشر⁽⁶⁵⁾.

وفي ظل القول الثاني الذي يرى وجود هذا الدرس بالقرويين وجودا ضروريا، ويحمله على الدوام، نجد توقيفات مسجلة في حق العلماء الذين تعاطوا لتدريس التفسير بالقرويين وتم إبعادهم إلى مدن أخرى بقصد تعيين جديد في خطة القضاء مثلا...⁽⁶⁶⁾.

أما كون هذا الدرس التفسيري لا يلقى إلا في شهر رمضان فقد يحمل على حكم الغالب ولعل الأمر كان يشمل غير شهر رمضان، والله اعلم⁽⁶⁷⁾ ولا نتحدث عن فترة النظام، فقد أصبح التفسير من المواد المقررة في العالي كما هو معلوم.

أما أهم شيوخ درس التفسير بالقرويين في القرن الرابع عشر الهجري فسأذكرهم اعتمادا على من وصفتهم كتب التراجم بذلك.

1 - أبو عيسى المهدي بن سودة (ت. 1294هـ)⁽⁶⁸⁾.

شيخ الاسلام، وحجة الأنام... إمام الفقه والحديث، ذو عارضة طويلة وأبحاث دقيقة، درس العلم باقطار المشرقين والمغربين فأجاد وأفاد، كان شيخ مجلس السلطان مولاي عبد الرحمن ثم السلطان سيدي محمد الرابع، ثم السلطان مولاي الحسن الأول في صحيح البخاري في الأشهر الثلاثة رجب وشعبان ورمضان⁽⁶⁹⁾.

رحل ثانية إلى الحج معية أنجال السلطان مولاي عبد الرحمن ولما دخلوا مكة يوم الجمعة 17 قعدة 1274 ألقى فيها دروسا في التفسير ابتداء من قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا...﴾⁽⁷⁰⁾ ووقف على قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا...﴾⁽⁷¹⁾.

ممن أخذ عنه من المغاربة أخوه السيد احمد، قاضي مكناسة من بعده، والحاج محمد كنون،

(65) الاعلام للمراكشي 7 : 29.

(66) الفكر السامي 4 : 311 - 313 / مختصر العروة الوثقى ص : 37 - 38.

(67) أشير هنا إلى تدريس الفقيه الحجوي صاحب الفكر السامي للتفسير وختمه له سنة 1338هـ بالضرع الادريسي وقوله انه كان كلما عاد إلى مسقط رأسه فاس في عطلة أو إجازة إلا ودرس التفسير (الفكر السامي 4 : 386 - 387).

(68) تساهلت في ايراد هذا الشيخ على الرغم من أنه توفي في نهاية الثالث عشر لمكانته البارزة في علم التفسير وغيره ولكونه تتلمذ عليه العديد من اعلام الرابع عشر الهجري.

(69) اتحاف اعلام الناس 4 : 358 / الاعلام للمراكشي 7 : 283 / سلوة الانفاس 1 : 303.

(70) سورة الحج الآية : 21.

(71) الآية : 35 من نفس السورة.

والشيخ أحمد بن الخياط الزكاري، والسيد جعفر الكتاني، والسيد أحمد بن الجيلاني وغيرهم⁽⁷²⁾.

ومن المشاركة الشيخ عlish المصري، والشيخ عبد الهادي الاياري المصري، والشيخ دكدوك الدمشقي...⁽⁷³⁾.

سنده في التفسير : أخذه عن سيدي محمد الحراق، وهو عمدته في التفسير والحديث. طلب منه السلطان محمد الرابع أن يخرج معه في سفر فاعتذر بالأبيات الآتية، وفيها إشارة إلى تعاطيه التفسير في مجالس السلطان وغيرها، قال :

بلغت سنين فقل البصر وأثقل فكري وعظمي الكبر
وبان المنام وجمُع الملائد فماذا أُؤمِّلُ ما المنتظر؟
وأترابنا قد مضوا جملا فكانوا كطيف بدا فغير
وأنت الامام الرؤوف الشفيق — ق بكل الوري وجميع البشر
فكيف بمن عمره معكم مضى في الحديث وأي السور
وهذا شفيع عظيم فجدد على من بدا عجزه فاعتذر
بقيت مشيدا لدين الإله ومنك يُنال المُنَى والوطر⁽⁷⁴⁾

كما أن لأبي عيسى المهدي بن الطالب بن سودة تقايد وتحريرات في التفسير سيأتي توثيقها وهو واحد من العديد من علماء القرويين الذين فسروا القرآن الكريم بالحرم المكي.

2 — محمد بن المدني كنون (ت. 1302هـ)

يصفه صاحب الفكر السامي بأنه من المتضلعين في العلوم الشرعية الورعين، المعلنين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كان مشاركا في المعقول والمنقول، محققا نزيبها قوالا للحق، مطبوعا على ذلك، غير هباب ولا وجل، يحضر مجلسه الولاية والامراء أبناء الملوك وغيرهم، وهو يصرح بإنكار أحوالهم وما هم عليه، مبينا لِهَنَاتِهِمْ غير متشدد، ولا متصنع، رزق القبول والهيبة على نحول جسمه، ووصلته بذلك إذابة، وسجن، لكن بمجرد سجنه اعتصب الطلبة، وقامت قيامة العامة فأطلق سبيله، فهو أحق من يقال في حقه مجدد لكثرة النفع به، وانتشار العلم عنه وعن تلاميذه، وكان شديدا على أهل الطرق، وما لهم من البدع التي شوهت جمال الدين

(72) إتحاف أعلام الناس 4 : 358.

(73) المرجع نفسه.

(74) إتحاف أعلام الناس : 4 : 358.

والمتصوفة أصحاب الدعاوي التي تكذبها الأحوال، ولم يجرؤ علماء وقته على انتقاده لأنه كان يتكلم بالحال لا المقال وتحققوا خلوص نيته، ومطابقة سره لعلانيته⁽⁷⁵⁾.

وقد قال عنه الشيخ أحمد بن الحياض وغيره إن دروس هذا الشيخ كانت أفضل بكثير مما يكتب في تأليفه، وأنه سمع منه فوائد ما سمعها من غيره، ولا رآها في كتاب قط، مما يدل على اطلاع عظيم...⁽⁷⁶⁾.

3 — الشيخ إبراهيم بن إدريس الحسني المالكي السنوسي الفاسي (ت. 1304هـ)⁽⁷⁷⁾.

من اهتم بالتفسير وشرع في تفسير القرآن، لكن وافاه الأجل قبل إتمام تفسيره.

4 — أحمد بن الطالب بن سودة (ت. 1321هـ)

«... متمكنا في الحديث والتفسير والأصول ومعرفة محاسنها والغوص على غوامضها، حسن الالتقاء والتفسير...»⁽⁷⁸⁾.

5 — محمد (فتح) بن محمد بن عبد السلام كنون (ت. 1326هـ) من العلماء الذين

نعتهم الحجوي بالبراعة في سائر العلوم الموجودة في زمنه وقال عنه : «تجلت فيه المواهب الالهية بأجلى مجالها، فكنت إذا أردت الموازنة بين دروسه الحديثية والتفسيرية والتجويدية والفقهية انخ هل غلب عليه فن منها، فلا تجده إلا بارعا في الكل سواء، براعة فحواله العظام وأئتمته الأعلام، وذلك ما لم أره في غيره إذ كل من رأينا يغلب عليه فن من الفنون... كانت علوم اندرست أو ضعفت فأحيها، ونفخ روحا جديدة في طلابها فابتهج مُحْيَاها، درس علم التجويد بعدما درس، وأحيا قراءة التلخيص بمطول السعد بعدما بعد عهد هذه الديار بتهاطل تلك الأمطار، وذلك كله عَطْل بموته.

وأحيا قراءة التفسير بالبيضاوي، لكن القاصرين لم يُرَقْ ذلك في أعينهم، فزعموا أنه يتسبب عنه موت السلطان، فشغلوه بولاية قضاء آسفي ويا آسفي على العلم قضى عليه الحسد، وأذهب الروح وترك الجسد، لكن لم يلبث إلا نحو سنة، ثم استَغْفَى فأَغْفَى مشوقا إلى ما تعود من نشر العلم، طاهر الذيل، قائما بحقوق العدل، فرجع لدروسه تاركا التفسير في دروسه»⁽⁷⁹⁾.

(75) الفكر السامي 4 : 302 — 303.

(76) نفس المرجع والجزء والصفحة / الاعلام للمراكشي 7 : 54.

(77) هدية العارفين 5 : 44.

(78) معجم المطبوعات ص : 166.

(79) الفكر السامي 4 : 311 — 313 / مختصر العروة الوثقى للحجوي ص : 37، 38 / الاعلام للمراكشي

7 : 151.

6 — الفضيل بن الفاطمي (ت. 1318هـ)

«امام المعقول والمنقول، وفارس ميدان الفروع والأصول...»⁽⁸⁰⁾ أخذ التفسير عن أبي العباس أحمد المنيسي (ت. 1277هـ) وإلى العباس أحمد بناني المدعو كلاً (ت. 1304هـ عن سن عالية).

7 — محمد بن عبد الكبير الكتاني (ت. 1327هـ)⁽⁸¹⁾

«شيخ الطريقة الكتانية بالمغرب وترجمان الصوفية ولسان المتكلمين.. كان حافظاً للحديث بصيراً بمعانيه وفقهه متمكناً في علم التفسير حر الفكر والضمير، يجاهر بأفكاره ومبادئه مقتدراً على إقامة الحجة وإقناع الخصم... بعيد الصيت والشهرة في المشرق والمغرب، رزق الإعانة على التأليف فألف في التصوف والحقائق والتفسير والفقه والحديث وغير ذلك»⁽⁸²⁾.

وقال المترجم في كتابه : «مدارج الإِسعاد الروحاني» : «لما اشتغل الطالب طول عمره بعلوم الآلة، فقد اندبغ أديمه في الجملة بأدوات التفسير، فهلا انقلب إليه وصرف الوجهة إليه، فإن القرآن هو روح العالم، وروح الأنبياء والرسل والملائكة عليهم السلام، لأن الإنسان غير عالم بالطبع لولا رشاشات العلم الالهي المفاض على العالم، وليس إلا علم القرآن»⁽⁸³⁾.

وهو بهذا يستحث هم من حوله لتعاطي التفسير، بعد أن رأى إغفالاً من العلماء عنه، مع أنه اشتغال بالقرآن الذي هو أساس كل شيء..

وأضاف بعد أن عد أنواعاً من علوم التفسير :

«وإذا كان هذا محصول علم التفسير، فكيف ينبغي لعاقل أن يتجنبه ولا يشغل كل عمره به، فإن الخوض فيه يطلع على وجه إعجازه، وبه يعلم صدق الرسول دلالة عقلية فيكون أعون على الاستسلام والانقياد لكل ما أتى به»⁽⁸⁴⁾.

ويذكر الأستاذ إبراهيم حرركات⁽⁸⁵⁾ أن الشيخ محمد عبد الكبير الكتاني — رحمه الله — قام

(80) اتحاف اعلام الناس 5 : 519.

(81) محمد الباقر الكتاني : اشرف الاماني في ترجمة الشيخ سيدي محمد الكتاني / التيارات السياسية والفكرية بالمغرب ص : 33 / معجم المطبوعات المغربية ص : 303 — 304 / التأليف ونهضته ص : 177 / الاعلام للمراكشي 7 : (155 — 168).

(82) معجم المطبوعات ص : 303.

(83) اشرف الأماني ص : 24.

(84) المرجع نفسه والصفحة.

(85) التيارات السياسية والفكرية ص : 33.

برحلة إلى البقاع المقدسة سنة 1321، ومكث بمصر نحو شهر، فتلقاه علماء الأزهر ومثقفو مصر بترحاب كبير : واستقبله الخديو عباس بتقدير وألقى بمصر محاضرة في الأزهر عن أركان الاسلام، وأجرى صلات بالعلماء وشيوخ القطر من مختلف المذاهب، ورددت الصحافة المصرية أصداء زيارته، كما كان لمحاضرته وقع كبير.

وفي مكة ألقى بالبيت الحرام دروسا في التفسير، كما ألقى عدد من تلاميذه المرافقين له دروسا أخرى في البيت الحرام ودعاه أمير مكة عون الرفيق إلى قصره غير ما مرة، وتبادل عشرات الإجازات مع علماء الحجاز كما كان يتناول الأوضاع الاستعمارية حينها حل.. والتقت أفكاره مع أهل الحجاز رغم الأوراد التي ردها تلاميذه بالحرم النبوي.⁽⁸⁶⁾ وقد نص هذا العالم الجليل على تدريسه التفسير بالزاوية الكتانية بفاس وهو في سن الثامنة عشرة من عمره، مما يدل على نبوغه المبكر، وأخذ العلم في إبانة وهو عهد الصبا ومطلع الشباب، وقد ذكر ذلك في كتابه : «إزاحة الاتراح في الجهر والبسمة».⁽⁸⁷⁾

8 — أحمد بن الخياط الزكاري (ت. 1343هـ)⁽⁸⁸⁾.

حلاه تلميذه محمد الحجوي الثعالبي «بأستاذ الفقهاء والمحدثين وحامل لواء المفسرين والمحققين والصوفية والمدرسين والمؤلفين شيخنا وقدوتنا... فارس الفقه المُجَلِّي، وجامع جوامع أصوله وإمامه المُحَلِّي، كشاف التفسير بالسنة... ولقد فشت فتاويه في ديار المغرب، وكان فيها لسان الشريعة المُعَرَّب، وما حُفِظ عنه أنه تناول أجرا على فتوى أو حكم...»⁽⁸⁹⁾.

اتجر في أول أمره، ثم تجرد على طريق الصوفية الدرقاوية، ثم رجع لنشر العلم والعكوف على نفع الخلق، درس التفسير من صحيح البخاري ومن تفسير الشرييني. قال الحجوي : «قرأت عليه كثيرا من الفقه والحديث والتفسير والأصول والسير وغيرها...»⁽⁹⁰⁾ ويشير أيضا إلى أن مجلسه في التفسير والحديث يحضره العموم من تجار وغيرهم⁽⁹¹⁾.

وقال عنه تلميذه الفقيه أحمد الرهوني : «وكان رحمه الله معتنيا بالمطالعة والمراجعة لكتب التفسير والحديث، والفقه، والأصول، والطبقات، والتاريخ، والتصوف وغير ذلك... ومن

(86) نفس المرجع والصفحة.

(87) أشرف الأماني ص : 24.

(88) الفكر السامي : 4 : 320 — 321 / مختصر العروة الوثقى ص : 43.

(89) الفكر السامي : 4 : 320 — 321.

(90) المرجع نفسه والجزء والصفحة.

(91) مختصر العروة الوثقى ص : 23.

عادته أنه كلما طالع كتابا وقفه بالطرة، وقيد مطلقه، وخصص عامه، وحرر واعترض، وصحح وعارض بغيره، بحيث لو خرج ما فيها على كتبه الكثيرة لكان حواشي كبيرة...»⁽⁹²⁾.

وذكر صاحب معجم المطبوعات أن الشيخ أحمد بن الخياط «ألف تأليف كثيرة... وأكثرها صغير الجرم، فإنه كان مهما جرت المذاكرة في مسألة أو سئل عنها، أو حررها في الدرس، إلا وقيد ما تحصل وتحرر لديه فيها، وسماها باسم خاص...»⁽⁹³⁾.

وأسوق له نموذجا مخطوطا من جوابه عن سؤال حول آية قرآنية، وهو يعكس نفسه في البحث والتقصي والمصادر التي يعود إليها في مباحث التفسير، كما يعد نموذجا فريدا من التفسير المكتوب لهذا العالم الجليل.

سئل «أنه كان نبي يخط في الرمل، ونص السؤال بعد الافتتاح : أشكل علينا الأمر في قوله تعالى : ﴿إيتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم ان كنتم صادقين﴾»⁽⁹⁴⁾.

فإن بعض المفسرين قال : المراد بالأثارة : علم الخط الذي كانت العرب تخطه في الرمل، فعلى هذا يكون في إتيانهم بعلم الخط دليل على أن لله شريكا كما أن إتيانهم بالكتاب من عند الله من غير القرآن فيه دليل على أن لله شريكا، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، وإذا كان كذلك أي في علم الخط دليلاً وبرهاناً لصحة دعواهم فلا يكون من المحرم، مع أنه ورد فيه النهي، والحمد لله رب العالمين أبفاك الله لنا وللجميع سيفاً قاطعاً ونوراً ساطعاً بجاه إمام المرسلين سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ وعلى آله اجمعين والحمد لله رب العالمين.

فأجاب بما نصه :

الحمد لله وحده، وبعد فما ذكرته عن بعض المفسرين من أن المراد بقوله تعالى (أو أثارة من علم) هو علم الخط كما كانت العرب تخطه في الرمل، لا تعويل عليه، بل هو ضعيف جدا ولذا لم يعرج عليه أكثر من رأيت من المفسرين، ففي البيضاوي ما نصه : (أو أثارة من علم) أي بقية من علم بقيت عندكم من علوم الأولين هل فيها ما يدل على استحقاقهم للعبادة أو الامر به. هـ، ونحوه في الكشف وإبي السعود والنسفي، وقال أبو البقاء (أو أثارة) بالألف، أي بقية وأثرة أي ما يؤثر أي يروى هـ. وقال الجلال المحلي : (إيتوني بكتاب) منزل من قبل هذا القرآن (أو أثارة) بقية من علم يورث عن الأولين بصحة دعواكم في عبادة الأصنام أنها تقربكم إلى الله إن كنتم صادقين في دعواكم هـ.

(92) عمدة الراوين في تاريخ تطاوين مخطوط خ.ع. بطوان ص : 143.

(93) معجم المطبوعات ص : 105.

(94) الأحقاف، الآية : 4.

نعم حَكَى ذلك القول، بأنه علم الخط، أبو علي البغدادي الخازن أخيراً فقال : (أو أثارة) من علم أي بقية من علم يُؤثر عن الأولين ويُسند إليهم، وقيل برواية عن الأنبياء، وقيل علامة من علم، وقيل هو الخط كانت العرب تخط في الأرض هـ.

وكذا الخطيب الشربيني فقال : (أو أثارة) أي بقية من علم يؤثر عن الأولين بصحة دعواكم أي في عبادة الأصنام انها تقربكم إلى الله تعالى.

وقال المبرد : (أثارة) مايؤثر من علم، كقولك هذا الحديث مأثور عن فلان، ومن هذا المعنى سميت الاخبار بالآثار، يقال : جاء في الأثر كذا.

وقال الواحدي : وكلام أهل اللغة في هذا الحرف يدور على ثلاثة أقوال :

الأول : الأثارة، واشتقاقها من أثرت الشيء، أثيره وإثارة، كأنها بقية تستخرج فتشار. والثاني : من الأثر الذي هو الرواية.

والثالث : من الأثر بمعنى العلامة.

وقال مجاهد، وعكرمة، ومقاتل : رواية عن الأنبياء.

قال الرازي : هاهنا قول آخر (أو أثارة من علم) هو علم الخط الذي يخط في الرمل، والعرب كانوا يخطون، وهو علم مشهور، روي انه ﷺ قال : كان نبي من الأنبياء يخط، فمن وافق خطَه عِلِمَ عِلْمُهُ، فعلى هذا الوجه معنى (ايتوني بكتاب من قبل هذا) الخط الذي تخطونه في الرمل يدل على صحة مذهبكم في عبادة الأصنام، فإن صح تفسير الآية بهذا الوجه، كان من باب التهكم بهم وأقوالهم، ودلائلهم ثم أشار إلى تفرعهم بالكذب اذ لم يقيموا دليلاً على دعواهم بقوله (إن كنتم صادقين)، عن يقين في الصدق على ما تدعون لأنفسكم هـ.

فها انت ترى أكثر المفسرين حملوا الاثارة من العلم على المأثور عن الماضين من الأنبياء والمرسلين ونحو ذلك فيكون حاصل معنى الآية على ما أشاروا إليه : (ايتوني بكتاب) من عند الله على دعواكم أن هذه الأصنام خلقت شيئاً، أو أنها تستحق أن تعبد، أو بسنة مروية عن الأنبياء، ومن حكى ذلك القول بأنها الخط اخره، بل الخطيب لم يقتصر على ذلك حتى تردد في صحته بقوله : فإن صح الخ، ومع ذلك لم يحمله على حقيقته بل حمله على التهكم بهم، إذ لا يصح ذلك بحال وكيف يصح أن يكون إتيانهم بعلم مستند إلى الخط دليلاً لهم على ما يزعمون من الباطل ماذونا لهم في الاتيان به حقيقة، ودلائل الشريعة المحمدية واضحة بطلان الخط ونحوه من كل ما يستشرف به على الغيب، وحرمة تعاطيه، ففي المعيار : وسئل النووي عن اتيان المنجمين وتصديقهم فيما يقولون هل يجوز أم لا ؟ فأجاب :

ثبتت أحاديث كثيرة بتحريم ذلك، منها عن صفية بنت أبي عبيد عن بعض أزواج النبي ﷺ عنه قال : من أتى عرافاً فسأله عن شيء، فصدقه لم تقبل له صلاة أبعين يوماً، رواه مسلم في صحيحه، وعن قبيصة بن المخارق قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : العافية والطيرة والطرق من الجبت رواه الدَّرَاوَرْدِيُّ بإسناد حسن، قال أبو داود : العيافة : الخط، قال : والطرق، الزجر أي زجر الطير فإن طار إلى جهة اليمين تيمن، وإن طار إلى جهة اليسار تشاءم، قال الجوهري : كلمة الجبت تقع على الصنم والكاهن والساحر ونحو ذلك، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : من اقتبس علماً من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد، رواه أبو داود بإسناد صحيح، قال العلماء فيحرم تعاطي هذه الأمور والمشى إلى أهلها، وتصديقهم ويحرم بذل المال إليهم، ويجب على من ابتلي بشيء مما ذكرناه المبادرة بالتوبة هـ. الخ.

وقال في الكشف على قوله تعالى : (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً...) (95) الآية فيه ابطال الكهانة والتنجيم لأن أصحابهما أبعد شيء من الارتضاء، وأدخله في السخط هـ. وقال الواحدي، في هذا دليل على أن من ادعى أن النجوم تدله على ما يكون من حياة أو موت ونحو ذلك فقد كفر بما في القرآن هـ. وقال الخازن : وأما الكاهن فليس بمتبع للرسول، وقد انسَدَّ باب الكهانة بمبعث النبي ﷺ، فمن ادعى منهم اطلاعا على غيب فقد كفر بما جاء في القرآن وكذا حكم المنجم والله تعالى اعلم هـ. وقال القرطبي : إن العلماء قالوا : لما تمدح الله سبحانه بعلم الغيب واستأثر به دون خلقه كان فيه دليل على أنه لا يعلم الغيب أحد سواه، ثم استثنى من ارتضاه من الرسل فأعلمهم ما شاء من غيب بطريق الوحي إليهم، وجعله معجزة لهم ودلالة صادقة على نبوتهم، وليس المنجم ومن ضاهاه ومن يضرب بالحصا وينظر في الكوكب ويزجر بالطير فمن ارتضاه من رسول فيطلعه على ما يشاء من غيبه، بل هو كافر بالله مفتر عليه بحدسه وتخمينه وكذبه هـ. وفي العهود المحمدية للامام العارف بالله سيدي عبد الوهاب الشعراني، أُخِذَ علينا العهدُ العام من رسول الله ﷺ أن لا نتعلم على سحر ولا كهانة ولا تنجيم بالرمل والحصا، ونحو ذلك، ولا نصدق من يفعل ذلك، فان قلت : فما تقول في حديث كان نبي من الأنبياء يخط، فمن وافق خطه خطه علم علمه، قلت : إن ثبت هذا من كلام النبي ﷺ كان من معنى قوله تعالى : ﴿إلا من ارتضى من رسول﴾ وكان قوله فمن وافق خطه الخ من معنى كرامات الأولياء اللاحقة بمعنى قوله تعالى : ﴿إلا من ارتضى من رسول﴾ كما تقرر، ولو فرضنا أن ذلك مشروع في شريعة ذلك النبي ومن

تبعه فقد قامت الأدلة في شريعتنا أن ذلك ليس من شريعتنا وبالله تعالى التوفيق والهداية إلى سواء الطريق، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه اجمعين، والحمد لله رب العالمين احمد بن الحياط الزجاري الحسني هـ» (96).

هذا جواب عن سؤال في التفسير وجه إلى الشيخ احمد بن الحياط ويكفي ما استعرضه فيه من مصادر متنوعة للدلالة على عارضته في البحث والتحقيق، ومن ثم يتجلى الاحتياط الذي كانوا يقدمونه امام القول في كتاب الله.

9 — أحمد بن المامون البغيثي (ت. 1348هـ) (97).

من كبار علماء القرويين في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري، درس التفسير في رحاب القرويين بمصدر نفيس هو احكام القرآن لابن العربي المعافري، واخذه عنه جم غفير من الطلبة (98) وهو أول من درسه بجامع القرويين من المعاصرين (99).

وصفه في جواهر الكمال بقوله : «كان فقيها إماما مشاركا علامة أدبيا لودعيا، لطيف الأخلاق، خفيف الروح، متضلعا في الفقه والأصول، والحديث والتفسير والعربية واللغة والصرف والأدب والبيان والبدیع، رَحَّالة جَوَّالا مكثرا من لقاء أهل العلم والأدب، دَوَّوبا على التدريس والنشر، درس في غير ما فن من الفنون العالية كالحديث والأصول وأحكام القرآن وغيرها... تولى القضاء بغير ما موضع من حواضر المغرب.» (100) وخلف مؤلفات عديدة (101).

أخذ ابن المامون التفسير عن احمد بناني كَلَّا، وعن الكامل بن عبد الله بن الطاهر الامراني العلوي (ت. 1321هـ) (102).

رحل إلى المشرق فراقه ما شاهده في مصر من النهضة، خاصة الحياة العلمية، مما جعله

(96) عمدة الراوين ص : 161 — 164.

(97) ترجم له في : جواهر الكمال للفقهاء الكانوني ص : 54 / الاعلام للزركلي 1 : 201 / التأليف ونهضته ص : 64 / معجم المطبوعات ص : 39..

(98) ينظر في ذلك إتخاف ذوي العلم والرسوخ لابن الفاطمي صفحات 20، 66، 77، 92، 103، 201، 203... الخ.

(99) معجم المطبوعات ص : 39.

(100) جواهر الكمال ص : 54.

(101) ذكر في جواهر الكمال 12 مؤلفا من تأليف مولاي احمد بن المامون (صفحتي : 56 — 57).

(102) إتخاف أعلام الناس : 3 : 121 — 122.

يتمنى لعلماء وأدباء وطنه سلوك طرقها بل التفوق، والعلم اليوم، غيره بالأمس فالعالم في غير قطرنا المغربي لا يستنكف من مطالعة المجلات العلمية الاخبارية، وكذلك الجرائد على اختلاف مشاربها⁽¹⁰³⁾.

وله تحقيقات في التفسير في غاية ما يكون وقفت على نماذج منها في كتيبه «حسن النظرة في أحكام الهجرة» المطبوع بالمطبعة البهية بمصر (د.ت).

10 — محمد الطاهر الكتاني (ت. 1347هـ)

ذكره تلميذه ادريس بن الماحي وقال عنه : «كان فقيها عالما مدرسا نفاعا عارفا بالنحو والفقه والحديث والسير والتفسير...»⁽¹⁰⁴⁾.

11 — عبد الله السنوسي (ت. 1350هـ)

أبو محمد عبد الله بن ادريس بن محمد السنوسي الفاسي أصلا الطنجي منزلا وإقبارا، السلفي العقيدة، الظاهري المذهب، ذكر الفقيه الحجوي أنه اجتمع به مرارا وأنه يحسن المذاكرة في الحديث، إلا أنه غلبت عليه حدة ابن حزم الظاهري في نيله من الأئمة المالكية وغيرهم يقول بالاجتهاد ويذم التقليد⁽¹⁰⁵⁾ وهو ممن حضر السلطان المولى الحسن الأول درسه في الحديث⁽¹⁰⁶⁾ وكان من أوائل من نقلوا أفكار جمال الدين ومحمد عبده إلى المغرب⁽¹⁰⁷⁾.

12 — الشيخ ابو شعيب الدكالي (ت. 1356هـ)

— يقول عن نجاحه في الامتحان لدى السلطان المولى الحسن الأول : «لما كانت سنة ثمان وثلاثمائة والف 1308 (1891م) دعا السلطان (مولاي الحسن الأول) من يحفظ مختصر خليل لأجل الاختبار فحضرت كغيري لمراكش، واختير الجميع، فوجدت أحفظهم بين يدي الفقيه الوزير المرحوم السيد علي المسفيوي⁽¹⁰⁸⁾ ثم قال لي : هل تحفظ القرآن ؟ فقلت : نعم، بالروايات السبع، فأحضر من يعرفها وأمروني بالقراءة فقرأت «بسم الله الرحمن الرحيم الرحمن علم القرآن (بالقراءات، فظن الوزير المذكور أنني عينت ذلك، وبعد إطلاع علم السلطان

(103) التأليف ونهضته ص : 64.

(104) معجم المطبوعات ص : 301.

(105) مختصر العروة الوثقى ص : 17.

(106) جامع القرويين 3 : 734.

(107) علال الفاسي : حديث المغرب في المشرق ص : 8.

(108) هو الذي كان يختبر العلماء بسوس في رحلة الحسن الأول الثانية سنة 1303هـ ترجمته بالاعلام للمراكشي 9 : 262.

مولاي الحسن على ذلك أمر بإدخاله عليه، فدخلت فقال لي : أعرب (الرَّمَانُ حُلُوٌ خامض) فأعربت المثل، فقال لي : انت فقيه ولست بنحوي، فقلت أنا أعلم بالنحو مني بالفقه، ولكنه بمنزلة قول الشاعر :

يداك يد في الورى خيرها وأخرى لأعدائها غائظة
فتعنت علي بعض الحاضرين وقال : زد إيضاحا لسيدنا، فقلت وقصدته هو بمنزلة «والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات» فضحك السلطان كثيرا، وأمر لي بصلتين وكسوتين، ولا يزال توقيعه بهما عندنا، ونصه : يضاعف لأبي شعيب لصغر سنه وكبير فنه، ثم بعد ذلك كله رحلت الى الريف في خبر طويل، ثم إلى مصر عام أربعة عشر وثلاثمائة وألف فأخذت عن الشيخ البولاق والشيخ علي الصالحى، والشيخ احمد الرفاعي والشيخ محمد الطيمومي، والشيخ سليم البشري، والشيخ محمد بجيت، والشيخ دسوقي عري والشيخ محمد محمود الشنقيطي وآخرين كثيرين.

وأجازني الكثير لما جاورت بمكة شرفها الله من وفود أهل الله من اليمن وأهل الشام، وأهل العراق، وأهل الهند⁽¹⁰⁹⁾.

وقد كان الشيخ أبو شعيب آية في علوم القرآن وقراءاته واعرابه وناسخه ومنسوخه وأحكامه ومعانيه ووجوه بلاغته وأنواع تفسيره... نشر العلم بالمغرب وبالمشرق وقد كانت دروسه العلمية الحديثية والتفسيرية بفاس نموذجاً حياً ندر من علماء فاس وقتئذ من لم يحضرها..⁽¹¹⁰⁾ وكان يركز على إحياء علم الحديث ويعمل على نشره على نطاق واسع، ويدعو إلى الأخذ بالسنة والعمل بها في العقائد والعبادات، مع التزام أسلوب القرآن في الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة وبالتالي هي أحسن⁽¹¹¹⁾.

13 — محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي (ت. 1376هـ)

الفقيه الحجوي قدم عطاءات علمية قيمة تعكس علو كعبه وسعة اطلاعه، وقدرته الفائقة على البحث والمطالعة والتأليف، فقد وصلت مؤلفاته إلى نيف وتسعين تأليفاً،⁽¹¹²⁾ أهمها

(109) هذه وثيقة بقلم الشيخ أبي شعيب الدكالي نشرها الاستاذ عبد الله الجراري في كتابه المحدث الحافظ أبو شعيب الدكالي ص : 17 — 18...

(110) من اعلام الفكر المعاصر 2 : 269 — 271.

(111) عبد الله كنون : الشيخ الإمام أبو شعيب الدكالي : (دعوة الحق ع : 4 س 10 مارس 1967).

(112) مختصر العروة الوثقى ص : 70.

وأجلها الفكر السامي في تاريخ الفقه الاسلامي «إذ لو لم يكن له غيره لكفاه»⁽¹¹³⁾.

كان الحجوي من أعلام الفكر بالمغرب في القرن الرابع عشر الهجري، ومن أول المتزعمين لمشروع الإصلاح في القرويين على العهد اليوسفي،⁽¹¹⁴⁾ وقد نشط في التدريس والمحاضرات والتأليف، وتقلد المناصب السامية في الدولة مع تمكن في المنقول والمعقول، ويعد من حاملي الفكر السلفي والمدافعين عنه بالبحث والحجة⁽¹¹⁵⁾. وكان يرى أن الاجتهاد الفقهي ممكن ومتيسر وسهل الآن أكثر من أي وقت مضى، وإنما المفقود الآن أمران : العزائم، والنفوس المخلقة أخلاقا فاضلة وصادقة تنشأ عنها الثقة.

ويرى أن تشحذ العزائم باستقلال الفكر وشغله بتدبر كتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام وترك التمرن على كلام المتأخرين الجامدين، وجعل بدله التمرن على فهم الكتاب والسنة، وكلام أئمة الاجتهاد مثل مالك وأضرابه كما كان أهل القرون الأولى يفعلون...⁽¹¹⁶⁾.

وكان يرى أن القرآن لا تنحصر أحكامه ولا تزال كل يوم تظهر منه لطائف وأسرار مادام المفكرون في الوجود، وأن القرآن لم يكن القصد من إنزاله أن يكون بين ايدي الناس كتابا يتركون بلفظه يقرؤونه على الموق فقط، بل القصد أن يعملوا بأحكامه ويتهدبوا بتهذيبه، وتنظم أحوالهم به، ويتخلقوا بأخلاقه حتى يصيروا به أمة مهذبة⁽¹¹⁷⁾.

وقد اشتغل الفقيه الحجوي بتدريس التفسير سنوات بفاس والرباط ومراكش ويذكر أنه بدأ بتدريس صحيح البخاري ولما وصل إلى كتاب التفسير فضل قراءته بتفصيل باعتماد مجموعة من المصادر مثل تفسير الطبري والرازي والبيضاوي وروح المعاني، وأحكام ابن العربي والجصاص وغيرها، وذلك بعد أن ترك الناس — على حد قوله — التفسير مدة سنين من قبل، ورام بعض الولاة منعه بدعوى التطير بقراءته وأنه يتسبب عنه موت السلطان كما فعلوا بشيخه كنون فيما سبق، فعصمه الله منهم وأكمل درسه التفسيري وختمه بالضريح الادريسي سنة 1338هـ، وألقى منه درسا بتونس من أول سورة المومنين، ثم أعاده بفاس أيضا لإيصال حلقاته كما أعاد التفسير بالجلالين والبيضاوي الى آل عمران⁽¹¹⁸⁾.

(113) عبد الله الجراي : التأليف ونهضته ص : 138 .

(114) الفكر السامي 4 : 194 .

(115) يعلن عقيدته السلفية في الفكر السامي 4 : 377 .

(116) المرجع نفسه 2 : 461 .

(117) نفس المرجع 1 : 26 — 27 .

(118) المرجع نفسه 4 : 386 — 387 .

والغريب أن الفقيه الحجوي ظل في دروسه التفسيرية يمثل نمط القدماء في التفسير من تمرير الآية عبر العديد من العلوم، إلى حد مفرط، والخوض في المباحث الدقيقة الفقهية واللغوية والإشارية وغيرها، والحجوي وما يقوله في الفكر السامي، ليس هو الحجوي في آثاره في التفسير ونجد أن أحدهم قرط كتابه الفكر السامي منوها بتفسيره للآيات التي يعرض لها في كتابه،⁽¹¹⁹⁾ ولو اطلع على آثاره في التفسير لتعجب من المفارقة الواضحة بين ما جاء في الفكر السامي وتفسير العشر الآي الأولى من سورة المومنين المطبوع بتونس وسورة الاخلاص التي أملاها في 15 درسا بالضريح الادريسي بمناسبة ختمه للتفسير⁽¹²⁰⁾.

14 — محمد بن العربي العلوي (ت. 1384هـ)

العالم الداعية، الذي كان حربا على المستعمر بمواقفه وبما يكونه من التلاميذ من حوله، كما كان من المناهضين للخرافة في المعتقد ويدعو إلى عقيدة السلف في نقائها وصفائها. وقد كانت معركته ضد الطرقية بصورة خاصة معركة عنيفة خصوصا وأن من مشايخ الطرق من وقف متعاوناً مع الاستعمار ومبطلا للعزائم وقاتلا للهمم بتأويل فكرة القضاء والقدر تأويلا سيئا يحرفها إلى عقيدة الجبر وإلى الحتمية التي لا مناص منها ولا يمكن التحرر من أحداثها..» ولذلك فلا محل لبذل المحاولات للخروج من أية نكبة تنزل بنا أو مصيبة تحل بوادينا...»⁽¹²¹⁾.

وقد تشبع الشيخ محمد بن العربي العلوي بفكرة السلفية من شيخه عبد الله السنوسي⁽¹²²⁾ وقد دافع ابن العربي عن الفكرة أحسن دفاع وأقنع من حوله بأن الاتجاه السلفي هو الجدير بالاتباع، وأقام ينير العقول بفاس بدروسه التفسيرية والحديثية والفقهية واللغوية المتينة بالقرويين وبالثانوية الادريسية بفاس، وبالمدرسة الحرة الأولى بالمغرب التي كانت له اليد الطولى في إنشائها وهي المدرسة الناصرية وبمساجد الرباط وسلا والدار البيضاء، وعقد حلقات الدروس في المنفى وفي كل مكان حل به.⁽¹²³⁾

«درس للجمهور دروسا عامة في التفسير وغيره، كما درس للطلبة دروسهم الخاصة التي

(119) المرجع نفسه 4 : 533.

(120) نتاجه في التفسير المكتوب يوجد مخطوطا بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم : 115 ج.

(121) حديث المغرب في المشرق ص : (4 — 5).

(122) المرجع نفسه ص : 8، وكذا من اطلاعه على كتب ابن تيمية (ترجمة عبد القادر الصحراوي له ص : 38).

(123) عبد القادر الصحراوي : شيخ الاسلام محمد بن العربي العلوي ص : 50.

تدخل في مناهجهم الدراسية وفي كل ذلك كان يُعَلِّم ويربي ويقنع بما أوتي من غزارة العلم وحيوية القلب، وصناعة الحجة، وفصاحة اللسان وقوة الشخصية.

وكعالم سلفي، فإن مناهجه في تدريس كل ما يتصل بالدين والفقه، كان هو تجاوز كتب الفروع إلى كتب الأصول.

وبما أن الأصل الأول هو القرآن الكريم، فقد أحيا درس التفسير بعد أن كان مهجورا، لما كان قد شاع بين فقهاء ذلك العصر من أن تدريس التفسير يعجل بموت السلطان! ⁽¹²⁴⁾ وقد حاول أحد المستشرقين مرة أن يستفزه قائلا له إننا قد نجحنا في بث دسياسة إليكم تتعلق بتفسير القرآن، وهي «صوابه خطأ وخطأه كفر» فتوقفتم بسببها عن تدريس التفسير فرد عليه الشيخ على الفور ونحن أيضا قد نجحنا في القضاء عليها، وها نحن نقرأ التفسير ⁽¹²⁵⁾.

15 — محمد بن عبد السلام السائح (ت. 1367هـ)

يتمتع هذا الشيخ باعتبار خاص في الوسط المغربي، سواء في بلده الرباط وفاس ومكناس وغيرها.. ⁽¹²⁶⁾ تعاطى للتدريس ولحطة القضاء، ونشط في التأليف واشتهر بدروسه في التفسير بالقرويين وغيرها، وكان يقبل على دروسه العديد من المثقفين والشباب وعموم الناس، لعلم الرجل وسمته ونبل أخلاقه وسداد فهمه ونشاط بحثه.

«وكان بطبعه اللين، ومبدئه الثابت، ينجح إلى السلفية مترسما محجتها البيضاء، ذاذا بكل ما أوتي من جهد عن مذاهب أهل السنة في كفاح مستمر وجهاد متواصل... وكان يقف في وجهته الإصلاحية موقف المتبصر المعتدل» ⁽¹²⁷⁾.

وهو من تلاميذ الشيخ أبي شبيب الدكالي ⁽¹²⁸⁾ كما تتلمذ عليه جلة من النبغاء المغاربة مثل محمد المختار السوسي، والمكي الناصري، وعبد الله الجراري، وعبد الهادي التازي ⁽¹²⁹⁾ الذي استفاد كثيرا من مجالسه التفسيرية، ولا ادل على ذلك من تفسيره لسورة النور في وقت مبكر من حياته العلمية تفسيرا نموذجيا يقرب كتاب الله من عباد الله.

(124) نفس المرجع والصفحة.

(125) عن تلميذه المباشر الشريف مولاي أحمد الحمومي العدل بآيت ملول — أكادير.

(126) من اعلام الفكر المعاصر 2 : 140.

(127) المرجع نفسه 2 : 143.

(128) اتحاف ذوي العلم والرسوخ ص : 205 — 206 / من اعلام.. 1 : 236.

(129) جامع القرويين 3 : 723 / اتحاف ذوي العلم صفحات 38 — 142 — 208.

وعن درسه التفسيري بالقرويين يقول احد تلاميذه: (130)

«تلقيت، عنه بعض دروسه التفسيرية بشرح النسفي، والحديثية بصحيح الامام البخاري التي كان يملئها بين العشاءين بمسجد القرويين، وكانت تلك الدروس مملوءة بالفوائد الممتعة والقواعد المحررة، والطرائف البديعة، وكان يستحضر كثيرا من الآيات والمقطوعات الشعرية، والشواهد العلمية، وكان فصيح اللسان، حلو العبارة، مليح الاشارة، وكان لتعبيره رنة موسيقية، ونغمة عذبة خصوصا عند تلاوة بعض الآي القرآنية التي كان يفسرها، وكانت مجالسه تغص بالطلبة النجباء المستفيدين، وتكتظ بالعامّة المتعطشة للتقاط درره البهية، وفرائده الغالية، وجواهره الثمينة» (131).

وفي هذا دليل على تقدم درس التفسير ورقيه عما كان عليه بسبب إضفاء ثوب قشيب من المعرفة الجديدة عَليّه والاطلاع الواسع المهد لهذا الدرس، وجعله يعالج قضايا اجتماعية وفكرية ودينية، ويثير الافكار نحو البحث والتحري والفضول العلمي من اجل الخلق والابداع، خاصة ونحن نعلم ان الفقيه السائح — رحمة الله عليه — كان مستنير الفكر واسع البحث والاطلاع فيما يروج من الافكار المعاصرة، مع ربطها ومعالجتها وفق الرؤية الاسلامية الصحيحة..

16 — علال الفاسي (ت. 1394هـ)

الأستاذ علال الفاسي من علماء المغرب الذين أدركوا حقيقة ما ينتظر المسلمين في هذا العصر، وكان إدراكه مبكراً يسمح الوقت آنذاك بالتدّارك للأخطاء ومراجعة المواقف، والعمل على اقتحام العقبات نحو العمل بالاسلام، وفتح آفاق المستقبل نحو نظامه، وسواء جلس هذا المفكر لتطبيق فهمه على النص القرآني، وتجلية الاهداف والمقاصد منه بتفسير القرآن تفسيراً عصرياً أم لم يجلس، فإنه استطاع أن يتبين الأوضاع الاسلامية تبيناً سليماً ومتزناً، يسمح له بأن يكون في صفوف علماء الفكر الاسلامي المعاصر أمثال الافغاني وعبدّه، ورشيد رضا، واقبال، والنورسي، وابن باديس، وابن عاشور وغيرهم..

فهو يرى أن «مستقبل الاسلام إنما هو في نجاح السلفية الصحيحة أي في أن يقتنع المسلمون بضرورة العمل بكتاب الله وسنة رسوله، ومسيرة التطور في اساليب الفهم والتقدير للاشياء، والعناية بالعقل الراجح، البعيد عن المؤثرات المختلفة، والتفكير في دائرة الأصول الانسانية التي وضحها القرآن ومهدتها تجارب الامم والشعوب، واعتبار هذه الأسس المقياس الأول والمحك

(130) ابن الفاطمي : انحاف ذوي العلم والرسوخ.. ص : 208.

(131) المرجع نفسه.

الذي على حكمه المعول، بحيث لا تقبل نظرية من النظريات، إلا إذا أقرها العقل، وصادق عليها الدين»⁽¹³²⁾.

وقد درّس علّال التفسير لطلّبه بالقرويين، وألقى دروساً على غرار ما كان يلقيه الشيخ محمد عبده في الأزهر⁽¹³³⁾، كما درسه بزاوية مولاي عبد القادر بعدما منع من مزاوله التفسير بالقرويين⁽¹³⁴⁾.

وله رأي في تفسير الشيخ محمد عبده، وفي هدفه من درس التفسير، دافع به عن جهود عبّده في خدمة القرآن الكريم، كما خالفه فيما يذهب إليه من التماس معجزة القرآن في التفسير العلمي للآيات القرآنية مثل تفسير عبده «طيراً أبابيل» بالجُدري، وكذلك رشيد رضا الذي فسر مُرُورَ موسى وإغراق فرعون بعملية المد والجزر المعهودة في البحر...

يقول علّال : «... ونحن لا نوافق الاستاذين على مثل هذا الاغراق في تفسير ما ذكره القرآن على أنه من قبيل المعجز.. وليس يعني أن يكفر من يشاء إذا كان إيمانه لا يتم إلا بالتنازل عن جزء ولو يسير من الدين، وهو من الممكنات التي لا ينزع فيها عقل ولا علم صحيح...»⁽¹³⁵⁾.

ويسجل نقطة الالتقاء بينه وبين عبده في الهدف من درس التفسير في الفترة المعاصرة قائلاً : «ولم يكن عبده يهتم من هذه الدراسة غير خرق العادات التي سار عليها الأزهريون من عدم دراسة كتاب الله والاكتفاء بتلاوته وقد استطاع أن يوجه النظر للقرآن، ويحمل كثيراً من تلامذته على كتابة دروسه ثم التوسع في التفسير على طريقته...»⁽¹³⁶⁾

كما أشار علّال الفاسي إلى أن عبده «لم يكن يخضع لنظريات المفسرين من قبله دون بحث أو نظر، كما أنه لم يكن يقول في القرآن برأيه، وإنما كان يبذل الجهد للبحث عن تفاسير السلف واختيار أحسنها، أو التوسع فيها والاستدلال باللغة ودقائقها على ما تعنيه الآيات الكريمة وكان يحاول بقدر المستطاع أن يوفق بين ما وصل إليه علمه من مظاهر العلم الحديث، وبين ما

(132) حديث المغرب في المشرق ص : 27 — 28.

(133) ممن تلقى عنه التفسير ذ. عبد الكريم الداودي، وابن الفاطمي ومحمد ابراهيم الكتاني وغيرهم (اتخاف ذوي العلم والرسوخ ص : 73).

(134) ذكر لي ذلك الباحثة سيدي محمد ابراهيم الكتاني — رحمه الله — في لقاء معه بندوة الاكاديمية بأكادير في خريف 1986م أنه كان ممن تلقى عنه التفسير بها وذكر أنه يحتذي في تفسيره حذو مدرسة المنار، أي يربط التفسير بالواقع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي للمسلمين..

(135) الشيخ محمد عبده موقفه من الشبه والمتشابه (دعوة الحق ع 10 س 1 ابريل 1958 ص : 5).

(136) المقال نفسه ص : 3.

جاء في الآيات القرآنية وإذا كان التوفيق قد خاناه أحيانا فإن ذلك لا ينقص من قيمة الجهد الذي بذله ؛ والحق أنه هو نفسه لم يكن يتأخر عن الرجوع في النظريات التي يناقشها أمثاله من العلماء المخلصين متى ظهر له وجه الحق فيها..» (137).

وقد نكَّتَ علّال على أمين الخولي الذي فهم فهما على غير وجهه مما قصده محمد عبده من قوله في قصص القرآن، فقد بين عبده أن القرآن ليس مدونة علم ولا تاريخ ولا نحو أو صرف، وأنه كتاب غايته الهداية، وأن ما فيه من قصص أو تاريخ أو غير ذلك لا يرمي لأكثر من الإرشاد وإقامة الحجة، ولم يكن يقصد إلى أن هذه الأمور المذكورة في القرآن قد لا تكون موجودة، وقد قال ذلك وهو بصدد الرد على شبهات (ريثان) عن التّوراة التي تشتمل على تواريخ تختلف عما هو معروف، ويُنَّ عبده أن القرآن لم يذكر تواريخ معينة إلا في موضع واحد إذ كان يناقش اليهود والنصارى في إبراهيم (وما أنزلت التوراة والانجيل إلا من بعده) (138) وأما ما عدا ذلك، فكلها أخبار للرسل والأنبياء غير محددة الآجال.

لكن أمين الخولي ذهب بعيدا إذ زعم أن وجود النبأ في القرآن لا يستلزم صحته، وهذا ما لا يتفق مع قداسة القرآن! (139).

كما نكَّتَ علّال على الشيخ أبي زهرة في مواقف شاذة منه إذ قال : «وإنه لمن الغريب أن يقف صديقنا الأستاذ الكبير محمد أبو زهرة موقفا آخر إذ يأتي في القرن الرابع عشر ليؤيد مذهب القول بخلق القرآن أثناء بحثه عن هذه المسألة في كتابه عن الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه، كما يؤيد جواز القول في القرآن بالرأي فيما كتبه عن هذا الموضوع في تأليفه النفيس عن الامام ابن تيمية، وكل جواد يكبو وكل سيف ينبو» (140).

وهكذا كان علّال ينير الساحة العلمية بأبحاثه القيمة الدقيقة الدالة على تفهم وتمرس بقضايا الشريعة الإسلامية ومعرفة مواطن الداء ومكامن الزلل حيثما حلت بهذا الجسم الاسلامي سواء من قبل أبنائه أو خصومه — رحمه الله تعالى — مما يزكي ما قلته في مطلع ترجمته.

كما قام بالإسهام في نشاطات متعلقة بتعليم القرآن وتفهيمه للناس في إطار جمعية خاصة بذلك. (141).

(137) المقال السابق.

(138) آل عمران، الآية : 64.

(139) المقال السابق.

(140) نفس المرجع.

(141) حديث المغرب في المشرق ص : 14.

17 — الحسين العراقي (ت. 1356هـ)

الفقيه المشارك السيد الحسين بن محمد بن الوليد العراقي كان كثير التدريس يدرس بضريح سيدي عبد الرحمن المليلي تلقى عنه التفسير العديد من طلبة العلم منهم الاستاذ سيدي عبد الله بن الصديق، وذكر أنه كان يدرسهم تفسير الجلالين بحاشية الصاوي⁽¹⁴²⁾.

كتب ردا على الفقيه الحجوي سماه «المناطيد الجوية في الرد على المقالات الحجوية»⁽¹⁴³⁾.
وهو من الأساتذة الذين درسوا التفسير لما أحدث النظام 1350 هـ :

18 — الحسن مزور (ت. 1376هـ)

من شيوخ القرويين، أحمدي الطريقة، مشارك في علوم الآلة، والفقه، والتفسير، والأصول والحديث⁽¹⁴⁴⁾.

درس لما أحدث النظام بالقرويين البلاغة بالقسم الثانوي ثم نقل إلى تدريس الحديث في القسم العالي ثم إلى التفسير.

يصف أحد تلاميذه طريقته في التفسير بقوله : « كانت له طريقة خاصة في تدريس التفسير، تمتاز باستعراض جميع ما يقوله المفسرون، ورجال الحديث في آية المقصود تحليلها، متخلصا من ذلك إلى المقارنات، ثم إلى الاختيارات المفضلة.. »⁽¹⁴⁵⁾.

19 — محمد بن ابراهيم (ت. 1381هـ)

فقيه علامة مشارك إلا أنه يتقن الفقه والحديث والتفسير والحساب ومصطلح الحديث والتوحيد ويتصف بفهم جيد⁽¹⁴⁶⁾.

درس تفسير الجلالين لافواج عدة من الطلبة⁽¹⁴⁷⁾ كما تقلد عدة مهام بالقرويين وولي القضاء نيابة عن القاضي محمد السائح.

(142) بدع التفاسير ص : 166 / سبيل التوفيق ص : 19.

(143) جامع القرويين 3 : 320.

(144) معجم المطبوعات ص : 323 — 324.

(145) جامع القرويين 3 : 823.

(146) تحاف ذوي العلم والرسوخ ص : 121.

(147) المرجع نفسه صفحات : 57، 71، 24، 33، 78 (يراجع سند المغاربة في تفسير الجلالين في «إبداء التيسير» ص : 38).

20 — محمد بن أحمد بن الحاج السلمي (ت. 1356هـ)

عالم محدث نفاة اشتغل بتدريس تفسير ابن كثير وكذا تفسير ابن جرير وأخذ عنه التفسير خلق كثير⁽¹⁴⁸⁾ كما درس صحيح البخاري بالقسطلاني⁽¹⁴⁹⁾.

21 — محمد بن محمد بن عبد القادر ابن سودة (ت. 1368هـ)

من أساتذة التفسير في النظام أيضا درسه بالبيضاوي، وكان يتقن التفسير، كما درس الاتقان للسيوطي، وكان يحفظ كثيرا من الأحاديث⁽¹⁵⁰⁾.

22 — الحبيب المهاجي (ت. 1384هـ)

جزائري الأصل، فقيه علامة مشارك إلا أنه يتقن الفقه والأصول ودرس التفسير بشرح البيضاوي⁽¹⁵¹⁾.

23 — عبد العزيز بن أحمد بن الحياط (ت. 1394هـ)

علامة مشارك يتقن البلاغة والأصول والتفسير والتوقيت.. درس التفسير في النهائي بأبي السُّعود، وأُسند إليه تدريس التفسير بكلية الشريعة بفاس التابعة لجامعة القرويين⁽¹⁵²⁾.

24 — العباس بن أبي بكر بناني.

درس العديد من العلوم من بينها التفسير معتمدا تفسير الجلالين⁽¹⁵³⁾.

25 — عبد الكريم الداودي

تلقي التفسير عن عدة شيوخ لامعين كالأستاذ علال الفاسي، ومحمد السائح، ومحمد ابن سودة، وسيدي محمد بن العربي العلوي وغيرهم ودرسه بتفسير النسفي في النظام، ودرسه بكلية الشريعة بمحاضراته⁽¹⁵⁴⁾ ومازال يواصل رسالته العلمية بإلقاء دروس في التفسير في الكراسي العلمية التي أحييت مؤخرا ويوظف في درسه التفسيري إلى جانب اطلاعه على أقوال

(148) المرجع نفسه صفحات : 20، 25، 37، 68، 72، 79، 81، 91، 142، 50.

(149) المرجع نفسه ص : 37. وكذا أشرف الاماني ص : 4.

(150) المرجع نفسه صفحات : 125، 130، 71.

(151) إتحاف ذوي العلم والروسخ ص : 64 / يراجع سند المغاربة لتفسير البيضاوي في «إبداء التيسير» ص : 38.

(152) المرجع نفسه ص : 98.

(153) المرجع نفسه ص : 23.

(154) المرجع نفسه ص : (70 — 74).

المفسرين مخزونه الثقافي من قواعد لغوية وشرعية وأصولية وشعر وما إلى ذلك..^(٥)

26 — عبد الله الداودي

فقيه مشارك، يتقن الفقه والاصول والتوثيق والبلاغة والنحو والمنطق، أسندت إليه حصة تدريس التفسير بالنسفي بعد إطلاق سراحه من الاعتقال ضمن الوطنيين⁽¹⁵⁵⁾.

ج — المصادر المعتمدة فيه :

من المعلوم أن علماء القرويين تمتعوا بحرية اختيار المادة التي يدرسون والمكان والزمان الذي يفضلون وكذلك الكتاب الذي به يستعينون على تفهيم تلك المادة، وتكاد هذه الحرية تصاحبهم في اختيار مصادرهم لاقراء التفسير ولذلك لما جاء النظام سنة 1350 هـ امتنع بعض الشيوخ من التدريس واعتبر ذلك تقييدا لحرية في البحث والتحقيق⁽¹⁵⁶⁾.

لكن كما نعلم، أن اختيار مصدر ما، من أجل اعتماده في التدريس، انما يكون عن علم بهذا المصدر، وقيمته العلمية، إما بالاطلاع عليه ومعرفة محتوياته وإما بدراسته على احد الشيوخ، وإما باقتراح من بعض نجباء طلبة الشيخ.. ومن ثم ظلت مجموعة من التفاسير دون غيرها هي المتداولة والمعتمدة في ساحة جامع القرويين في العهود المتأخرة، إما لذيوعها وسهولة الحصول عليها، وإما لأنها ألصق بالتوجيهات المعرفية التي تغطي على العلماء المدرسين.

إذ من المعلوم أن العلماء المغاربة يهتمون كثيرا بالنحو والصرف واللغة والبلاغة، وفقه الفروع المالكي، وإذا كانوا كذلك فهم أميل إلى التفاسير التي تمزج التفسير بهذه المباحث⁽¹⁵⁷⁾ مثل البيضاوي وأبي السعود والكشاف وابن عطية والبحر المحييط الفخر الرازي والجلالين وأمثالها.

أما اهتمام المغاربة بالتفسير بالمأثور فنادر، فهم ينشدونه باعتبار سنيتهم وحجهم لحديث رسول الله ﷺ، ولكنهم لا يشتغلون كثيرا بتدريسه وإن فعلوا فانهم يدرسون صحيح البخاري ومنه كتاب التفسير. وقلما يدرس بعضهم تفسير ابن جرير وابن كثير أو الدر المنثور للسيوطي. وفي القرن الأخير وقع بعث وإحياء للعديد من الكتب النافعة والتفاسير المهمة، واهتم السلطان المولى عبد الحفيظ في وقت مبكر بهذا البعث، وحرص على أن تطبع — بصفة خاصة

(٥) ثم توفي يوم 24 ذي القعدة 1415 الموافق 14 أبريل 1995م.

(155) المرجع نفسه ص : 83.

(156) مثل الشيخ محمد الرضى السناني (مجلة كلية الشريعة بفاس ع 11 يناير 1983 ص : 100).

(157) نلاحظ في المنشور الاصلاحى السابق لسيدى محمد بن عبد الله عدم تحديد تفسير بعينه، لكنه حدد في المواد الأخرى.

— كتب الحديث والتفسير التي ألفها علماء مغاربة أمثال «المشارق» للقاضي عياض، وأحكام القرآن لابن العربي، والبحر لأبي حيان، وبداية المجتهد لابن رشد وغيرها من أحسن ما انتجه علماء الغرب الاسلامي⁽¹⁵⁸⁾.

وفي إطار عملية البعث والاحياء هذه، درس العلامة أحمد بن المامون البلغيشي كتاب التفسير من صحيح البخاري وأحكام القرآن لابن العربي، ويكفي أن نعلم بتدريس أحكام القرآن لابن العربي في رحاب القرويين ليكون دليلاً وشاهداً على المحاولات الجادة للنهوض بالتفسير وبعثه وإحيائه، فهو اختيار مصيب لا محالة، ووقوعه على هذا المصدر الذي يؤصل الفقه المالكي ويربطه بالنصوص دليل على إدراك أخطاء المرحلة السابقة والسعي حثيثاً لتجاوزها بالعودة إلى الأصول من أجل انعاش الشريعة الإسلامية ومدها باجتهادات صائبة تساعد المسلمين على مواصلة العمل بالكتاب والسنة في حياتهم الدينية والدنيوية، وتسد خلتهم من التشريع حتى لا يكونوا فيه عالة على غيرهم، يستوردونه كما يستوردون أقواتهم؛ وخصاص التشريع أضمر لأنه يفقد الثقة بالنفس ويضعف الشخصية والكيان، ويسقط الانسان في المآهات ويجعله بدون هوية، مع أن الأمة الإسلامية وأبناءها هم حملة التشريع وفرسانه، ومنهم أخذته الشعوب المتمدنة الآن في نهضتها بالأمس.

وفي ظل النظام المحدث بجامعة القرويين في منتصف الرابع عشر الهجري أصبح التفسير مادة أساسية في مقررات الجامعة وأصبح الطالب يدرسه بصفة رسمية ويمتحن فيه، ويظهر من الكتب المعتمدة في تدريسه تدارك ما كان من غياب التفسير بالمأثور، فقد أدخل تدريس تفسير ابن جرير وابن كثير إلى جانب تفسير النسفي والجلالين وأبي السعود ووقع الجمع بين الحسنيين أي بين التفاسير التي تهتم بالمأثور أساساً وباللغة والبلاغة والقراءات والإعراب تبعاً.

ويبقى دور الشيخ في بلورة المعلومات وطبعها بطابعه الخاص ورؤيته العلمية، واستشفاف الأهداف والمرامي المتوخاة من درس التفسير، وهي تقريب القرآن من الناس، وتقريب الناس من القرآن، وتكسير حواجز الجمود الذي تحول بين الناس وفهم كتاب الله تعالى، والاقتصار على تلاوته وحفظه دون الاشتغال بفهمه وتطبيقه.

د — أثره العلمي والديني والاجتماعي :

إن طائفة الشيوخ المتعاطين لتدريس التفسير بالقرويين الذين تم استعراضهم فيما سبق لا يمثلون نفس الجيل والنمط للجالس على كراسي التفسير بالقرويين وإن جمعهم قرن واحد هو الرابع عشر الهجري.

(158) حديث المغرب في المشرق ص : 10.

فهناك الشيوخ الكبار، وهناك تلاميذهم، وهناك تلاميذ تلاميذهم وهلم جرا ولكل جيل خصوصيته وطبيعته تكوينه والملابس التي احاطت بمنبته ونشأته...

فالشيوخ الكبار الذين أخذ عنهم جيل الطليعة في القرن الفارط، مثل المهدي ابن سودة (ت. 1294هـ) ومحمد بن المدني كنون (ت. 1302هـ)، وأحمد بن الخياط الزكاري (ت. 1304هـ) ومحمد (فتح) كنون (ت. 1326هـ)، وأحمد بناني كلا (ت. 1343هـ) ومن في طبقتهم، لا يمكن أن تخرج ثقافتهم عما تلقوه عن شيوخهم في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري ومن ثم فقد كانوا امتدادا حقيقيا لشيوخهم ولشيوخ شيوخهم في درس التفسير، ولن تجد درس التفسير في حلقاتهم يعدو أحد أمرين، أو يخرج عن أحد هدفين.

إما أن يكون القصد منه تحوّل الناس بالموعظة الحسنة المبنية على تفسير آيات من كتاب الله عز وجل، يستفيد منها العام والخاص⁽¹⁵⁹⁾ مع فكرة التبرك بدرس التفسير في مواسم العبادات مثل شهر رمضان وغيره...

وإما أن يكون الهدف من هذا الدرس الترويح عن الطلاب والخروج بهم من جفاف المواد المدرسة من مختصرات ومتون وشروح وحواش إلى رحاب كتاب الله، ويكون ذلك أيضا مناسبة للشيخ لظهور براعته ومقدرته على التحليق بطلبته في أدق المباحث اللغوية والمنطقية والأصولية والفقهية من أجل شحذ معلوماتهم، وترينهم من خلال النص القرآني، والغوص معهم في مكانه.

وهذا امر محمود مادام يتعكس بهذه الايجابيات على الأساتذة والطلبة وفئات المومنين، لكن لم يعد خافيا في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري على الخصوص أن هذه المرحلة من عهد التفسير قد طال عمرها، وأعطت ما يمكنها من العطاء لدرس التفسير، واستفاد منها من استفاد ممن تفقهوا ولعوا في صفوف خريجي جامع القرويين والمعاهد التي في حكمه، وآن الألوان لأن تحل مرحلة أخرى من مراحل عهد التفسير بكراسي القرويين، فهل حلت هذه المرحلة فيما بعد وما طبيعتها إن كان الجواب بالايجاب؟.

ما من شك أن المرحلة الموالية كانت من نصيب تلاميذ الشيوخ السابقي الذكر ؟ لكن منهم من رأى وفضل أن يبقَى صورةً طبق الأصل لشيوخه ومن قبلهم، لا يترشح عن سَنَنِهم قِيْدُ أُنْمَلَةٍ، معتبرا أن لو كان هناك عِلْمٌ وَفَهْمٌ آخَرُ ما سَبَقَ شيوخه إليه، لأنه يعدهم من أكثر الناس علما تقديرا منه لهم، وإجلالا لمقامهم، والحقيقة أن الأمر غير ذلك الغلو المفرط، فقد

(159) يذكر الحجوي أنه كان يحضر معهم في دروس الشيخ احمد بن الخياط في التفسير بعض النابهين من التجار (مختصر العروة الوثقى ص : 35).

كانوا — رحمهم الله علماء فعلا، ولكن لكل عصر ووقت علماءه، كيفما كان الحال، والعالم هو الذي يعيش وقته، ويَدْعُنُ للحقيقة، وينشد المزيد من العلم والتعلم...

ومنهم من حاول أن يتخضرم، ويكيف معلوماته مع الواقع المعيش، بعد أن تبصر في الأمر وأدرك موقعه الحقيقي وخطورة المسؤوليات الجسام التي تضعها الأمة الإسلامية على عاتق أمثاله، وهي آنذاك — مسؤولية البعث والاحياء، وتحريك الجامد والخامد من مكنونات أبناء الأمة الذين يئنون تحت وطأة الجهل والاستعباد، ويدينون بالخرافة والأوهام والأباطيل ويقصدون كل مَنْ هَبَّ وَدَبَّ، ويتقربون بالقربات إلى غير الله عز وجل، وضاع منهم جبل الدين وانفقت، ولم يبق لهم منه إلا الاسم ومن العقيدة السمحة إلا الرسم..

فلم يبق أمام هذه الفئة القليلة من العلماء إلا القيام بواجبها وأداء المهمة المنوطة بها، وأذكر منهم الشيخ عبد الله السنوسي، والشيخ أبا شعيب الدكالي، ومحمد ابن العربي العلوي، وأحمد ابن المامون البلغيثي، ومحمد بن الحسن الحجوي ومحمد السائح... وغيرهم.

وقد كان الظرف عَصِيْباً، ومع ذلك اضطلع كل واحد من هؤلاء بما يتناسب ووزنه وشخصيته، ومكانته وعلمه، فمنهم من تقدم أشواطاً في الإصلاح من خلال دروسه وحلقاته، واستطاع أن يعيىء طاقات حية من التلاميذ والأتباع يجهرون بالحق، ولا يخافون فيه لومة لائم، مع تسليحهم بثقافة متينة، وفهم عميق لخطورة المرحلة التي تجتازها الأمة آنذاك، وما يدبره لها المستعمر من مكاييد ومآسٍ دنيئة في ربوع أرضها⁽¹⁶⁰⁾.

ومنهم من درس القرآن بتفاسير جادة يمكنها أن تكون أحدَ عوامل البعث والإحياء العلمي⁽¹⁶¹⁾، ومنهم من اهتم بمشكلة التشريع والاجتهاد⁽¹⁶²⁾، ومنهم من سعى في تطوير حلقات الدروس التفسيرية شكلاً ومضموناً بإغنائها بالجديد من الثقافات المعاصرة⁽¹⁶³⁾.

ولكن الذي ينبغي أن يسجل، هو أن هؤلاء جميعاً لم يكن بين أيديهم مما يدرس من العلوم أي نص من النصوص يسهل من مأموريتهم، ويسعفهم إلى مطالعهم التي ينشدون إلا القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، فقد وجدوا فيهما ما لم يجدوه في غيرهما من القدرة الفائقة والعجبية على التعبئة وتحريك النفوس وبعث الحياة فيها، وقد تجاوب المسلمون مع القرآن الكريم

(160) مثل الشيخ محمد بن العربي العلوي..

(161) مثل البلغيثي.

(162) الفقيه الحجوي في الفكر السامي وغيره من دروسه ومحاضراته في التعليم وقضية المرأة وترجمة القرآن ومحاربة الطرقية وغيرها.

(163) مثل محمد السائح الرباطي.

حين وجدوا من يجلي معانيه لهم باخلاص وصدق وراحوا يدكون صروح المستعمر في غير
 هوادة وتراجع⁽¹⁶⁴⁾ ولمع في المرحلة العلمية هذه أنجب طلبة القرويين الذين كانوا شوكة في
 حلق المستعمر، وما كانوا إلا نتيجة حلقات العلماء المذكورين وأخص منهم بالذكر الأستاذ
 علال الفاسي ومحمد القري، وعبد العزيز بن ادريس العمراوي، والهاشمي الفيلالي، واما بكر
 القادري ومحمد ابراهيم الكتاني، ومحمد الفاسي، وابن عبد الله العلوي، وغيرهم كثير من
 الوطنيين الأحرار الذين تزعموا الحركات التحررية بقيادة جلالة السلطان المجاهد محمد الخامس
 من اجل ذلك صرح المستعمر وإجلاته إلى غير رجعة في تلاحم وتراص صفوف مما لم توح
 به إعدادا وتعبئة أي جامعة أوروباوية غير جامعة القرويين العتيدة التي لم يَسْغَ ليوطي إلا
 أن ينعتها بالبيت المظلم، تعبيرا عن خيبة أمله، وماهي في واقع الحال إلا البيت المستنير إن
 شاء الله مادامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربنا، مصداقا لقوله تعالى : ﴿المسجد اسس
 على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب
 الْمُطَهَّرِينَ...﴾⁽¹⁶⁵⁾.

(164) التسيير في احاديث التفسير للشيخ محمد المكي الناصري 1 : 5 — 6.

(165) التوبة، الآية : 108.

الفصل الثاني درس التفسير بالعدوتين

تمهيد :

إن المتتبع للحركة العلمية بالمغرب في القرن الرابع عشر الهجري لا مناص له من الوقوف على ما عرفته الرباط وسلا من تقدم علمي، وما آتاه إليهما من علماء أعلام، من المغرب والمشرق ومن أبناء المدينتين⁽¹⁾.

وغير خفي أن للعدوتين — الرباط وسلا — تاريخا علميا وحضاريا عريقا، فقد ظلتا تحملان مشعل الفكر، وتحتضنان حلق الدروس الإسلامية واللغوية وغيرها منذ عدة قرون إلى اليوم⁽²⁾.

وقد أحييا فيهما العلم وجدهه نخبة من العلماء من أبنائهما وأبناء المغرب والمشرق⁽³⁾، وأعطوهما في الفترة المعاصرة نفساً علميا لا يستهان به، مما جعل العديد من مراكز العلم بالعدوتين، مساجد وزوايا، وأضرحة ومؤسسات علمية تعرف حركة علمية نشيطة استنار بها الطلبة والشيوخ ومن وجد بالمدينتين⁽⁴⁾. ووقع من خلال هذه الحركة العلمية تلاقح الأفكار وتنشيطها بفضل النفحة التي مست المدينتين من خلال دروس العالم السلفي أبي شعيب الدكالي والشيخ محمد بن العربي العلوي وأضرابهما مما جعل فعالية هذه الحركة السلفية تبرز بحرارة الفكر الوطني الذي تولد عند النخبة الغيورة من أبناء المغرب من أجل تحرير البلاد وفك أسرها من يد المستعمر.

وفي ظل كل ذلك انتعشت العلوم الإسلامية بالعدوتين خصوصا منها الكتاب والسنة انتعاشا قل نظيره، ونشطت حلقات التفسير والحديث والسيرة النبوية، كما نشط التأليف في التفسير، وفي علوم القرآن، وكسرت حواجز الجمود التي كانت تحول بين الناس وبين كتاب الله وسنة نبيه ﷺ.

(1) من اعلام الفكر المعاصر بالعدوتين الجزء الثاني.

(2) الاتحاف الوجيز لمحمد بن علي الدكالي ص : 37.

(3) من اعلام الفكر 2 : 121.

(4) المرجع نفسه 1 : 201، 204، 206، 230 / الاعلام للمراكشي 7 : 222، 224، 225.

وقد بدا لي أن أرصد حركة الدرس التفسيري من خلال التعرف على أهم حركات البعث والإحياء العلمية في الدراسات الإسلامية بالعدوتين، وأهم العلماء الذين كانوا جادين في حلقات الدروس مع التركيز على المتعاطين منهم للتفسير باعتباره أصلاً أصيلاً في الدراسات الإسلامية، ثم المصادر المعتمدة عندهم في هذا الدرس مع ملاحظة التطورات التي عرفها درس التفسير بالعدوتين ونتائج هذا الدرس كل ذلك من خلال النقاط الآتية :

أ — الحياة العلمية بالعدوتين.

ب — درس التفسير.

1 — المنتصبون لأقراءه.

2 — المصادر المعتمدة فيه.

3 — التطورات الحاصلة فيه.

أ — الحياة العلمية بالعدوتين :

ظلت العدوتان — الرباط وسلا — تستهويان العديد من العلماء النابيين وطلاب العلم، منذ عدة قرون، ولم ينقطع منهما العطاء العلمي الإسلامي منذ أن كان إلى اليوم⁽⁵⁾.

وفي مطالع الرابع عشر الهجري، وجدت المدينتان على نمط الحياة العلمية التقليدية التي كانت سائدة، ففيهما الكتاتيب والمدارس، والمساجد الكبرى والصغرى والزوايا ودور العلماء⁽⁶⁾ وكانت هذه المؤسسات تقوم بدورها على يد شيوخ أغليبتهم من أبناء العدوتين الذين كانوا يهاجرون لتمام دراستهم العلمية بفاس، ثم يعود لشغل مهام في بلدتهم أو في غيرها مثل القضاء، وخطة العدالة والتدريس.

وقد وجد من هؤلاء العلماء الاعلام في مطالع الرابع عشر الهجري شيخ الرباط أبو إسحاق ابراهيم التادلي (ت. 1311هـ) وأحمد بن خالد الناصري السللاوي (ت. 1315هـ) المؤرخ والسلفي المشهور، وتلاميذهم الكبار مثل المكي البطاوري، ومحمد بن علي الدكالي والفقهاء الجريري وغيرهم كثير⁽⁷⁾ ممن كانوا شائخين في المعرفة العلمية السائدة آنذاك، كما كان منهم

(5) من اعلام الفكر المعاصر 1 : 13 — 14 / 2 : 11 / الانحاف الوجيز ص : 37.

(6) لما منع ابن خالد الناصري من درس التفسير بالزاوية الناصرية أتمه مع طلبته في بيته، وكذلك كان يفعل قبله بعض العلماء لما منعت دراسة الفقه من بعض الكتب والشروح، (تاريخ الضعيف ص : ج) [الاغتيال ص : 317].

(7) وهناك أسر علمية كثيرة وكبيرة بالعدوتين تولت القضاء والإفتاء والعدالة والتدريس في عدة أجيال يراجع (الانحاف الوجيز) (من اعلام الفكر.. الاعلام للمراكشي 7 : 222، 224، 225.

المتفتح على الثقافات الوافدة بحكم مهامه ومناصبه ومركزه العلمي والاجتماعي مثل العلامة احمد بن خالد الناصري، الذي كان له ولوع بالصحف والجرائد مثل «الجوائب» و«ثمرة الفوائد»، ومازالت خزانته تحتفظ بمجموعة منها كانت تأتيه من مصر والشام واسبانيا وفرنسا...⁽⁸⁾.

ومثل هذا التفتح بدأ يظهر على حياة الشيخين الكبيرين ابراهيم التادلي الذي كان شغوا بتعلم اللغات الأجنبية وبذل من اجل ذلك أوقاتاً لا يستهان بها،⁽⁹⁾ وكذلك البطاوري الذي قام برحلتين إلى المشرق وإلى أوروبا، وعاد بعدها شغوا بالاطلاع على الصحف والجرائد⁽¹⁰⁾ وغير هؤلاء من هذا الجيل كثير ممن كانوا يتميزون بشفافية عالية وسرعة تجاوب وتفاعل مع الوقائع والمستجدات..⁽¹¹⁾.

فأحمد بن خالد الناصري يسجل إدراكه العميق في مطالع الرابع عشر الهجري للتحويلات القادمة والاحطار المحدقة بالامة الإسلامية، وغلبة أحوال أهل الحضارة الأوروبية على أحوال الناس وعوائدهم، وجذبتهم إليها جذبة قوية «... واعلم أن امر هؤلاء الفرنج في هذه السنين قد علا علوا منكرا وظهر ظهورا لا كفاء له، وأسرعت أحواله في التقدم والزيادة إسراعا متضاعفا، كتضاعف حبات القمح في بيوت الشطرنج حتى كاد يستحيل إلى فساد..⁽¹²⁾».

فهذا وعي مبكر من هذا العالم وإدراكه للمخاطر المحدقة بالبلاد، فقد كان يعيش واقعه بكل ما في الكلمة من معنى، فضلا عن اقتفائه أثر السنة في كل شيء⁽¹³⁾.

ورغم صعوبة الظرف الذي وجدت عليه الأمة المغربية في عهد ابن خالد الناصري وأمثاله من العلماء القلائل آنذاك⁽¹⁴⁾، فقد كانت منهم محاولات هادفة إلى التجديد، وإزالة العراقيل التي تعترض سبيل نهوض الأمة، وتدارك أمرها قبل فوات الأوان، وأعطوا العطاءات الإيجابية الممهدة لمن سيأتي بعدهم ليواصل العمل على الخروج بالبلاد مما تعانيه والسعي وراء تجنيبها مغبة السقوط فيما يدبر لها من شرك ومكايد تحاك لها هنا وهناك...

(8) الاستقصا 1 - 11 / من اعلام الفكر المعاصر 2 : 12.

(9) المرجع نفسه 2 : 244.

(10) مصطفى الغربي، أبو حامد المكي البيطاوري : مقال سابق/ من اعلام الفكر 2 : 219.

(11) الانحاف الوجيز ص : 37.

(12) الاستقصا 9 : 208.

(13) المرجع نفسه 1 : 41 احاديث عن الأدب المغربي الحديث : عبد الله كنون ص : 27.

(14) مثل عبد الله السنوسي الفاسي (ت. 1350هـ).

وكان من حظ العدوتين وجود الرباط عاصمة إدارية للبلاد الشيء الذي مكنها من احتضان العديد من مصالح الأمة وإدارات الدولة ومؤسساتها والمطابع وغيرها⁽¹⁵⁾ وهي عوامل ساعدت على تنشيط الحركة العلمية بالعدوتين بمختلف مجالاتها فهذه الدروس الإسلامية قد استفادت من وجود نخبة من العلماء يؤدون مهامهم القضائية والسياسية والتعليمية، وهم في نفس الوقت يؤازرون جهود علماء العدوتين، ويقومون إلى جانبهم بإلقاء دروس في العلوم الإسلامية واللغوية من فقه ونحو وصرف وحديث وسيرة نبوية وتفسير للقرآن⁽¹⁶⁾.

وبدأت من خلال هؤلاء العلماء تنطلق بوادر الإشعاع الفكري خصوصا من مجالس العلماء السلفيين أمثال الشيخ أبي شعيب الدكالي الذي استوطن الرباط، واستمر يلقي دروسه الحديثية والتفسيرية بالزاوية الناصرية⁽¹⁷⁾ تلك الدروس التي يجمع جميع من تحدث عنها بأنها هي نواة البعث واليقظة، ومن خلالها انبعث الفكر السلفي الذي كان أساس قيام حركة التحرير الوطنية فيما بعد بقيادة جلالة السلطان محمد الخامس — رحمه الله —⁽¹⁸⁾.

ودروس الشيخ محمد بن العربي العلوي الذي درس الفقه والتفسير بمساجد الرباط وسلا، وأذاع محاضرة قيمة بواسطة الاذاعة الوطنية في شأن تعليم الفتاة المغربية وتحريرها من براثن الجهل، إبان كان وزيرا للعدل...⁽¹⁹⁾ وتصدى للحملات المفرضة الساعية إلى تشويه الإسلام والنيل منه.

والشيخ احمد بن المامون البلغيثي الفاسي بضريح السيد العربي السائح يؤصل دراسة الفقه المالكي من خلال رسالة ابن أبي زيد، وصحيح مسلم، مع ربط عجيب بين فقه أحاديث مسلم وفقه الرسالة، كما درس الشمائل بالزاوية التهامية، لكن درسه المؤصل لفقه الرسالة بالنصوص الحديثية هو الذي أثار إعجاب كبار العلماء بالعدوتين، وسارعوا لحضوره، وشهود كيفية التصرف فيه⁽²⁰⁾.

ومن ابناء الرباط وجد العلامة محمد المدني ابن الحُسَني فريد عصره، وفارس ميدانه، كما

(15) المطابع كانت موجودة بالرباط وسلا تنشر الكتب والمجلات والصحف.../ من اعلام 2 : 121 .

(16) من اعلام الفكر المعاصر 1 : 201، 230، 204، 206..

(17) المرجع نفسه 1 : 226.

(18) وحدة المغرب المذهبية خلال التاريخ عباس الجراري ص : / ذكريات من ربيع الحياة محمد الجزولي ص : 27 : 29 .

(19) من اعلام الفكر 1 : 76 — 86 (توجد في هذه الإحالة المحاضرة حرفيا).

(20) من اعلام 1 : 201 — 230 .

يردده طلبته ومريدوه فقد واصل رسالته بالمسجد الأعظم بالرباط في ظرف دقيق لم يستطع مواصلة نشر العلم فيه الا قلة قليلة من العلماء كانوا يتحدون الاستعمار ويؤدون ما عليهم من واجب منهم ابن الحُسَني، والشيخ أبو شعيب الدكالي، وزين العابدين ابن عبود، ومحمد ابن العربي العلوي، وعبد الواحد ابن عبد الله وغيرهم⁽²¹⁾.

ويذكر الأستاذ محمد بن العباس القباج أن دروس هؤلاء السادة العلماء لم تكن تقتصر على المنهج الذي يؤديه كل عالم، بل كانت لكل واحد من هؤلاء رسالة... فقد كان للشيخ أبي شعيب الدكالي رسالة تجديد الفكر، وكانت لسيدي المدني ابن الحسني رسالة فتح النوافذ الجديدة على الثقافة الجديدة الآداب — الإعلام — الفنون على اختلافها، ولم يكن يخل عليهم بالاطلاع في بيته أو (عشاياه) على عدد من المجلات والصحف والكتب الواردة من الشرق العربي، والتي كان يتوصل ببعضها مباشرة، ويحصل على البعض الآخر عن طريق صديقه الفقيه الشاعر المرحوم السيد احمد الزبدي⁽²²⁾.

أما الفقيه السائح⁽²³⁾ فقد كان عليه التركيز على المنهجية العلمية والابتعاد من الاستطراد في التفكير، والكتابة والتزام الموضوع، وإدخال آراء غير علماء المغرب، والاشارة إلى المصادر، والدعوة إلى الموضوع القصير (المقالة) وتوزيع الموضوع الى عناصر... فكانت هذه المعطيات من أهم المؤثرات التي أثرت في طريق جيل (الرواد) الذين واصلوا معركة الرفض التي قادتها الحركة الوطنية، معركة الملك والشعب التي حررت البلاد⁽²⁴⁾.

وبهذا كان كل عالم رائداً لجهة من جهات التجديد والقاسم المشترك، هو إرساء قواعد ثقافة إسلامية عربية متفتحة على ما حولها تأخذ وتعطي، وتساعد على نشر الوعي بين جميع فئات الناس سواء كان هذا الوعي دينياً أم دنيوياً.. ولذلك كان شباب الثلاثينات من القرن العشرين الميلادي نشيطاً بالعدوتين على الخصوص فكانوا يضيفون إلى ما يتلقونه من شيوخهم من توجيهات اطلاقاً واسعا على ما تحتويه الخزانة العامة بالرباط، تلك الخزانة التي قدمت خدمات لأجيال عديدة من أبناء العدوتين وغيرهم وفي ذلك يقول الحاج أحمد معينو : «ما كنا، نحن شباب العدوتين جيل الثلاثينات، لننسى خدمات «الخزانة العامة بالرباط» هذه المؤسسة التي كانت تزودنا بكل جديد وتفسح المجال لأذهاننا لمطالعة التأليف الجديدة والنشرات العديدة، والمجلات المتنوعة، ففي أحضانها قرأنا بل ودرسنا عدة كتب، ومؤلفات،

(21) كتاب تاريخ العدوتين : ندوة عبد الله الجباري ص : 107 ، 108.

(22) أحمد بن محمد الزبدي الرباطي (ت. 1382) [من اعلام الفكر المعاصر 2 : 61].

(23) محمد بن عبد السلام السائح ترجمته في الفصل الأول من هذا الباب. ص :

(24) من تقييد خاص في خزانة محمد القباج (تراجع دعوة الحق ع. 4، س 23 يوليوز 1982 ص : 80).

وجرائد ومجلات ترد من الشرق العربي وإليها يرجع الفضل أولاً وأخيراً في تكويننا ويقتظنا...»⁽²⁵⁾.

ويذكر أنهم استفادوا فيها من جملة ما استفادوا اطلاعهم على تفسير المنار وكتب الشيخ محمد عبده وغيرها من كتب الدين والسياسة⁽²⁶⁾.

وهكذا تدرج تطور الحياة العلمية والثقافية بالعدوتين من انتشار خلق الدروس بالمساجد على يد العديد من علماء العدوتين الذين كانوا جادين في تحريك الجامد والخامد، ونشر الوعي بين صفوف المتطلعين، إلى التفكير في إيجاد المدارس التعليمية على النمط العصري لمواجهة تحديات المدارس الاستعمارية⁽²⁷⁾، إلى السعي حثيثاً نحو الانعتاق وتحرير البلاد من ربقة الاستعمار والعمل على تلاحم الصفوف من أجل ذلك، حتى إذا انتزع استقلال البلاد انتزاعاً وانكشفت به غمّة الأمة، تواصل السعي العلمي بإحداث تعليم عصري يلبي حاجيات الأمة، ويواكب طموحها، مع الإبقاء على التعليم الأصلي، ومحاولة تنقيحه وتطويره فكانت المدارس والثانويات والجامعات العصرية التي كانت جامعة محمد الخامس بالرباط وكلياتها العديدة أولاً، ثم دار الحديث الحسنية التي انبثقت فكرتها من المجالس الحديثية السلطانية العريقة في أنباء قصور الملوك العلويين..

ونشطت منابر وقنوات أخرى بعد الاستقلال في العدوتين وساهمت في نشر الوعي والتثقيف ألا وهي وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية فكانت المجلات والصحف والبرامج الإذاعية، وأشير على الخصوص إلى بعضها من مثل مجلة دعوة الحق التي تنشرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ومجلة المناهل التي تنشرها وزارة الثقافة، ومجلة الإيمان لجمعية شباب النهضة الإسلامية، ومجلة دار الحديث الحسنية ومجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية وغيرها.

ولا ننسى مبادرة الإذاعة الوطنية في مجال تفسير كتاب الله وإعداد حصص يومية في التفسير تتبّع ما يُقرأ ويرتل من القرآن، وقد تجند لهذه المهمة في بدايتها نخبة من العلماء كلهم أدلى بدلوه وأنفق مما عنده مأجوراً، أذكر منهم حسب ما أعلم، العلامة محمد السائح⁽²⁸⁾، وعبد

(25) معنيو: اتصال المغرب بالشرق : دعوة الحق ع : 2 — 3 يراير مارس 1978 ص : 106 .

(26) المقال نفسه.

(27) ج أحمد معنيو : مبادرة الأمة إلى تأسيس المدارس الحرة بأرجاء المغرب : مجلة كلية الشريعة بفاس، ع : 11 يناير 1983 : ص 109/ وكذا الجزء الأول من أعلام الفكر المعاصر.

(28) «الشيخ المبدع محمد بن عبد السلام السائح» لعبد الله الجارري/ من اعلام.. 2 : 140/ اتخاف ذوي العلم والرسوخ ص : 205 / معجم المطبوعات ص : 151/ جامع القرويين 3 : 822.

الأحد الكتاني،⁽²⁹⁾ ومولاي عبد الواحد العلوي⁽³⁰⁾، ومولاي مصطفى العلوي،⁽³¹⁾ والشيخ محمد المكي الناصري الذي حظيت هذه الدروس التفسيرية على يديه بنجاح كبير، وكان له الفضل في ترشيدها، وجعلها تؤدي مهمتها الحقيقية، من خلال ما أضفاه عليها من طابع شخصيته وتكوينه المعرفي، وابتكاره منهاجاً فريداً كيّف غايات هذه الدروس، وحقق لها العديد من الأهداف المتوخاة، مما جعلها تحظى بالإعجاب داخل المغرب وخارجه.

ب - درس التفسير :

لا جدال في أن درس التفسير بالعدوتين ليس وليد القرن الرابع عشر الهجري، ولا يمكن أن نتصوره كذلك، ومعنى هذا أن هذا الدرس كان موجوداً من قبل في القرون السابقة، فما الصورة التي كان عليها عند مطالع الرابع عشر الهجري ؟.

إن هذه الصورة لا يمكن لنا أن نأخذها على حقيقتها، ونجلي شكلها إلا إذا استعرضنا بعضاً مما كان عليه الدرس التفسيري في القرن الثالث عشر الهجري.

وإذا رجعنا إلى ما تسوقه لنا كتب التراجم عن هذه الفترة فيما يتعلق بإشاراتنا إلى هذا الموضوع، نجد أن درس التفسير كان نشيطاً في النصف الأول من القرن الثالث عشر وبالضبط في عهد السلطان مولاي سليمان العلوي..

فيذكر لنا صاحب «الإتحاف» أن العلامة أبا عبد الله المير، كان — رحمه الله — من أفاضل عصره في العلم والدين والاجتهاد في الطلب والعقل الرزين، كما كان بحراً عباباً في معرفة الحديث وتفسير الكتاب⁽³²⁾.

رحل إلى المشرق وشهد له مشائخ الآفاق بالفضل وعلو المقام في العلم ولما رجع من رحلته جلس للتدريس بسلا والافناء، وكان يدرس التفسير، ولما وصل إلى قوله تعالى في خاتمة سورة الصافات : [سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين]. قبضه الله إليه وذلك في التاسع من شوال عام عشرين ومائتين والف..⁽³³⁾

(29) عبد الأحد بن الشيخ عبد الحي الكتاني، فقيه عالم أديب، ولي قضاء البيضاء وتوفي بها 25 ربيع الثاني 1375 (معجم المطبوعات ص : 297).

(30) فقيه علامة مشارك يتقن الفقه والنحو والأدب توفي سنة 1397 هـ (إتحاف ذوي العلم ص : 90 — 96).

(31) مازال حياً يرزق يشغل رئيس رابطة علماء المغرب والسينغال ووصل ما فسره بالاذاعة الوطنية إلى 26 حزبا من المصحف الكريم من الحزب التاسع عشر إلى الخامس والأربعين..

(32) الاتحاف الوجيز ص : 125.

(33) المرجع نفسه ص : 125/ وفي الاستقصاء أنه توفي عام 1214 هـ (8 : 107).

وطلب خاصّةً مجلسه وأعيانُ من كان يحضر درسه من معاصره العلامة أبا عبد الله الجريري — الذي كانت له اليد الطولى في البلاغة والفقه والحديث والتفسير — (34) أن يكمل لهم ما وقف عليه أبو عبد الله المير، فأسعف قصدهم، وبدأ من حيث وقف العلامة المير من سورة (ص)، ثم لما ختم افتتح تفسير القرآن المجيد من أوله بمنزعه غريب من التحرير والتحري، والتعرض للنكت والمواعظ، ولما وصل إلى قول الله تعالى: ﴿إِنْ تَعَذَّبْتُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ الآية (35) أبدى من واسع رحمة الله ما أبكى الحاضرين من شدة الفرح، وصاحوا «أعد علينا يرحمك، الله» وكان يحضر مجلس درسه في التفسير الجم الغفير من اهل الرباط وسلا (36).

والغريب أنه قد اعقب هذا النشاط، وهذا الإقبال فتور، وأخطر من ذلك توقيفات إجبارية عن جميع دروس العلم، وحَدَّثَ هذا الأمر في النصف الثاني من القرن الثالث عشر، على يد القاضي أبي زيد عبد الرحمن البُرَيْرِي (ت. 1294هـ) (37) فقد أساء هذا القاضي إلى أهل العلم كثيرًا، ولم يبق معه من العدول في السُّمَاط إلا أقل القليل، وكان يمنع العلماء من التدريس ويتهددهم بالسجن إن فعلوا (38)، ومن هؤلاء «الشيخ أبو بكر البناني» (39)، والقاضي أبو العباس دنية (40)، والسيد المكي بوجندار، والسيد الطاهر بریطل، (41) والسيد عبد القادر بوعباد، والسيد المعطي الغربي، (42) والسيد الهاشمي الضرير (43)، وجماعة وآخرهم شيخ الرباط أبو اسحاق التادلي، فقد امتحنه بالسجن وطالما حال بينه وبين التدريس كبقية أولئك الجماعة إلى أن كانوا يأتون بظواهر مخزنية فيتظاهرون بها ضده في سبيل ما هم بصدد من القيام بالمراسم الدينية...» (44).

(34) الانحاف الوجيز ص : 128.

(35) الأنعام الآية : 118.

(36) المرجع نفسه ص : 129.

(37) تولى قضاء الرباط عام 1266هـ، ترجمته في : مجالس الانبساط لمحمد بن علي دنية ص : 242 والاعتباط ص : 365.

(38) مجالس الانبساط ص : 242.

(39) السمات الندية لمحمد بن علي دنية ص : 61.

(40) المرجع نفسه ص : 10.

(41) المرجع نفسه ص : 59.

(42) المرجع نفسه ص : 59.

(43) تقدمت الاحالة على ترجمته.

(44) الاعتباط ص : 369.

وكلنا يتساءل عن الأسباب التي كانت وراء هذا المنع المثير ! فهناك من يرجعه إلى البطانة التي كانت محدقة بالقاضي البريري، وتبلغه الأمور على غير ماهي عليه لأغراض عندها في ذلك ومنهم من رده إلى عامل الغيرة والحسد⁽⁴⁵⁾.

وعلى أي حال فقد كان لهذا المنع ضرر كبير على الحياة العلمية ودروس العلم عامة، مما جعل العلم يقل في ذلك الوقت وبعده⁽⁴⁶⁾.

ومع ذلك فإن العلماء المستنيرين الذين يدركون أهمية العلم وأخطار توقيفه، ويدركون موقعهم الذي يزاولون منه مهامهم في نشر العلم ومحو الجهل وآثاره لم يدخروا وسعا في استمرار دروس العلم ولو في بيوتهم وحرماهم، فقد حكى الشيخ أبو حامد البطاوري لتلاميذه أنه تلقى دروسا في التفسير في آخر القرن الثالث عشر عن الفقيه الطاهر ضاكة، الأندلسي الأصل، «بُدْوِيرِيته» بالجزء بالرباط وكان رجلا ناسكا منعزلا عن الناس ملازما «دويريته» بدرب أجنين بالجزء وكان رياضيا حيسوبيا، توفي في نهاية القرن الثالث عشر الهجري⁽⁴⁷⁾.

ولا يستبعد أن يكون من أمثال السيد الطاهر ضاكة العديد من العلماء الذين اتقوا شر جور القاضي البريري بتدريس العلوم خفية في منازلهم، لأن في مثل هذه الأوضاع يشتد الطلب، ويبارك في المقروء، ويقتصر فيه على الأهم، فقد أبى الله إلا أن يتم نوره، ولو كره من كره.

وبعد هذه الفترة الحالكة التي جنمت على التدريس بالعدوتين أعقبتها نوع من الإشعاع التدريجي الذي دب في أوصال الحياة العلمية بالعدوتين على يد بعض علمائها الكبار الذين انتصبوا لتدريس العلوم بمختلف أنواعها ومن جملتها تفسير القرآن الكريم الذي سعوا إلى إنعاشه دراسة وتدريسا وتأليفاً، فمن هم شيوخ التفسير بالعدوتين في مطالع الرابع عشر الهجري، ومنهم هؤلاء العلماء الجلة الذين انتصبوا لإقراء التفسير بالعدوتين رغم الصعوبات التي واجهتهم من أجل ذلك ؟

1) المنتصبون لإقراءه :

انتصب لإقراء التفسير بالعدوتين في أوليات القرن الرابع عشر ثلة من العلماء الأعلام، ومما يشهد لاخلاصهم وتفانيهم في هذا المجال، ما أعطته جهودهم المبكرة من نتائج ظهرت آثارها على تلاميذهم وتلاميذ تلاميذهم اللاحقين فاقطفوا ثمار تلك الجهود، وولعت فئة

(45) مجالس الانبساط ص : 242 / من اعلام... 2 : 255.

(46) المرجع نفسه / الفكر السامي 4 : 307.

(47) الاغبط ص : 317.

مستنيرة منهم بتفسير القرآن الكريم في المجالس، وأخرى زادت على ذلك بأن اشتغلت بالتأليف في التفسير كما سنرى.

1 - 1 - أبو إسحاق إبراهيم بن محمد التادلي الرباطي (ت. 1311هـ) (48)

شيخ الرباط العلامة المشارك الفقيه، المفسر، اللغوي، درس ببلده الرباط ثم رحل إلى فاس وتنقل بين اساطين القرويين زهاء خمسة عشر عاما، ثم مكث لتتبع بعض العلوم. تولى قضاء الرباط، ونشر العلم به لمدة ثلاثين سنة، بعد أن رحل إلى مصر والشام والحرمين الشريفين، ودرس التفسير والحديث والفقه على المذاهب الأربعة، ثم جال بأوروبا ودرس بعض اللغات الأجنبية⁽⁴⁹⁾ طمعا في المزيد والاطلاع على ما عند الآخرين...، وبعد جولته هذه تفرغ للتدريس والتأليف فكان غالبا ما يُدرّس بمؤلفاته وبأنصبة يومية تدور بين خمسة وثمانية أنواع فيها المواد المدروسة⁽⁵⁰⁾، وقد بلغت تأليفه إلى مائة وعشرين تأليفا من بينها حاشية على تفسير البيضاوي، وثانية على تفسير الجلالين، وثالثة على الاتقان في علوم القرآن للسيوطي، وغيرها من المؤلفات التي مستها يد الإهمال والضياع⁽⁵¹⁾.

ولكن الذي يهمنا أن نعلمه في هذا المقام هو عناية هذا الشيخ — الذي كُتب حوله العديد — بتفسير كتاب الله، وفي ظرف كان الناس يتشاءمون فيه من التفسير، فكيف تخطى هذا الرجل تلك الأراجيف الباطلة وتقدم إلى الأمام من أجل الاشتغال بفهم كتاب الله والعمل على تدبره، أو على الأقل تكسير حواجز الخطر على هذا الدرس الأساسي المشروع...؟.

فقد استعد الشيخ إبراهيم التادلي لخوض هذا الغمار وأقى البيوت من ابوابها، وذلك أنه رحل إلى المشرق لإرواء غليله وإنماء معارفه بأخذ العلم عن أفذاذه الذين كان العصر يرضن بنظرائهم في غير بقاع الوحي وما جاورها، فدرس التفسير «على أخصائيين من رجال المشرق تطلعا منه إلى الطريقة، التي يسكلها المفسرون في تناول الآي الكريمة، وتحليل مفرداتها ومعرفة ما تحمله فقراتها من معان قصد التوصل إلى إدراك المعنى الكلي للفاصلة القرآنية، وما يجلب

(48) ترجمته في : من اعلام.. 2 : 243 / الفكر السامي 4 : 307 / الاعلام للمراكشي 1 : 191 سلسلة شخصيات مغربية (5) عبد الله الجراري / البطاوري في فهرسته / فتح الله بناني في طبقاته / جوس في كناشته / ابن الحسني في بعض مقيداته ومحمد المهدي متجنوش والعربي التهامي الوزاني وصاحب الاعتبار ص : 251 ومصطفى الغربي في مجلة دعوة الحق ع 1 س 11 نونبر 1967 ص 97 وغيرهم مما يدل على مكانة الرجل عند أهل العلم.

(49) من اعلام.. 2 : 244.

(50) المرجع نفسه.

(51) المرجع نفسه.

للبيان والايضاح من نفس الكتاب والسنة، ثم ما ينتج عن ذلك من استنباط واستفادة يلهمها فقهاء النفس، وأحرار التفكير الذين يستخدمون العلم ويطبقون كلياته الأساسية لاستكمال نتائج المعرفة⁽⁵²⁾ فأَي قيمة لقواعد العلوم إذا لم توظف في معرفة النصوص الشرعية وخباياها وادراك مقاصدها.

ويذكر التادلي أنه أخذ التفسير بفاس على شيخه إمام أهل المعقول السيد أحمد بناني⁽⁵³⁾. وأخذه بالحرمين الشريفين على أشياخ كالشيخ جمال الهندي مفتي الحنفية بمكة، والشيخ الدراج. ويذكر أنه حضر مرارا مجالس التفسير والحديث والفقہ الحنفي على الشيخ جمال الهندي ويصفه بأنه «رجل طويل أشيب، كان رضي الله عنه إذا مررت عليه بالمسجد الحرام بمكة، وهو جالس، قام وقبّل يدي، فكان يشق علي ذلك وأطاعه ابتغاء مرضاته...»⁽⁵⁴⁾.

والتقى شيخ الرباط بالشيخ محمد عبده في بيروت،⁽⁵⁵⁾ وذكرت بعض الجرائد البيروتية أنه من افذاذ الأفق المغربي ممن يندر نظيره بين المشرق والمغرب، ودارت بين الرجلين أحاديث طويلة، منها سؤال الشيخ محمد عبده عن حال العلم في المغرب وهل يوجد اليوم بالمغرب من اشتهر بالتأليف؟

فأجابه التادلي بجواب أثار إعجاب الشيخ محمد عبده، وهو أن العلم ليس بكثرة التأليف، وإنما بالمدرسة والمثاقفة، ومع هذا فيوجد مؤلفون في الأيام الأخيرة،⁽⁵⁶⁾ ومعناه أن التادلي متفائل بمستقبل الحياة العلمية في بلاده — رحمه الله —

ولكن الشيخ محمد عبده تراجع في إعجابه لما حضر درس الشيخ التادلي في التفسير الذي تناول فيه البسمة وما فيها من العلوم والفنون، ومرجع كل ذلك كله إلى الباء وانحصار العلم في الباء من «بسم الله» إلى غير ذلك.. ولم يخرج عن هذا الاطار إذ كان ينتظر موضوعا اجتماعيا كاتحاد الأمة، أو وجوب العمل بعزائم الشريعة وما أشبه ذلك..⁽⁵⁷⁾

ومن أين للتادلي بهذه الموضوعات التي لا يوجد في وسطه ما يشجعه على خوضها والوصول إليها، فقد تهيأت من الأسباب لمحمد عبده وأضرابه من المصلحين ما لم يتبها للشيخ التادلي ومن

(52) من أعلام الفكر المعاصر.. 2 : 244.

(53) المرجع نفسه 2 : 251.

(54) الاغتباط ص : 308.

(55) وكان بها على إثر نفيه بسبب الحادثة العراقية الشهيرة.

(56) مصطفى الغربي : ابراهيم التادلي من خلال أقواله (دعوة الحق ع 1، س 11 نونبر 1967 ص : 97).

(57) المقال نفسه وهو يعتمد كتاب «البيئات» للشيخ عبد القادر المغربي.

ثمَّ لا نحسبه على عدم الخروج من مميزاته العتيقة، فهو وإن حاول الاطلاع على الجديد من الآراء إرواء لرغبة كامنة تكاد أن تنبثق محاولة الظهور، فإن تكوينه الأساسي، وما تشرب به أولاً، هو الذي سيطغى على طابع شخصيته العلمية، وبوادر الميل إلى التجديد تبقى في حاجة إلى صقل وتعاهد.

أما تعلق المترجم بكتاب الله — الأصل الأول في التشريع — قصد الاعتراف من مدده بعيداً عن كل التواء، فإنه إن دل على شيء فإنما يدل على كبير وعيه، ومحاولة تفتحه، «فهو عمل منه كعود إلى المنبع السلفي العذب المورد والمنهل الذي كان به صلاح الأول من الأمم الإسلامية، أضف إلى هذا أن العهد الذي عاشه المترجم كان عهد تخلف فكري بالنسبة لعدم التفتح على ينبوعين الأصليين للستار الحاجب بين المسلم ونظره في آي الذكر الحكيم»⁽⁵⁸⁾. ويستنتج المرحوم عبد الله الجارري أن الرجل كان بصدد كتابة تفسير للقرآن الكريم، وذلك من خلال ما تركه من جذاذات يقتبس فيها من تفاسير متنوعة،⁽⁵⁹⁾ ولم يكن هذا المشروع — في نظري — على همة أمثاله بعزیز،⁽⁶⁰⁾ خاصة إذا علمنا أن مؤلفاته فاقت المائة والعشرين كما تقدم.

1 — 2 — أحمد بن خالد الناصري السلاوي. (ت. 1315هـ)

الشيخ أحمد بن خالد الناصري المقتفي أثر السنة والعالم المصلح، والمؤرخ الفذ، الذي كان قدوة للعديد من اللامعين من تلامذته المباشرين وغير المباشرين، أخذ العلم بمسقط رأسه بسلا، وحفظ القرآن الكريم بالقراءات السبع على الأستاذ عبد السلام بن طلحة، وعليه تلقى فن التجويد، وحفظ المتون، والأمهات مثل منظومة الشاطبي وابن بري...⁽⁶¹⁾.

وكان عمدته في العلوم الإسلامية واللغوية الفقيه أبو بكر عواد،⁽⁶²⁾ وقد درس عدة علوم اتكالا على جهده الخاص، ذلك أنه لم يكن مقتصرًا في أخذه على ما كان نافعا في عصره من العلوم بل تاقت نفسه إلى علوم أخرى اندرست، وصد الناس عنها، فدرس التفسير والحديث والرياضيات والطبيعات والالهيات وغيرها.⁽⁶³⁾ وتقلد عدة وظائف مخزنية بعدة

(58) شيخ الجماعة العلامة أبو اسحاق التادلي ص : 94.

(59) نفس المرجع ص : 92.

(60) ينظر الفصل الخاص بمؤلفات المغاربة في التفسير من هذا البحث وكذا فصل القراءات.

(61) من اعلام... 2 : 11.

(62) المرجع نفسه 2 : 12.

(63) المرجع نفسه : 2 : 11.

مدن مغربية، كما كان «معظماً من الخاصة والعامة دؤوبا على نشر العلم فصيح اللسان، قوي الحافظة، حاضر الذهن حسن اليراد مقتفيا أثر السنة، شديد الانكار على أهل البدع والأهواء، حي الضمير متواضعا، لين الجانب طيب المعاشرة، دمث الأخلاق مع جد صارم في جميع أحواله»⁽⁶⁴⁾.

سلك في تدريس العلوم طريقة جديدة بالنسبة لعلماء عصره، إذ كان «يراعي في تدريسه التفهيم، ويطرق المسائل الاجتماعية والدينية، ويتكلم عليها بالكلام البليغ الذي يؤثر في عقول الحاضرين، فكانت دروسه من اجل ذلك اندية تزدحم عليها الناس على اختلاف طبقاتهم وتباين مقاصدهم وأغراضهم...»⁽⁶⁵⁾.

من ذلك درسه في التفسير «بشرح الخازن، وكان هذا الفن قد ترك بالمغرب منذ زمن طويل فأحياه، وختم تفسير القرآن مرتين...»⁽⁶⁶⁾.

كما درس من أمهات الفقه المالكي مقدمات ابن رشد، وفي الأحكام تبصرة ابن فرحون، وفي القراءات منظومة ابن بري، وفتح المنان، وفي البلاغة المطول على السعد، وفي النحو مغني اللبيب لابن هشام، فضلا عن العلوم المتداولة بين طلاب العلم اصلا... فقد درس منها المختصر لخليل بالقرويين تدريسا أعجب به من أدركه، وصناعته في الدرس صناعة نافعة جدا، اخبر بذلك من قرأ عليه⁽⁶⁷⁾.

ومع ذلك فقد تعرض الناصري لما يتعرض له أمثاله من المحاولين الاصلاح والخروج بالأمة مما تتخبط فيه من فساد المعتقد، وتفشي الجهل والأمية، وركود الحركة العلمية، فقد كان — رحمه الله — ميالا إلى السنة، منكرا للبدعة، رغم ما أسجله عنه من تحفظ في هذه النقطة خصوصا لما اطلعت على القصيدة التي يمدح بها الشيخ أبا شعيب السارية دفين أزمو، والتي تلاها الناصري عند رأس هذا الشيخ الدفين منذ القرن السادس الهجري، ومما جاء فيها من توسلاته بصاحب القبر المذكور :

ياخير من أمه العافي ولاذبه اهـ لـ الجرائم والاوزار والخن
إني خدمتك في شعر عنيت به وليس لولا حلاك الزهر بالحسن
وأشكو إليك سقاما انت مبرئه ولست أرجو سواك من ينعثني

(64) معجم المطبوعات ص : 343.

(65) الاستقصاء 1 : 14.

(66) المرجع نفسه 1 : 41.

(67) الفكر السامي 4 : 309.

و شد أزرى فإني كنت معتقدا إذا بلغتك قدت الدهر بالرسن
وانظر بفضلك من وافاك معتفيا فإن نظرت فكل الخير يشملني
وأعظم السؤل منك النفس تصلحها وطهر القلب من الأمراض والدرن
وامنحه نورا وتوفيقا ومعرفة أرى بها عملي والبر في قرن
فجد بما رمت من جدواك يا أملي فبحر جودك عذب ليس بالأجن
وزاد وعلق عليها قائلا : «واعلم أن التعلق بأولياء الله، رضي الله عنهم، يجب أن يكون
مع استحضار أن الله تعالى هو المطلوب على الحقيقة والفاعل للأشياء كلها لا معبود غيره
ولا مرجو سواه، وإنما التمسك باهل الله لأجل التبرك بهم والاستشفاع بهم إلى الله تعالى، لأنهم
أبواب الله والدالون عليه، نفعنا الله بهم وأفاض علينا من مددهم آمين» (68).

وهكذا يحاول ابن خالد — رحمه الله — الانفلات مما رسخ في نفسه من الاعتقاد في
الأضرحة، وهو يرى انها وسيلة إلى الله يستشفع بها ولكن ليس كل الناس الذين يعتقدون
فيه، ويعتبرونه قدوتهم يستطيعون ان يميزوا ما ميزه ويروا أن الاضرحة وسيلة، هذا إذا سلم
له ذلك، ونحن نعلم أن هذا ليس من عقيدة الاسلام الصحيح في شيء، فالله تعالى يقول :
﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا
بي لعلهم يرشدون﴾ (69) وقال : «... والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا
إلى الله زلفى، إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه مختلفون...» (70) وقوله عز وجل : «ويوم
نحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول آأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل، قالوا
سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا
الذكر وكانوا قوما بورا، فقد كذبوكم بها تقولون فما يستطيعون صرفا ولا نصرا...» (71).

والنصوص القاطعة في القرآن الكريم وفي السنة النبوية المطهرة كافية شافية في هذا المجال،
وإنما نلتمس للرجل العذر بأنه كان سراجا منيرا في ليل بهيم واقترابه من عقيدة السلف اقترابا
تدرجيا يمهّد به السبيل لمن يأتي بعده ليزيل اللثام عن الحقائق الالهية والعقيدة الفطرية التي
أَحْتَجَبَتْ بعدة حجب، ما كانت جهود فرد واحد لتزيلها، ويمكن كذلك أن نتأول ذلك
منه بأنه قد قال القصيدة في وقت لم يتشبع بعد فيه بالفكر السلفي، خاصة وأننا سنجد

(68) الاستقصا 2 : 207 / الاعلام للمراكشي 1 : 402 — 403.

(69) البقرة، الآية 185.

(70) الزمر الآية : 3.

(71) الفرقان الآية : 17، 18، 19.

يتصادم مع الطرفين، ويوشون به إلى أولي الامر بدعوى أنه يقرىء التفسير وهو درس محظور يتسبب في موت السلطان، وقد ورد الأمر بمنعه من القاء هذا الدرس الذي كان يجلس لاقرائه بالزاوية الناصرية وأتمه بداره وقد أشار إلى هذه القضية غير واحد من الذين كتبوا عن الناصري خصوصا العلامة الجرازي رحمه الله⁽⁷²⁾ ولكنني أسوق نصاً من تفسير القاضي أبي بكر زبير السلاوي أشار فيه هو ايضا إلى ما ذكر قال :

«وقد كان شيخ الشيوخ، والثبات والرسوخ، علم الأعلام سيدي احمد بن خالد الناصري السلوي، صاحب كتاب الاستقصا في تاريخ المغرب الاقصا، وشرح تبصرة ابن فرحون في الفقه، وشرح الشمقمقية في الأدب، وغير ذلك من الكتب المفيدة يقرىء تفسير الامام الخازن بالزاوية الناصرية من مدينة سلا، فشكاه قاضي وقته بها، لإمام عصره، فورد الأمر بمنعه، وهو من هو جلالة وعلماء وإتقاناً، فتخلّى عن درسه بالزاوية وأتمه بداره»⁽⁷³⁾.

وهذا الأمر بمنع ابن خالد الناصري يثير مجموعة من الأسئلة أحب أن اوردها دون أن أبحث لها عن جواب، منها :

— هل الأسباب التي يشير إليها كافية لمنع الناصري من اقاء التفسير بالزاوية الناصرية ؟
— كيف يمكن تفسير هذا المنع، ونحن نعلم أن السلطان مولاي الحسن الأول — رحمه الله — قد حمى حركة التجديد، من ذلك موقفه مع الشيخ عبد الله السنوسي الذي حماه من فقهاء القرويين كما تقدم ؟

كيف أن الشيخ احمد بن خالد الناصري، إضافة إلى وجاهته وتقلده عدة مناصب في الدولة، يوقف عن التدريس نتيجة حملة تشويشية ضده ؟ فهل كان التوقيف نتيجة استشفاف خطورة هذا الدرس، والآثار التي قد تنتج عنه ؟ أو كان هناك من الفقهاء الذين يحبون أن تبقى دار لقمان على حالها يكيدون لهذا الدرس ويعتبرونه مضايقا لنفوذهم العلمي في مجال فقه النوازل، والحالة هذه انهم قاصرون أو يشعرون بالقصور جهة درس التفسير ؟.

وعلى أي حال فإن احمد بن خالد الناصري — رحمة الله تعالى عليه — من العلماء الذين أدوا رسالتهم بخدمة كتاب الله والعمل على نشره بين جمهور المسلمين في العدوتين بكل ما أوتي من وسع، ولو في بيته في ظرف كان يرى فيه ضرورة القيام بهذا الواجب اقتداء بجملة علماء هذه الأمة في كل عصر ومصر، وامثالاً لقوله تعالى ﴿أفلا يتدبرون القرآن ام على قلوب

(72) من اعلام.. 2 : 12.

(73) «إرشاد الله للمسلم الغافل اللاه» مخطوط عند اسرة مؤلفه.

أقوالها⁽⁷⁴⁾، وبالتدبر في كتاب الله واجتهاد العلماء في ذلك مستنيرين بالسنة النبوية تحيا الشريعة الاسلامية ويستمر العمل بها..

1-3- أبو شعيب الدكالي (ت. 1356هـ)

لن أطيل بسوق ترجمة الشيخ أبي شعيب، فقد أفردته تلميذه عبد الله الجراري بترجمتين وافيتين دقيقتين، الأولى في كتابه من اعلام الفكر المعاصر بالعدوتين⁽⁷⁵⁾ والثانية في سلسلته «شخصيات مغربية»⁽⁷⁶⁾ ولكنني سأكتفي بالإشارة إلى أن أبا شعيب الدكالي كان من باعثي النهضة الثقافية بالعدوتين أيضا، فدروسه كانت فتحا على أبناء العدوتين وغيرهم نهلوا منها الكثير من المعارف والتفسير والحديث والفقه والقراءات وغيرها، كما كان لها نصيب اكبر في تحريك عزائمهم وتحفيز همهم إذ كانت هي الدروس التي فجّرت ما كان يهدف إليه كل من الشيخ ابراهيم التادلي وأحمد بن خالد الناصري من إحياء ما اندرس، وإصلاح النفوس والمعتقد، ومحاربة الافكار البالية التي حجرت العقول ومنعتها من الابداع وتحقيق المأمول، ولم يكن الوقت قد حان في عهدهما.

وقد كان التفسير بالعدوتين مكبلا بالمقالات الخرافية التي عششت في مجموعة من الأدمغة واحتاجت إلى من يزيلها من الأذهان، فهيا الله لذلك الشيخ السلفي أبا شعيب الدكالي فكسر تلك القيود الوهمية ودرس كتاب الله للمرة الأولى بتفسير الجلالين، ثم أعاده مرة أخرى بتفسير العلامة أبي البركات عبد الله بن أحمد النسفي (ت. 701هـ)⁽⁷⁶⁾ هذا إلى جانب تدريسه لعلم الحديث الشريف تدريس بحث وتحقيق، وأخرجه من الاقتصار به على المناسبات وسرده للتبرك فقط، إلى مجالات بحثية أرحب وأوسع، كان فيها رائدا وباعثا للنهضة الحديثية بالمغرب.

ولإبراز الدور الذي قام به الشيخ أبو شعيب الدكالي في مجالسه بالعدوتين التي ركز فيها على خدمة الأصلين الكتاب والسنة، أسوق ما قاله أحد تلاميذه عن هذه المجالس التي أخذت بألبابهم وهم شباب متطلع⁽⁷⁷⁾ قال : «... إن هذا الرجل العظيم قد خدم المغرب في مجالسه هذه، وأحسن إليه الاحسان الذي لا قبله ولا بعده، فلقد أيقظ المعرفة والعلم، ووجه أهله لمدرسة الحديث وتفهم معانيه ومقاصده، عوض أن يتلى للتبرك، وجراًهم على التفسير وعلوم القرآن، وأحيا فيهم روح الواقعية ودفعهم للصعود بالأمة إلى مراقي العز والكرامة، ثم وضع

(74) سورة محمد، الآية : 25.

(75) من اعلام : 2 : 269.

(76) المرجع نفسه 1 : 236.

(77) أقصد الشاعر المبدع محمد الجزولي.

ثقله كله على محاربة البدع التي كانت متفشية في جميع نواحي المغرب، فقسمها وحسمها...»⁽⁷⁸⁾.

وذلك كله كان منه بالكلمة الطيبة، والجملة المقنعة والحجة القاطعة، والآية الصريحة والحديث الصحيح، وكل مهاجمته لأصحاب تلك البدع كانت على غرار (ما بال أقوام) فلم يسم ولم يعين، حتى أثمرت شجرته، واتسعت خطته... وتقبلتها الأمة عن طوعية واختيار، وتخلصت من العديد من البدع والطقوس التي كانت تُشَدخ فيها الرؤوس، وتُنْهَش اللحوم ويُرَقص حول النار وما إلى ذلك...⁽⁷⁹⁾.

وقد أجاد الشاعر محمد الجزولي في قصيدتين أحدهما بمناسبة ختم الشيخ أبي شعيب الدكالي لدرس التفسير من صحيح البخاري، والثانية بمناسبة ختم الصحيح ختما كلياً،⁽⁸⁰⁾ ومطلع الأولى :

رباط الفتح مأوى الفاتحين بكعبته يطوف الناس حيناً
هو البلد الأمين ومن بناه عظيم من ملوك المسلمين
إلى أن قال :

— ونور العلم ينشره لدينا إمام ذوي المعارف أجمعينا
— فلا والله قبله ما رأينا ولا والله بعده ما لقينا
إلى أن يصل إلى درس التفسير وكيف كان يتناوله الشيخ، وقد ضبط خطته في التفسير :

ويا لله منه حين يملئ شروح كتاب الله فينا
بتفسير يكاد يكون وحياً لعمر كرام كاتبيننا
يفسر جلّه آياً بآي ويظهر بالحديث الصعب لنا
ويوضح مشكلات الآي حتى تهم بلمسها حيناً فحيناً
يرى التفويض إلا لاضطرار يرى التأويل خوف الحائرين
ويوكل ما تشابه به منه مما يَجَلُّ على عقول الراسخين
ويوقفنا على المقصود منه وأن به صلاح العالمينا
وأن السر في التشريع هدي يساس به عقول القاصرين
وأنه في القصاص لنا حياة وأن النار عقبى انجرميننا

(78) ذكريات من ربيع الحياة ص : 29.

(79) ينظر المرجع نفسه.

(80) ذكريات من ربيع الحياة ص : 31، وص : 38.

وَأَن الْبَغْيِي مَصْرَعُهُ وَخِيم
وَأَن الْمَرْءُ مَجْزِي بِفَعْلٍ
وَأَن الرِّزْقُ مَقْرُونٌ بِسَعْيِي
وَأَن ذَوِي الْبَطَالَةِ هُمُ كَسَالِي
وَأَن الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ قَوْلٌ
وَلَا نَهْشَ اللَّحْمِ وَلَا بِشْدَخَ الرِّ
وَأَن الذَّكَرَ لَيْسَ بِقَرَعٍ طَبْلٌ
وَإِن الدِّينَ مِنْ هَذَا بَرَاءٌ
مَتَى يَرَى الْإِلَهَ الدِّينَ مِنْهُمْ
لَبَسْنَا الدِّينَ مَقْلُوبًا لِّبَطْنٍ

وَأَن الظُّلْمَ يَخْلِي الدُّورَ حِينَا
وَأَن بِمَا يَدِينُ النَّاسُ دِينَا
وَأَحْلَى الْخَبْزِ مَا أَفْدَى الْجَبِينَا
وَأَخْزَى النَّاسَ مِنْ أَكْدَى وَشِينَا
وَفَعَلَ لَا كَرَقَصِ الرَّاقِصِينَا
وَأَوْسَ وَلَا بِشْرَبِ الْمَاسْخِينَا
وَمَزْمَارَ عَلَا ذَقْنًا لَعِينَا
وَإِن اللَّهَ يَخْزِي الْمُدْعِينَا
وَيَشْفِي صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَا
وَصَيَّرَنَا الْأَعْلَى سَافِلِينَا

ويستمر الشاعر - رحمه الله - في قصيدة رائعة تحدد أمراض المجتمع المسلم في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري، تلك الأمراض التي تجند لها الشيخ أبو شعيب الدكالي وأمثاله من المصلحين الغيورين على الأمة والدين، في ظروف عسيرة أصعب ما تكون، معتمدين في إصلاح حال الناس على تقريرهم من معين الاسلام الصافي، وورده العذب الثمر، ألا وهو القرآن الكريم وما يدعو إليه، والسنة النبوية المطهرة، وما اجتمعت عليه الأمة من أمر الدين.

1 - 4 - محمد بن عبد السلام السائح (ت. 1367هـ)

لست بصدد التعريف بهذا العالم، خاصة وقد تقدمت ترجمته⁽⁸¹⁾، وإنما قصدي أن أبدي مساهمته في تنشيط درس التفسير بالعدوتين فهو العالم الفذ، المنهج، الأصولي، المحدث، النوازلي، المؤرخ، الأديب، الشغوف بالمباحث الفلسفية،⁽⁸²⁾ وفوق هذا كان له ولوع بعرض أي، التنزيل المقدس وتدبرها والسعي في تفسير سورها، وقد كتب مجلدا ضخما بمناسبة ختم شيخه أبي شعيب الدكالي لدرس التفسير، تناول فيه التفسير من سورة «الكافرون» إلى الختم، ويذكر تلميذه البار المرحوم عبد الله الجراري أن شيخه افرغ جهده في علوم التفسير، «وبسط آراء رجاله بصورة تجعل القارئ كأنه في روضة من رياض الاتقان أو حديقة من حدائق القرآن، ولكن على منهج خاص وشكل جديد»⁽⁸³⁾.

(81) الفصل الأول من الباب الثاني من هذا البحث.

(82) استفدت ذلك من نجله الأستاذ الحسن السائح في لقاء معه بمنظمة الاسبكو يوم 8 ذي الحجة 1407

4 غشت 1987، وذكر لي تبادلته الابحاث الفلسفية مع الأستاذ الرافي بالجديدة.

(83) من اعلام.. 2 : 148.

ولم يذكر له من درس في التفسير داوم عليه في مسجد من مساجد الرباط وإنما ذكروا له دروس الحديث بالزاوية القاسمية بالرباط وأشار إلى دروسه التفسيرية الأذاعية التي كان يثبثها في ربيع الثاني من سنة 1360 بطريقة الاختيار لأي من الذكر الحكيم، تارة في الأحكام، وأخرى في القصص، وعاءونة في الكون والطبيعة، ففي التشريع ينشر آراء الائمة ومذاهبهم في كل فرع، والادلاء بما لكل من النصوص القائمة والحجج الناهضة، دون أن ترى له تحزبا لمذهب، أو تعصبا لنحلة ولو مذهب المالكى⁽⁸⁴⁾.

ويذكر المرحوم الجراري إتيان شيخه الفقيه السائح للفن القصصي في القرآن وكيف يضع يده فيه على مواطن الحكمة والعبرة، وما يستوحيه من بين سطوره من مثل عليا وأخلاق فاضلة، وقد استعرض مشاهد من سورة يوسف بصورة جعلت لها كبير الوقع على النفوس، وخاصة وقوفه على ما تضمنته بعض الآيات منها كآية : 26 و 27 و 55، وقوله عز وجل ﴿كذلك كدنا ليوسف﴾⁽⁸⁵⁾.

وكان العلامة السائح «لا يقف في تقاريره العلمية موقف الحاكي يجلب نصوص الكتاب والمفسرين ويعرضها عرضا جافاً دون أن يكون له حظ الأخذ والرد، بل والتوليد والابتكار في غير ما فن»⁽⁸⁶⁾.

من ذلك أنه لا حظ في بناء النص القرآني ملاحظة فريدة مفادها أن من أنواع الأساليب اللفظية المتعددة، ان يوجد خلال فواصل الآي المفقا، فواصل أخرى مغايرة للفواصل التي بنيت عليها السورة وهو نوع على نهجه بني التوشيح، وعلى وتيرته ارتكز أسلوبه قال : ولم اجده منصوصا لغيري وإنما وفقت إليه وذلك أنه كان مهتماً بالعجاز البلاغي والعلمي للقرآن كما يظهر مما كتبه في هذا المجال⁽⁸⁷⁾.

1 — 5 — محمد المدني بن الحسني (ت. 1378هـ)⁽⁸⁸⁾.

من أعيان علماء الرباط، كان فقيها ومحدثا، ولسانيا وأديبا⁽⁸⁹⁾، تلقى العلم على كبار

(84) المرجع نفسه 2 : 146 — 147.

(85) الآية : 76.

(86) المرجع نفسه.

(87) ينظر الفصل الخاص بعلوم القرآن من هذا البحث..

(88) من اعلام : 2 : 201/ محمد الباقر الكتاني ترجم له في جريدة العهد الجديد الصادرة بالرباط في 14

ذي الحجة 1978/ محمد المنوني دعوة الحق صفر 1380/ الاعلام للزركلي 7 : 94.

(89) من اعلام.. 2 : 201.

شيوخ الرباط، ولم يرحل إلى جهة أخرى لما كانت تتوفر عليه العدوتان من العلماء الأفذاذ درس على المحدث أحمد بن موسى السلوي، وعلى السيد عبد الرحمن بریطل وعلى الأديب أحمد جوسوس الرباطي، وعلى شيخ الجماعة بالرباط أبي حامد البطاوري الذي كان محققاً في العلوم الوقتية من لغة ونحو وصرف، وفقه فروع، وأدب وشعر فضلاً عن علوم الحديث والتفسير⁽⁹⁰⁾، كما أخذ عن المفتي الجيلالي بن إبراهيم الرباطي، وعلى محمد الرندة الرباطي، ولازم دروس الشيخ أبي شعيب الدكالي في الحديث والتفسير مدة تنيف على العشرين سنة⁽⁹¹⁾.

وقد أغنت دروس أبي شعيب معلومات المترجم، وأذكت نبوغه وأمدته بمدد من الجد وحب البحث والاطلاع، مما جعل ثقافته تزداد وتقوى بفضل قدراته العقلية وتعاطيه فن الكتابة والتقييد مبكراً، وإن كان ما كتبه هذا الشيخ ما يزال مغموراً⁽⁹²⁾ كما أن معظمه في بعض الفنون التعليمية التي اندرست في وقتنا هذا، وأهم ما يسجل له في هذه العجالة هو نشاطه في تدريس الحديث وإلقاء دروس في الصحيح، بالمسجد الأعظم بالرباط بين العشائين، وأخرى بكتاب زاد المعاد لابن القيم، وعمدة الأحكام لابن دقيق العيد، وبلوغ المرام في أحاديث الأحكام لابن حجر، ورياض الصالحين للنووي⁽⁹³⁾، «ومثل هذا وأقوى في تفسير الكتاب العزيز»⁽⁹⁴⁾.

كما كان من العلماء البارزين في المجالس الحديثية السلطانية، بما كان يمليه ويقرره ويستحضره كعادته في كل الدروس، مما يدهش الحاضرين ويثير إعجابهم...

وفي مجال التفسير ذكر تلميذه الاستاذ عبد الله الجراري انه عندما كان يدرس الصحيح بالمسجد الأعظم بين العشائين وبلغ فيه إلى كتاب التفسير تفرغ لدراسة الكتاب المبين وتفسيره، فألقى دروساً قيمة حول آي الذكر الحكيم على عادته وأكثر⁽⁹⁵⁾.

وذكر خير الدين الزركلي في أعلامه، وكان قد التقى بالشيخ ابن الحسني رأساً — أنه

(90) المرجع نفسه 2 : 214.

(91) المرجع نفسه.. 2 : 202 (معظم شيوخه الذين ذكرت مترجم لهم في المرجع المحال عليه).

(92) عدد الاستاذ عبد الله الجراري تأليفه.. مع التنصيص على أهمها والتقريظات التي حظيت بها، ينظر (من اعلام الجزء الأول : 218... وكذا الجزء الثاني 2 : 203).

(93) من اعلام 1 : 218.

(94) المرجع نفسه 2 : 202.

(95) المرجع نفسه 1 : 236.

«من كبار المدرسين للتفسير والحديث، في أيامه، تلقى مبادئ العلم في مراکش وأخذ عن علماء الرباط»⁽⁹⁶⁾.

1 - 6 - أبو بكر بن الطاهر زنيير السلوي (ت. 1376هـ)⁽⁹⁷⁾

من مواليد سلا في السنة الأولى من القرن الرابع عشر الهجري، تعاطى العلم في سن مبكرة، وأخذه عن جلة علماء العدوتين مثل العلامة الورع أحمد بن الفقيه الجريري، والقاضي عبد الله بن خضراء، والشيخ الطيب الناصري والشيخ أبي شعيب الدكالي وغيرهم⁽⁹⁸⁾.

وكان معروفاً بالنبوغ، والذكاء، والجد في العمل، والانكباب على المطالعة، والبحث، والتأليف. تقلد مناصب عدة فكان عدلاً، وقاضياً في عدة جهات، وخطيباً في بعض المساجد، ومفتياً للناس. ولمن طلب منه ذلك، وقد تبرم منه المعمرون نتيجة أفكاره الحرة، وفصلوه عن القضاء سنة 1924، وانقطع بعدها للعلم والبحث والاطلاع، وتدرّس التفسير والعلوم الأخرى تارة في المساجد وأخرى في بيته، وحرر وثيقة معارضة الظهير البربري (1930) التي تقدم بها أهل سلا، كما امتحن هو وأولاده في سبيل القضية الوطنية⁽⁹⁹⁾.

كان شغوفاً بتتبع الأحداث بمختلف أنواعها، وينشر المقالات في الصحف والمجلات ويدرس تفسير المنار باحد مساجد سلا⁽¹⁰⁰⁾، وكانت مقالاته تثير العديد من المناقشات العلمية النافعة إذ كان فيها يميل إلى التحقيق والاجتهاد والمناقشة، وكان يجلس في تحقيق مسألة أياماً وشهوراً أحياناً حتى يحرقها ويأتي عليها، مع تميزه بأسلوب دقيق ومركز وواضح⁽¹⁰¹⁾ — رحمه الله تعالى عليه —.

وفي مجال التفسير عرف عنه خاصته وأحبته ممن يخلصون له الود⁽¹⁰²⁾ انه مؤهل لأن يخوض غمار التفسير، فكانوا يلحون عليه ويرغبونه في كتابة تفسير للقرآن فكان يجد نفسه حائراً في الأمرين بين صعوبة كتاب الله، وبين الرغبة الملحة عليه في قرارة نفسه إلى أن يسير

(96) الأعلام 7 : 94.

(97) ترجمته في : من اعلام : 2 : 266 / اعلام المغرب العربي... لعبد الوهاب بن منصور 1 : 258 الموسوعة المغربية ابن عبد الله 3 : 6، كما كتبت عنه وعن تفسيره بحثاً بعنوان : أبو بكر زنيير وتفسيره إرشاد الله لنيل شهادة الدراسات الجامعية العليا من كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط (85 - 1986).

(98) من اعلام.. 2 : 266.

(99) المرجع نفسه.

(100) مقدمة تفسيره المخطوط عند أسرته بالرباط ولدي بعض منه بخطه — رحمه الله —.

(101) من اعلام : 2 : 267.

(102) منهم العلامة زين العابدين ابن عبود كما ذكر ذلك في مسودة تفسيره.

الله له أسباب ذلك فتفرغ إلى كتابة تفسير للقرآن أجاد فيه رحمه الله⁽¹⁰³⁾ وسار فيه على نهج مدرسة المنار في التفسير وهي المدرسة التي كان معجبا بها، ويرى لها الفضل في العودة بالمسلمين إلى النهل من كتاب الله وخدمته بالتفسير وجعل القرآن هدى للناس يهتدون بهديه ويأتمرون بأوامره وهو من الذين يفضلون الاتصال المباشر بكتاب الله إن لم توجد تفاسير معاصرة تساعد الناس على تفهم القرآن والعمل بمقتضاه، فهو يرى أن بعض التفاسير تحجب طلاوة القرآن وتحول دون تأثيره في النفوس، ومن ثم لا داعي لفهم القرآن من خلالها،⁽¹⁰⁴⁾ وهذا طبعا بالنسبة لمن توفرت له المؤهلات العلمية الكافية..

وعلى أي فالتفاته هذا الرجل الحيوي إلى فراغ ساحة التفسير بالمغرب، وانعدام تفسير مغربي يتصفحه المسلم المعاصر في هذه الديار، ويتعرف من خلاله على كتاب ربه، هي التفاته علامة واعية يطمح إلى الإصلاح الفعلي المتجدر، ولا يكفيه القول، فالكلمة أخلد وأدوم، كما نعلم ولذلك أنتجت مجالسه التفسيرية تفسيرا مكتوبا لكتاب الله..

1 - 7 - زين العابدين بن محمد بن عبد السلام بنعبود (ت. 1390هـ)⁽¹⁰⁵⁾.

من علماء سلا الذين خدموا العلم والثقافة بالمغرب، وهو ابن الشيخ بنعبود الصوفي المتجرد الذي كان ينحو منحى ارباب الحقائق فصيح اللسان ذا ذكاء وحذق تام، كان لهجا بالقرآن متديرا لمعانيه، مستشهدا به في كل أحواله..⁽¹⁰⁶⁾

ويذكر الفقيه محمد الحجوي أنه كان من شيوخه في التصوف وأنه كان كلما لقيه إلا وحثه على قراءة التفسير،⁽¹⁰⁷⁾ مما يدل على تشبث هذا البيت الرباني بكتاب الله عز وجل... وقد كان نجله زين العابدين من العلماء الألعين تولّى القضاء في عدة جهات⁽¹⁰⁸⁾ وتعاطى لتدريس التفسير بسلا والرباط والدار البيضاء،⁽¹⁰⁹⁾ وكان يقوم بدروسه في الظروف الاستعمارية الحرجة قياما منه بالواجب، ومساهمة في التوعية الدينية وتفهم معاني كتاب الله إلى عباد الله⁽¹¹⁰⁾ فضلا عن جهوده في نشر باقي العلوم الأخرى⁽¹¹¹⁾.

(103) سيأتي الحديث عن هذا التفسير في الباب الأخير من هذا البحث.

(104) مقدمة تفسيره.

(105) من اعلام الفكر المعاصر.. 2 : 300، وهو الأخ الأكبر لأستاذنا الدكتور المهدي بنعبود — حفظه الله —.

(106) إتخاف أعلام الناس.. 4 : 247 — 248 / دليل مؤرخ المغرب الأقصى 1 : 300.

(107) مختصر العروة الوثقى ص : 56.

(108) من أعلام.. 2 : 300.

(109) المرجع نفسه.

(110) كتابة تاريخ العدوتين ص : 108.

(111) من اعلام 2 : 301.

فكان كثيرا ما يدرس التفسير سالكا فيه طريقة الفخر الرازي في تفسيره مفاتيح الغيب بل أحيانا يأتي بفدلكة الفخر نفسها⁽¹¹²⁾.

ومهما تسأل أهل العلم اليوم بسلا عن درس التفسير في القرن الرابع عشر الهجري الذي أدركوه، وعن العلماء الذين كانوا يتعاطونه إلا ويأدرونك باسم هذا العالم «بنعبود»، وهم محقون لأنه آخر من ودّعهم ممن كانوا مستمرين في إقراء التفسير حيث ما حل وارتحل بأسلوب جذاب وقلب مفعم بحب المقروء.

ولذلك نجد الشاعر الراحل محمد الحنصالي يرثيه بقصيدة مؤثرة⁽¹¹³⁾ مشيرا فيها إلى دروسه التفسيرية بقوله :

فمن لكتاب الله جاء مبينا بأسلوبك الجذاب يلسمه الفكر
تهم به حبا وشوقا ولوعة وأنت الخفي الماهر العلم البحر
وهو من حث أبا بكر زبير على المضي في كتابة تفسير معاصر يقرب الناس من القرآن
ويقرب القرآن من الناس، وقد أشار إليه في تفسيره «بأحد الاخوان»⁽¹¹⁴⁾.

ويكفي إذا أردنا أن نعرف تصور هذا الرجل لدرس التفسير في الفترة المعاصرة أن نلتفت إلى التفسير الذي كان يعجبه وهو تفسير «الفخر الرازي» مفاتيح الغيب، وهو المدعو بالتفسير الكبير، نظرا لمباحثه العلمية الدقيقة في مجالات اللغة والفقه والأصول والكلام والعلوم الطبيعية وعلم المناسبة وما إلى ذلك، فقد دل على الليب حسن اختياره، فقد اختار مصدرا يدل به على تقدم الرؤية العلمية عند علماء الاسلام منذ القر السادس والسابع الهجريين، وأن ما وقع من تطور عند الغرب ينبغي ألا يؤدي إلى كبير انهار !

1 - 8 - الشيخ محمد المكي الناصري⁽¹¹⁵⁾.

من رجال العلم والسياسة⁽¹¹⁶⁾ بالمغرب، ينتمي إلى أسرة عريقة في العلم والدين وُلِدَ بالرباط في 14 شوال عام 1324هـ موافق 11 دجنبر 1906م، ثم توفي يوم الثلاثاء 29

(112) المرجع نفسه.

(113) المرجع السابق.

(114) وقفت عليها في مسودة تفسير أبي بكر زبير المخطوط عند أسرته بالرباط...

(115) ترجمته في : الأدب العربي في المغرب الأقصى لمحمد بن العباس القباچ 2 : 70 / الفكر والثقافة المعاصرة في شمال افريقيا لانور الجندي ص : 186 / بيانات مختصرة من حياة الاستاذ محمد المكي الناصري طبع دار الشعب 1960...

(116) تراجع تقلباته في ميدان السياسة في «بيانات مختصرة».

ذي القعدة 1414هـ / 10 ماي 1994م⁽¹¹⁷⁾ وأنهى دراسته الابتدائية والثانوية بالعدوتين سنة 1926م، والجامعية سنة 1932، ثم رحل من أجل العلم إلى مصر حيث نال الاجازة في الفلسفة والاجتماع من كلية الآداب جامعة القاهرة، ودرس على باحثين كبار آنذاك مثل أحمد امين، وطه حسين، ومصطفى عبد الرازق وكارلو نلينو المستشرق الايطالي وغيرهم..⁽¹¹⁸⁾.
وَرَحَلَ إلى أوروبا فتخصص في التربية بكلية الآداب جامعة باريس، وفي القانون الدستوري والقانون الدولي العام بكلية الحقوق بجامعة جنيف.

وإلى جانب هذه التخصصات العليا، التي كانت ذات قيمة كبرى وقتها كان الشيخ المكي قد ادخر لنفسه ثقافة أصلية في الدراسات الاسلامية والعربية على يد شيوخ كبار ازدانت بهم العدوتان وهم الشيخ أبو شعيب الدكالي، والمدني ابن الحسني، وأخوه الحاج محمد الناصري والعلامة محمد السائح ومحمد بن عمر عاشور⁽¹¹⁹⁾ وغيرهم كثير...

ويكفي أن نعلم المكونات العلمية لثقافة هذا الشيخ وثقافة أمثاله وأقرانه لتتصور نموذج المثقف المغربي في القرن الرابع عشر بالعدوتين وما في حكمهما من المراكز العلمية الأخرى، وهو النموذج الذي عاش أهم وأخطر الاحداث التي عرفها المغرب في الفترة المعاصرة، لكننا بدأنا نشكو ندرة وقلة هذا النموذج الفريد في المعرفة الذي يجمع بين أسس متينة في الثقافة العربية الاسلامية وتطعيمها بالثقافة الجديدة المعاصرة والاطلاع الواسع والمعرفة باللغات الاجنبية وما إلى ذلك.

فقد نهل محمد المكي الناصري ثقافته العربية من العدوتين بما فيها اللغة والنحو والصرف والبلاغة والشعر والأدب إلى درجة التأليف فيها،⁽¹²⁰⁾ و اضاف العلوم الشرعية بما فيها الفقه والأصول، ومقاصد الشريعة فضلا عن الاصلين الكتاب والسنة وما اليهما من تفسير وتجويد،⁽¹²¹⁾ وسيرة نبوية وغيرها..

ولولا مجالات أخرى سياسية أخذت من وقته الكثير لكان له شأن عظيم في المجال العلمي، ولاستفادت منه الدراسات الاسلامية والعربية أكثر مما اعطاها ومع ذلك، فقد ساقط إليه

(117) المرجع نفسه.

(118) نفس المرجع.

(119) من اعلام الجزء الأول ص : 201/ التسمات الندية ص : 50.

(120) من ذلك شرحه لمنظومة شيخه المدني ابن الحسني للامية الافعال في التصريف وقد نظمها على بحر الرجز (من اعلام 2 : 204).

(121) مقدمة تفسيره : «التسير في احاديث التفسير» 1 : 5.

الاقدار الالهية مناسبة طيبة، في وقت اشتدت حاجة الناس فيه إلى من يرشدهم إلى كتاب ربهم بأسلوب يتوافق مع عصرهم ويدلهم على ما في كتاب الله تعالى من الكنوز الثمينة التي غفلوا عنها، وهي اعطاء أحاديث يومية في تفسير القرآن الكريم عبر الاذاعة الوطنية بالمغرب «لفائدة المواطنين والمواطنات وكافة المؤمنين والمؤمنات (...) فوجدت هذه الدعوة النبيلة هوى في النفس، وحنينا في القلب واستجابة روحية كاملة»⁽¹²²⁾.

ذلك أن المترجم سبق له التمرس بالقرآن الكريم، قراءة وتجييدا، تلقيا وتلقينا، دراسة وتدرسا وتلقي التفسير عن شيوخ كبار في المغرب والمشرق،⁽¹²³⁾ وزاوله بالمغرب في عدة مساجد بالرباط، وتطوان، وطنجة، والبيضاء، وفي ذلك يقول :

«وكان من ذلك ما تطوعت به في العشرينات والثلاثينات من إلقاء دروس ومحاضرات في تفسير بعض السور وبعض الآيات، بمساجد الرباط، ومساجد تطوان، ثم ما كرس له قسما كبيرا من وقتي وجهدي في الأربعينات، من الإقبال على تفسير القرآن الكريم كل يوم بين العشاءين، خلال سنتين متواليتين بالمسجد الأعظم بطنجة وخلال سنة ثالثة بالمسجد الحمدي، والمسجد العتيق بالدار البيضاء، وكانت هذه الدروس العامة التي احتككت فيها بالشعب المومن احتكاكا يوميا مباشرا فرصة للتأكد من جديد، إن كانت هناك حاجة إلى التأكيد — بما يحدثه كتاب الله من تعبئة روحية وتأثير عميق، وانقلاب سريع في نفوس المؤمنين والمؤمنات، فكتاب الله هو الذي أحيا من المسلمين الموات وأعدهم للبذل والعطاء وعظيم التضحيات، فانطلقوا كالسيل الجارف والجيش الزاحف يدكون صروح الاستعمار في مختلف الديار»⁽¹²⁴⁾.

ثم يشير إلى نشاطه في الدراسات القرآنية بعد الاستقلال حيث ألقى محاضرات في موضوعات مختلفة لها صلة بالقرآن الكريم وفسر عدة سور مفردة في مناسبات متعددة، لكن دون التزام بعقد مجالس عامة لتفسير بصورة منتظمة...⁽¹²⁵⁾ إلى أن طلبته الإذاعة بإلقاء أحاديث في التفسير مقيدة بخصلة زمنية محددة فاختر لها بعد صلاة الصبح،⁽¹²⁶⁾ وهو اختيار محمود كان يفضلته العديد من العلماء المغاربة لالقاء حصصهم التفسيرية⁽¹²⁷⁾، وقد أظهر

(122) التيسير في احاديث التفسير 1 : 6.

(123) المرجع نفسه 1 : 5.

(124) المرجع نفسه 1 : 5، 6.

(125) المرجع نفسه 1 : 6.

(126) المرجع نفسه 1 : 7.

(127) وكان درس الناصري المؤرخ بالزاوية الناصرية بسلا بعد صلاة الصبح، وقد تقدمت الاشارة إليه.

الشيخ المكي براعته ومقدرته العلمية واطلاعه الواسع في هذه الدروس، كما برهن على تفرسه بالقرآن الكريم ومعرفة وثيقة بحجباياه وأسرار ترابط معانيه ومبانيه والوقوف على مقاصده ومرامييه، فجاءت تلك الأحاديث في لغة رائعة وأسلوب جذاب كأنه السهل الممتنع، وزاد كل ذلك طلاوة وحلاوة بحسن صوته الرخيم، وفصاحته المعهودة ومراعاة قواعد الأداء، وتقمص أساليب القرآن في الإلقاء من استفهام، وتعجب، ونداء، وتأكيـد...، فكان التفسير في أحاديث التفسير...

« ولم يقف الأمر في تدريس تفسير القرآن بالعدوتين في الفترة المتحدث عنها، على من ذكر، فقد كان هناك علماء آخرون زاولوا التفسير مثل الشيخ محمد بن العربي العلوي الذي درسه بالرباط وبالمسجد الأعظم بسلا، وذلك إبان اشتغاله وزيرا للعدل...

وهناك شيخ الرباط المكي البطاوري والسيد احمد الصبيحي⁽¹²⁸⁾ الذي درس التفسير بأسفي لما كان قاضيا بأسفي وعبدة⁽¹²⁹⁾ وكذلك السيد عبد الواحد بن عبد الله⁽¹³⁰⁾، وابن عبد النبي السلاوي⁽¹³¹⁾، واحمد الزبيدي الرباطي⁽¹³²⁾ الذي كان له ولوع بالاتصال بالعلماء وخاصة المشاركة، وقد اتصل بالشيخ محمد رشيد رضا مستفيدا من نصائحه فيما يخص أوضاع المغرب، وطلب منه إتمام تفسيره قائلا : «يامولانا إننا في غاية التشوق إلى إتمام تفسير المنار»⁽¹³³⁾.

وهذا يدل على تطلعات أهل العلم بالمغرب إلى ما يجد لدى اخوانهم بالشرق، مما له علاقة بنهضة الأمة الإسلامية والرقى بها إلى صفوف الأمم المتقدمة وذلك بإلحاح وتقدير..

المصادر المعتمدة فيه :

إننا إذا بحثنا عن المصادر المعتمدة في درس التفسير بالعدوتين في مطالع القرن الرابع عشر الهجري، وعن قيمة هذه المصادر العلمية، فإننا نجد أنها لا تعدو بعض المصادر التي كانت معتمدة

(128) المقتطف اليناع من روض الحديث الجامع تأليف احمد الصبيحي ص : (3 — 4) / من اعلام الفكر المعاصر 2 : 70 / معجم المطبوعات ص : 204.

(129) معجم المطبوعات ص : 204.

(130) والد السيد عبد العزيز بن عبد الله (ينظر : كتابة تاريخ العدوتين.. ص : 108).

(131) ج احمد معنيو : «شيخ جماعة علماء سلا العلامة المفتي سيدي احمد بن عبد النبي» مجلة كلية الشريعة بفاس ع. 11، ربيع الأول 1403 يناير 1983 صفحات : (105 — 111) وذكر جهوده في مجالسه التفسيرية التي لا تعوض.

(132) ترجم لنفسه بقلمه في كتاب من اعلام : 2 : 58.

(133) ينظر سند التادلي في ترجمته في هذا الفصل../ والاغتباط ص : 248.

منذ عدة قرون عند شيوخ التفسير بالقرويين والعدوتين وغيرها من معاهد العلم الأخرى بالمغرب وحتى بالمشرق⁽¹³⁴⁾.

فقد أشرت إلى أن الشيخ ابراهيم التادلي كان يعتني بتدريس التفسير معتمدا تفسير البيضاوي، وتفسير الجلالين، فهو كغيره من شيوخ عصره يدرس من مصادر معينة بناء على أسانيده إلى تلك المصادر، وإذا لم يتوفر على أسانيد من شيوخه إلى تلك التفاسير، فإنه يخطأ نفسه ولا يجرؤ على تدريسها إلا في الحالات النادرة.

ولا يخفى ما في هذا التقيد بالاسناد من زيادة ضبط للعلم والحرص على أخذه من المختصين من شيوخه، ولذلك اعتر العلماء واهتموا بالاسناد وعدوه من الدين..

وبما أن التادلي كان يدرس العلم لطلبته من كتبه وتأليفه⁽¹³⁵⁾، فإن ما كان يقرره في درسه في التفسير سواء على الجلالين أم على البيضاوي، كان يضمه حاشيته على التفسيرين المذكورين، ثم إنه كان يمهّد لدرسه التفسيري بتدريس كتاب «الاتقان في علوم القرآن للسيوطي» ويشهد لذلك أنه من الكتب التي حشّى عليها⁽¹³⁶⁾ ايضاً.. وهذا الربط عنده بين علوم القرآن والتفسير والاهتمام بهما معا في صعيد واحد، دليل على أنه كان لا يهدف من درسه التفسيري التبرك والموعظة فقط، وإنما يسعى إلى ترسيخ درس التفسير وبنائه على أسسه المعرفية التي تواضع عليها العلماء الكبار.

وفي درس معاصره الشيخ احمد بن خالد الناصري نجدّه يعتمد تفسيراُ الخازن المسمى «لباب التأويل ومعاني التنزيل» وهو تفسير ملخص من معالم التنزيل للبخاري مع نقول من تفاسير أخرى، وليس لصاحبه فيه على حد قوله — سوى النقل والانتخاب، وهو مكثّر من رواية التفسير بالمأثور إلى حد ما، ومعني بتقرير الأحكام وأدلتها، ومملوء بالأخبار التاريخية والاسرائليات، كما يورد المواعظ وأحاديث الترغيب والترهيب⁽¹³⁷⁾.

ولكن شهرة هذا التفسير بسوق الاسرائليات أساءت إليه، ويترجح عندي — والله أعلم — أن ابن خالد الناصري كان يميل إليه لاعتنائه بالأخبار التاريخية، فالخازن لا يترك مناسبة تاريخية تمر دون أن يتوسع فيها، مثل غزوات الرسول ﷺ وما إلى ذلك إضافة إلى الموعظة والترغيب والترهيب والتصوف... وإن كان الناصري ضد بعض الطرفين والبدعيين، فهذا

(134) المرجع نفسه ص : 251 / من اعلام.. 2 : 243.

(135) المرجع نفسه ص : 251 / من اعلام.. 2 : 253.

(136) الاغنياء ص : 251.

(137) التفسير والمفسرون للشيخ محمد حسين الذهبي 1 : 310.

لا يعني أنه لا يهتم بالموعظة ولا حتى بالتصوف، فيكفي أن نعلم أنه يُلقي درسه بالزاوية الناصرية، وكان بينه وبين شيخ الدرقاوين شأنًا ووقعت بينهما مراسلات بسبب انكار الناصري على الطرق⁽¹³⁸⁾، ولكن الناصري لم يحفل بذلك، إما لعلمه أن ما أنكرته الشريعة لا محابة فيه، وإما لأنه غير متجرد تمام التجرد من الطريقة.

وقد أوردت هذا التوضيح لأن هذا الخلاف بين ابن خالد الناصري وبين بعض أرباب الزوايا من الطريقين، قد تطور إلى أن أدى إلى إيقاف الناصري عن تدريس التفسير بدعوى أنه يتسبب عن اقترائه موت السلطان..⁽¹³⁹⁾

أما الشيخ أبو شعيب الدكالي فقد اعتمد في تدريسه التفسير بالعدوتين على الجلالين في الختمة الأولى، وعلى النسفي في الثانية⁽¹⁴⁰⁾ وعلى صحيح البخاري في الثالثة..⁽¹⁴¹⁾

ومن خلال هذا التدرج بدرس التفسير عبر هذه المصادر تتجلى لنا خطة هذا العالم المدروسة، فتفسير القرآن بالجلالين هي مرحلة تأسيسية أولية ابتدائية، إن شئنا، وتدرسه بالنسفي مرحلة وسطى، وتدرسه بصحيح البخاري مرحلة عالية وهي المقصودة في الأهداف التي رام الشيخ الوصول إليها في نهاية المطاف بجمهوره وطلبته...

ونلاحظ أن كل مصدر من هذه المصادر المنتخبة يناسب حسب محتواه المرحلة التي اختير إليها، فتفسير الجلالين لا يتعمق في الإضافات والتعليقات، وإنما يكفي بتفسير الكلمة أو توضيح الإشارة، أو ينص على بعض ما يختصره القرآن بأسلوبه المحكم المركز كالظروف والأحوال والمجرورات وغيرها⁽¹⁴²⁾... وهذا يناسب مرحلة الابتداء في درس التفسير.

وتفسير النسفي من مزاياه أنه وسط بين الطول والقصر، مقل جدا في ذكر الاسرائيليات، يتحاشى الأحاديث الواهية، محلي بأقاويل أهل السنة والجماعة، خاليا عن أباطيل أهل البدع والضلالة... متضمنا لدقائق البديع والاشارات والقراءات والاعراب⁽¹⁴³⁾.

(138) اتحاف اعلام الناس.. 4 : 247 — 248.

(139) من اعلام .. 2 : 12.

(140) المرجع نفسه : 1 : 236.

(141) ذكريات من ربيع الحياة ص : 27.

(142) الاستاذ عبد القادر الصحراوي : القرآن المبين (دعوة الحق ع 3، س 11 شوال 1387 يناير 1968

ص : (98 — 102).

(143) مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي 1 : 2.

ونلاحظ أنه يصلح جدا ليمهد به الشيخ إلى درسه التفسير بالمأثور من خلال كتاب التفسير في صحيح البخاري.

وهكذا تماسكت حلقات المصادر التي انتقاها العلامة البارع الشيخ أبو شعيب الدكالي من أجل تدريسه تفسير القرآن الكريم بالعدوتين، فلا غرابة أن اعطت جهوده العلمية والتوجيهية ثمارها في الجيل الذي جاء بعده من طلبته.

فالشيخ المدني ابن الحسني يحدو حدو شيخه أبي شعيب الدكالي فيدرس التفسير من صحيح البخاري،⁽¹⁴⁴⁾ وهذا يدل على تأصيل التفسير بالمأثور في نفوس طلبة العلم، وأنه أنسب مسلكا بأهل السنة والجماعة، وأكثر نجاة من الوقوع في المناهات..

ولكن بما أن الحركة السلفية بالمغرب التي بثها الشيخ أبو شعيب الدكالي وأتباعه من تلامذته، كانت تهدف إلى تحرير المغاربة من التخلف الفكري والعقدي والعودة بهم إلى الإسلام المصنّف من كل الشوائب التي علقت به وهو منها براء، وتهدف أيضا إلى تحريرهم من ربة الاستعمار بتوعيتهم من خلال الدروس الدينية التي يحضرونها، فإنه قد امتزج في هذه الحركة الديني بالاجتماعي والسياسي.. ومن ثم تلهف تلامذة الدكالي على ما يأتي من المشرق من الكتب والمجلات الرائدة مثل المنار التي كان ينشر فيها التفسير تباعاً وهذا أدى إلى تأثر بعض رجالات العلم المغاربة بمدرسة المنار في التفسير ومنهم من سار يدرس التفسير بسلا من خلال تفسير القرآن الحكيم للسيد محمد رشيد رضا مثل صنيع القاضي أبي بكر زنيير⁽¹⁴⁵⁾.

ونحن نعلم أن تفسير المنار نمط خاص في تأويل كلام الله، فمؤلفه يحاول فيه غالبا التوفيق بين آثار السلف وبين مقتضيات العصر الحاضر، ويحالفه النجاح في أكثر محاولاته إلا أنه أحيانا يستمسك ببعض الآراء الضعيفة، ويدافع عنها بقوة دون جدوى.. ولكن الأسلوب الذي يصدر عنه يدل — بوجه عام — على تعمقه للأسلوب القرآني، ودراسته على أنه كتاب هداية وإعجاز...⁽¹⁴⁶⁾

ويكفي أن يعلم الخاص والعام أن أثر تفسير المنار مسجل بالمغرب، ليس فقط على صعيد تدريسه في المجالس التفسيرية الشفوية، أو الإعجاب به، واقتناء المجلة التي ينشر فيها، وإنما أيضا في مجال احتذاء حدوه، والتأثر به كتابة وتأليفا، فأبو بكر زنيير يتأثر بمنهج هذا التفسير ويعجب به إلى حد بعيد، فلم يكتف بتدريسه في مجالسه التفسيرية وإنما جلس للنسج على منواله

(144) من اعلام... 1 : 236.

(145) مقدمة تفسيره المخطوط «ارشاد الله».

(146) مباحث في علوم القرآن : صبحي الصالح ص : 297.

والمصدر الأخير الذي دُرِّس بالمجالس الحرة للتفسير هو مفاتيح الغيب للرازي، وقد أقرأه العلامة زين العابدين بنعبود،⁽¹⁴⁸⁾ ولعل الرجل كان يعجبه فيه التوسع أو الاعتناء بالمباحث الكونية والطبيعية والتناسب.. مما له علاقة بالتفسير العلمي الذي شاع وذاع في هذا العصر.. وبعد إنشاء دار الحديث الحسنية درس فيها بعض الاساتذة أحكام القرآن لابن العربي ومن بينهم العلامة السيد عبد الرحمان الغريسي،⁽¹⁴⁹⁾ وهو ممن تلقاه على الشريف مولاي احمد البلغيثي برحاب القرويين، وكان محققاً في اختيار هذا المصدر لطلبة الدراسات الاسلامية العليا، وما من شك أنه اعتمده غيره من الأساتيد في التدريس بهذه الدار الحسنية المباركة، ولكن الغالب في التعليم العالي أن يدرس الاستاذ التفسير بمحاضراته التي يعتمد فيها على أكثر من مصدر، لأنها تكون بمثابة مشروع مؤلف في التفسير، كما وقع لدروس العلامة علال الفاسي في علوم القرآن والتفسير التي طبعت مؤخراً⁽¹⁵⁰⁾.

3) التطورات الحاصلة فيه :

لايسع الباحث في الحياة العلمية للعدوتين، وفي أعلام العدوتين قديما وحديثا، إلا أن يعترف بالنبوغ والابداع لأهل هاتين المدينتين العريقتين مما جعلهما تتمتعان منذ قرون وإلى اليوم بوفرة العلم والعلماء، وأسباب الرقي والازدهار، ولا غرو في ذلك فقد تلاقت فيهما الاجناس والافكار، وتوحدت الأهداف بفضل الدين الاسلامي، والسعي إلى خدمة العلم والرفع من شأنه وشأن أهله، مما جعل المدينتين تجودان على مناطق المغرب الأخرى بما توافر لديها من العلماء النجباء أو ما تأوي إليها من بعض الشيوخ أو الطلبة النبهاء.

وإذا كان يحق لنا القول بوفرة حظوظ كثيرة للعدوتين في مختلف المجالات وفي الجوانب العلمية منها على الخصوص في مختلف ألوانها ومشاربها، فإن الأمر في مجال التفسير والاعتناء به وعلوم القرآن في الفترة المعاصرة، قد حظي باهتمام كبير من أبناء العدوتين على حد سواء، وذلك بفضل وجود مشايخ سعوا في وقت مبكر من أجل بعث هذه النهضة العلمية في تفسير كتاب الله، بعد أن كان محاطا بأنواع من الخرافات والأوهام والدسائس المغرضة.

(147) سيأتي الكلام موثقاً على هذه النقطة في الباب الأخير من هذا البحث.

(148) تراجع ترجمته في هذا الفصل.

(149) اتحاف ذوي العلم والرسوخ ص : 72.

(150) فصل علوم القرآن من هذا البحث.

وإذا كان الشيخ ابراهيم التادلي قد امتحن وسجن من أجل تدريس العلم بالعدوتين من قبل القاضي ابي زيد البريري⁽¹⁵¹⁾، فإن هذا الامتحان الذي أصيب به هذا العالم المخلص، وإن كان عُسرًا عليه، فقد أعقبه يُسر انتفعت به الأجيال من بعده، وازدهر به العلم في العدوتين بصفة عامة ودرس التفسير بصفة خاصة.

ولئن كان هذا الدرس قد درج متعثرًا على يد الشيخ التادلي، وحاول النهوض في حلقات الناصري — إلا أنه لم يكن أو ان هذا النهوض — فإن هذا الدرس التفسيري قد انعشه الشيخ أبو شعيب الدكالي واستطاع أن يقويه بثقافته الحديثية وتكوينه الفقهي واللغوي، ومعرفته بعلوم القرآن والقراءات ورحلته إلى المشرق تلك الرحلة التي أكسبته خبرة واطلاعا على دروس نماذج مختلفة من العلماء⁽¹⁵²⁾ فكان وجوده بالمغرب وبالعدوتين على الخصوص في ظرف اشتدت حاجة الأمة فيه لأمثاله، فسخرته العناية الالهية لتغترف من معارفه النافعة أجيال النابهين فكان شمسًا في عصره⁽¹⁵³⁾ إذ عرف كيف يسير بدروسه التفسيرية تدريجيًا كما أسلفت، مما جعل الآخذين عنه يبنون على اساس، ويعرفون كيف يُوظفون المقروء، ويحكمون الصلة بينه وبين طموحات أمتهم، ويقدمون الاخلاص والتفاني مبدأ أساسيا في النهوض بأمتهم، وانكبوا على مواصلة الرسالة العلمية وانتعشت على أيديهم الدراسات القرآنية والحديثية، وطمحوا إلى إمداد أمتهم بتفسير مكتوبة، ولم يقنعوا لها بالدروس التفسيرية وحدها.

وإذا كانت دروس التفسير في القرويين قديمة بقدم تلك الجامعة وقدم العلم فيها، ورأينا كيف هي حالة هذا الدرس بالقرويين في الفترة المعاصرة فإنه يمكنني القول بأن علماء القرويين في الفترة المعاصرة — الذين وجد منهم في مطالع الرابع عشر الهجري حوالي المائتين⁽¹⁵⁴⁾ وبالعدوتين قلة قليلة جدا⁽¹⁵⁵⁾ إذا ما قورنت بالمائتين — لم يستطيعوا أن يكتبوا تفسيرًا تامًا للقرآن منذ عهد الشيخ أحمد بن عجيبة صاحب (البحر المديد) إلى اليوم، فإن ما كتبه معاصره الشيخ الطيب ابن كيران غير تام، وكذلك ما كتبه الشيخ حمدون هو عبارة عن حواش وتفسير

(151) الاغتباط ص : 369/ مجالس الانبساط ص : 242.

(152) جامع القرويين 3 : 735.

(153) للفيقي محمد الحجوي مآخذ على الشيخ أبي شعيب الدكالي أرجعها إلى قلة ضبطه الناتج عن الثقة في حفظه، وانشغاله بأمور السياسة التي تلهي عن العلم، وقد سجل الحجوي هذه المآخذ في كتابه «مختصر العروة الوثقى» ص : 59 وما بعدها.

(154) جامع القرويين 3 : 574.

(155) يراجع الاغتباط : 298، والاتحاف الوجيز.. ص : 134 وما بعدها.. والاستقصاء الجزء 9.

سور وآيات⁽¹⁵⁶⁾ وعلى أي حال فإن كل هذه النتاجات العلمية التفسيرية لا تمثل تفسيراً تاماً باستثناء تفسير ابن عجيبة المتوفى (1224هـ) (157).

بينما الأمر على خلاف ذلك في الرباط وسلا، فقد أثمرت دروس التفسير وأُنِعت ثمارها، وتولدت عنها دوافع التفكير الفعلي في كتابة تفاسير للقرآن الكريم تستجيب لطموحات الأمة الإسلامية عموماً والمغربية خصوصاً.

ومع ذلك فإنه ينبغي أن يسجل أيضاً أن العمل العلمي بالعدوتين في هذا المجال يكاد يصطبغ بالصبغة الفردية التي تنطلق من قناعة شخص معين، يعتمد طاقته وذخيرته وجهده الفردي دون أن يجد من يؤازره بالتشجيع وتذليل الصعاب إلا في القليل النادر، مثل ما حدث لأبي بكر زنيير في محاولته الجادة لكتابة التفسير.

في حين أننا إذا عدنا لدواعي التفسير عند ابن عجيبة فإننا نجد دواعي قوية، فشيخه يحفزه ويدفعه لذلك بل شيخ شيخه أيضاً ينتدبه لكتابة التفسير،⁽¹⁵⁸⁾ ونحن نعلم وزن أوامر الشيوخ في عهد ابن عجيبة العالم المتصوف، فهو تلميذ بالطلب العلمي، ومريد بالطريق والسلوك، ومن قال لشيخه لم ؟، لم يفلح دائماً.. !

فأين نجد أمس، أو اليوم الشيخ الذي يكون عالماً إلى درجة المفسر، وينتدبه انتداباً جاداً لخدمة كتاب الله بالتفسير والبيان ؟ وأين نجد الطالب المقتدر في درجة ابن عجيبة وينصاع لأوامر شيخه من أجل إنجاز علمي ضخم جداً ؟.

إن علماء العدوتين — رحمهم الله — في رأيي المتواضع قد خدموا تفسير كتاب الله من خلال تنشيطهم لدرس التفسير وتنويعهم لمصادره في القرن الأخير، وكانوا جادين في هذا الميدان إلى حد وضع تفاسير، وحواش على كتاب الله مثل ما فعل التادلي ؛ والطموح إلى كتابة تفسير عصري مثل ما فعل أبو بكر زنيير في تفسيره «إرشاد الله»، والشيخ محمد المكي الناصري في «التيسير في احاديث التفسير».

واملي أن تزداد الشعلة العلمية الإسلامية انتقاداً في إطار البحث العلمي الجامعي الجاد لتنتج حلقات دراسية في التفسير بالعدوتين على غرار سابقتها أو أحدث وأبدع، ومن خلال تلك الدروس التفسيرية الجادة والمنهجية يقترب الناس أكثر من القرآن الكريم ويشغلوا أنفسهم بخدمته والعمل بما فيه وتفتدي بذلك كل الجهات الأخرى بإذن الله...

(156) مقالة الأستاذ المنوني بمجلة دار الحديث الحسنية العدد 3. 1403 — 1983.

(157) المرجع نفسه.

(158) مقدمة البحر المديد مخطوط بالخزانة الحسنية رقم : 1121 ز/ وطبع منه أحد المستشرقين جزءاً.

الفصل الثالث درس التفسير بمراكش

تمهيد :

مدينة مراكش من حواضر المغرب الشهيرة بماضيها العريق في المجد والعلم والحضارة، ومنها تم تسيير دفة الحكم ببلاد الغرب الاسلامي على عهد المرابطين والموحدين، والسعديين، وبعض الملوك العلويين⁽¹⁾.

وهي فوق هذا وذاك عاصمة المغرب الجنوبي المفتوح بإشعاع حضاري عريق على الصحراء، وبلاد الساحل وافريقيا، ومن شدة شهرتها أطلق اسمها على المغرب ككل في العصر الحاضر. وقد نالت مراكش حظها من الحضارة العربية الاسلامية بالأندلس ووصلتها التفاعلات الفكرية والابداعات الفنية والعلمية التي عرفت المنطقة، وصارت مراكش مركزا من مراكز العلوم والفنون، وشيدت بها المعاهد الدينية الكبرى، والمساجد والمدارس العلمية والمصانع، والقصور، والبساتين والرياض على درجة عالية من الأناقة والتفنن المعماري⁽²⁾.

وفي مطالع القرن الأخير فاقت مساجد هذه المدينة المائة مسجد،⁽³⁾ من أعظمها أربعة :

1 — مسجد الكتبيين وقد شيده السلطان عبد المومن الموحدي عندما فتح مراكش عام 537هـ، وقد بنى منارته الخالدة والذائعة الصيت «بالكتيبة» السلطان يعقوب المنصور عام 594هـ.

2 — مسجد القصبة : وهو أيضا من إنشاء المنصور الموحدي مع القصبة.

3 — مسجد المواسين : أسسه السلطان الغالب عبد الله بن محمد الشيخ السعدي في عقد السبعين بعد التسعمائة للهجرة.

(1) السلطان سيدي محمد بن عبد الله هو أول ملوك العلويين الذي اتخذ مراكش عاصمة الملك واستمرت بعده في ذلك إلى العصر الحاضر الذي حولت فيه العاصمة السياسية إلى الرباط.. (آسفي وما إليه ص : 60) — (61).

(2) انرجع نفسه ص : 60 / الاعلام للمراكشي 1 : 58 وما بعدها.

(3) ذكر الفقيه الكانوني 123 مسجد على وجه التحديد (آسفي وما إليه ص : 61) الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين 1 : 82 / وفي الاعلام للمراكشي أن مساجد مراكش 1/136 : 94 السعادة الابدية لابن المؤقت المراكشي. ص : 7.

4 — مسجد علي بن يوسف اللمتوني، وقد شيده مع سور مراكش.

وهذا المسجد قام بتجديده السلطان مولاي سليمان العلوي في بداية القرن الثالث عشر الهجري، وبناه بناء ضخما، ونقض منارته، وشيد أخرى بديعة — رحمه الله تعالى —.

وهذا المسجد بمراكش هو نظير جامع القرويين بفاس من حيث الدراسة العلمية، وفي الدرجة الثانية بالمغرب من جامع القرويين، وهو المعروف بجامع ابن يوسف عند العام والخاص، وبه تلقى الدروس في حلقات علمية من تفسير وحديث وفقه وأصول، ولغة، ونحو، وصرف، وإعراب ومنطق وبيان، وعروض وأدب، وفلك، وتاريخ وغيرها..

وآمل في ظل النشاط العلمي الذي تعرفه مدينة مراكش في مختلف مساجدها ومدارسها العتيقة، معاهدها وكلياتها المستحدثة أن أتبع درس التفسير عند علماء هذه المدينة في القرن الأخير من خلال النقاط الآتية :

1 — الحياة العلمية بمراكش.

2 — درس التفسير بمراكش.

أ — شيوخه

ب — مصادره

ج — تقويم

1) الحياة العلمية بمراكش :

إن مدينة مراكش من المدن المغربية ذات التاريخ الحافل والصيت البعيد وهي معدودة من مراكز العلم، منذ القديم، ليس في المغرب وحده، وإنما في العالم الاسلامي أيضا، ولذلك قيل : إذا صح الدليل أو توجه التأويل — ان العلم ولد بمكة، وربى بالمدينة، ودق بمصر، وغربل بالأندلس، وعجن بمراكش وأكل بفاس...⁽⁴⁾.

ومهما يكن فإن البلدان المذكورة في هذه القولة تعد من ينابيع العلم، ومحط أربابه، كما أنها تعد مناخا ملائما ومساعدة على انتشار العلم لكونها قبلة للعديد من القاصدين والزوار والمقيمين.

وقد عرفت مراكش أطوارا وتقلبات سياسية عديدة حسب الدول التي حكمت المغرب طبع الحياة العلمية، ففي عهد التأسيس كان المرابطون يتبعون المذهب المالكي ويدافعون عنه، ويعتنون بالفقهاء، ويقربونهم ويستشيرونهم في الملمات ويولونهم المناصب العالية في الدولة،

(4) الاعلام للمراكشي 1 : 146.

مما جعل نفوذ الفقهاء يقوى في العهد اللمتوني واحتاجت الدولة الموحدية إثر ذلك إلى الحد من نفوذ الفقهاء بإعلانها العودة إلى الأصلين الكتاب والسنة ومحاولتها تأسيس المسائل الفقهية على النصوص⁽⁵⁾.

وفي العهد السعدي كان الاعتناء بالفقه وبالأصلين معا⁽⁶⁾ وكذلك الشأن في العصر العلوي، إلا أنه طغى فقه الفروع الذي لا يهتم بالعود إلى النصوص، وظل يأخذ عن طريق المختصرات والشروح والحواشي التي تساهم في تعقيده واحتياج طالبه إلى مدة طويلة من الزمن من أجل تحصيله دون معرفة أصوله ومعاقده، مما جعل السلطان سيدي محمد بن عبد الله يرفع عقيرته مطالبا بإصلاح حال التعليم، وبضرورة الاعتناء بالكتاب والسنة وتدريسهما، واعتماد أمهات كتب الفقه المالكي بدلا من كتب المتأخرين التي تحجب وتعقد كثيرا من مسائل فقه المذهب وتشعبها بكثرة التخمينات والافتراضات التي قد تقع أو لا تقع. وقد عمل على نقل علماء من أنحاء أخرى إلى مراكش وطلب منهم أن يقوموا بالتدريس ويحضروا مجالسه الحديثية⁽⁷⁾.

وتابعه نجله المولى سليمان في تنشيط الحركة العلمية عموما وعلوم القرآن خصوصا وهو الذي أرسل السيد عبد السلام اليزمي⁽⁸⁾ من فاس إلى مراكش، ورَّحَّله إليها لما أنف من حضور درس المختصر الذي يلقيه الشيخ الطيب ابن كيران، وقد كان السلطان المولى سليمان رَغَمَ العلماء على حضوره،⁽⁹⁾ وكان في هذا الشأن فائدة لحلقات العلم بمراكش فقد درس هذا الفقيه جميع مقروءاته التي علقت في لائحة وألصقت بجدار باب القيسارية من المسجد اليوسفي وبقيت على ذلك حوالي ستة أشهر⁽¹⁰⁾، من أجل أن يطلع عليها العام والخاص، إعلانا بمجيء هذا الفقيه لنشر دروس العلم بالمدينة.

وكأن المولى سليمان بفعله هذا، قد جاء لأهل مراكش بأحسن مما كان في فاس من العلماء وكفاهم بذلك تجشم أعباء الرحلة إلى فاس، وفيه أيضا إشارة إلى تأكيد أن نفحة العلم الاسلامي الموجودة بالمغرب الأقصى في كل العصور كان أصلها ومصدرها جامع القرويين المبارك.

(5) المعجب.. ص : 400 — 401 — 402.

(6) ينظر درس التفسير بالقرويين من هذا البحث. ص :

(7) ينظر درس التفسير بالقرويين من هذا البحث ص :

(8) الاعلام للمراكشي 8 : 485.

(9) المرجع نفسه.

(10) المرجع نفسه.

ويذكر احمد أكنسوس (ت. 1294هـ)⁽¹¹⁾ في الجيش العرمم أن المولى سليمان — وهو الولوع بالتفسير وعلوم القرآن — سأله يوما على جهة الاختيار عن قوله تعالى : ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾⁽¹²⁾ مع ما كان العرب يقولون : إنه لا أوجز منه في كلامهم، وهو قولهم : «القتل أنفى للقتل» فذكر له ما قاله السعد في المطول على التلخيص⁽¹³⁾، وكان أكنسوس على عهد قريب بذلك — فأعجب السلطان جوابه على البديهة ومن ثم حظي عنده بالعناية والتقدير وصار يقدمه على صغر سنه في مجالسه..⁽¹⁴⁾ تشجيعا منه للعلم وللمعرفة بأسرار كتاب الله تعالى..

وإذا حاولنا التعرف على الأحوال العلمية بمراكش في النصف الثاني من القرن الثالث عشر، ومطالع الرابع عشر الهجري، فإننا نجد حركة علمية دؤوبة ينشطها العديد من الفقهاء الذين درسوا بفاس أو درسوا في مراكش على علمائها والوافدين عليها وأغلبيتهم يتعاطون القضاء بالعاصمة الحمراء، ويزينون مجالس العلم بمراكش بحلقاتهم الدراسية، ومنهم من كان يُلزم العُدُول وطلبة المدارس بحضور دروسه في المختصر والموطأ وغيرها مثل ما كان يفعله القاضي العربي ابن المقدم المنيعي (ت. 1318هـ)⁽¹⁵⁾، وهناك دروس الفقيه ج محمد بن أحمد أزنيط الذي درس بمراكش نحو من أربعين عاما ماترك التدريس قط إلى أن توفي عام (1317هـ)، وانتفع بدروسه لبساطتها، ومعرفته بفن التدريس، العديد من طلبة البادية والحاضرة على اختلاف طبقاتهم وكان فقيها أصوليا محدثا،⁽¹⁶⁾ ومثل دروس العلامة علي الدمناقي البوجعماوي⁽¹⁷⁾ ذي الثقافة العالية المشارك في العديد من العلوم والفنون، وزادته مواولة التدريس والتأليف شأواً عظيما في العلم والمعرفة، ودروس العلامة محمد بن ابراهيم السباعي (ت. 1332هـ)⁽¹⁸⁾.

ولكن الملاحظ على هذه المجالس التدريسية والحلقات العلمية أنها كانت تركز كثيرا على جانبي اللغة والفقه فهم يمعنون في النحو والصرف والإعراب مع اعتناء في المستوى العالي بالبيان والمنطق، وفي الفقه يهتمون كثيرا بدراسة مختصر خليل ورسالة ابن أبي زيد، فضلا

(11) المرجع السابق 2 : 324.

(12) البقرة الآية : 178.

(13) يراجع في ص : 236 و 287 من المطول، مطبعة البوسنوي 1304هـ.

(14) الاعلام للمراكشي 7 : 14 — 15.

(15) المرجع نفسه 9 : 37 — 38.

(16) المرجع نفسه 7 : 111.

(17) السعادة الابدية لابن المؤقت ص : 112/المعسول 18 : 77 / الاعلام للمراكشي 9 : 255.

(18) المرجع نفسه 7 : 192.

عن المرشد المعين في أوليات الدراسة كما يدرسون تحفة ابن عاصم، والفرائض والحساب والتوقيت وما إلى ذلك.

أما تعاطيهم لعلم الحديث، فهو قليل،⁽¹⁹⁾ إلا أنهم يكثر من سرد صحيح البخاري في المناسبات الدينية خصوصا شهري شعبان ورمضان ليختموه سردا مع نهاية شهر الصيام⁽²⁰⁾، كما أنهم يلتجئون إلى سرده إذا حل بهم مكروه، من ذلك أنه لما مات السلطان محمد الرابع، صار قاضي الوقت آنذاك، وهو محمد بن المدني السרגيني المراكشي (ت. 1295هـ) — يسرد صحيح البخاري بضريح مولاي علي الشريف، والفقير محمد المدني بن المعطي السرجيني يسرد صحيح مسلم، حتى ختم كل منهما ما كان يقرؤه بمحضر العلماء والقضاة والشرفاء، «وكان ذلك اليوم عظيما أعطي فيه الصدقات وأطعم فيه الضعفاء والطلبة وغيرهم، وكان الوقت وقت غلاء»⁽²¹⁾.

وغير خاف أن هناك فرقا كبيرا بين الاكتفاء بسرد الصحيح أو الصحيحين أو غيرهما من كتب الحديث المعتمدة قصد التبرك بذلك في مناسبات دينية أو لإصابة الناس بمكروه، وبين دراسة الصحيحين دراسة بحث وتحقيق، وفق منهج أهل الشأن من المحدثين، فالطريقة الثانية هي الأصل والأساس وهي العمدة والغاية، كما أن نيتها هي المرجوة من وراء السرد والحفظ والتأمل في النصوص الحديثية التي هي بيان لكتاب الله تعالى والمصدر الثاني في التشريع الاسلامي.

والحقيقة أن الفقهاء الذين عرکوا اللغة العربية وفقه الفروع، توجد طبقة منهم قادرة على فهم النصوص الشرعية وقادرة على العطاء، إن وجدت التوجيه والتحفيز لذلك، وبإمكانهم لو تعاطوا بقليل من الجهود التي يصرفونها في فهم غوامض فقه النوازل إلى علوم القرآن والحديث لأمكنهم أن يضربوا فيها بسهام الفهم، ولوجدوها مطاوعة لهم أكثر من غيرها، لكنهم كانوا منصرفين إلى ما كان نافعا في مجتمعهم، ويسألون عنه باستمرار، وهو فقه النوازل وصناعة الإنشاء، وعلم الحساب الذي يساعدهم في علم الفرائض هذا فضلا عن اقتدائهم بمشايخهم فيما كانوا يتلقونه عنهم من العلوم والفنون، التي قل أن يوجد بينهما المعرفة بالاصلين، وهذا حكم يكاد ينسحب على الأغلبية فيما أرى، فقد حاولت أن أعثر من خلال تراجم كتاب «الاعلام» للمراكشي على حصص دراسية لعلماء آخر القرن الثالث عشر والنصف الأول من

(19) الاعلام للمراكشي 1 : 146.

(20) المرجع نفسه 9 : 255، 194 / 7 : 19، 64، 132، 133.

(21) المرجع نفسه 7 : 20.

القرن الرابع عشر للهجرة، تكون لها صبغة الخروج عن العلوم المألوفة الى تدريس الكتاب والسنة تدريسا عميقا هادفا إلى تأصيل مسائل الفقه، فوجدت أغلب المترجم لهم في هذه الفترة فقهاء من النوع الذي ذكرت لا يخرجون عن طوقهم — أذكر منهم على سبيل الذكر لا الحصر الفقيه السيد محمد التتيفي⁽²²⁾، والسيد سعيد جيمي⁽²³⁾، والحاج محمد بن احمد ازنيط⁽²⁴⁾، ومحمد بن ابراهيم السباعي⁽²⁵⁾، واحمد بوغريال⁽²⁶⁾، والحاج علي القرمودي⁽²⁷⁾، وعلي بن الفاضل ابن مريدة⁽²⁸⁾ ومن في مستوى هذا القبيل من الفقهاء القضاة.

لكن هناك فئة أخرى من الشرفاء الوافدين على مراكش عاصمة الملك من الصحراء الجنوبية الشرقية من سجلماسة وتافيلالت ومدغرة والغرفة ودرعة وتمكروت فهؤلاء كانوا ينشئون الحمرى بالعلوم التي كانوا يتقنونها وظلوا محافظين على تدريسها والاعتناء بها مع إيغالهم في اللغة والفقه ايضا، وأقصد علوم القرآن والتفسير⁽²⁹⁾ فهم يتعاطون للقراءات والتجويد ويتقنون الاداء التطبيقي للتجويد خاصة أبناء «الغرفة» المشهورين بقرية «أمسفي»⁽³⁰⁾ بهذا الفن الذي كاد يندثر بين قراء المغرب وأصاب قِرَاءَةُ القرآن ما أصابها من ضعف وتدهور نتيجة قلة من يحسن أداء كتاب الله أداء سليما، لكن علماء تافيلالت حافظوا على هذا العلم، ومازالوا ينشرونه بمراكش إلى يومنا هذا — ومثل ذلك يقال عنهم في شأن ناسخ القرآن ومنسوخه وأسباب النزول وغيرها من علوم التفسير⁽³¹⁾ كل ذلك يعتنون به تمهيدا لدراسة التفسير والتخصص فيه، فقد جاء أحدهم إلى السلطان المولى عبد الرحمن بعد أن طلبه من قاضي سجلماسة، مولاي الصادق المدغري⁽³²⁾، وأمره بإقراء أولاده بقبيلة حِمير مبادئ العلوم

(22) الاعلام للمراكشي 7 : 30.

(23) المرجع نفسه 10 : 150.

(24) المرجع نفسه 7 : 111.

(25) المرجع نفسه 7 : 192.

(26) المرجع نفسه 2 : 418.

(27) المرجع نفسه 9 : 265 (سألت عن أصوله أحد المعمرين بأقرمود فذكر لي أنه من أولاد الحاج أحمد بدوار المكادمة).

(28) المرجع نفسه 9 : 255.

(29) ينظر الاعلام للمراكشي 3 : 206.

(30) أمسفي «قرية من قرى «الغرفة» بالريصاني (الاعلام للمراكشي 7 : 145) اشتهرت بالعلماء والقراء على الخصوص.

(31) المراكشي 3 : 206.

(32) ترجمته في الاعلام للمراكشي 2 : 339.

كالمقدمة في النحو، فأجاب بأنه يصلح لقراءة التفسير والحديث والفقه فما كان من السلطان إلا أن أذن له في التدريس بالجامع اليوسفي، فشرع فيه وحضر عنده طلبة مراكش..(33) وهذا العالم هو سيدي محمد بن عبد الرحمن المدغري المتوفى عام 1299هـ(34).

وفيما يرجع إلى أحواز مراكش نقف على إشارة وجيهة للحياة العلمية في الفترة المتحدث عنها للعلامة الوزير محمد المختار السوسي، وهو يتحدث عن نشاط علماء سوس «التمجدشتيين» بسوس وخارجه، فهو يرى أنهم رفعوا راية المعارف بسوس وتجاوزوا بها الأطلس إلى قبائل الحوز «فتأسست من 1242هـ مدارس مزروضة، وأبي السباع، وكدميو، ومسفيوة، والرحامنة وكل قبائل الحوز وما إليها»(35).

لكن يعلق على البتر الحاصل في هذه الجهود والذي كان السبب في عدم تواصل الحلقات العلمية بين القرون السابقة واللاحقة إذ لو كانت «الجهود التمجيدشتية تجمع كل الفنون التي كانت يعتنى بها قبلها ثم بثتها بهذه الهمة لكنا نرى حلقتي الثالث عشر وما بعده متصلتين بحلقات الثاني عشر وما قبله إلى التاسع»(36).

وهذا يؤيد ما قلته سابقا من أن الاعتناء ينحصر فيما تلقاه الفقيه عن شيوخه، وينحصر أيضا فيما يسأله عنه مجتمعه بصفة عامة، فالعلوم غير النافقة تضمحل ويقل الاعتناء بها وإن وجد من يحسنها أو يعرفها، وهذا يعكس لنا تأثر المقروء بالواقع المعيش، وإلا ما أمكن للتمجدشتيين الاستغناء عن فنون وعلوم أخرى كان أسلافهم يدرسونها ويعتنون بها.

وفي الفترة الموالية لمطالع القرن الرابع عشر الهجري وأقصد النصف الأول منه، نجد أن الحياة العلمية بمدينة مراكش تتضرر بالأوضاع السياسية التي اضطربت في البلاد بسبب التدخلات الأجنبية وبالثورة الحفيظية(37)، ونجد المؤرخ الكانوني — رحمه الله — يتحدث عن الجنوب المغربي في هذا الدور قائلا: «وأما هذا الجنوب المغربي فإنه في الدور الأخير وبالأخص الدور العزيزي والحفيظي عندما تقلص ظل السلطة — قَدُمْنِي بعمال مستبدين، فأنصبوا على الرعية يرهقونها ظلما وجورا، ويمطرونها نهباً وعسفاً، فسفكت الدماء بسبب وبلا سبب...»(38).

(33) المرجع نفسه 7 : 38.

(34) نفس المرجع والجزء والصفحة.

(35) سوس العالة ص 30.

(36) المرجع نفسه.

(37) الاعلام للمراكشي 7 : 236 وما بعدها.

(38) آسفي وما اليه.. ص : 156 — 157.

وقد سبق له أن أشار إلى تدهور الحالة العلمية والأدبية في هذا الدور تدهورا مريعا بصفة عامة وانقلب الناس عن العلم إلى الشهوات فخلت رباغ العلم وقلت أشياعه وأنصاره..⁽³⁹⁾. وإذا علمنا ما أشار إليه الفقيه العباس بن احمد الكردودي⁽⁴⁰⁾ في مقالة له سماها (بطانة السوء الملتفة حول الوزير)⁽⁴¹⁾ ويقصد المدني الجلاوي، الذي كان مضطلعا بمسؤوليات جسام في الدولة، ومع ذلك كان يخضع لبطانة سيئة تحول بينه وبين التطلع على ما يجري في البلاد داخليا وما يحاك ضدها خارجيا من ذلك أن هذه البطانة صارت تُبْلَغُه بأن فلانا يقرأ الجرائد، وإن أردت امتحانه فعليك به، وصارت الجرائد في عرف هذه الفئة الخدقة بمسؤول كبير سُبَّة وعارا حتى في ميدان السياسة مع العلم أن الجرائد أصبحت لسان «جميع الأمم، وأول مصلح في العالم، وأول رابط بعضه ببعض (...). ظهرت في هذا المغرب هذه ما يزيد على السبع سنوات، وهي تنادي بملء فيها بالحقيقة تشيد بوجود الاجتماع، تقرر ما ينفع حالا واستقبالا (...) إلى الآن لم تحر أدنى اعتبار من الطبقة التي تريد أن تدير دفة السياسة بالمغرب في الداخلية والخارجية المكتنف بالضواري، بل تُقَرَّرُ في دار ندوتها محاربة كل ذلك ولا إخال إلا أنها تظن أن بذلك تدوم سلطتها، فلا وربك لا يكون هذا قطعا، لأن انعكاس الحقائق وقلب الأعيان أمر متعذر...»⁽⁴²⁾.

وهكذا مرت على المغرب فترة عسيرة من بعد موت السلطان الحسن الأول رحمه الله سنة 1311هـ إلى تنازل المولى عبد الحفيظ على العرش لأخيه المولى يوسف سنة 1330 هـ، إذ بعد ذلك دخل المغرب في عهد الحماية الفرنسية وبدأت الحياة العلمية تنتعش نوعا ما في العهد اليوسفي رغم المضايقات الاستعمارية لكنها ستعرف نَفْساً جديدا على يد السلطان محمد الخامس الذي قام يَدشَن المدارس التعليمية الحرة، وقد أسس في مراكش منها على الخصوص مدرسة الفلاح للمحسن مولاي أحمد البعمراني بباب دكالة، والعبدلاوية بدرب الحلفاوي بالباب نفسه، وأخرى بالقصبة للبعمراني المذكور.. وغيرها من المدارس الحرة العصرية التي كان لها أثر كبير في تثقيف أبناء الشعب — كما نظم جلالته الدراسة بالمعهد اليوسفي،⁽⁴³⁾ فكان باعث تجديددها مثل ما كان باعث الإصلاح التعليمي بالقرويين، وانتفعت بالمعهد اليوسفي فئات عريضة من أبناء الضعفاء والمحرومين كما ساهم الشيخ محمد المختار السوسي في انعاش

(39) المرجع نفسه ص : 156.

(40) الاعلام للمراكشي 7 : 241.

(41) المرجع السابق 7 : 241.

(42) المرجع نفسه.

(43) النظام الاداري بالمغرب عبد الحميد بنشهو ص : 247.

الحركة الثقافية بمراكش من خلال الدروس التي كان يلقيها بالزاوية الدرقاوية بالرميلة والتي انتفع بها العديد من الطلبة، وكانت نبراسا لنشر الوعي الوطني بين الطلاب، وفي عهد الاستقلال اكتمل الاشعاع العلمي، وأسست كليات عديدة بمراكش من أجل العلوم الاسلامية والعربية والعلوم الانسانية والدقيقة ومعاهد البحث العلمي والتربوي وغيرها. ومراكش تسترد إشعاعها ومجدها يوما عن يوم لتؤدي رسالتها الحضارية العريقة وتواصل السير دون تعثر ماسكة بزمامي الأصالة والمعاصرة.

(2) درس التفسير بمراكش :

إذا أردنا أن نعرف تاريخ هذا الدرس بهذه المدينة فإن هذا أمر يصعب حصره، ويحتاج وحده إلى بحث حافل بجملة العلماء الذين حلوا بمراكش، وتعاطوا فيها للتفسير وعلوم التفسير، وأصول التفسير كما فعل الحارلي التُّجيبِي⁽⁴⁴⁾ — رحمه الله — وغيره كثير، مثل ابن العربي المعافري، والسهيلي وعياض وابن عظيمة وغيرهم.

ولكنني سألتزم بالتحدث عن الفترة التي يشدني إليها هذا البحث وهي مائة سنة الأخيرة فمن خلال ما استعرضته من أضواء على الحركة العلمية بمراكش في النصف الأخير من الثالث عشر ومطالع الرابع عشر، يظهر أن درس التفسير كان موجودا ولكن وجوده وجود خافت لا يساعده على الظهور والحضور في تراجم معظم علماء الفترة..

وينقل محمد المختار السوسي كلاما عن (رحلة الوافد)⁽⁴⁵⁾ مفاده أن قراءة التفسير بمراكش كانت ممنوعة في القرن الثاني عشر للهجرة، فقد تصدى العلامة الافراني صاحب (الصفوة)⁽⁴⁶⁾ لتدريس التفسير بمراكش فقامت القيامة عليه، فمنع من ذلك وكان هذا على عهد السلطان المولى اسماعيل العلوي..⁽⁴⁷⁾

وما من شك أن هذا المنع السلطاني سيقى له الأثر والوقع في النفوس تجاه هذا الدرس التفسيري، لكن السلطان سيدي محمد بن عبد الله الذي حول عاصمة الملك إلى مراكش وهو صاحب الإصلاحات التعليمية المشار إليها سابقا، سيكون لقراراته الإصلاحية أثر كبير على الحياة العلمية بمراكش ومن بينها درس التفسير وكذلك الشأن في عهد المولى سليمان،

(44) الاعلام للمراكشي.. 9 : 101.

(45) مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط رقم : 1607 يراجع دليل مؤرخ المغرب الأقصى 2 : 346.

(46) صفوة من انتشر من صلحاء القرن الحادي عشر لمحمد الافراني طبعت على الحجر بفاس (دليل مؤرخ المغرب 1 : 277).

(47) سوس العالمة ص : 34.

لكن أعقب عهدهما عودة إلى ما كان عليه الأمر من قبل، من تشبث بفقهِ الفروع في الأحكام والنوازل، وطغيان الطريقة في المعتقد..(48).

وفي عهد المولى سليمان نجد العلامة الجيلالي السباعي (ت. 1213هـ)(49) الحافظ الواعية يشتهر أمره في تفسير القرآن بالمغرب والمشرق، فقد كان يقرأ التفسير بين العشاءين بالمسجد النبوي، ففضى الناس العجب من حفظه، وكان تفسير القرطبي قد قرأه في صغره حفظاً، ويحكى عنه قوله : «ما ألفتَه، ولو مرة، أذنى، أو عيني، في محيلتي، ارتسم نحو الستة أشهر في حفيظتي..»(50).

كما أن السلطان مولاي عبد الرحمن سمح للعلامة مولاي محمد بن عبد الرحمن المدغري بتدريس التفسير والحديث والعلوم التي يتقن بجامع ابن يوسف، وكان يحضر دروسه العديد من الناس والطلاب كما تقدم..

وفي نهاية الثالث عشر وبداية الرابع عشر الهجري نجد العلامة الضليع الحاج علي الدمناتي البوجمعاوي يجلس بجامع ابن يوسف لتدريس التفسير، ومما يدل على مزاولته الطويلة لهذا العلم كتابته تفسيراً للقرآن متكناً فيه على تفسير الجلالين حسب ما ذكره في مقدمته ومنهجه في تفسيره كما سيأتي ذكره(51).

أما جمهور المسلمين الذي كان يتبع مجالس العلم بالمدينة فقد كان متعطشاً إلى مثل هذه المجالس سواء منها التفسيرية أم الحديثية بل إلى بعض خطب الجمع إن كان فيها ما يستند إلى نصوص متينة وسليمة، ومما يشهد لذلك، دروس العلامة محمد الطاهر بن عبد الكبير الفاسي (ت. 1324هـ)(52) التي كان يلقي فيها الفقه مؤيداً بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ويستحضر الأدلة كأنها نصب عينيه وكان خطيباً مصقعا عارفاً بصناعة الخطابة، بل ربما خطب ارتجالاً خطباً «خالية من الأحاديث الموضوعية، وفضائل الصلوات المكذوبة.. ولهذا كان الناس يتسابقون إلى استماعها، ويتنافسون في كتابتها ونقلها... ولم يكن للخرافات على عقله أدنى

(48) كادت الطريقة من كثرة تعدد أسمائها أن تغطي معظم أسماء الاعلام والألقاب في شرق العالم الاسلامي وغربه، وكانت عنوان الركود والجمود، فضلاً عن الاضرار بالمعتقد والدين والناس. وقُبوع الاستعمار وراء أقطابها لدس سمومه وتعمير سياسته...

(49) فهرس الفهارس 1 : 297.

(50) نفس المرجع والجزء والصفحة.

(51) يراجع الفصل الأول من الباب الثالث من هذا البحث ص :

(52) الاعلام للمراكشي 7 : 140 — 144.

ولا يخفى أن هذا العالم من تلامذة الشيخ محمد المدني كنون (ت. 1302هـ)⁽⁵⁴⁾ الذي كان ضد البدع والأهواء، أمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر، مكثرا من تدريس الحديث سائرا على نهج السلف، وهو قد أخذ عنه بفاس، فضلا عن تعيين الشيخ كنون قاضيا بمراكش لمدة ثمانية أشهر، وخلالها استفاد منه العديد من علماء مراكش مثل محمد بن ابراهيم السباعي الذي أخذ عنه واتمس مشيخته ؛ كما أنه في هذه الفترة ينبغي أن يسجل ترداد الشيخ عبد الله السنوسي (ت. 1350هـ) على مدينة مراكش⁽⁵⁵⁾ وهو العلامة السلفي الذي درس بالمغرب والمشرق، وآزره السلطان مولاي الحسن الأول في دعوته لما بلغته شكاة علماء القرويين ضد هذا الشيخ خصوصا في المسائل العلمية التي أرادوا أن يحملوها ما لا تحمل..⁽⁵⁶⁾

وفي العهد العزيري كان الوزير أحمد بن موسى يعقد مجالس للعلماء كل يوم جمعة يحضرها العديد من الفقهاء والقضاة والعلماء المقربين للوزير وَيُدَوَّرُ فيها النقاش حول مسائل قرآنية،⁽⁵⁷⁾ من ذلك ما كان يورده القاضي العربي بن المقدم المنيعي (ت. 1318هـ) والفقهاء المفضل السوسي من مسائل يناظرون بها في المجلس، ويطالعون من أجلها الأجوبة للرازي في القرآن العظيم، وكانوا يبهرون بها الحاضرين، حتى تفتن لهما الفقيه ابراهيم الضريير المراكشي، فكانت تراجع له ويسمعها كثيرا، ومهما أورد المنيعي من تلك الاسئلة ما يريد به التعمية على الحاضرين بادره الفقيه ابراهيم الضريب بالجواب...⁽⁵⁸⁾.

ومثل هذه المجالس نجدها في حضرة السلطان المولى عبد الحفيظ، وقد احتفظ لنا المراكشي في إعلامه بوصف لهذه المجالس في حدود عام 1324هـ،⁽⁵⁹⁾ إذ كانوا يجتمعون عند السلطان في مجلسه العلمي بحضور أحمد الاغظف (ت. 1337هـ) أحد العلماء الصحراويين الحوضيين الذي يعد من شيوخ المولى عبد الحفيظ⁽⁶⁰⁾ والفقيه الامين الديباني، وقاضي مراكش احمد بن المدني وتجري المذاكرة في المسائل التفسيرية، وعلوم العربية، وكان يحضر معهم الفقيه على بن

(53) المرجع نفسه.

(54) تقدم التعريف به.

(55) الاعلام للمراكشي 7 : 176.

(56) يراجع درس التفسير بالقرويين.

(57) الاعلام للمراكشي 7 : 37 — 38.

(58) المرجع نفسه.

(59) المرجع نفسه 9 : 269.

(60) نفس المرجع 7 : 218.

مبارك الروداني بالسؤال، بخلاف غيره، فإن كلا منا كان يورد ما عنده بمجرد جريان المذاكرة في شيء». (61)

وهذا كله يكشف لنا الاهتمام والاعتناء بتفسير القرآن الكريم وتحفيز العلماء على تعاطيه والبحث فيه...

ولا ننسى كذلك أن السلطان المولى عبد الحفيظ قد عين الشيخ ابا شعيب الدكالي قاضيا على مراكش وما من شك أنه سيزاول دروسه الحديثية والتفسيرية وغيرها بالحضرة المراكشية، (62) ويكون لها الوقع الذي كان لها في جهات أخرى أو على الأقل قريبا من ذلك فيما يخص توعية الناس وطلبة العلم بما ينتظرهم من أمر تجديد نفوسهم وإصلاح عقيدتهم، وابتعادهم عن سيطرة الخرافات والشعوذة التي كانت مهيمنة بصورة أكثر في فئات عريضة من الناس.

وقبل الشيخ ابي شعيب، كان العلامة احمد بن خالد الناصري بمراكش وأملى دروسا في جامع ابن يوسف (63) فضلا عن الزيارات المتعددة لمجموعة من العلماء مثل السنوسي وكونون وغيرهما، ممن كانوا يحملون على البدع، ويحذرون الناس من أخطارها، ويدعون إلى التجديد والعودة إلى عقيدة السلف المطهرة.

اما في عهد السلطان محمد الخامس — رحمة الله عليه — فقد عرفت دروس التفسير نشاطا هاما، وكانت المجالس العلمية سبيلا إلى توعية الناس، وإلى تعريفهم بما ينتظرهم من إجلاء المستعمر عن البلاد، وتحريرها من الاستعباد، اقتداء بالشعوب العربية والإسلامية الأخرى التي قطعت أشواطا في تحررها، وتفرغت لبناء أوطانها، ومحاربة الجهل والامية بين أبنائها وشبابها وشبيها فقد كان هذا الأمر من جملة اهتمام جلالته، ومن أول الأولويات لديه (64).

وبعد الاستقلال أدخلت دروس التفسير ضمن مواد التدريس في المعاهد الدينية، والكليات التابعة لجامعة القرويين، هذا فضلا عن السماح للعلماء بمزاولة ذلك في المساجد أمام جمهور المسلمين وتقريبهم من كتاب الله تعالى، وجعلهم يستمدون العقيدة الصحيحة والسليمة والهدى القويم من كتاب ربهم، ويعملوا جادين للتمسك بشريعة خالقهم ورازقهم.

(61) نفس المرجع 9 : 269.

(62) ذكريات من ربيع الحياة ص : 28 وفي المعسول (8 : 144) أن أحد السوسيين يرحل إلى الأزهر بسبب حضوره دروس الشيخ ابي شعيب بمراكش.

(63) من اعلام الفكر المعاصر 2 : 13.

(64) وقد اشار القاضي ابو بكر زنيير في مقدمة تفسيره «ارشاد الله» إلى هذه الاهتمامات التي كانت تشغل الاحرار من الوطنيين وفي مقدمتهم محمد الخامس.

وبذلك أصبحت هذه الدروس تؤدي قسطا كبيرا من دورها في تثقيف الشباب، وتكوين رؤيته المتفتحة التي تجعله يعرف أسرار الشريعة الإسلامية ومقاصدها، ويطمح أكثر إلى المزيد من التعرف على دينه وملكته، وعلى معينه التي لا ينضب، الكتاب والسنة المطهرة.

وعلى غرار والده سار جلالة الملك الحسن الثاني في الحفاظ على القرآن الكريم دراسة وتدريسا تلقيا وتلقينا قراءة وتجويدا وتفسيرا، وكذلك في الدروس الحديثية الرمضانية التي تشمل التفسير والحديث، ويسمح فيها للعلماء بالجلولان حسب قواعد كل فن ومتطلباته العلمية، سعيا في الحفاظ على ملة الإسلام في هذه الديار، وإغناء للمباحث الدينية بالمستجدات من المناهج والطرق الحديثة، في التناول والتقريب، حتى تعبر عن طموحات المسلمين المعاصرين.

أ — شيوخه :

ان شيوخ درس التفسير بمراكش، في الفترة المتحدثة عنها هم شيوخ العلم بهذه المدينة، وثقافتهم إما مستمدة من علماء مراكش نفسها أو من فاس أو من سوس والصحراء الجنوبية الشرقية أو الجنوبية الغربية، وعلى أي حال فإن مراكش عاصمة الملك لعدة قرون إلى عهد قريب، لا يمكنها إلا أن تظفر بخبرة العلماء والمدرسين المبرزين في كل علم وفن، ومن بينها المتقنون لتدريس تفسير كتاب الله تعالى، وسأعرض لفئة منهم ممن قرأت أو سمعت عنه أنه تعاطى التفسير بهذه المدينة من مطالع الرابع عشر الهجري إلى وقتنا هذا.. دون ادعاء الحصر والتحديد النهائي لجميع من قام بهذه المأمورية... وأجدني حريصا على البدء بالعلامة البوجمعاوي للاعتبارات السابقة الذكر.

1 — أبو الحسن علي بن سليمان الدميتي البوجمعاوي (ت. 1306هـ)

تعرض لترجمته العديد من العلماء الباحثين⁽⁶⁵⁾ وأحسن ما رأيت منها ما كتبه صاحب «السعادة الأدبية». ومحمد المختار السوسي في المعسول، وسأركز على أهم ما جاء في كلامهما عنه. فقد ذكر الأول أنه برع في الزهادة والورع، وقرأ العلوم ودرسها، وشيد الفضائل وأسسها، وهو بهذا يشير إلى دوره الإحيائي الريادي بمدينة مراكش، كان كثير التقشف متجردا عن الدنيا وأسبابها، كارها للتكلفات، والزوائد والمألوفات وهي خصال يشترك فيها مع غيره من بعض معاصريه كما سنرى.. اشتغل بالتأليف قبل تصدره للتدريس، الذي قطع فيه جل

(65) الاعلام للمراكشي 9 : 255 / المعسول 18 : 133 — 134 / السعادة الأدبية ص : 112 — 114

فهرس الفهارس 1 : 176. دليل مؤرخ المغرب الاقصى 1 : 37

عمره، إذ كان يدرس بمسجد ابن يوسف بقرب باب القيسارية منه، درس التفسير والحديث والمختصر والألفية والأصول والبيان والمنطق ورسالة ابن أبي زيد وتحفة ابن عاصم.

ومما لاحظته من مميزات دروس هذا الشيخ هو اقتضاها مع الإيفاء بالغرض منها، وإنهاؤها في وقت قصير خلافاً لغيره من العلماء، وأراه من بين الذين حصلوا ثمرة العلوم، وتمكنوا منها تمكنًا يجعلهم يقرّبونها لطلابها في يسر وسهولة وفي أقصر مدة..، وقد لاحظنا في درس التفسير بالقرويين الظهير المولوي الذي بعث به السلطان المولى عبد الرحمن إلى علماء القرويين يستحثهم على التركيز وإيصال الغرض المرغوب فيه من المواد إلى الطلبة في أقل ما يمكن من الوقت، تخفيفاً وتيسيراً عنهم، دون المكوث السنوات الطوال في ختم فن معين..

فعلى النقيض من ذلك كان العلامة البوجهماوي، فهو يختم الألفية لابن مالك في ستة أيام⁽⁶⁶⁾، ومختصر خليل في شهور قليلة⁽⁶⁷⁾ فقد درسه أكثر من أربعين مرة في حياته...، ويذكر المختار السوسي أن الدمناتي كان «من التحصيل في مكانة مكيّة، لأنه مارس كثيراً، فيصور كل ما يتعلق بالمتون وفاقاً وخلافاً بديهية... وهو من الآخذين أولاً من (تامكروت)، ثم استتم في العلوم بالجلولان، وقد زار سوس وأخذ عن أحمد التيمكديشتي، وأبي زيد التغارغاتي كما هو في فهرسه المطبوع، وله مؤلفات شتى...»⁽⁶⁸⁾.

وكان ناصري الطريقة، ينكر على الطرق الأخرى، وخاصة الأحمدية فقد كتب بقصيدة هائية إلى يعسوب التيجانية بسوس الحاج الحسين الافراني⁽⁶⁹⁾ يطلب منه إيضاح أشياء عن الطريقة الأحمدية قائلاً :

وذلك كإيثار الصلاة لفاتح على المنزل القرآن أجرا أترضاه ؟!
وبسبب ذلك ألف الافراني كتاباً سماه (تحفة الاكياس) وطلب من أبي محمد التامناتي أن يجيب بقصيدة، فأجاب منها :

رماك بها شيطان (دمنة) إذ أتى إليك وكم قلب على الشر أغواه
يحرف من قول المشايخ ضلة عن القصد إيهاما وجهلا بمعناه
فلا تغترر إن ساعدتك عناية بأهل ضلال في فلاة الهوى تاهوا⁽⁷⁰⁾

(66) السعادة الأبدية ص : 112.

(67) وفي السعادة الأبدية أنه درسه في أربعين يوماً !

(68) المسول 18 : 77.

(69) ستأتي ترجمته.

(70) المسول نفس الجزء والصفحة، والمقصود بابي محمد التامناتي السيد الطاهر الافراني الشاعر المعروف.

إلى غير ذلك، مما يدل على أن الدمناقي كان من المنكرين للبدع وإن كان ناصرياً، فالذي يظهر إذن أن الناصرية أخف مثالب من غيرها، وإلا ما أمكنه أن يلزم الآخرين، ثم إن الناصريين يعتبرون الطرفين الآخرين مثل الدرقاوية والأحمدية، ممن تناولوا على نفوذهم الروحي ونافسواهم في الأتباع، خاصة في الجنوب المغربي⁽⁷¹⁾.

وعلى أي فالعلامة البويعماوي كان مشاركاً في كل العلوم بالتأليف والتدريس، فألف تفسيراً للقرآن العظيم سماه «تيسير الفرقان في تفسير القرآن» كما سيأتي⁽⁷²⁾، وألف حواشي على الكتب الستة في الحديث البخاري ومسلم والنسائي والترمذي وابن ماجة وأبي داود، وقد طبعت وعم نفعها شرقاً وغرباً⁽⁷³⁾.

وألف شرحاً على الألفية وآخر على مقصورة المكودي، وحاشية على الخرشني على المختصر، وغيرها من المؤلفات التي طبع منها العديد⁽⁷⁴⁾.

وحج والتقى بعلماء المشرق في مصر والحجاز وأجيز وأجاز، وادى رسالته العلمية بامتياز — رحمة الله تعالى عليه.

2 — محمد بن المعطي السريغيني المراكشي (ت. 1296هـ)⁽⁷⁵⁾

نظراً لما يجتمع في هذه الشخصية من دلالات على العلم وأهله وخصوصاً ما يتعلق بالدراسات القرآنية عامة والتفسير خاصة أعرف بها وفق ما ذكره صاحب الإعلام، من أن المترجم لقي شيخ الإقراء أحمد بن حنين السريغيني الحمزاوي أحد شيوخ والده وسمع المترجم القرآن العظيم بالروايات السبع من والده، وتلقى عنه الشاطبية إلا شيئاً منها، وضبط الخراز، وشيئاً من مورد الزمان وغيرها⁽⁷⁶⁾.

كما قرأ بعض صحيح البخاري على العلامة أحمد المريني عام 1276 بفاس، وعلى القاضي محمد الطالب ابن الحاج زمن قضائه بمراكش، كما قرأ الصحيح جميعه على العلامة محمد بن المدني كنون، وحضر عليه في التفسير من سورة الأنعام إلى سورة يونس عليه السلام، وأجازه

(71) طاقة ريجان من روضة الافنان للمختار السوسي ص : 44.

(72) ينظر مؤلفات المغاربة في التفسير في الباب الأخير من هذا البحث الفصل الأول

(73) السعادة الأبدية ص : 113.

(74) المرجع نفسه.

(75) الاعلام للمراكشي 7 : 29.

(76) نفس المرجع الجزء والصفحة. «الحمزاوي» المقصود بها الحافظ للقراءات السبع.

في جميعه بخطه، وحضر في التفسير أيضا على الرئيسي بتفسير البيضاوي، وحاشية الشيخ زاده عليه وأجازه في الباقي بخطه..(77)

ومن شيوخه بمراكش السيد عبد القادر الحشمي الراشدي والسيد محمد بن محمد أبو أذينة النيفي، واحمد أكنسوس والوزير السيد علي المسفيوي المراكشي، كما أخذ عن الفقيه الورع سيدي الحسن الصالح السوسي الهشتوكي المراكشي، وذاكره في مسائل من التفسير والحديث، وعلم القوم..(78).

وعن الجامع بين الشريعة والحقيقة السيد محمد بن دح الأزموري نزيل مراكش، أجازه بعدما سمع منه تفسير الفاتحة وآيات أخرى، وأحاديث ومسائل علمية..

درس بمراكش صحيح مسلم أواخر ذي الحجة عام 1290 بضريح مولاي علي الشريف دفين مراكش، وقال في ذلك قصيدة تضمنت مدح الكتاب وتصنيفه في 47 بيتا أوردها في فهرسته، كما نقلها العلامة التهامي كنون في ختمة صحيح مسلم المطبوعة بفاس عام 1316، وحضر الختم جم غفير من الناس وأعيان البلد(79).

ومن أشهر تلاميذه ولد أخيه السيد صالح بن المدني ابن المعطي السרגيني المراكشي، والفقيه السيد الهاشمي بوعبولة المراكشي، والسيد عبد القادر المراكشي، والسيد المحجوب المراكشي، والسيد الصديق الحنصالي نزيل مراكش والقطاريني، والفقيه السيد ابراهيم بيبي المراكشي وغيرهم كثير(80).

3 — محمد السوداني (ت. 1308هـ)

حلاه المراكشي بقوله : الشيخ الأستاذ، الفقيه المقرئ، المدرس المحقق العالم الصالح الورع. كان — رحمه الله — منقطع القرين، يحفظ القراءات السبع، والعشر الكبير والصغير، عارفا بعلوم القرآن أداء ودرسا، وتفسيرا، ورسمًا، محققا في ذلك، أعزب لم يتزوج(81) أخذ القراءات على القاضي الدرعي المراكشي المستقضى بأسفي.

ويذكر عن المترجم أنه يختم القرآن في أقرب مدة، يلبس الخنث مثلثا لا يظهر من وجهه

(77) المرجع نفسه.

(78) المرجع نفسه.

(79) المرجع نفسه.

(80) معظم هؤلاء الاعلام ترجم لهم المراكشي في اعلامه.

(81) الاعلام... 7 : 68.

إلا الخدقتان، مختاري الطريقة أخذها عن أحمد البكاري توفي في رجب عام (1308هـ) ودفن بروضة الامام السهيلي⁽⁸²⁾.

4 - محمد ابن عزوز الرباطي المراكشي :

كان فقيها أديبا، محاضرا، كان يشهد في سماط عدول مراكش في دولة مولاي عبد الرحمن، وهو من رفقاء مولاي احمد بوغربال وكان يجود القرآن في اللوح بعد كبره، درس بجامع ابن يوسف وأخذ عنه السلطان مولاي الحسن، وكان يياسطه ووهب له بعض إمائه..
توفي في أوائل العشرة الأولى من القرن الرابع عشر الهجري⁽⁸³⁾.

5 - محمد (فتح) بن محمد ازنيط (ت. 1317هـ)⁽⁸⁴⁾.

أحد شيوخ العلم بمراكش في مطالع القرن الرابع عشر الهجري أخذ عن جلة علمائها والوافدين عليها، درس على والده وعلى سيدي أحمد بن الطاهر المراكشي، وسعيد جيمي، ومولاي هاشم بن محمد المدغري المفسر نزيل مراكش، وعلى سيدي محمد المدني كنون لما تولى قضاء مراكش، وحج والتقى بشيوخ الأزهر مثل الشيخ عlish والباجوري وغيرهما⁽⁸⁵⁾.
تلقى العلم عنه جم غفير من طلبة العلم، وتوفرت له عدة أسباب المشيخة، منها طول مدة تعاطيه التدريس بمراكش، إذ درّس بها أربعين عاما، ما ترك التدريس قط ومنها معرفته بصناعة التدريس، وحسن الإلقاء، ومن أجل ذلك كان يَفدُ عليه طلبة البادية والحاضرة على اختلاف طبقاتهم «لكون كل واحد منهم ولو كان في البلادة باقلا إذا حضر درسه لابد أن يفهم المقصود وينتفع به...»⁽⁸⁶⁾.

كان مشاركا في كل العلوم منقولها ومعقولها، مفتيا محققا، منكبا على التدريس، ومما قاله أحد طلبته رائيا إياه :

له طول باع في الفنون بأسرها وهتمته القصوى لمن طلب النفع وروى المراكشي في إعلامه⁽⁸⁷⁾ عن عبد الحي الكتاني أن والد عبد الحي السيد عبد الكبير

(82) المرجع نفسه.

(83) المرجع نفسه 7 : 88.

(84) الاعلام للمراكشي 7 : 111.

(85) الاعلام للمراكشي 7 : 111.

(86) المرجع نفسه.

(87) نفس المرجع والجزء والصفحة : 118 منه.

الكتاني، كانت بينه وبين المترجم أزيط، صلة متصلة، وحضر معه حلقة من حلق الذكر والرقص — مع أنه ناصري الطريقة —، وذاكره السيد عبد الكبير الكتاني في مسألة القبض، لكنه كان لا يخرج عن قوله له : «نحن خليليون»، فحاجه بأنه ناصري، ومن طريق الناصريين العمل بالحديث ولومرة واحدة!، فامتثل وقبض في الصلاة مرة واحدة!

وهذه الحكاية كافية لمعرفة أفق المترجم العلمي، ومدى جريانه في البحث والمعرفة بالنصوص الشرعية. وتشبه بما درسه في الكتب الفقهية، وإن قوي دليل الكتب الحديثة.

6 — محمد بن محمد العلوي المدغري (ت. 1325هـ) (88).

هذا العالم اجتمع له من شيوخ بلده ومسقط رأسه أهم من كان منهم في القرن الثالث عشر في القراءات والتجويد والتفسير، وكذلك الشأن بالنسبة لعلماء فاس ومراكش.

ففي مدغرة أخذ عن الأستاذ المعمر شيخ التجويد في وقته السيد عبد الله بن أبي بكر الناصري (ت. 1281هـ) وعلى الشريف مولاي قاسم المدغري، وعلى مولاي احمد بن محمد قاضي مدغرة، وأستاذها الجواد الفضال، وعلى ابن عمه مولاي هاشم بن محمد (فتح) المدغري — وهو ممن كان يقرئ تفسير ابن عطية ويحضر عليه علماء سجلماسة وغيرهم — وعلى القاضي مولاي الصادق العلوي (89).

وفي فاس أخذ عن العلامة سيدي محمد بن عبد الرحمن الحجري قبل وفاته بنحو عام ومولاي محمد القاضي، والحاج عمر ابن سودة، وسيدي قاسم القادري، ومولاي عبد المالك الضرير، وعلى الحاج محمد المقرئ الملقب بالزخخشي لاتقانه النحو وعلى احمد بناني كلا — أخذ عنه التفسير — والمرنيسي، وسيدي محمد بن المدني كنون وغيرهم... (90).

كما أخذ عن الحاج علي الدمناتي البوجمعاعي لما كان حالا بفاس، وانتقل من فاس إلى الزاوية الحمزاوية بطلب من مقدمها وأقرأ العلم بمسجدها خمس سنين، وأخذ عنه بها جماعة كثيرة من طلبة الصحراء، ووفدوا على الزاوية المذكورة بقصد الأخذ عنه، واستفاد من خزانها العلمية المشتتة على كثير من الكتب النفيسة التي لا توجد إلا فيها (91).

ولاه السلطان سيدي محمد الرابع على مدغرة قاضيا، وامتنع لكن شيخه قاضي فاس مولاي محمد (فتح) اجبره على القبول ورحل إليه لينصبه قاضيا على بلده مدغرة.. وعكف خلال

(88) الاعلام للمراكشي 7 : 145.

(89) المرجع نفسه.

(90) المرجع نفسه.

(91) المرجع نفسه ص : 146.

تلك المدة على بث العلم ليلاً ونهاراً، «وأقرأ العربية والفقه والحديث والتفسير بالمسجد الأعظم بقصر سيدي عبد الله بمدغرة وكان يحضر مجلسه جل أشرافها، وكانت تقصده الطلاب من البلاد النائية...»⁽⁹²⁾ وانتفع به أخوه مولاي العربي الوارد من مراكش، والشريف مولاي عمر ابن محمد، والعلامة شيخ القراء في وقته سيدي احمد بن المبخوت السجلماسي الغري⁽⁹³⁾ الذي لما يزل احفاده في قصر أمسفي فرقة الغرفة بالريصاني إلى اليوم..

وكان لهذا الشيخ صيت عظيم وكبير في البلاد الصحراوية⁽⁹⁴⁾، استدعاه السلطان مولاي الحسن الأول إلى فاس، وأجلَّ مَقْدَمَه، وأكرمه، وحضر في مجلسه العلمي لقراءة صحيح البخاري بجامع أبي الخصيصات بفاس العليا...، ثم ولاه قضاء فاس، وكان يشاوره في مهمات أمور قبائل الصحراء. كما قَرَّبَهُ السلطان المولى عبد العزيز، وورد معه إلى مراكش التي استقر بها فيما بعد ودرس وأفتى بها، وهو من هو جلالة وعلمها وقدرها، ومنها انتقل إلى فاس وبها توفي يوم 10 محرم عام 1325هـ⁽⁹⁵⁾.

ومن خلال حياة هذا العالم يتجلى لنا تبلور المعرفة والتقاؤها فهي تؤخذ من الصحراء وتنقل إلى فاس لشتند بالتحكيك والتحقيق على يد علماء ممارسين متضلعين، ثم تصهر في مجالس التدريس لتنمو وتزكو بالإنفاق، ثم يعم نفعها على الناس عامهم وخاصهم، وبَعْدَ النضج وطول التجارب يحتاج أولوا الأمر إلى حظهم في هذا العالم ليستشيروه في المهمات ويأخذوا برأيه فيها. فقد كانت سجلماسة وتلمسان وتمكروت وسوس والصحراء، مراكز علمية جادة يضاهي من فيها علماء فاس أو يفوقونهم أحيانا، لكن هذه المراكز ضعفت في القرون الأخيرة بضعف المتعاطين، وقلة الشيوخ الأفاض الذين يقدحون زناد العلوم.

7 — محمد بن محمد (فتح) الماسي المراكشي (ت. 1323هـ)⁽⁹⁶⁾.

شب المترجم في السكينة والوقار، وتلقى عن بعض الشيوخ الكبار في المغرب والمشرق فقد حضر في جل العلوم بمراكش على البوجهعاوي وكذا على ج. محمد زنيط، وهو عمدته، ولازمه نحو سبع سنين، وأخذ عن غيرهما من فقهاء مراكش⁽⁹⁷⁾.

(92) المرجع نفسه.

(93) سابق الذكر في فصل القراءات القرآنية من هذا البحث.

(94) المرجع السابق.

(95) المرجع نفسه.

(96) الإعلام للمراكشي 7 : 133 — 134.

(97) المرجع نفسه.

رحل إلى سوس واشتغل بالتدريس في الزاوية الدرقاوية عند الحاج علي السوسي بالغ، ثم عاد إلى مراكش، واتصل بالسيد محمد بن عبد الكبير الكتاني. ولازمه، ورحل معه إلى فاس، وتفرغ لخدمته هناك، وسار في صحبته إلى المشرق، وكان في هذه الرحلة يحضر دروس الشيخ محمد عبده في التفسير بمصر مدة إقامته هناك⁽⁹⁸⁾.

كان فقيها نحويا، حيسوبيا، صوفيا، سريع الفهم والإنشاء، عارفا بزمانه وأهله يعامل الناس بما يناسبهم، ألف في الرد على البوعزاوي، وعلى محمد بن عبد السلام كنون، وله رسائل عدة، ذكر المراكشي أن أهم آثاره بقيت في خزانة السيد عبد الحي الكتاني، وتوفي إثر عودته مريضا من المشرق⁽⁹⁹⁾.

8 — محمد بن ابراهيم السباعي (ت. 1332هـ)⁽¹⁰⁰⁾.

من شيوخ العلم الكبار بمراكش، كان إماما مطلعاً، نقادا، متبحرا، نظارا حامل لواء المذهب المالكي، قرأ بمراكش وبدمسيرة على شيخه سيدي سعيد (أبي الألواح) في حدود الستين ومائتين وألف، ثم رحل بعد السبعين إلى فاس فبقي بها خمس سنين، ثم انتقل إلى مراكش، فاتخذها قرارا ووطنا، ومازال بها إلى أن توفاه⁽¹⁰¹⁾ الله.

كان صدرا شهيرا، حافظا، موفور الحظ في الحديث والتفسير والعربية والتاريخ متقدما في الفقه، حافظا له، مستحضرا لقواعده، مستشهدا لها من الكتاب والسنة والاجماع، يقتبس الأشباه والنظائر، ويستخرج من النصوص الفوائد ويهجم بالمعقول على المنقول — حسب عبارة تلميذه المراكشي في الاعلام — ويعارض ويرجع ويرد ويزيف ويقول : (نحن رجال وهم رجال) جلس لتدريس العلم بمراكش نحو نصف قرن من الزمن⁽¹⁰²⁾.

أخذ عن شيوخ عدة منهم مولاي الصادق العلوي المدغري دفين روضة مولاي علي الشريف بمراكش، واخذ صحيح البخاري عن آخره والشفاء عن محمد المدني كنون.. وقرأ التفسير من قوله تعالى : ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ...﴾⁽¹⁰³⁾ إلى سورة الرعد عن سيدي أحمد المريني بفس...

(98) المرجع نفسه.

(99) المرجع نفسه.

(100) المرجع نفسه [7 : (192 — 210)].

(101) الاعلام للمراكشي 7 : (192 — 210).

(102) نفس المرجع.

(103) الآية 137 من سورة النساء.

كما أنه أقرأ جميع صحيح البخاري بفاس من 12 جمادى الثانية إلى ليلة السابع والعشرين من رمضان، وكان يجلس في كل مجلس نحو أربع ساعات... (104).

ومما ذكره عن شيخه سيدي المهدي ابن الحاج أنه كان يستشهد على الصور الفقهية بالأحاديث النبوية، حضر عنده في فصل السهو من المختصر، ووجده يورد الأحاديث من الصحيحين والموطأ التي لها ارتباط بالمقروء من الفقه ويقررها على طلبته،⁽¹⁰⁵⁾ وكل هذا كان له تأثير في ثقافة المترجم، مما جعله يتميز بالبحث وحرية التفكير والقدرة على ربط الفقه بأدلته. وقد درس السباعي كثيرا من العلوم بمراكش، وحضر دروس الصحيح في المجالس السلطانية وختمها مرارا، مما يدل على مكانته ووجاهته.

9 — أحمد بن محمد العلمي الإملاحي (ت. 1358هـ)

ذكره خير الدين الزركلي في أعلامه نقلا عن صاحب الذيل التابع لإتحاف المطالع قائلا : «عالم مدينة مراكش في عصره ومدرسها، مولده ووفاته بها، له تأليف منها «تفسير» في عدة أسفار»⁽¹⁰⁶⁾.

10 — العباس بن ابراهيم المراكشي (ت. 1378هـ)

ذو الغيرة على مراكش، المتعجب من أهلها في شأن إهمالهم قدر علمائهم وفضلائهم مما نتج عنه قلة العناية بأعلام هذه المدينة من قبل المؤرخين المهتمين بالترجمة لأهل قرن من القرون أو عصر من العصور..

وعن عمِّه في العلم يحدثنا بقوله : «واعلم أن معتمدي في الفقه من علماء مراكش اثنان : المرحوم العلامة الوالي الصالح الناسك سيدي الحاج محمد (فتحا) أزيط المتوفى عام 1317 رحمه الله، المتقدمة ترجمته، وهذا على جلاله قدره كان يقول : اللهم ارزقنا فهم كلام الائمة، ونحن لا نشق لهم غباراً، ولا لنا بالمباحثة معهم يد، والثاني هو... النقاد المتبحر سيدي محمد السباعي، وهذا كان يقول : نحن رجال وهم رجال، بعدما يكثر من البحث حين الدرس والمناقشة»⁽¹⁰⁷⁾.

وذكر أنه قرأ من العلوم العربية نحوا وصرفا وبيانا ومعاني وبديعا وعلم الكلام وعلم

(104) الاعلام... 7 : 192.

(105) نفس المرجع والجزء والصفحة.

(106) الاعلام للزركلي 1.

(107) الاعلام له 7 : 209.

الأصول. والفقه والتفسير والحديث دراية والتوقيت في الربع الحبيب والاسطرلاب وأغريتم، وعلم العروض والحساب والفرائض..⁽¹⁰⁸⁾.

وذكر تزكية شيخه السباعي له حين ورد إليه الأمر السلطاني من المولى عبد الحفيظ في دمج المراكشي في الدرجة الأولى للعلماء⁽¹⁰⁹⁾ وقد تقلد مناصب سامية إثر ذلك في دولة المولى عبد الحفيظ ورافقه إلى فاس، وهناك احتك بوسط علمي آخر كانت تزخر به فاس من علماء وأدباء وسياسيين وكان يحضر مجالسهم وندواتهم ومناظراتهم التي كان السلطان يرأسها بنفسه تارة، وتجري بأمره تارة أخرى تحت رئاسة واحد من كبار العلماء، وتعد هذه المدة من أخصب سني حياة المترجم⁽¹¹⁰⁾ ويمكن عرض أهم المناصب التي تقلدها كالآتي :

— جلس للتدريس في سن الخامسة والعشرين بمسجد رياض العروس عام 1319هـ.

— رتب في المرتبة الثالثة في هيئة العلماء بمراكش سنة 1320.

— في سنة ثورة السلطان عبد الحفيظ على أخيه عبد العزيز (1325هـ - 1907م) تألق نجم المترجم في الميدانين العلمي والإداري، وعين كاتباً بديوان الوزير الأول..

— رقي إلى المرتبة الأولى في الهيئة العلمية بمراكش سنة 1326هـ (1908م).

— رافق السلطان عبد الحفيظ لما دخل إلى فاس ثائراً على أخيه، ولما عاد إلى الرباط في صيف 1912م (1330هـ) عاد ابن إبراهيم إلى مراكش ليشغل بالتدريس والافتاء والتوثيق.

— بعد ثلاث سنوات من ذلك استدعته الحكومة لتعيينه قاضياً بمجلس الاستئناف الشرعي عام 1333هـ (1915م).

— نقل إلى سطات قاضياً بمحكمة رئيساً لاستئناف أحكام قضاة دائرتها عام 1336هـ

— 1918م)، ثم نقل إلى قضاء الجديدة فلم يمارس إلا ستة أشهر ثم عين قاضياً بمراكش بمحكمة المنشية سنة 1348هـ. وبقي إلى أن أحيل على التقاعد بضعة أشهر قبل وفاته يوم الأربعاء 20 شوال 1378هـ 29 أبريل 1959⁽¹¹¹⁾.

أما علاقته بدرس التفسير، فالرجل كان مشغلاً بالتاريخ والسياسة، لكنه كان يحضر المجالس العلمية السلطانية — كما أشرت إليه سابقاً — والتي كان يتطرق فيها إلى مباحث قرآنية وتفسيرية.

(108) نفس المرجع 1 : 143.

(109) نفس المرجع 1 : 144.

(110) مقدمة محقق كتاب الاعلام الاستاذ عبد الوهاب بن منصور (1 : 9).

(111) من ترجمة محقق كتاب الإعلام له.

وعن تلقيه للتفسير يذكر أنه تلقى التفسير عن جده للام السيد عبد الكبير الكتاني بواسطة كتاب «الدر المنثور في التفسير بالمأثور» للسيوطي...⁽¹¹²⁾.

كما حاولت أن أعثر من خلال اعلامه وخاصة المقدمة على ما يشير إلى ثقافته في هذا المجال، فلم أعثر إلا على شذرة أسوقها للدلالة على ميله للتفسير بالمأثور ومصادره.. ففي معرض تقديمه لكتابه المذكور واستدلالة على ارتباط الانسان بمسقط رأسه أورد الآية : [إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد]⁽¹¹³⁾.

وقال : «وذكر مجتهد الفقهاء والمحدثين والمفسرين الإمام أبو جعفر الطبري في تفسير آية : «إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد» أي إلى مكة عن ابن عباس رضي الله عنهما، وهو في التفسير من صحيح البخاري وتفسير سنن النسائي، وروي عن مجاهد إلى مولده بمكة، وقال السخاوي ولما اشتاق عليه السلام إلى مكة محل مولده ومنشئه أنزل الله عليه (إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد) أي إلى مكة، انتهى، وراجع تفسير الإمام ابن كثير...»⁽¹¹⁴⁾.

ومن خلال هذه النقول يتجلى لنا تأثير العباس بن ابراهيم بدرس التفسير بالمأثور الذي تلقاه عن جده للام السيد الكتاني ونحن نعلم ما للأسرة الكتانية من الاعتناء بالأصلين وخاصة منهما علم الحديث، والتفسير أيضا...

11 - محمد بن محمد المؤقت المراكشي (ت. 1369هـ)⁽¹¹⁵⁾

من الثائرين على الطريقة بعد أن كان غارقا في متاهاتها، فقد كان فتحى الطريقة⁽¹¹⁶⁾، وألف في مدحها كتابا، فتاب الله عليه وهداه الى اتباع الكتاب والسنة وإجماع الأمة، دون الاعتقاد في زيد أو عمرو ومن المعلوم بالضرورة أن آخر الأمة لن يأتي بأهدى مما كان عليه أولها من السلف الصالح...

وبعد أن تأكد هذا الأمر في قناعة المترجم صدَّ عَمَّا كان عليه من الايمان بالخرافات والأباطيل والتجأ إلى السنة معتكفا على كتبها يكتب ويحرر، فألف كتابا من صحيح البخاري سماه «لبانة القاريء من صحيح البخاري»، وألف «السيف المسلول على المعرض عن سنة

(112) الاعلام له 8 : 168.

(113) القصص، الآية : 85.

(114) الاعلام.. 1 : 5.

(115) التأليف ونهضته ص : 215/ دليل مؤرخ المغرب الأقصى 2 : 603 / معجم المطبوعات ص : 339.

(116) نسبة إلى فتح الله بناني الرباطي (من اعلام الفكر المعاصر 2 : 377).

الرسول⁽¹¹⁷⁾ وهو المشتهر بالرحلة المراكشية، و«بغية كل مسلم، من صحيح الامام مسلم» كما ألف ردا على شيخ الطريقة الفتحية التي كان يتبعها سماه : «هدم المباني في كشف الغطا عن زَلَقَاتِ الشيخ الرباطي البناي» وقد سبق له أن ألف أكثر من خمسة عشر تأليفا في الطريقة الفتحية خدمة لها وتعريفا بها وبمزايا شيخها فتح الله بناني الرباطي⁽¹¹⁸⁾.

وابن المؤقت المراكشي كان غزير التأليف زادت مؤلفاته على السبعين تأليفا.. ما بين تصوف وتاريخ، وفقه، وحديث، وتفسير، وتوقيت، وحضارة، واجتماع..⁽¹¹⁹⁾.

ومما اعرف له في التفسير كما سيأتي ذكره : «بغية ذوي الفتح والنصر في بعض ما يتعلق بتفسير سورة العصر»⁽¹²⁰⁾.

وهذا فيه دلالة على أن المترجم كانت له مشاركة في التفسير دراسة وتدريسا وتأليفا، خصوصا بعد تخليه عما كان عليه من تصوف طرقي إلى العناية بكتاب الله وسنة نبيه المطهرة التي تعتبر بيانا للقرآن، وبها تتجلى محجة الاسلام البيضاء التي لا يزيغ عنها إلا هالك.

وهناك فئة من العلماء تعاطوا لتدريس التفسير بمراكش بعد إحداث النظام بمعهد ابن يوسف بمقتضى الظهير الشريف المؤرخ في 8 شوال 1357 — فاتح دجنبر 1938⁽¹²¹⁾.

وكان منهم من يدرس التفسير داخل الدروس النظامية وخارجها إما بالجامع اليوسفي أو بغيره، وأذكر من هؤلاء السيد المختار السباعي والسيد احمد أكرام⁽¹²²⁾ ومحمد بن عثمان المسفيوي (ت. 1365هـ) والسيد عبد القادر مسو⁽¹²³⁾، والفقير المعقولي الشيخ حسن الزهراوي الذي مازلت أذكر درسه الحسني، وهو يفند فيه نظرية النشوء والارتقاء، ويرهن على خطئ هذه النظرية وهفوات صاحبها ومن يقول بها. والفقير الرحالي الفاروق عميد كلية اللغة⁽¹²⁴⁾، وهو ممن كانت له الصدارة في الدروس الحسنية وأثارت دروسه مناقشات علمية، مثل درسه في

(117) مطبوع بدار الرشاد الحديثة بالبيضاء (د.ت)، وهو كتاب هام ينتقد فيه المؤلف أوضاع المجتمع المسلم في مراكش وغيرها وما أصابه من تدهور في الدين والأخلاق..

(118) ينظر معجم المطبوعات ص : 339 — 340).

(119) المرجع نفسه.

(120) نفس المرجع.

(121) النظام الاداري بالمغرب ص : 247.

(122) ذكره في المسول (8 : 280) وعده من تلاميذ آج علي المسفيوي الذين من بينهم أحمد المنوزي، والهامي الكلاوي الباشا والسيد المدني الفطواكي وغيرهم..

(123) درس التفسير والسيرة بمسجد المواسين والطالعة.

(124) توفي يوم الاثنين 5 جمادى الثانية 1405هـ / 11 مارس 1985 عن سنة تناهز الخامسة والثمانين.

تفسير قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾^(١) وله مقالات نافعة منشورة بـمجريدة «الميثاق» ومجلة «دعوة الحق» كلها تنم عن غيرة على الدين ونهج واضح في الدفاع عن المقومات. والفقير السيد عبد السلام جبران رئيس المجلس العلمي بمراكش وهو يتعاطى كثيرا للتفسير ويوظف في درسه التفسيري جميع معلوماته اللغوية والفقهيّة والأصولية والأدبية، مما يدل على غزارة حفظه، ويتميز في درسه بالفصاحة وحسن الإلقاء مع قلة الخروج على فقه الفروع المقرر في المختصر وما إليه..

وغير هؤلاء من الأساتيد الذين كانوا يدرسون التفسير في القسم العالي من معهد ابن يوسف.

كما يدرّسُ التفسير بكلية اللغة التابعة لجامعة القرويين وممن درسه بها الفقير الرحالي الفاروق والسيد عبد السلام جبران.

كما يدرّس اليوم بكلية الآداب التابعة لجامعة القاضي عياض في شعبة الدراسات الإسلامية وشعبة اللغة العربية هذا فضلا عن تدريسه في ثانويات التعليم الأصلي الموجودة بالمدينة، خصوصا قسم الباكلوريا، وأخيرا أحييت الكراسي العلمية التي ما من شك أنها سينتفع منها درس التفسير.

والأملُ معقود على هذه المؤسسات العليا من أجل انعاش الدرس التفسيري وإعطائه المكانة التي يستحقها، والتفكير في تقريب ضوابط التفسير للمهتمين من طلبة وأساتذة وعقد لقاءات علمية في هذا المجال تكون متعددة المردودية والفائدة.

ب — مصادره :

من المصادر التي كان يدرس بها التفسير في مراكش خلال الفترة المتحدّث عنها، تفسير الجلالين، وممن كان متأثرا به، البوجهعاوي، إلى درجة النسخ على منواله لما ألف تفسيره للقرآن الكريم.

وقد ذكر المؤرخ العباس بن إبراهيم أنه تلقى التفسير عن جده للأُم بواسطة الدر المنثور في التفسير بالماثور للإمام السيوطي.

(١) فضل الرفع في كلمة (البر) وفاته أنه لا يجوز التفاضل بين قراءة وقراءة إذ كلها قرآن موحى به متلو متعبد به، ولا وجه للأفضلية.. وفي الدرس الموالي تعقبه الدكتور علي عبد الواحد وافي ... ومع ذلك فالفاروق كان حافظا واعية وإن كان يقع له نوع من قلة الضبط أحيانا رحمة الله عليه إذ كل سيف ينبو وكل فارس يكمو.

وكان يُدرّسُ كتاب التفسير من صحيح البخاري، وتفسير ابن عطية الذي تأثر به غير واحد من أهل سجماسة الذين سكنوا مراكش ونشروا فيها العلم خصوصا منهم القضاة الذين كان من بين مهامهم عقد المجالس العلمية بالمساجد والجوامع الكبرى.

ومن الكتب المعتمدة عندهم كتاب الأجوبة للرازي في القرآن العظيم وروح المعاني للآلوسي، ومن كان يعتمد عليه كثيرا الفقيه محمد عبد القادر مسو.. وتفسير البيضاوي، بحاشية الشيخ زادة، وكان يعول عليه كثيرا الشيخ المختار السباعي.

كما كان يدرس خارج النظام الأستاذ عبد السلام جبران التفسير بالنسفي. أما التفسير في الكُليات المشار إليها آنفا فهو يدرس بواسطة محاضرات الأستاذ المكلف بالمادة والتي غالبا ما يعتمد فيها على مصادر متنوعة من التفاسير القديمة والحديثة.

وهكذا يظهر أن هذه المصادر المعتمدة في درس التفسير بمراكش تنوع ما بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي المحمود، وليس من بينها أي تفسير لا يقره منهج أهل السنة والجماعة، كما أن هذه المصادر تدل على أن درس التفسير كان يقصد منه الزيادة في الثقيف والتقرب إلى الله بدراسة كتابه العزيز في مناسبات معينة.

ج - تقويم :

إذا كانت مدينة مراكش قد عرفت العلم والخير والصلاح في فترات عديدة من تاريخها الطويل، فإنها في القرن الرابع عشر للهجرة قد نالت حظها من ذلك، ولكن التغيرات التي عرفت في البلاد في القرن الأخير قد أضرت بالناحية العلمية في مراكش خاصة والجنوب المغربي عامة مما نتج عنه تفشي الجهل والامية بشكل مخيف... وزاد المستعمر في تعميق المشكل والمساهمة في تزايد عدد الأميين..

ويبدو أن مدينة مراكش لم يعرف فيها درس التفسير انتعاشا مثل ما رأيناه بالقرويين والعدوتين، ولم تظهر من خلال هذا الدرس ملامح التجديد التي نادى بها العديد من العلماء والمصلحين، وإن كنا نجد من علماء مراكش من حضر دروس الشيخ محمد عبده في مصر...، ومنهم من حاول أن يحتذي حذو الشيخ أبي شعيب الدكالي في التحصيل والهجرة إلى المشرق كما مر ولكن ظلت المحاولات كامنة لم تطف على السطح، ولم تظهر على ساحة الاحداث لتسجل وتدون فالشيخ احمد أكرام، كانت فيه غيرة على السنة، ويحارب البدعة، وبنه العامة إلى ما هم عليه من الخرافات والأوهام التي يلصقونها بالدين، ويردد في درسه قول النظيفي في الخريدة⁽¹²⁵⁾ متعجبا ومستغربا منه :

(125) قصيدة طويلة من نظم وشرح النظيفي التيجاني تقع في جزئين.

وما أحد من أولياء الله كلهم يسكن صحبه أعالي جنة
بغير حساب أو عقاب سوى «أنا» ولو عملوا في الذنب كل جريمة !
ويقف أكرام مخرجاً عينيه بشدة ومتعجباً من قوله : «سوى أنا» ! (أي أحمد التيجاني)،
فكانت هذه مردودية في التوجيه من هذا العالم ناتجة عن مجالسه التفسيرية.

وابن المؤقت في رحلته المراكشية يسجل قضايا ومشاكل خطيرة أملت بالقراء بسبب الجهل،
خصوصاً عند قراءة القرآن وتعليمه،⁽¹²⁶⁾ وهذا له علاقة وطيدة بالتفسير إذ أن فهم النص
القرآني لا يتأتى إلا بالقراءة الجيدة، وفق القواعد المرسومة لذلك، أما القراءة المشوهة للنص
فإنها لا تساعد على حصول المعنى المراد ولا يستفيد منها التالي ولا المستمع.

ودون هذين العالمين لم أقف على نماذج أخرى انصببت اهتماماتها على توظيف جهودها في
الدروس التفسيرية لمعالجة أدواء المجتمع ومساعدته على تجاوز الصعوبات التي عرفها في القرن
الآخر خصوصاً الجهل والابتعاد عن حقيقة الدين...

(126) الرحلة المراكشية، 2 : 102، 115، 118.

الفصل الرابع درس التفسير بسوس والصحراء

تمهيد :

هذا مركز هام من مراكز العلم بالمغرب الاقصى، وكنز ثمين وفريد في التقاليد والعادات، والمحافظة على الموروث بكل اجلال وتقدير واحترام، يعرض الناس فيه على الدين وما يمت إليه بصلة بالنواجد، ويتفانون في حب كتاب الله ويعتنون بتدريسه ودراسته وقراءته، وتفسيره اعتناء ليس بعده اعتناء، إلى أن اطل عليهم زحف الحضارة الغربية واجلب عليهم المستعمر بخيله ورجله، فكان لزاما عليهم أن يواجهوا المستجدات ولكن كيف السبيل إلى التوفيق بينها وبين ما ورثوه عن آباؤهم وأجدادهم من مقومات دينية وعمرانية وحضارية وفكرية ؟

لقد كان الموقف صعبا ودقيقا، مما جعل عناصر كثيرة مما كان لديهم تضعف أو تنفقت، ولكن مازال أهل سوس وأهل الجنوب المغربي يحافظون على الكثير والكثير رغما على أنف طغيان أسباب التغيير، فما زالت الكتابات القرآنية والمدارس العلمية العتيقة ومازال حفظ القرآن يطلبون العلم في هذه المدارس، ومازال الشيوخ يمثلون دورهم التقليدي في الثبات وخلو البال والتفرغ للعلم والتدريس، ومازالت القبائل تؤدي الشروط وتبحث لمساجدها ومعاهدها من يعمرها بالقرآن وبالعلوم الدينية والعربية، إنها ظاهرة فريدة حقا، وليس غرضي أن أرصد الواقع السوسي وما طرأ عليه من متغيرات بقدر ما أريد أن أتبع اهتمامات العلماء السوسيين بالدرس التفسيري في الدور الأخير، ومنهم العلماء الذين كانوا جادين ومؤهلين في هذا المجال ؟ ثم ما المصادر التفسيرية التي كان يعتمدونها في التدريس بها أو التحضير منها، ثم تقويم جهودهم في هذا المجال والافاق التي يعرفها تدريس التفسير بالمنطقة... مع التعرّيج كذلك على منطقة الصحراء المغربية وما عرفته هي أيضا من نشاط علمي في هذا المجال في القرن الأخير، كل هذا حسب التصميم الآتي :

1 — الحركة العلمية بسوس والصحراء.

2 — درس التفسير بسوس.

أ — أهم شيوخه.

ب — المصادر المعتمدة فيه.

3 — درس التفسير بالصحراء.

1) الحركة العلمية بسوس والصحراء :

ما من شك أن العلامة محمد المختار السوسي، قد جال جولات في هذا الميدان ولم يترك لِمَنْ جَاءَ بَعْدَهُ إلا حق التلمذة على كتبه القيمة، التي كان حريصا فيها على لَمْ شَعَثَ الأبحاث العلمية السوسية قديمها وحديثها بالتصريح والاطناب تارة، وبالتلميح والاشارة تارة أخرى، مع التعرض للمناطق الأخرى المجاورة لسوس مثل الحوز والصحراء شرقيها وغربيها، إذ كان يقصد بسوس جنوب مراكش.⁽¹⁾

وإذا كان الامر كذلك فإنني في هذه العجالة سأكون مدينا في معظم ما أورده الى جهود محمد المختار السوسي — رحمة الله عليه —

إن أول ما يطاتلنا به القطر السوسي في الفترة المتحدث عنها هو وجود حركة علمية دؤوبة متجلية في المدارس العلمية المنتشرة في أرجاء سوس من قديم وهي مدارس لا تكاد تخلو منها قبيلة من القبائل، «وقل أن تجد الآن قبيلة الا وفيها مدرسة أو مدرستان أو أكثر»⁽²⁾، تقوم القبيلة بكل شؤونها من مشاركة الشيخ ومؤونة الطلبة وإيوائهم وما إلى ذلك..⁽³⁾

وقد ذكر البيوطي في إحدى خطاباته يوما أن مدارس سوس بلغت أزيد من مائتين⁽⁴⁾ وهو عدد يذكرنا بعدد شيوخ التدريس بالقرويين في مطالع القرن الرابع عشر الهجري⁽⁵⁾ وفي كلا العددين أكثر من دلالة، فهناك أزيد من مائتي شيخ، وهنا أزيد من مائتي مدرسة. أما عدد الطلبة في المدرسة الواحدة السوسية فيقترب كذلك من المائتين، مثل المدرسة البونعمانية في عهد العلامة محمد بن مسعود المعدي ثم البونعماني (ت. 1330هـ)⁽⁶⁾ ومثل المدرسة المحمدية التي كانت تدعى جامع الازهر السوسي لكثرة تلاميذها من سوس والحوز ومن الصحراء⁽⁷⁾.

كما أن شيوخ السمعة الحسنة عن بعض هذه المدارس، يجعل بعض الأهالي ينقلون أبناءهم

(1) ذ. محمد الموني حياة فقيد المغرب السيد مختار السوسي، مجلة الايمان العددان 113 — 114 س 12 ربيع

(1 — 2) 1402هـ يناير فبراير 1982 ص: 33.

(2) (3) سوس العالمة ص : 25.

(4) المرجع نفسه.

(5) جامع القرويين 3 : 754.

(6) سوس العالمة ص : 164.

(7) المرجع نفسه ص : 163.

من مدن أخرى إلى هذه المدارس لأنها في نظرهم تُضاهي فاس وغيرها..⁽⁸⁾.
وينص المختار السوسي على أن سوس مشهورة بالمدارس والعلم من القرن السابع والثامن
وهلم جرا إلى الآن⁽⁹⁾.

كما أن توجه شيوخ هذه المدارس قد ارتبط في القرون الأخيرة بالولاء لبعض شيوخ الطريقة،
وفي ذلك يقول المختار السوسي : «فيجب أن يعلم التاريخ وأن يعلن المؤرخون أن ازدهار العلم
والدين في (سوس) في هذه القرون الثلاثة إنما يرجع إلى الشيخ ابن ناصر بواسطة تلاميذه،
وتلامذة تلاميذه...»⁽¹⁰⁾.

ويذكر من المدارس العلمية التي قامت تحت ظل الطريقة الناصرية، وكان شيوخها تحت
النفوذ الروحي لابن ناصر : الحضيكية والعباسية، والصوائية والجشتيمية والاسفركيسية،
ويخصص التَّمَجْدُشْتِيَّة المُوَسَّسة في القرن الثالث عشر للهجرة من بين هذه المدارس بالدور
الكبير الذي قامت به في نشر العلم، سواء بتخريج العلماء النفاعين، أو إفادة المجتمع وعموم
الناس في الدروس التي تقام حتى بالأسواق إلى درجة أن أصبحت أسواق (جزولة) و(أزغار)
في زمان ببركة التَّمَجْدُشْتِيَّين كأنها مدارس..»⁽¹¹⁾.

ثم يتقلص ظل الناصرية بعد أن أعرض أهلها عن العلم، وتحولوا عما كان عليه أجدادهم،
وغرقوا في علم الرقائق والحقائق.. مع أن الناصرية في بدايتها وجوهرها تكاد تتأيد بالسنة..،
وهذا أدى إلى أن تحل محلها طرق أخرى⁽¹²⁾ مثل التيجانية والدرقاوية.

وفي شأن هذه الأخيرة يقول : «ثم خطرت الدرقاوية، فكانت أولا تُلَاقَى بكل إنكار لما
لبعض ظواهرها من غير ما ذكرناها عن سابقتها»⁽¹³⁾ أي الناصرية المؤيدة بالسنة كما ذكر.
وقد تصدى لنشر الدرقاوية بين علماء سوس أولا رجل أُمِّي يدعى سعيد المعدري لكنه
لم يلق النجاح الذي لقيه الشيخ الالغي الذي كان ينشر الطريقة عن طريق التدريس وتعليم

(8) المعسول 13 : 145.

(9) مدارس سوس العتيقة ص : 51 / سوس العالمة ص 18 — 19.

(10) مدارس سوس العتيقة ص : 53.

(11) المرجع نفسه.

(12) المرجع نفسه / المعسول 13 : 15.

(13) المعسول 13 : 134 — 135.

الناس حيثما حل وارتحل، ويتجرد لالقاء خطب مؤثرة في النفوس⁽¹⁴⁾ مما جعل معظم علماء سوس في بداية القرن الرابع عشر الهجري يتبعون طريقته ويتفانون فيها.

أما التيجانية فنفوذها في سوس لا يخفى وقد كان أول من أتى بها إلى سوس حسب ما ذكر الشيخ المختار السوسي — هو عبد الله بن محمد اليعقوبي سكن بـ «العوينة» بآيت جرار قرب تزنييت وبها توفي سنة 1282 هـ وبنيت عليه قبة⁽¹⁵⁾.

ومن هذا يتبين أن معظم علماء سوس الذين كانوا يعمرون المدارس العلمية ويتصدرون للتدريس ونشر العلم في القرن الأخير كان يغلب عليهم التصوف الطريقي، فهم إما درقاويو الطريقة أو تيجانيوها، وقل من بينهم الناصريون الذين كانوا يعمرون هذه المدارس من قبل بتلاميذهم ومشايخهم كما أشير إليه، وبذلك يظهر أن الدرقاوية والأحمدية سلبتا النفوذ الروحي للناصرية التي كان لها بالغ الأثر في سلوك علماء سوس إلى عهد قريب.

وأما العلوم التي كان للسوسيين اعتناء بها، فقد حصرها الشيخ المختار في واحد وعشرين فنا⁽¹⁶⁾ بما فيها علوم المنطق والهيئة والفرائض والحساب والطب زيادة على علوم الآلة والتفسير والفقه والحديث..

غير أن هذه العلوم أصابها من الركود وقلة التجديد فيها ما أصاب الحياة العلمية في العالم الاسلامي بأجمعه من انتشار «الفقه المختصري» الذي نَحَلَهُ الأجاهرة والمحشون الفاسيون نخلا، ويقاس عليه «متن الرسالة» والمرشد المعين و«التحفة» و«الزقاقية» و«النحو الألفي» و«الاجرومية» و«اللامية» و«الجميل»⁽¹⁷⁾.

وقل أن تجد من يدرس «المغني في معاني الحروف» لابن هشام، والتسهيل لابن مالك، إلا أن «التسهيل» كان يدرس في بعض مدارس سوس..⁽¹⁸⁾.

أما أصول الفقه الذي يمثل قواعد استنباط الاحكام الشرعية العلمية من أدلتها

(14) المرجع نفسه/ والشيخ الالفي أخذ الطريقة عن سعيد المعدري الأمي (المعسول 1 : 189).

(15) طاقة ريجان للمختار السوسي ص 44 / يراجع المعسول 4 : 27 30 والمعسول 1 : 265 وفي المعسول

(13 : 17) (ان سيدي العربي الأدوزي وسيدي الحسن التيمكيدشتي ونظرائهما قاوموا الاحمدية مقاومة

شديدة باللسان، وبالقلم وهم من علماء القرن الثالث عشر الهجري).

(16) سوس العالمة ص : 31.

(17) مدارس سوس ص : 58.

(18) المرجع نفسه، خلال جزوة 2 : 45.

التفصيلية⁽¹⁹⁾ فقد وصل إلى حد أن يصح نعته حسب الشيخ المختار «بالأصولية الرمزية» ثم أعطى صورة حية عن حالة طالب أصول الفقه في القرون الأخيرة الذي تطير به همته إلى الأصول، ثم لا يزال بين «متن جمع الجوامع» وبين «المحلي» وبين «العبادي» و«اللقاني» كأنه عصفور في الأجراف إزاء البحر، والأمواج تلتطم بينها، فهو يقع كلما جزرت، ويطير كلما مدت، فلا يزال بين وقوع وطيران، فكذلك يقع لمن يتطلب الأصول من جمع الجوامع مع شرحه «المحلي» وحواشيه، حتى يخرج من الباب السابع كما دخل من الباب الأول⁽²⁰⁾.

ويصل المختار السوسي وهو يعرض للحالة العلمية في العالم الاسلامي بصفة عامة وبسوس بصفة خاصة إلى قوله : «فهذه العلوم هي الثمالة التي أسأرتها القرون في الكأس، فترى الناس طوال السنين الدراسية يتمصصونها تمصصا، حتى يفتح الله على بعضهم من عنده طاقة، فيتسم منها روح فهم، فيتنفس الصعداء ويظن انه من المفتوح عليهم أبواب المعارف على مصراعها»⁽²¹⁾.

وفي ظل هذا الركود ظل الشرق العربي الاسلامي أجمع يسير على عادة واحدة في العلوم التي يتعاطاها «وقد مات التفسير والحديث والتاريخ وعلم الرجال وعلم اللغة حتى لا تُذكر، حتى إن العلماء ليمأأ أعينهم عجبا من له بعض إلمام بذلك...»⁽²²⁾

ولم يوقظ أبناء هذه الأمة من سباتها العميق إلا كوارث «بني السنين» الذين غاروا على العالم الاسلامي، وجعلوا بذلك من فيه من الاحياء يتنبهون إلى واجبه الديني والعلمي والقومي، ويعملون على إحياء ما مات منذ عدة قرون.

وقد نال المغرب الأقصى حظه من ذلك البعث والاحياء والذي تجلى في اصلاح التعليم بالقرويين وابن يوسف بفضل ما قام به السلطان محمد الخامس — رحمة الله عليه — لكن هذا الاصلاح لم يشمل مدارس سوس العلمية فقد كانت مراکش حد رأس الموجهة على حد تعبير المختار السوسي⁽²³⁾.

«وأما سوس ومدارسها فهي اليوم لا تزال كما كانت منذ القرن العاشر ولا يزالون كلهم راضين مستبشرين بمعلوماتهم، قانعين بما وجدوا عليه الآباء فلا تحس باشتمزاز، ولا تشاهد

(19) أصول التشريع الاسلامي علي حسب الله ص : 11.

(20) مدارس سوس ص : 59.

(21) المرجع نفسه.

(22) المرجع نفسه ص : 60.

(23) مدارس سوس ص : 61.

من ينطلع إلى الزيادة عما كان، كأن لسان حالهم يعيد المقالة الغزالية (ليس في الامكان أبدع مما كان)»⁽²⁴⁾.

لكن المختار السوسي باعتباره تلميذ هذه المدارس وطالب القرويين يسجل من خلال مقابله بين المردودية والاعتناء في المدارس السوسية وجامع القرويين قبل النظام تفوق المدارس السوسية.

«... على أننا وقد عرفنا كيف دراسة فاس قبل النظام ستقع في مدارس سوس على كيفية أعلى وأقرب إلى النفع من تلك اذ ذاك، وسنقع على فنون تتعاطى في سوس ويعنى بها فيها، في حين أن فاس منها صفر قبل النظام...»⁽²⁵⁾.

ومازالت مجموعة من هذه المدارس تدرس فيها مبادئ العلوم الفقهية والنحوية على الطريقة التقليدية في التدريس إلى الآن مع إمعان في القواعد النحوية عن طريق الالفية والفرائض بالجواهر الرسومية والمرشد المعين والرسالة والمختصر وهناك فئة من حفظة القرآن الكريم الشباب ترتاد هذه المدارس وتنقل بينها لأخذ العلم عن بقية من أهله فيها...

وأما التجديد الذي كانت ستعرفه هذه المدارس الموجودة في المنطقة فقد تجسد في المعهد الاسلامي بتارودانت الذي كان أول معهد إسلامي بالمغرب⁽²⁶⁾ أسسه وافتتحه السلطان محمد الخامس — رحمه الله عليه — وقد أدى هذا المعهد دوره العلمي الريادي في منطقة سوس، وتخرجت منه أفواج من أبناء سوس وغيرهم يشغلون المناصب المختلفة في مرافق الدولة⁽²⁷⁾، ثم أضيف معهد ثان في مدينة ترزيت إلى قسم البكالوريا أيضا..

وفي مجال التعليم العالي والبحث العلمي بسوس أسست كلية الشريعة بأكادير التي تدرس فيها العلوم الشرعية بما فيها التفسير والحديث والفقه وأصوله والعلوم القانونية الوضعية واللغات الأجنبية، ثم كلية العلوم وكلية الآداب والعلوم الإنسانية ومعهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة وغيرها من المؤسسات العلمية والتعليمية.

(24) المرجع نفسه.

(25) المرجع نفسه.

(26) محمد المنوني : حياة فقيه المغرب السيد المختار السوسي : مجلة الايمان ع : 113 — 114 يناير — فبراير 1982 ص 39.

(27) الف الحاج عمر الساحلي المدير الأول لهذا المعهد مؤلفا عن تاريخ هذه المؤسسة وروافدها سماه : «المعهد الاسلامي بتارودانت والمدارس العلمية العتيقة بسوس» طبع الجزء الأول منه والثاني بدار النشر المغربية 1986. ثم الثالث والرابع وبه انتهى هذا المؤلف الوثيقة والجم الفائدة.

وكل هذه المؤسسات سواء منها القديمة أو الحديثة بإمكان أبناء سوس والصحرَاء أن يطلوا من خلالها على ماضيهم التليد، ويتطلعوا إلى غد أفضل ويشاركوا في نهضة الاسلام والمسلمين، فاذا كانت الطباعة في مصر قد جاءت مع حملة نابليون بونابارت، فإن المغرب الأقصى عرف الطباعة من خلال جهد أحد أبناء سوس، وهو القاضي السيد الطيب الروداني الذي اشتراها من المشرق وتعاقد مع تقني مصري لتسييرها ولما جاء بها إلى بلاده أثر بها امته المغربية وسلطانها سيدي محمد بن عبد الرحمن، الذي عرفت المطبعة باسمه «المحمدية»⁽²⁸⁾.

ويكفي أن يضطلع بإدخال المطبعة إلى المغرب أحد أبناء سوس ويتخذ المبادرة وحده شخصيا لمعرفة مستوى التجاوب الحاصل بين أبناء هذه المنطقة واخوانهم في المشرق العربي، وليس فقط في وطنهم المغرب، وهذا كله بفضل العقيدة الاسلامية التي تفتح آفاق معتقديها وتوحد بينهم في الدين واللسان والاهداف والمطامح والآمال... وتجمعهم كل سنة في موسم الحج ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله على ما رزقهم وأنعم عليهم.

2) درس التفسير بسوس :

إن الظروف التي أحاطت بدرس التفسير في المراكز العلمية المغربية الأخرى والمتثلة في تطويقه بهالة من الخرافات مما أدى إلى جعله درسا محظورا، لا نجدها في سوس، فقد ظل العلماء بمدارس سوس يدرسون تفسير القرآن باعتباره نصا بين أنصبتهم العلمية الأخرى، ولا يجدون أي حظر وأي غضاضة في تدريسه، وقد بقي ذلك فيهم منذ عهد شيوخهم الكبار في التفسير مثل أبي يحيى الكرسيفي — من أهل القرن السابع — المتخرج من الاندلس، إلى القرن الأخير⁽²⁹⁾.

ويذكر المختار السوسي أن التعاطي للتفسير لم ينقطع قط من أدوار سوس العلمية، وقد كان الجشتيميون والادوزيون، والبونعمايون، والاقارضيون والتمكدشتيون وغيرهم، يدرسونه أنصبة يومية، حتى لا يتعالى إلى ذلك من لم يكن يظن به إتقان كل العلوم التي يحتاج إليها من يتصدى لذلك⁽³⁰⁾.

وما من شك أن هذا التعاطي عندهم لتدريس التفسير، يفسره عاملان : عنايتهم واهتمامهم بكتاب الله الكريم من جهة ومحاولتهم الاهتداء إلى معاني كتاب الله بتفسيره ليشيع أثره في

(28) عبد الله كون : أحاديث عن الأدب المغربي الحديث ص : 22.

(29) سوس العالمة ص : 33.

(30) المرجع نفسه ص : 34.

الناس خصوصاً وأن السوسي له لهجته الخاصة به مما يجعله في حاجة أكثر إلى تفسير القرآن وبيانه...

وقد دخل العلامة المختار السوسي يوماً إلى مدرسة (المعذر) متجولاً فيها⁽³¹⁾ فإذا بأستاذه أحمد العيني (ت. 1350هـ)⁽³²⁾ يدرس التفسير للطلبة فمر الشيخ المختار وهو يظن أن ذلك أمر عادي، وأن تلك الدراسة مثلها مثل الدراسة في الآجرومية والمرشد، لكنه لما رحل إلى مراكش وفاس صار يسمع بأن قراءة التفسير ما أحيها إلا الأستاذ الكبير أبو شعيب الدكالي فتذكر ما كان رأى في (المعذر) فتبين له أن في سوس أشياء تدرس وهي غير محظورة، كما حظرت في الحواضر وما إليها، ثم صار يسأل عن درس التفسير بسوس فوجد أن الادوزين وغيرهم يدرسون التفسير فينة بعد فينة، وربما اتخذوا لذلك دروساً خاصة في كل يوم من رمضان، فيدرسون ثُمناً في كل مجلس⁽³³⁾.

ولذلك قال الشيخ المختار «هكذا وجدت دراسة التفسير شائعة، وكل من أقول له اليس هذا بغير؟ فيقول: أية غرابة فيه؟ وذلك كله علم متوارث، فقد وجدنا أשיاخنا — من السوسيين الذين أخذنا عنهم، يدرسون التفسير كما يدرسون الالفية ثم إن ذكرت له الاسفاف الذي وقعت فيه الحواضر وما إليها، يحصل له بدوره عجب عجاب، ثم إذا زدت له إن الحظر أحيط بسياج من خوف موت السلطان لا يلبث أن يغلبه الضحك حتى تبدو نواجذه، فيكون هذا الضحك وفيه ما فيه آخر هذه المحاورة...»⁽³⁴⁾

وهذا يؤكد ما تقدمت الإشارة إليه من أن مدارس سوس العتيقة ظلت محافظة على ما كانت عليه من العلوم — في معظمها — ومن بينها تفسير القرآن الكريم لكنهم لا يمعنون كثيراً في التفسير «إلا بمقدار ما عندهم من الفنون ولذلك قل المبرزون فيه والمؤلفون، وإنما شاع تعاطيه فقط بينهم ولم يلقوه ظهرياً»⁽³⁵⁾ ولم يتأثروا في شأن تدريسه بما تأثرت به المراكز الأخرى مع قدم تلك الخرافة.

فهذه عبارة من المختار السوسي تكاد أن تكون جامعة مانعة في وصف درس التفسير بسوس

(31) وذلك سنة 1332 هـ (سوس العالمة ص 34).

(32) أحمد بن مبارك العيني ثم الدشيري المعدي أخذ بالبويعمانية ثم تلون بالطرق الموجودة، واشتغل بالنسخة وبالتدريس في مشارطاته توفي نحو جمادى الأولى 1350 هـ (طاقة ربحان.. ص : 73).

(33) مدارس سوس العتيقة ص 70 — 71. خلال جزولة 2 : 45.

(34) مدارس سوس ص : 71.

(35) سوس العالمة ص : 35.

في الدور الأخير فهو درس يعتمد كثيرا على تفسير الجلالين⁽³⁶⁾، مما يشير إلى قلة الاشتغال بالمباحث اللفظية التي تشغل عن الغرض المقصود وهو الوصول إلى معنى الآيات القرآنية بأقرب طريق ممكن.

وحتى الطرقيون كانوا يتدارسون التفسير «فقد كان الشيخ الالغي — والد المختار السوسي — يدرسه لمريديه بتتبع، وينهى فقهاءهم عن الاشتغال بالأبحاث اللفظية لئلا يتعدوا المعنى المقصود...»⁽³⁷⁾ فقد حدث مرة أن ألقى على طلبته درسا في التفسير فقاموا من حوله يتجاذبون الحديث ويتحاكون حول الالفاظ على عادة الطلبة، فسمعهم الشيخ الالغي فقال، ليس المطلوب منكم الا الاشتغال باللباب والقاء القشور، لأن قشور الالفاظ هي التي حولنا عنها في المدارس⁽³⁸⁾ وهو معهم اذ ذاك في الزاوية الالغية، ويحكى أحد مريدي⁽³⁹⁾ الشيخ أنه تأمل مرة قوله تعالى (لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل الى قوله... : الحسنی)⁽⁴⁰⁾ قال : فقلت في نفسي : ان معنى الآية الظاهر ها انذا فهمته، وَلَيْتَ شعري ما معناها بالاشارة عند الصوفية الذين يقولون، انه توجد معان اخرى تؤخذ من الآية بحسب الاشارة، ولا تخالف المعنى المفهوم ظاهرا، قال : فراجعت التفاسير المتيسرة في (الزاوية) كالحازن وامثاله فلم ار شيئا، فحين جلس الشيخ للمذاكرة في مرّكع الزاوية القديمة، كما هي عادته بين العشائين دائما، وجهت اليه السؤال بقلبي طالبا المقصود من الآية عن طريق الاشارة قال : «فظوى الشيخ الكتاب في الحين، فالتفت إلي بكليته، فقال : قال الله تعالى ﴿لا يستوي منكم من انفق...﴾ إلى أن أتم الآية، إن معناها بالاشارة، أنه لا يستوي من سلك مقام المجاهدة، ثم فتح عليه بعد ذلك، ومن فتح عليه بغتة بلا مجاهدة فإنه وان كان لكل منهما مقام حسن، فإن مقام الأول أعلى وأجل...»⁽⁴¹⁾.

وهذا التفسير الصوفي الذي أدى إليه التساؤل والنقاش يظهر من خلال درس التفسير بسوس أنه غير معتاد، وانما قد جر اليه الحديث والرغبة في الفهم حسب ميول السائل، والا فالشيخ الالغي يظهر انه يحد من الايغال في المباحث اللفظية وما وراء ظاهر النصوص القرآنية كما تقدم، ولم تكن هذه العادة مقصودة على حلقاته في التفسير، وانما كانت ديدن معظم العلماء

(36) مدارس سوس ص : 71.

(37) سوس العالة ص : 34.

(38) المعسول 15 : 23.

(39) وهو شيخ المختار السوسي السيد سعيد بن احمد التناي (ترجمته في نفس المرجع والاحالة).

(40) سورة الحديد الآية : 10.

(41) المعسول 15 : 23.

ويذهب الشيخ المختار الى ابعد من ذلك فيرى ان الاساتذة الالغيين لا يأبهون كثيرا بدراسة التفسير عامة، في حين أن التفسير كان يدرس في غالب مدارس سوس أو نحو نصفها على الأقل، ويرى أن الالغيين قد شنوا في ظاهرة الاقلال من تدريس التفسير مع انهم في محافلهم ومجتمعاتهم الخاصة يتدارسونه ويكثر من مطالعة التفاسير، ويضرب مثالا بالاستاذ بلقاسم التجرمونتي الذي يولع بمطالعة روح البيان لاسماعيل البورسوي، وروح المعاني للآلوسي⁽⁴³⁾ وهما ماهما احاطة وشمولا... والاستاذ الطاهر بن محمد⁽⁴⁴⁾ يحكي المختار السوسي انه زاره بمراكش⁽⁴⁵⁾ وجرت بينهما مذكرات حول آيات، فأفاض عليه مما تعلق بتلك الآيات مما يدل على انه كان يطالع من التفاسير كثيرا، لكن السوسيين عموما في التدريس يدرسون التفسير بالجلالين⁽⁴⁶⁾ في معظمهم.. وان كانوا يطالعون غيره من التفاسير الأخرى المتداولة بينهم مثل ما كان يفعله الأستاذ ابراهيم بن محمد الاعرج⁽⁴⁷⁾ الذي كان يأمر طلبته بكتابة القرآن في الألواح، فيسرد عليهم من التفاسير⁽⁴⁸⁾ ولا ينطق بمعناه باللهجة السوسية تورعا من ان يتكلم في كلام الله فيخطئ، واشترط على طلبته إذا سأله أحدهم أن يسرد عليهم وهم يسمعون كما سبق أن اشترطه والده على من طلب منه قراءة التفسير، وكان هذا الشيخ يفضل لدرسه التفسيري بين الظهر والعصر إلا في أيام رمضان، فإنه يسرد البخاري⁽⁴⁹⁾ وهذه حالة خاصة من هذا الشيخ وإلا فإن «كل الفقهاء الشلحيين يفسرون معاني القرآن على قدر الطاقة»⁽⁵⁰⁾.

أ — أهم شيوخه :

لقد تقدمت الإشارة إلى عراقة درس التفسير بسوس، واستمرارية وجوده في حلقات الدروس والمجالس العلمية دون توقف إلى القرن الأخير وفي ذلك ما يدل على اتصال الحلقات

(42) سوس العالمية ص : 34 — 35.

(43) مدارس سوس ص : 71.

(44) لعله يقصد به استاذ الشاعر الطاهر الأفراني.

(45) في شعبان 1354هـ.

(46) مدارس سوس ص : 71.

(47) المعسول 6 : 231.

(48) يعتمد الخازن والنسفي (المرجع نفسه).

(49) المرجع نفسه.

(50) المرجع نفسه.

التي تربط بين أهم شيوخ الدرس التفسيري بسوس، ففي النصف الأول من الثالث عشر الهجري نجد العلامة الضليع السيد أحمد التهايلي (ت. 1214هـ) الذي كان ماهراً في أحكام القرآن عالماً بالتفسير والحديث رحل إلى المشرق من أجل العلم وأطال المكوث بتونس وبعد عودته تعاظم للتدريس بتزروالت ثم برودانة، وأفاد أهل العلم وطلبته بكتبه وبعلمه، وأحيا من العلوم ما اندرس، وخلف كتباً عديدة أخذها أبو المواريث لأن الرجل كان من المنقطعين للعلم حياته، ولم يتزوج ولم يعقب⁽⁵¹⁾.

وفي النصف الثاني من نفس القرن نجد جماعة من العلماء بسوس يحملون راية العلم، ويتصدرون للافتاء والتدريس والجولان في ذلك بالمذاكرة والتأليف أذكر منهم العلامة الحسن التيمكدشتي، والسيد أحمد أو جمل الامزالي، والعلامة الحسن بن الطيفور الساموكني، والسيد العربي الأدوزي، والعلامة النابغة أحمد بن ابراهيم السملالي، وأحمد أضرصور المفتي الكبير وغيرهم⁽⁵²⁾.

وبقيت ثلة وراءهم مفتتح القرن الأخير تجول في ميادين الافتاء والتدريس منهم أحمد بن عبد الرحمن الجشتيمي، والحاج ياسين الواسخيني، والحاج الحسين الافراني والفقيه مسعود المعدري، والفقيه علي بن عبد الله الإلغي والعلامة عبد العزيز الأدوزي، وشيخه محمد العربي الأدوزي، والعلامة محفوظ الأدوزي ومحمد بن مسعود المعدري وغيرهم⁽⁵³⁾.

وسأخصّ مجموعة ممن ذكرت بالتعريف بها وبمكانتها العلمية على اعتبار أنها لها مشاركات في علوم مختلفة ومن بينها تفسير القرآن مرتباً بإياهم حسب الوفاة.

1 — محمد بن العربي الأدوزي (ت. 1323هـ)⁽⁵⁴⁾.

من الأساتذة الكبار الذين خدموا العلم والدين من كل جانب أفنى عمره في التدريس، وفي الذب عن السنة بحسب ما يعلم.. كان ذا علم وصلاح وقلم بارع في الافتاء والتأليف مع اعتكاف على البحث والاطلاع، واستيضاح غيره فيما استشكل عليه؛ رحل إلى مراكش في شأن صلح ما بين قائد ترزيت الكتافي والسلطان الحسن الأول صحبة شيخه الجشتيمي، وقد نظم المترجم هذه الرحلة وسجل فيها العديد من الإشارات التاريخية المهمة.. والتقى

(51) مناقب أبي زيد عبد الرحمن الجشتيمي — مخطوط ص : 23.

(52) المعسول 5 : 149.

(53) المرجع نفسه.

(54) تقدمت مراجع ترجمته في الفصل الثاني من الباب الأول من هذا البحث.

بمراكش بمجموعة من العلماء من بينهم محمد الأمين الصحراوي الذي اجازته هناك..(55).
كان ابن العربي رجل الصراحة، يقبل ويرد، ويهاجم ويدافع لا تأخذه في الله لومة لائم، ولا يعرف الهوادة في الذي يراه حقاً، ومما يسجل له في هذا الصدد أنه رأى خلاف الحق فيما يؤدّي به القراء الإمالة من إظهارهم الكسرة فقام ينهى عن ذلك، وينادي في الناس أن ذلك لحن، وينهى عن الصلاة وراء من يتعمّد ذلك في صلاته، فألف في حكم اللحن بالقرآن... (56).

وتجاذب مع الحاج الحسين الافراني معاصره، مجاذبة عنيفة في شأن ما يورده الإفراي من أنساب القبائل السوسية والناس دون أن يدل على مصادره في ذلك ويتساءل ابن العربي تساؤل الباحث من أين يستمد الافراني ذلك وأين يقع على تلك التفاصيل؟ (57).
وسمع من الفقهاء من يقول بجواز كراء الدراهم، فأمر بالمناداة في الأسواق بأن ذلك ربا، وأن من يفتي به ضال. (58).

ثم ظهرت الدرقاوية في سوس، وفيها بعض مظاهر لم يرضها، فقاومها مقاومة عنيفة ونادى في الأسواق والمواسم على رؤوس الأشهاد بإنكاره هذه الطريقة وإعلانه رأيه فيها وفي أهلها ومايزاولونه من الهيئات في أذكارهم، وقال في ذلك قصائد منها قوله: (59).

ومن أين لكم في الشرع هُزّ المناكب وَرَكُزْ برجل مثل فعل المجاذب
وتغيير خلق حين ذكر الذي به سكون الجسوم عند أهل المناقب
ولطم الحدود مثل نائحة إذا ألقى النعي أذنيها بكل المصائب
إلى أن قال :

فخذ أيها المغبون من شرعة مضت وقد خلصت من قبح بدع الشوائب
وسدد وقارب والزم الرفق مخلصا لوجه الاله في جميع المنابر
وأد الحقوق في سكون ورأفة فما قدر الرزاق يأتي لراغب

لكن الاستاذ ابن العربي كان هو أيضا يدين بالولاء للناصرية وله قصائد فيها وفي شيخه

(55) المعسول 5 : 149.

(56) المرجع نفسه.

(57) المرجع نفسه.

(58) المرجع نفسه.

(59) المرجع نفسه.

الجشتميمي⁽⁶⁰⁾ مما يدل على أنه لم ينج من تأثير التصوف الطرقي الكاسح في البيئة السوسية وبصورة أكثر آنذاك، ولذلك وصفه حفيده المختار السوسي⁽⁶¹⁾ بأنه غارق في التصوف إلى الأذنين⁽⁶²⁾ وأضاف بأن مثل هؤلاء الطرقيين الذين يحملون على غيرهم لا يتذكرون السنة وهم يزاولون طريقتهم الصوفية، وإنما ينادون بالسنة وبالبدعة ويريدون التحاكم إلى الدليل في حالة ما إذا وقفوا إزاء الطرق الأخرى⁽⁶³⁾.

لكن الأساتذة الجشتميين الذين أخذ عنهم المترجم يظهر من أحوالهم أنهم يجعلون الدليل من الكتاب والسنة مقدما على قول كل أحد أيا كان، ومعيارا تعرض عليه الأقوال والأحوال من أي إنسان إنسان، وإنما العبرة بالقرون الأولى وبالعلماء الكبار منها، كمالك وأمثاله، فأل أقوالهم يتحاكم، وبأحوالهم يوزن..⁽⁶⁴⁾.

يضاف إلى هذا أن ابن العربي تباحث مع العلامة محمد يحيا الولاتي⁽⁶⁵⁾ لما نزل بالإغ نحو ثلاثة أشهر، في مباحث شتى إلى أن وصلا إلى مبحث في (النبوة)، هل عرف النبي ﷺ نبوته قبل الوحي، أو لم يعرفها إلا بعده ؟ فقال المترجم بالأول وقال محمد يحيا بالثاني، وكان هذا النقاش سببا في تأليفه في الموضوع، لكنه لما اطلع الولاتي على ما كتبه ابن العربي لم يعجبه ذلك وكتب عليه كلاما نفيسا مركزا وطويلا خلاصته «فاياك إياك يا أخي إن أردت أن تكتب لنا شيئا في هذه المسألة أو في غيرها من المسائل الشرعية أن تورد لنا فيه كلام أهل الكشف والتصوف الذي لا دليل له من كتاب أو سنة، وإذا أوردت لنا آية أو حديثا، فلا تفسرها إلا بكلام الفقهاء الذي تقتضيه اللغة العربية ولا تفسرها لنا بكلام أهل التصوف المخالف لمقتضى اللغة، فإنه لا عبرة به شرعا..⁽⁶⁶⁾.

ومع ذلك فابن العربي الأدوزي كان فريد الشخصية، فهو فقيه وأديب وكاتب وصانع مخترع ومبتكر، يزاول البناء والنجارة والتزويق والتفسير والطباعة التي تطبع بها الكتب من غير أن يشاهد آلة لها قط،⁽⁶⁷⁾ وإنما اهتدى إليها بحذقه كما زاول علم الحيل المسمى الميكانيك،

(60) المعسول 5 : 174 وما بعدها.

(61) المترجم جَدُّ المختار السوسي لأمه (المرجع نفسه 5 : 221).

(62) المرجع نفسه 5 : 170.

(63) المرجع نفسه 5 : 171.

(64) المرجع نفسه.

(65) ستأتي ترجمته في هذا الفصل.

(66) المرجع السابق 5 : 174.

(67) المرجع نفسه 5 : 175.

واخترع طاحونة متعددة الأرحاء تدار كلها بِدَايَةٍ واحدة وهي كلها في غرفة فوق مدار الدابة،⁽⁶⁸⁾ وهو بذلك يذكرنا بالعلامة ابن سليمان الروداني، رحمهما الله، أما تعاطيه للتفسير فشيء شائع بين طلابه، ولما قَلَّتْ صحته كلف ولده بالمدرسة وتفرغ في بيته لتدريس العلوم العالية وهي التفسير والحديث والأصول والبيان⁽⁶⁹⁾ وبقي على ذلك الحال إلى وفاته وله قصيدة يمدح فيها تفسير روح البيان لإسماعيل البورسوي منها⁽⁷⁰⁾.

قالوا: اثن بما علمت على — (رو ح البيان) لإسماعيل المربي قلت: كيف أحيط بالروح علما يسميري والروح من أمر ربي؟!

2 — الحاج الحسين الافرائي (ت. 1328هـ)⁽⁷¹⁾

من كبار علماء سوس، أخذ ببلده ثم بفاس، ثم بمصر وسلك الطريقة التيجانية التي أخذها عن أكنسوس (ت. 1294)⁽⁷²⁾ وأسعفه الحظ في نيل المكانة والجاه عند ذوي السلطان ولم يكن كغيره من علماء جزولة القابعين في بيوتهم لا يتجاوزونها وكان ذا علم متين وأخلاق عالية، وواحد عصره في الإفتاء والاطلاع والتعالى إلى المصادر العالية بالنسبة إلى وسطه ثم يتناول إلى الحديث مستدلا به، وذلك ما لم يعهد عن أحد من أهل بلاده⁽⁷³⁾.

اشتغل بالفتوى والقضاء والتدريس، وشارط في تازروالت وسيدي بوعبدلي، وآيت رخا وغيرها.⁽⁷⁴⁾ إلا أن طموحه ونظرته الخاصة جعلته أن يكون دائما في كفة الحكومة، كيفما كان الأمر، مما جعل أهل بلده يَنْهَبُونَ داره، وخزائنه التي كانت تحتوي على أنفُس الكتب المطبوعة والمخطوطة، وقد أبدلته الحكومة دارا أخرى بتزيت وبقي فيها إلى أن توفي..⁽⁷⁵⁾

وقد لعب دورا كبيرا في نشر التيجانية في سوس وفي غيرها وكان قطب رحاها «فتكون له في القلوب ناموس وشهرة عم أندية ما بين فاس والحمراء إلى وادي نون»⁽⁷⁶⁾.

(68) المرجع نفسه.

(69) المرجع نفسه 6 : 179.

(70) المرجع نفسه 5 : 188.

(71) المعسول 4 : 26 / طاقة ريجان.. ص : 55 / دليل مؤرخ المغرب الأقصى 1 : 178 (سوس العالمة ص : 203).

(72) المعسول 4 : 32 — 33.

(73) المرجع نفسه.

(74) المرجع نفسه 4 : 34.

(75) المرجع نفسه 4 : 40.

(76) المرجع نفسه 4 : 37.

فذكره العلماء بسعة علمه، والرؤساء بسداده، ومريدوه بأخلاقه ولين جانبه... وقال فيه المؤرخ ابن الحبيب : «كان إماما في الفقه والتفسير والحديث متبحرا في العلوم النقلية والعقلية (...) عالما باللغة والأصول والأنساب، صبورا، جوادا»⁽⁷⁷⁾. من أشهر تلاميذه واتباعه الشاعر الطاهر الافراني الذي كان يخدمه بإعداد القصائد في ممدوحيه،⁽⁷⁸⁾ وهو الشاعر المفوّه... خلف الافراني آثارا في التصوف مثل «ترياق القلوب»⁽⁷⁹⁾ كما فسر سورة الاخلاص، وذكر المختار السوسي أن تفسيره لهذه السورة موجود..⁽⁸⁰⁾.

3 — محمد بن مسعود المعدري (ت. 1330هـ)⁽⁸¹⁾.

تعد أسرة آل مسعود من الأسر السملالية العالمة الورعة رفعت راية العلم بسوس في الدور الأخير على الخصوص، منذ أن تصدر والد المترجم العلامة سيدي مسعود للتدريس بالمدرسة البونعمانية⁽⁸²⁾ وتَنظَّم أنصبته ووزعها على أيام الأسبوع اقتداء بكبار شيوخ وقته مثل الشريف سيدي سعيد الكثيري وأمثاله⁽⁸³⁾ فمن صباح السبت إلى عصر الأربعاء، يكون الأستاذ قد جال بتلاميذه وطلبته في متون ودروس عدة فكانت الألفية وما إليها، وخليل وما إليه، والفرائض، والحساب، والتصريف، والبيان، والأصول ومصطلح الحديث، والحديث، والتفسير،⁽⁸⁴⁾ كلها منظمة تنظيما محكما على أيام الأسبوع الخمسة، والشيخ حريص كل الحرص على إيفاء جميع الطلبة بمختلف مستوياتهم ولهجاتهم حقهم من التبليغ والتفهيم، وليس له أي شغل آخر من افتاء وقضاء يشغله عن التدريس، وهي خطة سلكها سيدي مسعود عن اقتناع واختيار. فكان أن نبت في هذا الإخلاص وهذا التفاني في خدمة العلم مترجمنا الذي وصفه العلامة محمد المختار السوسي بأنه «افضل عالم سوسي خاض أمواج العلوم منذ أجيال، وأكبر مكب على مختلف الفنون بفكر ثاقب... فهو فقيه متمكن، وأصولي بارع، وبياني

(77) المرجع نفسه 4 : 80.

(78) المرجع نفسه 4، 46، 47، 48، 49، 50، 51.

(79) قرظه الطاهر الافراني المعسول 4 : 68.

(80) سوس العالمة ص : 203.

(81) المعسول 13 : 5 وما بعدها.. / وتآليفه في سوس العالمة ص 205.

(82) بتاريخ 1279هـ (المعسول 13 : 20).

(83) توفي 1294هـ (الاعلام للمراكشي 8 : 386).

(84) المعسول 13 : 11.

ماهر، وحيسوي فائق، ومؤرخ محصل، وأديب متفنن، وشاعر لسن، ونقادة مقدام، وعالم عامل، وصوفي ورع⁽⁸⁵⁾ ثم هو فوق كل ذلك ذو شخصية مؤثرة في قلب كل من يراه..⁽⁸⁶⁾.

كان في متلقاه عن والده يحب النوم، ويندفع وراء الألعاب الرياضية خصوصاً الكرة فقد اشتهر بحب لعبها، وكانت المدرسة البونعمانية من بين المدارس السوسية التي تتوفر على ملاعب يرتاض فيها الطلبة في أوقات العطل⁽⁸⁷⁾.

ولكن والده يحافظ على راحته وهو عنده بمنزلة الحديقة من العين لما تفرسه فيه من مستقبل علمي حافل⁽⁸⁸⁾.

أخذ عن والده أساساً، وجال على أهم علماء سوس في وقته منهم الحسين بن احمد بن ابراهيم السملالي الذي درس بفاس⁽⁸⁹⁾، وأخذ عنه البيان ومنهم محمد بن العربي الادوزي⁽⁹⁰⁾ وأجازه العديد منهم عبد المعطي السباعي⁽⁹¹⁾ الذي استم أخذته عن الكثيري بسوس⁽⁹²⁾ ومنه إلى الصحراء حيث أخذ وأخذ عنه.

وقد استخلف المترجم والده بالبونعمانية في رمضان 1310⁽⁹³⁾، واستمر في التدريس جاعلاً مجموعة من الدروس يومية وهي البيان والأصول والمنطق واللغة والأدب والحديث والتفسير، فضلاً عن اشتغاله بالتأليف والردود العلمية والافتاء وقرض الشعر⁽⁹⁴⁾ مع همة عالية في ذلك فريدة يمكن أن نستشفها من خلال رسالة وجهها لطلبتة، وهو بصدد خروجه إلى سياحة نواها⁽⁹⁵⁾ ثم عاقه فيها أجله⁽⁹⁶⁾ قال :

(85) المرجع نفسه 13 : 38.

(86) المرجع نفسه.

(87) المرجع نفسه 13 : 40.

(88) المرجع نفسه.

(89) المعسول 12 : 305.

(90) المعسول 13 : 43.

(91) توفي 1333 هـ ترجمته في الإعلام للمراكشي 8 : 386.

(92) الكثيري سعيد الشريف أخذ عنه ابن المعطي التفسير بالجلالين وابن عطية والقرطبي (الإعلام 8 : 386) بهشتوكه بإدأومحمد بسوس.

(93) المعسول 13 : 20.

(94) المرجع نفسه 13 : 53/ ومن أهم تأليفه نظمه لفروق القرافي (سوس العالمة ص : 205).

(95) منذ 1316 هـ دخل ابن مسعود في طور من التصوف بسبب اتصاله بالشيخ علي الالفي الذي صار له =

«إخواننا طلبة المدرسة (البونعمانية) كان الله لنا ولهم وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، هذا ونؤكد عليكم في لزوم صلاة الجماعة خلف الإمام، وحضور قراءة الحزب الراتب، والمجلس — يعني مجلس الذكر المعتاد اذ ذاك كل عشية هناك — بحضور قلب تام في الصلاة وغيرها من الأذكار، والإحسان، خصوصا البخاري المُحَادَى به قراءة المختصر، ودرس المختصر، والمجموع للأمير، والحكم، ولا يعبد الله إلا بالعلم، وأي خير عِدَمَه من قرأ فروع باب من أبواب المذهب، وأتبعه بباب من أبواب البخاري المشتمل على الكلام المنور، فيستفيد فقه الأبواب، ومدارك المسائل من نصوص كلام النبي ﷺ، وآثار أصحابه وتابعيهم بإحسان، وإذا ساعد التوفيق وراجع المتعلم ما أنجز إليه الكلام في الاستنباط من قواعد الأصول في أبوابها وتدرج بذلك إلى استحضارها في محالها من الفروع، كانت النعمة أكبر...» (97).

ثم حثهم على الاطلاع والاستعانة بأكثرهم علما ودرس المسائل في اللوح لأن ذلك أرسخ لها في الذهن... إلى غير ذلك من الوصايا العجيبة التي تعكس أفق الرجل العلمي وإدراكه للعديد من القضايا التي تحتاج إليها العلوم، مثل حاجة فقه الفروع إلى ربطه بالنصوص، وحاجة المطلع في الميادين الفقهية إلى القواعد الأصولية من أجل استحضارها في مجالها من الفروع، هذا فضلا عن حثه على مفتاح المعرفة عند المسلمين وهو التقوى لقوله تعالى : ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمَكُمُ اللَّهُ﴾ (98).

ولكن كما قال الشيخ المختار فإن ابن مسعود كان يعلو القمم الشماء، فلم يكن يُقبل عليه من التلاميذ رغم اجتهاده إلا القليلون، فلم يجد هو وأمثاله قابلية عند الطلاب تجعلهم يتجاوبون معه فيما يريد أن يخوض بهم من العلوم، لأن الغالب متأثر ببيئة سوس التي لا يطالب فيها البدوي الا بما تقتضيه بداوته، وتظهر به بسرعة مكانته، ثم يعد ما وراء ذلك من الفضول، وحتى إن دفع اليه فإنه لا يزاوله بإقبال وتفتح ونشاط مستمر، وللقابلية تأثير في النبوغ دائما.. (99).

= فيه اعتقاد راسخ، وكثف من اتصاله بالفقهاء والسياسة معهم وعقد مجالس للذكر والوعظ حتى توفي على ذلك الحال..

(96) المعسول 13 : 92.

(97) المرجع نفسه.

(98) البقرة، الآية 281.

(99) المعسول 13 : 134.

العلامة المحقق المشارك يعد من كبار العلماء الذين زانوا صدر القرن الأخير في جبال (وليتية) (101)، فريد بينهم بخصال رائقة وعلم كثير، وفهم ثاقب «كان آية في التحقيق في البحث، ومدارسة علوم المعقول والمنقول واللغة والآداب فضلا عن الفقه والنحو اللذين هما مثابة كُلِّ من دَبَّ ودرج من علماء جزولة؛ وأفضل خصاله أنه ذو قلم لا يهدأ في النسخة والتأليف وتقييد الشوارد» (102) مع خط رائق.

وكان ممن يعرف الرجال بالحق، ولا يعرف الحق بالرجال ليس بإمعة في الفهم (103) ولذلك كان مع شيخه وولي نعمته ابن العربي الأدوزي، ربما يتجاوزان مسألة يتفهمانها.. وقد رد عليه في قوله بعدم صحة الصلاة وراء من يخلص الإمامة كسراً (104).

أخذ الطريقة التيجانية عن الحاج الحسين الإفرائي أولاً، ثم تراجع عنها، فكتب إليه الإفرائي يعاتبه على مفارقتها فأجابه بقوله تعالى: ﴿قد افترينا على الله كذباً إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها﴾ (105) فكان الأستاذ الإفرائي يحكي هذا الجواب ويعجب به.. (106)

كما يتعاطى فصل النوازل، ولكن ليس بالشره المعروف عن أقرانه، وكان له بالفقه عظيم اعتناء، وحكى تلميذه الأستاذ المحفوظ الأدوزي أن من عادته أن يكتب النصاب دائماً من المختصر في لوحة على حدة، فيكثر تأمل المتن، ليكون ذلك أرسخ في ذهنه، قال: لم يدع قط هذه العادة حتى مات، ثم يقول: ماتت المهمة بموت سيدي عبد العزيز وكان لا يلقي أنصبته إلا إذا حضرها رغم تمكنه، (107).

وكان يميل إلى اقراء الكتب الغريبة في بيئته كالتنقيح للقراني وكتب بيده (رفع النقاب) للشوشاوي، شرح «الشقمقية» (108) وتنقل في عدة مدارس مشارطاً (109) وأخذ التفسير

(100) المعسول 5 : 70.

(101) المرجع نفسه.

(102) نفس المرجع ص : 71.

(103) المرجع نفسه.

(104) المعسول 5 : 159 (وقد تقدم ذكره في فصل القراءات من هذا البحث).

(105) سورة الاعراف، الآية 88.

(106) المعسول 5 : 71.

(107) المرجع نفسه (5 : 75).

(108) المرجع نفسه (5 : 72).

(109) مثل (تيزكين) و(فوكرض) و(تازروالت) و(ادوز) و(افاوزور) و(سيدي مزال..) و(دلادزار) برسموكة، وفي جامع (ترنيت) وفي سيدي بوعبدلي حتى توفي فيها.

والحديث عن أحد العلماء المشاركة اسمه «محمد الشريف المكي»، كان آوى إلى (سيدي واساي) نزل بعد ما قدم من المشرق دون أن يدل الناس على موطنه الأصلي، وكان يتطلب البروز بالمهودية ويصرح بذلك، مع معاناته لنشر علم كثير يذكر به وكان له المقام في الحديث والتفسير، لكنه عاد إلى بلده لما رأى جيوش المولى الحسن وقوته وهو يزور سوس عام 1299هـ⁽¹¹⁰⁾ آيسا من فكرته. !

وأجدني إذا سرت في الترجمة لكبار الشيوخ السوسيين الذين كانوا يتعاطون التفسير في القرن الرابع عشر في جملة ما يتعاطونه من العلوم ويدرسونه أنصبة لتلاميذهم، قد أطيل بذلك، وأكفي بذكر معلمتهم مجملة، محيلا على التفصيلات في التعريف بهم، وأخص منهم سيدي ابراهيم بن محمد (فتحا) الاعرج (ت. 1368هـ) كان يدرس التفسير بالخازن والنسفي ويحضر غيره كالتسهيل لابن جزي...⁽¹¹¹⁾

ومثل الشيخ محمد بن عبد الله الأقرضي المعروف بتدريس العلوم العالية مثل الأصول والبيان والحديث والتفسير والأدب⁽¹¹²⁾ وقد أخذ عنه هذه الفنون القاضي الفذ العلامة سيدي احمد بن مبارك المصلوت، صنو سيدي رشيد المصلوت بارك الله في أنفاسه، وهي أسرة علمية شهيرة بسوس...⁽¹¹³⁾

ومثل سيدي احمد بن عبد الرحمن التيملي الجشتيمي الذي كان يدرس التفسير بتارودانت وهو شيخها وعالمها، وعنه أخذته جماعة من الطلبة من أشهرهم العلامة الشاعر الطاهر الافراني⁽¹¹⁴⁾.

ومثل الجشتيمي في تدريس التفسير العلامة أحمد أمزاركو⁽¹¹⁵⁾، وهو من شيوخ الاستاذ الطاهر الافراني أيضا.. ويكفي لنعلم تحصيل الأستاذ الطاهر الافراني في التفسير ان نتأمل ما ذكره عنه تلميذه المختار السوسي، وهو يذاكره في آيات قرآنية حين زاره بمراكش⁽¹¹⁶⁾.
ومنهم جّ عابد البوشواري الذي ييكر صباحا بعد قراءة الحزب بدرس التفسير، يُسرّد عليه

(110) المعسول 5 : 70.

(111) المعسول 6 : 231.

(112) المعسول 18 : 44 / المعسول 11 : 188.

(113) ترجم لهذه الأسرة العلامة سيدي رشيد في فهرسه العلمي المطبوع بالبيضاء 1405هـ.

(114) المعسول 7 : 72.

(115) المرجع نفسه.

(116) مدارس سوس ص : 71.

تفسير (الجلالين) مَعَ حاشية (الجمال)، فيفسر القرآن تفسيراً بيناً بقوله ثم يعرب ألفاظ القرآن ثم يتباحث مع الشادين من طلبته^(*).

ومنهم العلامة سيدي المحفوظ بن عبد الرحمن الأدوزي⁽¹¹⁷⁾ الذي كانت دروسه العالية مضرب الامثال بين طلبة العلم، فقد برع في المنطق والاصول والبيان والتفسير وقد رأيت نسخته من المطول على التلخيص عند ولده استاذي سيدي احمد بن المحفوظ⁽¹¹⁸⁾ وهي كلها تعليقات مركزة ومفيدة تدل على تحصيله العالي في فن البلاغة وعلى استيعابه لأصول المنطق، وهي كافية لأن تكون حاشية على ذلك الكتاب، وقد ذكر لي نجله الفاضل أن والده كان يدرس التفسير بالجلالين، على غرار ما تقدم من نهج الفقهاء السوسيين.

ومن أخذ عن سيدي المحفوظ الأدوزي التفسير القاضي محمد أوعامو التزيتي⁽¹¹⁹⁾ الذي وسمه المختار السوسي بالاطلاع الواسع وقوة الاستحضار، وقد كان مع صنوه أحمد⁽¹²⁰⁾ — الذي درس تفسير القرآن كله عن المحفوظ الأدوزي ثم بفاس، ونبغ في العلوم — فاتحة بمن وخير على مدينة تزيت بإحيائهما مجالس العلم بها، بعد أن صارت قفراً منه⁽¹²¹⁾ بعد الحسن بن الطيفور ومحمد والشريف الكثيري والافرائي وغيرهم.

ولا ننسى جهود فخر سوس العلامة محمد المختار السوسي⁽¹²²⁾ الذي أتى على ما في بلاده من العلوم والفنون وارتحل إلى مراكش وملأ منها وطابه ثم إلى فاس حيث أثرت فيه حضارة أهلها ونبلمهم⁽¹²³⁾ وحصل له تجاوب مع الحياة العلمية والسياسية والاجتماعية التي كانت تعج بها المدينة وهي تعرف ميلاد الحركة الوطنية على يد أبناء القرويين أمثال علال الفاسي، ومحمد القري، وعبد العزيز بن ادريس وغيرهم كثير..

(*) المعسول : 17 : 300.

(117) ترجمته في المعسول 5 : 222.

(118) أخذت عنه فقه المعاملات بمختصر خليل من خلال محاضراته بكلية الشريعة بأكادير في السنة الدراسية (80 — 1981م). ثم توفي رحمه الله في 9 رمضان 1411هـ.

(119) المعسول 13 : 214.

(120) المرجع نفسه 13 : 234، 237. هكذا ذكر صاحب المعسول لكن أستاذي بلمحفوظ اعترض على ما ذكره المختار السوسي مبينا أن أوعمو لم يتلق عن الأستاذ المحفوظ الأدوزي ذلك ما أخبرني به رحمه الله.

(121) المرجع نفسه.

(122) من كبار المفسرين المعاصرين الذين أجازوا الشيخ المختار العلامة الضليع محمد الطاهر ابن عاشور التونسي (محمد المنوني : مجلة الايمان (مقال سابق)).

(123) المعسول 1 : 14 — 15 / سوس العالمة ص : هـ.

ثم انتقل إلى الرباط وسلا ووجد في العدوتين من العلوم ما لم يجده في غيرهما⁽¹²⁴⁾ فتلقى عن الشيخ ابن الحسني⁽¹²⁵⁾، والشيخ أبي شعيب الدكالي، وعن العلامة محمد السائح الذي كان يعلمهم كيف يطبقون قواعد الاستنباط على النصوص، أي علم الأصول الفقهي بتطبيقاته،⁽¹²⁶⁾ وهو شيء نادر في الحقيقة كما ذكره المختار السوسي.

وفي منفاه بأغبالو — تكدوس — كان المختار السوسي يدرس الأدب والمنطق والبلاغة والبيان والبديع والنحو، والتفسير والتاريخ الاسلامي، والحديث الشريف ويشرحه شرحا قيما⁽¹²⁷⁾.

ويتبرأ المختار السوسي من التعاطي للسياسة وهو في منفاه إذ أجاب من سألته عن علة وجوده هناك قائلا : «إني لو كنت أعمل في النطاق السياسي لكانت نظرتي للأشياء كلها على غير ما أرى وما تراه مني، وإذا كنت معكم هنا فمرجع ذلك لمفهوم الحماية المستلطين وأعوانهم المارقين الذين يخلطون بين مفهوم كل دعوة في خضم مفاهيم الدعوات الاصلاحية أنا لا أفهم السياسة ولا مكوماتها، وأخاف من التورط فيما لا أفهم كنهه ومقاصده، وإني هنا بشخصيتي الدينية الصرفة مضطهد ومبعد لأجل حبي لوطني وما أضمره من خير عميم لمواطني، وهي المهمة التي رابط وجاهد في اطارها السلف الصالح منذ عهد النور والهدي النبوي الساطع شرعة ومنهاجا...»⁽¹²⁸⁾

ثم يقول المتحدث عنه ومرافقه في منفاه : «وكم كان يعجبه الحديث عن الأئمة وأقطاب الفكر الاسلامي، ومشاهير المفسرين، فكان نقده لا يتعدى بحث وجهة نظر منحرفة عن السنة ضمن اجتهادات خاطرة، أو بدعة منكرة أو تعصب أعمى أو ما شابه ذلك...»⁽¹²⁹⁾.

وفي الحقيقة إذا أردنا أن نعرف شخصية المختار السوسي ومن خلاله سوس بكل مقوماتها العلمية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية، ومناطق أخرى مجاورة لها أو لها صلة بالعلامة المختار السوسي، فعلينا أن نستخرجها من خلال مؤلفات الرجل التي نافت على الخمسين، وإلا فإننا

(124) المعسول 1 : 15.

(125) تلقى عنه بعض الاحزاب في التفسير (ذ. المنوني : مجلة الايمان عدد خاص بالمختار السوسي يناير — فبراير 1982 ص : 31) وكذلك [الإلغيات] و[على قمة الاربعين] ذكر فيها مقروءاته وترجم لنفسه.

(126) ذ. المنوني المقال نفسه.

(127) ذ. محمد لولو : العدد نفسه ص : 51 [يراجع «معتقل أغبالو» لمحمد المختار السوسي].

(128) العدد نفسه.

(129) محمد لولو : نفس المقال.

نكون غير منصفين، لأن الرجل أودع في هذه الكتب فوائد ثمينة يجود بها من حين لآخر، ويتنفس من خلال فقرات مطوية بين ثنايا تراجم الاشخاص، وتجده فيها يعبر عن خلجاته الصادقة وهي درر نفيسة تصدر منه بمحفزات عدة، أرى أن المطلع العجلان قد يصادفها أحيانا، لكنه لا يستفيد منها استفادة الباحث الذي يشد الرحال مع المؤلف من نقطة البداية إلى الانتهاء بمهل وروية، مع قراءات لتلك الشذرات المنبثة هنا وهناك لكن فيها العديد مما أشرت إليه..

ومن المفسرين السوسيين المعاصرين العلامة الصوفي الحاج الحسن البعقلي نزيل الدار البيضاء⁽¹³⁰⁾ الذي كان كثير الحفظ والاطلاع كثير الكتابة والتأليف، فسر سورة الفاتحة والحزب الأول من سورة البقرة، وكتب جزءا في فقه العبادات من ذلك التفسير وقد نحا في تفسيره منحى أهل التصوف..⁽¹³¹⁾ لأن الرجل كان يحاول الظهور بمظهر شيخ الطريقة التي كان يتبعها على غرار الحاج الحسين الافراني الآنف الذكر،⁽¹³²⁾ لكنه وإن جل في أعين بعض أتباعه لم يصل إلى مرتبة الافراني في الوجاهة والعلم وسعة الصدر وما إلى ذلك... فقد كان البعقلي مُجَرِّداً لِسَانِيهِ متصديا لكل من لمزه من قريب أو بعيد، فقد رد على مؤلف الاعتصام الامام الشاطبي⁽¹³³⁾، ورد على الفقيه الحجوي بكتاب سماه «ترياق لمن فسد قلبه ومزاجه»⁽¹³⁴⁾ وهو رد يدافع فيه عن مسلكه الطريقي.. وكتب في أسباب الخلاف ؛ وفي التصوف..⁽¹³⁵⁾ لكن مؤلفاته تتميز بالاستغلاق والغموض يصعب استكناها والوصول إلى ما يقصد وما يريد، وهو فيها يتدفق كالسيل الجارف يلج الدروب والانفاق، ويتعم مراده بذلك الايغال.

وقد تصدى للتدريس بالبيضاء والقصر الكبير الذي أحدث به نهضة علمية طيبة بفضل ما درسه من الفنون المختلفة⁽¹³⁶⁾.

(130) المعسول 11 : 166 / سوس العالمة ص 208 — 218 / الفهرس العلمي ص : 43 / التأليف ونهضته ص : 309 / معجم المطبوعات ص 174 / الاعلام للزركلي 2 : 185.

(131) سيأتي الحديث عنه في الباب الموالي —.

(132) كان المترجم يقول بالانتساب للافراني المذكور لكن الطاهر الافراني ينكر ذلك الانتساب. (المعسول 4 : 68).

(133) الاشفاق على مؤلف الاعتصام المطبعة العربية 1357 هـ 28 ص حجم صغير.

(134) المطبعة العربية للمؤلف / البيضاء (د.ت) 64 صفحة حجم صغير.

(135) مؤلفاته في سوس العالمة ص : 208.

(136) التأليف ونهضته ص : 309.

وقد زاره الاستاذ عبد الله الجراري في البيضاء وجرت بينهما مذاكرة في الأصول والحديث وأدرك منه الجراري دعوى عريضة جعلته ينال من بعض قادة المعرفة والسلفية كالشيخ أبي شعيب الدكالي فرد عليه الجراري بما يتفق وتصلبه كما ذكر، ولكن مع ذلك اعترف له الجراري «باتساع فكري ومعرفة بآراء الائمة ومداركهم في شتى مجالات المسائل بخاصة الشائك منها»⁽¹³⁷⁾.

هذا فضلا عن ولوع البعقلي بنشر كتبه والكتب النادرة، فقد طبع «شفاء الغليل على المنهج المنتخب إلى قواعد المذهب»⁽¹³⁸⁾ وهو من الكتب التي كانت تدرس بسوس من قبل كبار العلماء..⁽¹³⁹⁾ وكانت له مطبعة خاصة به بالبيضاء ؛ ومما طُبع فيها ايضا طبقات الحُضَيَّكي في مجلدين.. وتوفي رحمة الله عليه بالبيضاء فاتح شوال 1368هـ.

ب — المصادر المعتمدة فيه :

لقد أُلعت فيما تقدم إلى أن درس التفسير بسوس يمتاز بالاستمرارية والعزوف عن كثرة الاستطرادات، والاقتصار فيه على الأهم، وهو الوقوف على معاني القرآن صحيحة سليمة حسب الطاقة والامكان، وإذا كانت هذه من سمات هذا الدرس، فما من ريب انه يُعتمد فيه على مصادر تخدم هذه الغايات مثل تفسير الجلالين والتسهيل لابن جزي⁽¹⁴⁰⁾ والنسفي... وغيرها.

وقد استفسرت أستاذي الفقيه العلامة سيدي أحمد بن المحفوظ⁽¹⁴¹⁾ عن أسباب اعتماد الفقهاء السوسيين في درسهم التفسيري على الجلالين وكان مما رد به أن ذلك يرجع إلى ميزة اختصاره وتقريبه الشقة على المطالع بفتح مستغلاقات النص القرآني أمامه.. ثم إنه لا يفضي بالقارئ إلى الخلاف والاستطرادات التي تؤدي إلى الطول الممل أو المخل، والذي يشغل المطالع والدارس عن الوصول إلى مراده بسهولة.

ومما استدل به على العناية بهذا المصدر ومزاولته في التدريس أن والده سيدي المحفوظ⁽¹⁴²⁾

(137) المرجع نفسه.

(138) المرجع نفسه.

(139) كان يدرسه سيدي مسعود المعدري ببونعمان (المسول 13 : 11).

(140) وفي الاعلام للمراكشي (3 : 154) أن أحد الطلبة سأل الحسن بن ابراهيم البعقلي السوسي أيهما، أجدر بالنسخ أنفسر الواحدي أم تفسير ابن جزي ؟ فأجابه بأن تفسير ابن جزي أفضل بمقدمته، ولولاها لتساويا.

(141) في لقاء معه في بيته يوم الجمعة 30 شتبر 1988 بتارودانت.

(142) المسول 5 : 222.

كان يدرس طلبته التفسير بمدرسة سيدي بوعلدي بواسطة تفسير الجلالين لمدة تزيد عن عشرين عاماً، وما تزال نسخته من هذا التفسير محلاة بالطرر والتعليق المهمة، وكان يدرسه لطلبته بُكرة بعد صلاة الصبح وقراءة الحزب الراتب⁽¹⁴³⁾ ويزداد الاهتمام بهذا الدرس بتكثيف حصصه في المناسبات الدينية..

وحتى المتقدمون من علماء سوس كانوا يعتنون بتفسير الجلالين، فأبو زيد الجشتمي من علماء القرن الثالث عشر الهجري يقول: ⁽¹⁴⁴⁾

كتاب الله يحتاج قارئوه إلى تفسيره في كل حين
(جلال الدين) يفيكم فيه مهمهم بتعبير مبین
وقبله في الثاني عشر نجد العلامة احمد الصواي يدرسه بآبن جزى والجلالين⁽¹⁴⁵⁾ وهذا كله يدل على مكانة تفسير الجلالين في البيئات العلمية السوسية وعلى ميلهم إلى الاقتضاب والاختصار في دروسهم التفسيرية، وهو ما اشار إليه المختار السوسي بِقِلَّةِ الامعان في التفسير..⁽¹⁴⁶⁾

أما تفسير البيضاوي الشائع تدريسه بين المتأخرين ولهم فيه إجازات عديدة كما تقدم⁽¹⁴⁷⁾ فإني لم أقف على من درسه بسوس في القرن الأخير منذ عهد أبي زيد الجشتمي الذي تولى قضاء تارودانت لمدة ثلاثين سنة وكان يدرسه بالجامع الكبير الذي كان إمامه وخطيبه، وَمِمَّنْ أخذه عنه أحمد بن عبد الله الهوزيوي (ت. 1214هـ)⁽¹⁴⁸⁾.

وللعلامة الطاهر الافراني (ت. 1374هـ) تقریظ لتفسير (روح المعاني)⁽¹⁴⁹⁾ مما جاء فيه :
«... فياله من كتاب ! ما أغزر وبله، وأوضح سبله، وأقوم قوله، وأبين فضله، قرر فحرر، وحاك فحبر، وأورد فأصدر، وبين فحقق، وجمع ما تفرق، وأحصى فأحاط، وأزال الشبه وماط، ونقح المناط، وقطع مع الجاحد كل نياط وكيف لا وهو الروح، لجسد سائر الشروح،

(143) وفي المعسول (11 : 190) انه كان يختم تفسير القرآن في سنتين.

(144) المعسول 6 : 74.

(145) مناقب الحضيكي 1 : 87 — 88.

(146) سوس العالمة ص : 35.

(147) درس التفسير بالقرويين.

(148) المعسول 6 : 22، 23، 65، 26.

(149) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لأبي الفضل شهاب الدين محمود الألوسي البغدادي (ت. 1270هـ) مطبوع عدة طبعات منها طبعة دار الفكر بيروت 1398هـ — 1978 في 10 مجلدات.

وهل يسوي الروح بالجسد، الا من ران على قبله رَينَ الحسد...» (150).

ثم ختم تقرظه بالأيات الآتية :

تالله ما (روح المعاني) وهو من وضع الشهاب أبي الثناء (محمود) ألا يحق لذي العناية كتبه بمذاب تبر في حدود الخود والله يعلي قدره وينيله في الخلد ما يبغى بمحض الجود (151).

وهذا التقرظ والإعجاب بتفسير الألوسي دليل على الاهتمام بتفسير القرآن والتمييز بين مصادره وسماتها العلمية، فتفسير الألوسي لولا ما أخذ عليه من إيراد التفسير الإشاري لكان أليق بمقامه العلمي السامي (152) ولعل ما كان يعجب السوسيين منه مباحثه اللغوية وإشاراته الصوفية، فقد مر معنا تقرظ الشيخ محمد بن العربي الادوزي لتفسير (روح البيان) للبورسوي (153) الذي كان يعمن كثيرا في المباحث الصوفية وهي مما اخذها عليه أهل عصره، وحاول الألوسي بعده تجنب تلك المآخذ، لكن البيئة العلمية التي تنجب العالم لها دورها فينبغي التماس الاعذار لهم — رحمهم الله — فيكفي أنهم كتبوا تفاسير تتجاوب مع عصرهم وواقعهم.

ومما يعتمد به بعض العلماء السوسيين من التفاسير في التدريس تفسير الخازن، والنسفي، مع تحضير التسهيل لابن جزي، والمغرب لأبي البقاء (154) هذا فضلا عن سرد كتاب التفسير من صحيح البخاري في المناسبات الدينية، وهذا مثل صنيع الاستاذ ابراهيم بن محمد الأعرج (ت. 1368هـ) وذلك في مطالع القرن الرابع عشر الهجري في سنتي (1304 — 1305هـ) (155).

ويذكر سيدي أحمد بن الحسين أولكود البعمراني أنه التحق في عام 1338هـ بسيدي احمد بن مسعود عميد المدرسة البونعمانية (156) ومكث عنده من أجل التحصيل إلى غاية 1347هـ، تلقى عنه فيها النحو واللغة والفقه والحديث والتفسير، قال : وتفسير الكشاف هو الذي اعتمد عليه بإذن من الشيخ الإلغي، وكان قبل يدرس بتفسير الجلالين وحاشية الجمل

(150) المعسول 7 : 100 — 101.

(151) المرجع نفسه.

(152) التفسير ورجاله ص : 156.

(153) المعسول 5 : 188.

(154) المعسول 6 : 231 وما بعدها. لَعَلَّهُ يقصد إِملاء مَأْمَنَ به الرحمن للعُكْبَرِي.

(155) المرجع نفسه.

(156) ترجمته مع أسرته في المعسول 13 : 132.

والذي يظهر أن اقتراح الشيخ الالغي على مرديه من الفقهاء تفسير الكشاف، له ما يسوغه ذلك أن المدرسة الالغية مدرسة لغوية أدبية تعتني بالأدب والبيان⁽¹⁵⁸⁾ وأهم مباحث الكشاف تنصب على هذا المجال، ومن ثم فهي أنفع وأفيد لأن يتمرن عليها الطلبة ويكون فيها نوع من التطبيقات العملية لعدة قواعد يتلقاها الطالب بالحفظ والمثاقفة، بغض النظر على ما في الكشاف من الاعتزال الذي ينبه عليه العلماء ومن جملتهم المغاربة⁽¹⁵⁹⁾ كما نبهوا على هفواته في القراءات القرآنية⁽¹⁶⁰⁾ وعلى سوقه للأحاديث الضعيفة خصوصا في آخر السور..⁽¹⁶¹⁾ ومع ذلك فقد دل على اللبيب حسن اختياره.. فالكشاف مصدر هام من مصادر التفسير كان وما يزال «فقد انقرض المذهب الاعتزالي واحتل الكتاب مكانه الذي هو اهل له»⁽¹⁶²⁾.

أما التفاسير الجديدة التي ظهرت في القرن الرابع عشر الهجري بالمشرق، فهل من أثر لها على ساحة الدروس التفسيرية بسوس ؟

الحقيقة هي ما تقدم، من أن مدارس سوس هي مدارس تحافظ على إيقاعها وعلى مصادرها ومراجعها حتى إنها لتعد الخروج عنها اشتغالا بالتفاهات وبغير المفيد، وهي الآن تشكو من قلة بعض كتبها الدراسية، نظرا لِنَفَادِهَا، وعدم إعادة طبعها، وَكُلُّ مَا هُنَاكَ مما يرجع إلى اتصالهم بالتفاسير المعاصرة، ومما أمكنني الوقوف عليه، هو إهداء قاضي تيزنيت سيدي محمد أَوْعَمُو جزءا من تفسير المنار لشيخه العلامة محمد بن مسعود المعدري المُتَقَدِّم الترجمة⁽¹⁶³⁾، وقد شكر له شيخه ذلك الإهداء في رسالة بعثها إليه منها «... وقد وصل ما بعثت به من جزء (شرح المنار) فالله تعالى يتقبل منك... ولا تُعَدُّ إلى مثل ذلك، فإن الكتب آلة يستعين بها كل أحد، وإن قدرت على مذاكرة مع بعض من له رغبة في ذلك، فهو خير من تعطيل الوقت، والعلم يزداد بأمرين : استقامة على طريق السنة النبوية، ومذاكرة مع صفاء أهل الطوية...»⁽¹⁶⁴⁾.

(157) المعسول 12 : 183.

(158) المعسول 1 : 57.

(159) الاعلام 5 : 248.

(160) ممن نبّه عليها أبو حيان في البحر المحيط وغيره من المعاصرين (يراجع فصل القراءات من هذا البحث).

(161) التفسير ورجاله ص : 59.

(162) المرجع نفسه.

(163) المعسول 13 : 215.

(164) المرجع نفسه.

هذا ما أعرفه من المصادر المعتمدة في درس التفسير بسوس في القرن الأخير، وإن كنت لم أشر إلى ما كان يعتمد عليه سيدي سعيد الكثيري من تفسير المحرر الوجيز، والقرطبي في أواخر الثالث عشر، كما تقدم⁽¹⁶⁵⁾، وهذا اعتناء نادر غير مطرد.

ج - التقويم :

إذا كنا قد تتبعنا درس التفسير بسوس في المدارس العتيقة وتبين لنا بان هذا الدرس ظل مستمرا ضمن الانصب العالية التي يتلقاها من تقدم في العلم من الطلبة ؛ كما تبين لنا أن التغيرات التي حصلت في المراكز العلمية الهامة بالمغرب لم تشمل هذه المدارس، مما جعلها تضعف وتلاشى بضعف قوة الدفع والتجديد فيها، وإن تيار التجديد في الحياة العلمية الذي دب إلى سوس لم يأتيها عن طريق تلك المدارس بصفة مباشرة، لأنها مدارس شعبية وأن ما جاءت به الحضارة المعاصرة هو أن تتبنى الدولة أنظمة التعليم وتسهر على أهدافه وبرامجه، دون أن تتركه لعامة الناس، من حيث الاشراف أو التسيير كما كان من قبل.

إذا كان كل هذا قد حصل، فإن الدرس التفسيري اتخذ طريقه في هذا النسق التنظيمي الذي عرفه التعليم، وأصبح مادة تدرس في المعاهد الإسلامية والكلديات، والمجالس العلمية.. ويمكن أن نعد هذا بكل اطمئنان ويقين تطورا ايجابيا لصالح الدرس التفسيري.

ففي المعهد الاسلامي بتارودانت وكذلك في مثيله بتزنيث يدرس تفسير القرآن باعتباره مادة أساسية يمتحن فيها التلاميذ، وأعرف أن هذه الدروس قد أثمرت في المعهد الاسلامي بتارودانت على يد الأستاذ اليزيد الراضي⁽¹⁶⁶⁾ الذي تصدى لتفسير آيات الأحكام المقررة تفسيرا يستجيب لمستوى التلاميذ، ويراعي ضوابط التفسير وأصوله، بمنهجية متقدمة وبخطوات رصينة مما جعل مذكراته⁽¹⁶⁷⁾ في الدرس التفسيري تروج بين تلاميذ البكالوريا الأدبية الشرعية، ليس فقط في داخل سوس وإنما في باقي المعاهد الاسلامية الأخرى، ويهمني أنه قد حصل بهذه المذكرات النموذج الذي يمكن أن يحتذى في مجال تدريس التفسير.

وفي كلية الشريعة ظلت عطاءات أستاذنا الحسن العبادي⁽¹⁶⁸⁾ في هذه المادة رائدة منذ تأسيس الكلية، فمحاضراته القيمة والغنية التي بذل فيها قصارى جهده تشكل عمدة للطلبة،

(165) الاعلام للمراكشي 8 : 386.

(166) هو اليوم أستاذ الأدب المغربي بكلية الاداب والعلوم الانسانية بأكادير.

(167) مرقونة على الآلة وتوجد بالمعهد الاسلامي بتارودانت ومازالت هي المعتمدة إلى اليوم.

(168) أستاذ بكلية الشريعة ونائب العميد بها خريج دار الحديث الحسنية وأستاذ سابق بكلية اللغة بمراكش (ستأتي ترجمته).

وهي أحق بذلك، لأن الأستاذ باحث استطاع أن يوثق معلومات المحاضرات ويفتح من خلالها المجال للطلبة بان يبحثوا ويزيدوا في اغناء حصيلتهم المعرفية.

ثم أحدثت كلية الآداب والعلوم الانسانية بأكادير واحداثت بها شعبة اللغة العربية التي يدرس طلبتها تفسير القرآن بهذه الكلية الفتية الرائدة والواعدة بخير كثير إن شاء الله.. (169)

ثم احدثت فيها شعبة الدراسات الاسلامية (170) التي تعد مواد علوم القرآن والتفسير والقراءات من صلب مقرراتها ومن موادها الأساسية فضلا عن الحديث وعلومه والفقه واصوله والمقاصد وعلوم اللغة والاداب والفكر والحضارة واللغات الاجنبية والتاريخ والسيرة النبوية والاقتصاد الاسلامي وما إلى ذلك..

كل هذا يتلقاه طلبة التعليم العالي بسوس اليوم، ويفدون إليه من عدة أقاليم وجهات مجاورة بما فيها أقاليمنا الصحراوية المحررة أو ليست هذه نهضة علمية مشهودة تسير في ركب البحث العلمي الجامعي، مواكبة لكل التطورات ؟ ما من شك في ذلك، وفي ظلها ستعرف العلوم الاسلامية عامة وتفسير القرآن خاصة تجددًا وحيوية يضمن لها الاستمرارية والدوام ويبيدها عن المتاهات ويحررها من الشوائب والزيادات، ويجعلها تخضع — كما كانت أولاً — لنبراس البحث والتحقيق حتى تتميز الأمور والمباحث تميزًا يجعلها تلبي طموحات الامة وتستجيب لحاجياتها العقدية والتشريعية والاجتماعية.

وإذا أضفنا إلى حلقة التعليم بشقيه الثانوي والعالي عملية إحياء الكراسي العلمية، ومن بينها كرسي التفسير، بالجامع الكبير بتارودانت فإن في هذا الأمر أكثر من دلالة، فلم يعد العلم مقصوراً على الاكاديميات والجامعات العصرية، وإنما هو في بيوت الله بامكان ايا كان من الناس أن يحضره ويستفيد منه..، وقد علمت أن القاضي سيدي الطيب البعمراني هو الذي تولى درس التفسير ويعتمد فيه على النَّسْفِي...، وقد تقدم تقويم هذا التفسير، كما أن نفس الكراسي العلمية تتوفر عليها مدينة ترزيت ؛ وهكذا لم يعد التركيز على المدارس العتيقة وحدها كما كان في النصف الأول من القرن الأخير، فهي اليوم مازالت في بقيتها بعض من الحياة، وإذا وقع التلاقح والتمازج والتواصل بينها وبين المؤسسات المحدثة المذكورة فانه لا يخشى على مصير الثقافة العربية الاسلامية من عدايات الزمان، سواء بسوس أو خارجه بإذن الله تعالى.

(169) درسته لأول فوج — ومازلت أدرسه ابتداء من السنة الجامعية 86 — 87 وإلى اليوم (98 — 99) وأسأله تعالى العون والقبول.

(170) في نفس السنة المذكورة. (86 — 87).

(171) سوس العالمة ص : 141.

(3) درس التفسير بالصحراء :

ظلت منطقة سوس والصحراء منطقتين متساندتين متكاملتين متآزرتين مع تميز كل واحدة منهما عن الأخرى بميزات أهمها الانتجاع والاقامة، فالسوسيون يعرفون الاستقرار والاقامة والصحراويون تبعاً للمناخ يظعنون ويتنقلون، وفي ظعنهم وتنقلاتهم يدرسون ويتعلمون وهي ظاهرة فريدة عندهم بها يتميزون، فالمدرسة متنقلة معهم حيثما حلوا وارتحلوا، وهي عبارة عن خيمة كبيرة يضربها أرباب الخيام منهم ليجلس فيها الأستاذ ويظل الطلبة يختلفون عليه فيها، وبحسب التلميذ الوارد أن يأتي بناقة أو أكثر يتخذ حليها طعامه وحده، فيداول الطلبة رعي نياقهم في كل نهار، ومع كل واحد منهم لوحته الخاصة و لوحاته فيأخذ كل على حدة دروسه وحده ولا تفارقه لوحته لا في الحي ولا في المرعى، كما أن الأساتذة لابد أن يتعدوا في تلك الخيام..(172).

وهناك قبائل صحراوية أخرى تعرف نوعاً من الاستقرار والاقامة مثل التي في وراء شنقيط وولاته، وتتخذ قبائل زوايا متعددة، مدرسة متكثلة(173) يدرس فيها أبناؤهم العلوم العربية والاسلامية..

ولا يخفى أن أبناء الصحراء المغاربة لم يقف تواصلهم العلمي وأخذهم على علماء بلدهم فحسب، فقد كانوا يحلون في مراكز العلم الطافحة سواء بسوس مثل البونعمانية التي ذكر المختار السوسي ان العلامة سيدي مسعود المعدي كان يبلغ لطلبته مراعي اختلاف لهجاتهم، فيبلغ باللسان الامازيغي ثم باللسان العربي حتى يؤدي ما له عليهم من الحقوق مشيراً بذلك إلى تساند الصحراويين والسوسيين في الدراسة(174).

ومثل ما ذكرته في فصل القراءات من صنيع المقرئ العلامة مولاي احمد البوعيطاوي الذي استقر بالشياطمة في مدرسة ابن جدير يعلم القراءات السبع، وبقي هناك بكتبه وخزائنه القيمة ينشر العلم، وما زالت كتبه المخطوطة والمطبوعة بأيدي العديد من أهل العلم هناك، وكان له اتصال بالشيخ ماء العينين ويتوفر على معظم كتبه المطبوعة وقد وقفت على بقايا منها عند تلاميذ تلاميذه ونسختي من كتاب «نعت البدايات» التي احيل عليها في هذه الرسالة هي من خزائنه — رحمه الله —، ومثل ذلك يقال عن وجودهم في الحمرء

(172) المرجع نفسه.

(173) المرجع نفسه.

(174) المعول 13 : 11.

وفي العدوتين وفي فاس وغيرها، فشيخ السلطان المولى عبد الحفيظ السيد محمد الاغظف⁽¹⁷⁵⁾ وشارح نظمه لمغني اللبيب⁽¹⁷⁶⁾ خير مثال على الالمعيين من ابناء الصحراء، ومثله محمد الامين الشنقيطي الذي كان كثير السياحة والتجوال والاتصال باهل الفضل والعلم⁽¹⁷⁷⁾ وغير هؤلاء كثير من معلمة الصحراء التي مازالت في حاجة ماسة إلى أن يكشف عنها البحث العلمي النقاب، ويجلي عطائها وفضلها في حمل راية العلم الاسلامي منذ عدة قرون.

أما العلوم التي تشغل بها القبائل الصحراوية، فهي تكاد تكون نفس العلوم التي يشغل بها باقي المغاربة⁽¹⁷⁸⁾ وما تزال اهم المكتبات الصحراوية الخاصة طافحة بآثار الأجداد وشاهدة على ما أفنوا فيه أعمارهم من العلوم، فكثيرة هي الأسر الصحراوية التي توارث افرادها العلم والأدب أجيالا وأحقابا نقف على بعضها فيما كتبه احمد بن الأمين الشنقيطي في وسيطه⁽¹⁷⁹⁾، ومحمد الامام بن الشيخ ماء العينين في الجأش الربيط⁽¹⁸⁰⁾ والمختار السوسي في المعسول وسوس العالمة وغيرهم..

غير أن الحياة الفكرية في الصحراء مازالت في حاجة إلى التجلية والاكتشاف اذ مازالت النتاجات الفكرية والأدبية لابناء الصحراء مطمورة في المخطوطات والكتب المتفرقة عند الاسر الصحراوية⁽¹⁸¹⁾ ومنها المحفوظات كالادب مما زال يتداوله المهتمون منهم والمولوعون بالشعر حفظا وجمعا وقولا.

وان الذي يهمني في هذه الالتفاتة هو الحديث عن عنايتهم بالدروس التفسيرية في العهد الاخير، فقد تبين لي من خلال ما تسنى لي الوقوف عليه او القراءة عنه أن الصحراويين كانوا يزاولون تفسير القرآن مزاولا لم تحفها أي خرافة أو تشاؤم مثل الذي رأيناه في معظم المراكز العلمية الأخرى، والدليل على ذلك أنهم كانوا يؤلفون في التفسير إلى عهد قريب والذين

(175) ترجمته في الاعلام للمراكشي 7 : 218.

(176) مطبوع بخاشية الشيخ علي بن مبارك الروداني بمصر ط 1 الاميرية 1325هـ في مجلدين حجم كبير 335 صفحة (ومن نظم المغني من السوسيين ابراهيم الصواني وعبد العزيز الرسموكي سوس العالمة ص : 185 — 188).

(177) مختصر العروة الوثقى للحجوي ص : 8.

(178) د. محمد حجي : «جولة في مكتبات الصحراء المغربية» المناهل ع : 28 دجنبر 1983 ص 10.

(179) الوسيط في تراجم ادياء شنقيط «مطبوع عدة طبعات منها ط 3 مطبعة السنة بمصر 1961.

(180) الجأش الربيط في النضال على مغربية شنقيط وعربية المغاربة من مركب وبسيط «طبع بإدارة العلم 1376هـ. بالرباط في جزء متوسط (دليل مؤرخ المغرب الاقصى 1 : 43 — 44).

(181) م. حجي (المقال السابق).

يؤلفون هم شيوخ التدريس والافتاء والقضاء، وبالجملة فهم رجالات العلم في جهتهم — فيكفي أن نذكر «الريان في تفسير القرآن» لمحمد سالم المجلسي وأضواء البيان لمحمد الأمين الشنقيطي، ومحاولات أخرى في التفسير للشيخ ماء العينين⁽¹⁸²⁾.

وغيرها مما لا نعرفه الآن، فهذه النماذج كافية للتدليل على اهتمام علماء الصحراء بالتفسير، ثم لا ننسى الدور الذي قام به العلامة الشيخ محمد مصطفى ماء العينين (ت. 1328هـ)⁽¹⁸³⁾ في ربوع الصحراء المغربية، فقد كانت الساقية الحمراء خالية لا أنيس بها لشدة الخوف ولقحولتها دائما وعمرها هذا الشيخ، وبنى فيها الدور، وغرس النخل، فسهلت المواصلات بين شنقيط وغيرها من المواضع المغربية⁽¹⁸⁴⁾ ومعلوم أن العلم وليد الاجتماع البشري والعمرائي فبعد أن حصل الاستقرار النسبي للشيخ ماء العينين بالسامرة من الساقية الحمراء وأحاط به آلاف الأشخاص⁽¹⁸⁵⁾ ما بين أرامل ومزمنين وصحاح البنية وكل اصناف الناس، وكان الشيخ يتوفر على معرفة بعلوم الشريعة من الحديث والتفسير والفقه واللغة والشعر والتصوف وما إلى ذلك فصار يربي ويرشد⁽¹⁸⁶⁾ ويوفر وسائل العيش للمحيطين به⁽¹⁸⁷⁾ ويتصل بالسلطان فقد كانت له صلة بمولاي عبد الرحمن بن هشام الذي انزله منزلة ابنه، ثم بابنه محمد الرابع الذي انزله منزلة اخيه ثم بالسلطان الحسن الأول الذي انزله منزلة ابنه، وقد حكى له ماء العينين هذا التدرج في الاتصال بملوك العرش العلوي بالمغرب، فاجابه السلطان الحسن الأول باننا ننزلك منزلة الأب⁽¹⁸⁸⁾ وذلك لمكانة الشيخ ماء العينين العلمية والاجتماعية ولتقدمه في السن، ولحفاظته على العهود والمواثيق.. وكانت تصل إليه العطايا والصلوات من سلطان المغرب عن طريق البحر عبر طرفاية، ويوزعها على أتباعه ومريديه⁽¹⁸⁹⁾ فقد كان المجتمع الصحراوي المحيط به في أرغد عيشة كاسيا من ذلك الشيخ،

(182) سيأتي التعريف بهذه التفاسير في الباب الموالي.

(183) الاعلام للمراكشي 7 : 171 / تعطير الانفاس لابن المؤقت ص : 24 المعسول 4 : 26 طاقة ربحان.. ص 11 / معجم المطبوعات ص : 195 / نعت البدايات.. ص : 2 سوس العالمة ص : 140 / الوسيط في تراجم ابناء شنقيط ص : 365.

(184) المراكشي 7 : 174.

(185) وصلوا إلى عشرة آلاف شخص رجالا ونساء حسب الإعلام للمراكشي والمعسول للمختار السوسي.

(186) المعسول 4 : 84.

(187) المرجع نفسه.

(188) المرجع نفسه.

(189) المعسول 4 : 93.

يزوج الشخص ويدفع المهر من عنده، ويجهز المرأة من عنده، مع حسن معاشرته لهم.. وكان يُسمع ذوئي مريديه يذكرون الله وينشدون الأدعية، ويحرص على إقامة صلاة الجماعة معهم في أول الوقت وبعد صلاة العصر يسردون الحديث، وهو يسمع، ثم يشرح لهم بعض المواضع منه.. (190).

وكان لَهُ ولع غريب باقتناء الكتب والتحصيل عليها. (191) وشغله الشاغل هو التدريس والتأليف في عالم الفنون، فقد نظم المَزْهَر للسيوطي في اللغة ونظم الموافقات للشاطبي وشرح نظمه لها والف دليل الرفاق على شمس الاتفاق في الخلاف العالي وأَلَف في التفسير، وقد عَدَّله في معجم المطبوعات من مؤلفاته المطبوعة 47 مؤلفاً..! (192) وهذا الرقم كاف وحده ليدل على الحنكة والصبر وعلو الهمة...

وهناك عالم آخر فذ حوضي - صحراوي هو الشيخ محمد يحيا الولاتي (ت. 1330 هـ) (193) الذي كان مُتبحِّراً في الحديث والتفسير مع ضيق العطن.. (194) وهو الذي سقت له جزءاً من محاورته مع الاستاذ محمد بن العربي الأدوزي في مسألة النبوة وبماذا عرف النبي ﷺ انه نبي، أبالوحي أم بالالهام؟ (195).

تنقل كثيراً في سوس، والتقى في السويرة بمولاي احمد البلغيثي (196) لما كان قاضياً بها فأعجب به القاضي وتلقن منه الطريقة الأحمدية، (197) ثم نزل بالحمراء ومدح الوزير احمد ابن موسى بقصائد، ثم قطن الرباط نحو سنة، فتزوج هناك فخلف نسمة، وبقي ذكره طيباً بين علماء الرباط.. (198) ثم من هناك الى فاس حيث تشابك مع علمائها في مسألة ثبوت رؤية الهلال بالتلغراف والهاتف أولاً، فرد هو على كلام عيش في فتاواه ورد عليه علماء فاس

(190) الاعلام للمراكشي 7 : 171.

(191) المعسول 4 : 84.

(192) معجم المطبوعات ص : 195 — 196.

(193) المعسول 8 : 281 / الإعلام للمراكشي 7 : 180 / الأعلام للزركلي 7 : 142 معجم المطبوعات ص. 83، 84.

(194) المعسول 8 : 282.

(195) المرجع نفسه.

(196) تقدمت ترجمته في الفصل الأول من هذا الباب.

(197) المرجع السابق.

(198) المرجع نفسه.

مثل مولاي المهدي الوزاني⁽¹⁹⁹⁾، وكذلك الفقيه الحجوي له مكتوب في الموضوع⁽²⁰⁰⁾ والاديب الوزير سيدي عبد الله الفاسي في مؤلف سماه (الانصاف في ثبوت الهلال بالتلغراف) ثم مر الى تونس فمصر فالبحر، وكان حيثما حلّ يلفت انظار اهل العلم اليه بتمكنه واعتداده بمعلوماته وثقته بنفسه، وقد جاء من هذه الرحلة بكتب كثيرة منها : (روح المعاني) للألوسي وقد اهداه إليه إنسان من مصر كان استعاره منه ثم رده فقال له هذا البيت من جملة أبيات : أرى روعي إلى (روح المعاني) لها شوق يزيد مدى الزمان وكان الأستاذ يوثر (روح المعاني) على (روح البيان)، وهذا مما يدل على مكانة الرجل، لان كل من له فهم ونظر في السُّنة يعلم ان بين الكتابين ما بينهما في الانظار...»⁽²⁰¹⁾.

ثم لما رجع إلى مسقط رأسه انقطع للتدريس خصوصا في الصحيحين، مع مزاولة القضاء احتسابا⁽²⁰²⁾ إلى أن اصابه شلل في أعضائه وتوفي، رحمة الله عليه، خلفا من المؤلفات الهامة التي ألفها حوالي مائة تأليف ما بين كبير وصغير⁽²⁰³⁾ منها : شرح البخاري، ويقال إنه بقي في تونس لطبع، يبين فيه فقه المالكية كثيرا، وشرح مختصر ابن أبي جمر⁽²⁰⁴⁾، ومنظوم في القواعد الفقهية جمع فيه كل ما في (المنهج) للزقاق وزاد عليه سماه (الحجاز الواضح) ثم شرحه بشرح سماه (الدليل الماهر الناصح)، وشرح تكميل ميارة «للمنهج المنتخب»، ومؤلف في الفروع مع بيان ادلتها من الكتاب والسنة، يقول فيه الحكم كذا لقول الله كذا أو لحديث كذا سماه (منبع العلم والتقى)، وشرحه بكتاب سماه (العروة الوثقى)، و(فتح الودود على مراقي السعود) في الأصول مطبوع بفاس،⁽²⁰⁴⁾ وشرح (مرتقى الأصول الى علم الأصول) سماه (نيل السؤل) مطبوع ايضا في طرة المذكور قبله، ونظم (الناسخ والمنسوخ) وشرحه⁽²⁰⁵⁾.

وغير ذلك من المؤلفات القيمة التي لا يتصور الاشتغال بها في جنوب المغرب في النصف

(199) نفس المرجع.

(200) وقفت عليه ضمن مجموع بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 115 ت. سماه «الاعتماد في ثبوت الهلال على خبر السلك» في أوراق خمسة.

(201) المعسول 8 : 284.

(202) كان ينفق على نفسه من تجارته.

(203) المرجع السابق.

(204) مخطوط بالخزانة العامة بالرباط عدد : 2056 د. ورفات : 174.

(204) عام 1327 في 395 صفحة (معجم المطبوعات ص : 84). ثم طبع بالرياض 1412. 1992.

(205) هذه المؤلفات ذكرها له المختار السوسي في المعسول 8 : 285 وفي المعسول أطول ترجمة للرجل حسب ما رأيت.

الأول من القرن الرابع عشر الهجري بله التأليف فيها من اصول وفقه مرتبط بالنصوص وتفسير وحديث مع الاهتمام بشرح البخاري والناسخ والمنسوخ والقواعد الفقهية وما إلى ذلك من لباب العلوم الاسلامية ولذلك كان الرجل من أئمة الدين وهداتهم واسع العلم والاطلاع متبحراً في الحديث والتفسير، وقال فيه مما قال من رثاه: (206)

بكى الفقه والأصْلان والنَّحْوُ فَقَدَهُ وتفسيرُ آيِ والحديثُ وَمَا جَرَى
وما للبيان من بيان وراءه وعلم المعاني معه معناه أَقْبَرَا
أطالها القى العصا والزم الأسى فإن الذي تبغيه غُيِّبَ في الثرى
هذا نموذج من نماذج العلماء المغاربة الشناقطة في النصف الأول من الرابع عشر ؛ وأمثاله
منهم كثير كأن تلك البلاد معدن العلم والعلماء ظلت تظهرهم منذ حين الواحد تلو الآخر
وهذا ينسبك ذاك، (207)

وإذا أضفت إليه أحد الشيوخ المفسرين من الأسرة السالمية الصحراوية وهو الشيخ محمد
سالم المجلسي صاحب الريان المتوفى سنة (1302هـ) (208) يكتمل العقد وتظهر الهمم الكبرى
التي كانت بالامس القريب في حلقات الدروس، وفي منابر الشعر، وحَوْلَ مناضد التأليف،
وعلى كراسي القضاء والافتاء تعطي العطاء تلو العطاء، دون كلل ولا ملل، وما تزال آثارها
العلمية شاهدة عليها، دالة على علو كعبها.. وهو أيضا صاحب لوامع الدرر في شرح المختصر
في سبعة أجزاء ضخام (209) في حجم تفسيره الفذ الذي سيأتي التعريف به في الباب الموالي،
وفيه قال من رثاه :

ما مات من ابقى اللوامع بعده والنهر يجري تستهل سحابه
ولبحره الريان يكفي وحده يشفي الغليل ذوي الغيل شرابه (210)
وخلف محمد سالم في المدرسة المتنقلة ابنه عبد الله حمد الله، فتكاثر تلامذته وعظم الاقبال
عليه وبلغ عدد تلاميذه الراتبين 150 من أولاد بير و 120 من تندغة، و 105 من اهل تكونات
بالاضافة إلى عدد كثير من غير الراتبين من التلاميذ من مختلف قبائل الصحراء (211).

(206) المعسول 8 : 287.

(207) ينظر الوسيط في تراجم أدباء شنقيط.

(208) سوس العالة ص : 141 / د. محمد حجي (مقال سابق).

(209) المقال نفسه.

(210) المقال السابق.

(211) المقال نفسه.

وظهر أثر تعليم هذا الشيخ في أبنائه وبناته فكانوا جميعا فقهاء أدباء، لكن عالم الاسرة بعد والده هو عبد القادر بن محمد سالم المجلسي كان مشاركا في علوم القرآن والحديث والتوحيد والفقه والاصول والسير والانساب واللغة والنحو والبلاغة والمنطق والحساب والف كتباً عديدة، ومما قيل في رثائه يوم توفي عن 99 سنة عام 1937م :
وأُرْبِعَ الحديث والتفسير ودورُ حَلِّ المشكل العسير⁽²¹²⁾
وهكذا كانت الصحراء المغربية طافحة بالعلم والعلماء، خصوصا منهم المتصدرين إلى الاعتناء بالقرآن الكريم قراءة واقراء دراسة وتدرسا وتفسيرا آناء الليل واطراف النهار والولوعين بذلك إلى حد الكتابة والتأليف، فضلا عن مجالس التدريس والتثقيف رحمة الله عليهم وأثابهم على جهودهم المخلصة.

(212) (المقال نفسه).

الباب الثالث إسهامات المغاربة في التفسير

تمهيد :

يعد القرآن الكريم — الكتاب الموحى به إلى رسول الاسلام محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام بلسان عربي مبين — أعظم الكتب المنزلة، وأقدرها على الخلود في الناس، لأنه كتاب كوني، أنزله خالق هذه الأكوان، وجعله يحتوي على ما يحتاج إليه الانسان في جميع جوانب حياته، ويحجب عن كثير من تساؤلاته، ويعالج بذلك حيرة هذا الانسان وشكوكه وتقلباته باعتماد طريق معرفي وحيد، مضبوط وواضح هو طريق الوحي الالهي.

وهذه المشكاة الخصوصية المعدة لمستويات النبوة، طالما اقتضت حكمة الله تعالى أن يوجه من خلالها خلائقه إلى معرفته سبحانه، وإلى تذكيرهم برسالتهم في الحياة والهدف من إيجادهم من عدم.

وقد تُوِّجَت خاتمة النبوات والرسالات بكتاب عظيم القدر، جليل النفع، مقرون بالاعجاز والتحدي في مبناه ومعناه، هو القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

وكان القرآن الكريم ينزل به الروح الأمين على قلب خاتم المرسلين منجما حسب الوقائع والأحداث في الغالب، ليقراء على الناس على مكث، وليكون بمثابة الدواء للاستشفاء من الأدواء، ويفهمه الرسول ﷺ المكلف ببيانه وتبليغه للناس، ويفهمه أصحابه، ويفهمونه للأمم والشعوب من حولهم، ويتذوقه الجميع، سواء في ذلك المومن والجاحد، ويدركون ماله من حلاوة وما عليه من طلاوة، ويؤخذون به، إذ أن مجرد سماعه علاج للنفوس، ومغير لها من حال الكفر إلى حال الإيمان، كما أن مجرد سماعه، وتكرار سماعه كاف لإدراك أنه من عند الله، ولا دخل لجبريل — عليه السلام — ولا لمحمد ﷺ فيه.

وقد أحدثت دعوة القرآن الكريم تغييرا منقطع النظير في الاجتماع البشري، ومازالت تحتوي على نفس الشُّحُنات إِذَا وَجَدَتْ من يُحسن إِذْكَاءَهَا، كما أخذت بأيدي الذين استجابوا لربهم وأقلعتهم من براثن الشرك والضلال، وجعلت منهم قمما شامخة في تاريخ الاسلام خاصة، وبالشعر عامة.

وقد كانت دعوة القرآن حربا على الذين ناصبوا العداء في السر أو العلن، بل ظل ذلك العداء لهذه الدعوة بمثابة الريح التي تنفخ في النار لتزيد من اشتعالها، فما السر في هذا التأثير القوي العجيب؟! وهذا التجاوب السريع مع كتاب الله تعالى الذي سرعان ما جمع أما ومللا متفرقة ليكون منها أمة واحدة مجموعة الشمل والكلمة؟

إن القرآن الكريم ما دعا الناس إلى أمرٍ يضرُّ بهم أو يخطُّ من قيمتهم وتَحَضُّرهم، وإنما دعاهم إلى ما تسمو به نفوسهم، وتحرر به شخصيتهم من عبادة الله وحده عبادة مبرأة من الشك والشرك، وتحكيم شريعته في الأرض، ورفع الظلم والعار بينهم، وإحقاق الحق وإزهاق الباطل، واتباع طريق الهداية، وترك سبيل الغواية من أجل مصلحة الجميع.

وبذا كانت الشخصية الفطرية التي لا تعاني أمراض النفاق والالتواء سرعان ما تدرك أهداف القرآن، ومراميه وتستجيب لدعوته وتنضوي تحت لوائه، لأنه يفتح الآفاق للإنسان عن طريق منهج الإيمان بالله عز وجل.

وبهذه التعاليم القرآنية السمحة وأمثالها قويت شوكة الاسلام، ودخل الناس في دين الله أفواجا، واحتاجوا إلى من يزيدهم معرفة بالقرآن الكريم ومضامينه ومقاصده، ومن يواصل الرسالة فيهم بعد الرسول ﷺ والصحابة والتابعين وأتباعهم والأئمة المجتهدين، فكان العلماء الكبار المفسرين الذين توجهوا صوب القرآن الكريم بالتفسير في كل عصر وفي كل مَصْر، ولَبَّوْا حاجات مجتمعاتهم، وجعلوا القرآن بينهم يمثل دور الإمامة والقيادة والتوجيه لحياتهم ولم يعملوا على إلقائه ظهريا، أو الاكتفاء بترداده والتبرك به والتفاخر بقيمته العلمية والدينية، وإنما سعوا إلى تحكيمه في دورة حياتهم كيفما كان الحال، ومهما تغيرت الظروف والملابسات.

وفي العصور الأخيرة أصاب الأمة الاسلامية ما أصابها من الجمود والتأخر، مما جعلها تتمدُّ بالقشور وتحسبها لبابا، وتحرك في قيود من الأوهام والأباطيل وتحسبها تَدْنِيًا، وشل التفكير في جنباتها، وتحجر، وانعدم الابداع العلمي بين مبدعيها، وكاد يكون كالكبريت الأحمر، وساد الاجترار والتكرار في العلوم، واحتاجت الأمة إلى من ينفذ الغبار عن إرثها المعرفي والحضاري، ويرجعها إلى صفاء عهودها بتنقية العقيدة من الشوائب، ومما علق بها من الرواسب، وتحلية معاني كتاب الله في نَصَائِطها المعهودة، وتبيان المقاصد والأغراض التي من أجلها جاء هذا القرآن، وقد كان تفسير القرآن قد أصابه ما أصاب غيره من العلوم من تعطيل دوره الحقيقي، حتى أصبح خاليا من أي تأثير وفاعلية في بيئة المفسر، هذا إن وجد، والا فقد مُنِع تعاطيه، مع العلم أن دَوْر القرآن الكريم — خصوصا في بلدنا — هو التفاعل مع المجتمع تفاعلا إيجابيا يجعل منه موجهًا للحياة ومتحكما في واقعها، لا أن القرآن هو الذي يخضع لهذا الواقع ويجاريه فهذا قد يشكل خطورة على القرآن نفسه.

والتساؤل المقصود الآن، هو ماهي الجهود التي قدمها علماء المغرب في مجال تفسير كتاب الله في القرن الرابع عشر الهجري الذي عرفت فيه الأمة الاسلامية عامة والمغربية خاصة تقلبات وتغيرات ؟

وما طبيعة هذه الجهود التي شاركوا بها في حركة التفسير الحديث ؟ إن الجواب عن هذا التساؤل دعاني إلى عقد هذا الباب لأتناول في الفصل الأول منه عرض مؤلفات المغاربة في التفسير في القرن الأخير، وفي الثاني ادرس نماذج من هذه التفاسير، وفي الأخير اقوم عملي العلمي في البحث ككل.. وبالله التوفيق.

الفصل الأول مؤلفاتهم في التفسير

يعتقد كثير من الباحثين أن عناية المغاربة بتفسير القرآن الكريم في القرن الأخير عناية جد محدودة، وأن ما وقع من انتعاش في هذا المجال كان نتيجة البعث والإحياء الذي عرفته الثقافة العربية الإسلامية في الفترة المعاصرة وهذا الاعتقاد منهم يكاد ينسحب على درس التفسير، أما تأليف المغاربة في التفسير في القرن الأخير فإن الباحثين يستبعدون أن يكون في الأمر شيء يذكر، مما جعل الموضوع غير مطروق بالدراسة لحد الآن، في حين أن جهات إسلامية أخرى عرفت فيها هذه المرحلة دراسات متعددة حول التفسير الحديث واتجاهاته.

ونظرا لهذا الاعتقاد السائد، ورغبة في تصحيحه ما أمكن، آثرت أن أفرد هذا الفصل بعرض ما كتبه المغاربة في التفسير في القرن الرابع عشر الهجري وإلى الآن، مع التعريف بالتفسير المخطوطة والنادرة التي لا يعرف عنها الكثير، وكذا بعض المحاولات المغمورة في هذا المجال.. مع ذكر بعض الدراسات الجامعية الحديثة التي أنجزت في مجال تفسير القرآن الكريم إلى حدود الفترة التي كتب فيها هذا البحث.

ثم إن هذا الذي سأعرضه من نتاج المغاربة في التفسير في الفترة المعاصرة هو عمل علمي لم أسبق إليه فيما أعلم، فقد عرفت عدة مجالات أدبية وفنية وتاريخية معاصرة، عملية الجمع والتوثيق والدراسة، في حين ظل هذا الجانب مسكوتا عنه، مع أن تفسير القرآن الكريم يُعدُّ مَجَالاً فسيحاً لرصد الحركة العلمية والأدبية التي يعج بها عصر المفسر، فالمفسر مهما حاول الاتباع، فإنه لا يصدر في تفسيره إلا من مستوى محيطه العلمي. ومن ثم لا ينبغي أن نُغفل هذا الجانب ونحن بصدد تقويم المرحلة، علما بأن المنهج عندنا هو مركزية العلوم الإسلامية وباقي العلوم الأخرى تَبَعٌ لها، ولذا كان المفسر موسوعيا، فهو لغوي، وبياني، وأديب، ونحوي، ومحدث، وأصولي، وفقه، ومُقرِّي، ومطلع على الساحة العلمية التي يوجد فيها، ومتمثل لقضايا العصر الذي يعيش فيه، ومن هنا صبح التماس حال الحركة العلمية من خلال انجاز المفسر، لأنه إنجاز أملت ظروف وملابسات المرحلة التي يعيشها المفسر، فضلا عن كونه أداء لواجب خدمة كتاب الله الذي هو شرف الإسلام، ورمز وحدة الأمة، وشعار المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، ومن خَدَمَهُ بالتفسير فقد خدَم الأمة بأجمعها في تلك المشارق

وبعد أن صرفت جهدا لا يستهان به في عملية الجمع والتقصي لما كتب المغاربة في الفترة المعاصرة في تفسير القرآن الكريم، ما قل منه أو كثر تبين لي أن عرضه حسب التصنيف الآتي :

أولا : التفاسير التامة والحواشي

ثانيا : تفاسير غير تامة

ثالثا : تفسير سور معدودة أو سورة.

رابعا : تفسير آيات أو آية

خامسا : رسائل جامعية في التفسير.

أولا : التفاسير التامة والحواشي : وأقصد بها التفاسير التي تناول أصحابها تفسير كتاب الله عن آخره، حسب نهج كل واحد منهم، والخطبة التي رسمها لتفسيره، ولا يخفى أن تفسير كتاب الله عز وجل، ليس من الأمور السهلة المنال، وقلما تحصل إلا لمن هيا الله له أسباب الفوز بذلك، واختاره لهذه المهمة، ورزق لعمله الرضى والقبول عند العامة والخاصة بعد تمامه وإخراجه.

تفسير كتاب الله يحتاج إلى العلم الواسع، والرغبة الملحة، والصبر والتحمل، وفسيح الآجال، والتوفيق الإلهي، والرؤية الواضحة والثاقبة، وفي عصرنا هذا كثرت الشواغل وتعددت، وحتى إن توفر أحد هذه الشروط، كالعلم مثلا، فإنه غالبا ما يطغى عليه التخصص الذي يصد عما سواه، والناس أعداء ما جهلوا، فهل من السهولة الحصول على مفسر لكتاب الله بكل ما في الكلمة من معنى، يستطيع أن يفسر لنا كتاب الله تفسيرا يتجاوب مع عصرنا ومرحلتنا، ويؤدي بعمله هذا ما على الأمة من دين اتجاه كتاب الله، ويجعل هذا القرآن قريبا من الناس وفي متناولهم يعالج نفوسهم وأحوالهم ويوجه حياتهم وواقعهم ؟

الواقع أن هذه الأمة لم تخل من خير، ولن تخلو منه بإذن الله، فقد وُجد وسيوجد هذا المفسر — إن شاء الله — فقد قيض الله لهذه المهمة من اشتغل بها من العلماء المخلصين الأوفياء لدينهم وعقيدتهم الذين تجردوا لهذا العمل وفسروا القرآن الكريم كل حسب طاقته وقدرته، وما أداه إليه اجتهاده، قاصدين النفع العميم، وتبليغ ما جاء في القرآن الكريم، وهذه مجموعة من تفاسيرهم المعاصرة :

(1) ينظر أبو بكر زينير في مقدمة تفسيره المخطوط.

1) الريان في تفسير القرآن

تأليف : «محمد بن محمد بن سالم بن محمد سعيد... المجلسي العلوي الفاطمي الحسني الادريسي المالكي الأشعري» المتوفى سنة 1302هـ بالصحراء المغربية.

يقع هذا التفسير مخطوطا في سبعة اجزاء ضخام عند أسرة مؤلفه وحفدته بالصحراء المغربية، وقد تقدم عرض مضمن مقدمته في علوم القرآن مع سوق نماذج منها...
ويبقى أن أسوق ما نص عليه من غرضه في هذا التفسير والمنهج الذي سلكه فيه والتسمية التي اختارها له إذ قال :

«إن علم القرآن العظيم هو أجل العلوم وأعلاها وأشرفها وأفضلها وأرفعها، وأزكاها، وقد تفضل علي سبحانه بأن شغلني بخدمته، والتفهم في معانيه، والبحث عن تناسيه ومبانيه، وقد اطلعت على تصانيف مما صنفه العلماء في تفسيره مختلفة الأوصاف، متباينة الأصناف، فمنهم من آثر الاختصار، ومنهم من أطل، وكل يغترف من فيض النعم المدرار، ومنهم من تكلم في بعض فنون العلم دون بعض. وكل منهم يجتني من الثمر الغض، فرغبت في سلوك طريقهم، والانتظام في سلك فريقهم، فصنفت هذا الكتاب، مبينا فيه ما تيسر ذكره من علوم القرآن، ولم آل جهدا فيما يكون من التحقيق والتدقيق والتبيان، والنكتة العجيبة والفوائد الغريبة، والتناسب الرائق، وتوضيح المعنى البارع الفائق، وسميت هذا التفسير بالريان في تفسير القرآن»⁽²⁾.

وفي اختيار صاحب «الريان» مصادره وتحريه فيها يقول : «واعلم أنني استعنت في هذا الكتاب بالله الملك العزيز، وانتخبت فيه كلام كل سيد مزيز⁽³⁾، أهل التحقيق والتبريز فرغيت عن الردي، وأخذت الأحمر الإبريز...»⁽⁴⁾.

وتظهر أهمية تفسير «الريان» في غنى عبارته، وسلاسة أسلوبه، وحسن نقوله واختيار أجود ما في مصادره، مع إحكام نسج كل ما يورده من الأقوال، والحرص على نسبة النقول إلى

(2) وقفت في كتاب «الدفاع، وقطع النزاع عن نسب الشرفاء أبناء أبي السباع» تأليف العلامة المفتي عبد الله ابن عبد المعطي السباعي والمطبوع بالمطبعة الاقتصادية بالرباط عام 1359هـ — 1940م ص : 20 أن اسم كتاب المجلسي المذكور هو : «مورد الضمان، في تفسير القرآن»، ويظهر أنه وهم وقع لابن عبد المعطي وإلا فأنني نقلت من المخطوط المكتوب بخط مؤلفه وهذا لا يدع مجالا للشك كما هو معلوم.

(3) المزير : الفاضل، (هامش المخطوط).

(4) ص : 4 من المخطوط.

أصحابها بدءاً وانتهاءً، وتمييز كلامه عن كلام غيره بقوله : «وقال صاحب هذا التفسير» ليدل بذلك على إضافته وجديده من بين ما يسوقه من أقوال المفسرين.

أما خطته ونهجه في تفسيره، فهو يسلك طريق التفسير العام، فيفسر القرآن آية آية، وكلمة كلمة، معنياً بالمبنى لينتهي مما يقرره فيه إلى إيضاح المعنى، ثم يستشهد على ذلك بأقوال مجموعة من المفسرين ممن اختارهم مصادر لتفسيره، ولعل هذه المجموعة من التفسير كانت مفضلة لديه، ومتوفرة بين يديه وهي كما تتكرر في تفسيره إمّا بذكر بعض أسماء أصحابها أو باختصار عناوينها : ابن جزي⁽⁵⁾، البغوي⁽⁶⁾، البيضاوي⁽⁷⁾، الخازن⁽⁸⁾، الثعالبي⁽⁹⁾، الضياء⁽¹⁰⁾، اللباب⁽¹¹⁾، الذهب⁽¹²⁾، الجلالين⁽¹³⁾.

وقد شكلت نقوله عن هؤلاء المفسرين شطراً كبيراً من سدى ولحمة «تفسير الريان في تفسير القرآن»، أما في القراءات التي يهتم بها في تفسيره بتعمق، فإنه يتكئ على النشر في

(5) التسهيل لعلوم التنزيل لمحمد بن جزي الكلبي (ت. 757هـ) صاحب القوانين الفقهية، (الإحاطة 2 : 256 القاهرة 1974).

(6) أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت. 510هـ) من كبار علماء السنة له «معالم التنزيل في التفسير» اعتنى فيه بالتفسير بالمأثور، وصانته من الأحاديث الموضوعية، والآراء المبتدعة. [طبقات المفسرين للدودي 1 : 160 — بيروت دار الكتب العلمية ط 1. 1403هـ 1983].

(7) عبد الله بن عمر الشافعي البيضاوي (ت. 691هـ) صاحب أنوار التنزيل وأسرار التأويل «وهو من التفسير التي حظيت بالقبول وكتب لها التداول والاعتناء، ولا ادل على ذلك من وجود أكثر من أربعين حاشية عليه، وقد اختصره من الكشف ومفاتيح الغيب للرازي، مع إضافات وتحريرات والاستغناء عن آراء الزمخشري الاعتزالية. [المراجع نفسه 1 : 248].

(8) أبو الحسين علي محمد بن إبراهيم البغدادي الخازن (ت. 741هـ).

(9) نسبة إلى ثعالب الجزائر هو عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف (ت. 875هـ) تفسيره متداول بين أهل المغرب وكان له كرسي خاص بالقرويين وأسمُ تفسيره «الجواهر الحسان في تفسير القرآن» مطبوع بالجزائر [شجرة النور الزكية 976].

(10) قد يكون «ضياء السبيل إلى معالم التنزيل في تفسير القرآن للشيخ محمد علي بن محمد البكري الصديقي ولد بمكة وتوفي بها سنة 1067هـ/ أو «ضياء التأويل في معاني التنزيل» لعبد الله بن محمد الفلاني المختار مخطوط [خ ع. 2041 د خ ج. 2665].

(11) لعله يقصد «اللباب من علوم الكتاب» لعمر بن عادل النعماني الحنبلي الدمشقي (ت. 880هـ) مخطوط منه نسخة بالخزانة الوزانية تحت رقم 413 تامة (مقالة ذ. المنوني مجلة دار الحديث ع 3/ 1402هـ).

(12) لعله يقصد «الذهب الأبريز في غريب القرآن العزيز» لعبد الرحمن بن محمد الثعالبي الآنف الذكر.

(13) جلال الدين السيوطي وجمال الدين المحلي، وهو من التفسير الواسعة التداول بين علماء المغرب دراسة وتدريساً.

القراءات العشر لابن الجزري⁽¹⁴⁾ وشرح ابن القاصح على الشاطبية،⁽¹⁵⁾ مع التنصيص على ذلك في الغالب.

وحتى يتضح ما قررته عن هذا التفسير اسوق نموذجا من تفسيره للآية الثالثة عشرة من سورة البقرة، وهي قوله تعالى : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم آمَنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾.

(وَإِذَا قِيلَ لَهُم) :

أي للمنافقين. (آمَنُوا) صدَّقُوا بِمُحَمَّدٍ ﷺ وشريعته. (كَمَا آمَنَ النَّاسُ) كما صدق المهاجرون والمحقون من أهل المدينة. وهذا من تمام النصح المتقدم في قوله : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم لَّا تَفْسُدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ و«مَا» مصدرية، أو كافة. و«اللام» في الناس، للجنس. والمراد به : الكاملون في الانسانية العاملون بقضية العقل ؛ أو للعهد، والمراد به : الرسول ومن معه، والمعنى : آمَنُوا إيماناً مقروناً بالاخلاص، متمحضاً من شوائب النفاق، مماثلاً لإيمانهم، قاله في الضياء. وقال ابن جزري : (الناس) أصحاب النبي ﷺ، والكاف : يحتمل أن يكون للتشبيه أو التعليل، وما : تحتمل أن تكون كافة مهية كما هي في ربما، وأن تكون مصدرية. انتهى، وقال في الباب : (كَمَا آمَنَ النَّاسُ) : يعني المهاجرين والأنصار، وقيل عبد الله بن سلام وأصحابه من مومني أهل الكتاب، والمعنى أخلصوا في إيمانكم كما أخلص هؤلاء في إيمانهم، لأن المنافقين كانوا يظهرون الإيمان (قالوا أنؤمن) إنكار منهم وتقبيح، قال ابن جزري : (كَمَا) فيه الوجهان المتقدمان (ءامن السفهاء) أن نكون كالجاهلين الذين خفت عقولهم، وأصل السفه الخفة والركة الداعية للخفة، يقال : ثوب سفيف إذا كان رقيقاً مهلهل النسج، وهذا القول إنما كانوا يقولونه في خفاء فأطلع الله تعالى عليه نبيه عليه الصلاة والسلام، والمومنين قال غير واحد، وبه يندفع السؤال، كيف يصح النفاق مع المجاهرة بقولهم : (أنؤمن كَمَا آمَنَ السفهاء) وقوله (أنؤمن) كما ءامن السفهاء) أي لا نفعل كفعلهم، وفي الضياء : السفهاء أي الجاهل، وأصل السفه الخفة والطيش، وهو نقيض الحلم، ولا يطلق على الجاهل الساكت وإنما يطلق على السليط، وإنما سفهوه لاعتقادهم فساد رأيهم، وتحقير شأنهم بكون أكثرهم فقراء وموالي كبلال وصهيب، قال تعالى ردا عليهم : (أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ) وهو من أبلغ الرد، إذ قرر أن السفه رقة الحلوم وفساد البصائر إنما هو في حيزهم صفة لهم وأخير أنهم لا يعلمون بذلك كما قال. (ولكن) بالحذف حيثما وقعت (لا يعلمون) أنهم هم السفهاء، قال في الضياء : وإنما فصلت هذه الآية

(14) سابق الذكر.

(15) سراج القارئ المبتدئ وتذكرة القارئ المنتهي مطبوع بمصر شركة التمدن الصناعية 1330هـ.

بلا يعلمون، والتي قبلها بلا يشعرون لأنه أكثر طباقاً لذكر السفه، ولأن الوقوف على أمر الدين، والتمييز بين الحق والباطل، مما يفتقر إلى نظر وتفكير؛ وأما النفاق وما فيه من الفتن والفساد، فإنه يدرك بأدنى تفتن وتأمل فيما يشاهد من أقوالهم وأفعالهم انتهى، وقال ابن جزى: ألا إنهم هم السفهاء رد عليهم وإناطة للسفه بهم وكذلك هم المفسدون، وجاء بالألف واللام ليفيد حصر السفه والفساد فيهم وأكده بأن وبالأ التي تقتضي الاستيناف وتنبية المخاطب. انتهى. وقرأ أهل الكوفة والشام السفهاء ألا بتخفيف الهمزة، وكذلك كل همزتين وقعتا في كلمتين متفتقتين أو مختلفتين، والآخرون يحققون الأولى ويلينون الثانية في المختلفتين طلباً للخفة، وإن كانتا متفتقتين مثل هؤلاء إن كنتم، أولياء أولئك، وجاء امر ربك...».

وهكذا يواصل المجلسي — رحمة الله عليه — عمله التفسيري على نفس المنهج دون كلل ولا ملل ودون الخروج على هذا النسق خروجاً يستحق الالتفات والتسجيل، فجاء عمله العلمي وفق منهجه عملاً موسوعياً مشبعاً بالتحقيق والتدقيق ونسبة الأقوال إلى أصحابها مع محاولته فهم النص القرآني من خلال مبناه اللغوي ومعاني حروفه وقراءاته، والاستشهاد على ذلك بما جاء من أقوال المفسرين.

2 — تيسير الفرقان في تفسير القرآن :

تأليف علي بن سليمان البجَمَعَاوي الدِمَنَاقِي (ت. 1306هـ) ⁽¹⁶⁾ يوجد هذا التفسير مخطوطاً بخزانة محمد عبد الحي الكتاني ⁽¹⁷⁾ الملحققة بالخزانة العامة بالرباط، الجزء الأول والثاني والثالث رقم 2006ك.

وقد وقفت على الجزء الأول من هذا التفسير فوجدته مخطوطاً بخط مغربي جيد ومقروء، لكن ورقه قد تقادم وضعف وأصبح قابلاً للتفتيت بأدنى سبب، وتاريخ نسخه هو 6 جمادى الأولى 1297هـ.

ويهدف البجَمَعَاوي — رحمه الله تعالى — في هذا الجزء من تفسيره إلى تقصي معاني سورة الفاتحة والبرهنة على أنها متضمنة معاني القرآن، مما جعله يسلك في ذلك منهجاً فريداً يشبه التفسير الموضوعي إلا أنه يكتفي بجمع العديد من الآيات التي يرى أن بينها تكاملاً وترابطاً في المعنى في صعيد واحد، دون التدخل بالتعليق والتوضيح، وقد أشار إلى هذا في مقدمة الجزء الأول الذي يبتدئه بقوله: «الحمد لله الذي وصفه الحمد، وعرفه المجد، الذي مَنْ عَلَيْنَا بِسَمَاءِ الْوُجُودِ وَسَنَ لَنَا الْارْتِقَاءُ عَلَى النُّجُودِ..» إلى أن يقول: «أما بعد، فيقول الدمنتي

(16) تقدمت ترجمته في فصل القراءات وفي درس التفسير بمراكش.

(17) صاحب التأليف العديدة منها فهرس الفهارس، والتراتب الادارية وغيرها، سابق الذكر.

الجمعوي علي بن سليمان الراجي الغفران له ولكل موحد من ربه الرحمن، طالما أسمع من أستاذي العلامة، ومعاذي في المشكلات إبي العباس الدكالي العرفي ان الله تعالى جمع معاني القرآن في الفاتحة، ومعاني الفاتحة بالبسملة، ومعاني البسملة بنقطة بسم الله، فرأيته كذلك بكتب السلف، فالخلف له سلف... فاليوم أردت ان أألف تأليفا في شرح الفاتحة بالقرآن⁽¹⁸⁾ أجمع، وأشير إلى ذلك بالبسملة والنقطة ليعلم كل عاقل أن قول السلف وسيدنا علي المذكور⁽¹⁹⁾ صحيح حق، وأرتبه على خمسة كتب، الكتاب الأول في معنى الحمد للملك، والثاني في معنى يوم الدين، والثالث بمعنى اياك نعبد واياك نستعين، والرابع بمعنى أنعمت عليهم غير...، والخامس بمعنى المغضوب عليهم ولا الضالين...

إلى أن قال : «وقد ألفت مختصرا في التفسير، سميته «تيسير الفرقان في تفسير القرآن» يفيد ما لا تفيد المطولات وخيرها تفسيرا، فسميت هذا مقدمة تيسير الفرقان في تفسير القرآن لأنني أجمع بالخواتم التي أذكرها بكل بين القصص الطويل المتفرق بأمكنة من القرآن حتى يظن من لا علم له أن بين ذلك تخالف، جمعا زائدا على ما ذكرته بالتفسير، فهي معينة على فهم قصص الأنبياء جدا، خصوصا ما طال كما لنوح وموسى على نبينا بآله وعليهم الصلاة والسلام...»

— الجزء الثاني من كتاب : تيسير الفرقان في تفسير القرآن لأبي الحسن علي بن سليمان الدمنائي البجمعوي (ت. 1306هـ)

وهو مجلد متوسط الحجم، خطه مغربي مقروء، مزين بالأحمر والأزرق والاحضر غير مرقم الصفحات، رقمه بالخزانة العامة بالرباط III/52006 وآياته القرآنية مكتوبة باللون الأحمر ومثله في ذلك الجزء الثالث.

أوله : «الحمد لله الذي فسر لنا بلسان حبيبه محمد ما أنزل من الكتاب ويسر لنا باسمه محمد ما تعسر عما قبلنا، فصرنا حامدين محمد بن بلا تعب ولا عتاب، والصلاة والسلام عليه وعلى آله وصحبه وأتباعه الى يوم الدين، ما اتصف الله تعالى بنحو مالك يوم الدين، والقوي المتين، هذا وإن الدمنتي البجمعوي علي بن سليمان أفقر عبيد الله تعالى بما فاق سوابق التيسير مُستنفِذاً إليه لواحق التعسير إلى تعلم هذا الكتاب المبجل، القرآن المحجل، والسر المعجل والمؤجل، كان من منن الله تعالى علي اني ما تعلمت شيئا منه إلا علمت معناه، فلا أتوقف

(18) سماه «مقدمة العرفان في تفسير الفاتحة بجميع القرآن».

(19) هكذا ساقه البجمعوي في مقدمة تفسيره : «لو أردت أن أكتب في تفسير الفاتحة سبعين وقر بعير لفعلت» وفي البرهان للزركشي 1 : 8 «لو أردت أن أُملي وقر بعير على الفاتحة لفعلت».

إلا في نحو غريبه، فنذرت الله تعالى على أن لا أُوتَى علما إلا وضعت عليه تفسيرا يبين ما غلبني منه إذ هو ما عَمَّت الحاجة إليه لكل من يتعاطاه دون ما يطول به كُُلُّ ذي فن من المفسرين، فترى صاحب البلاغة لا يكون غالبا طويل كلامه كالزنجشري.. (إلى أن قال بعد أربع صفحات) :

سورة المثاني: (20) مكية سبع آيات.

ثم بدأ بتفسيرها قائلا : « الحمد أي الشكر أي الوصف بالجميل أيا كان...
وآخره :

تفسير قوله تعالى : ﴿وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك، ولم يكن له ولي من الدل وكبره تكبيرا﴾ (21).

وبعد تفسير آخر لفظة من الآية قال : هذا آخر أو إن أُلقي به عصا الشيخ الإمام العالم الفهامة المدقق جلال الدين السيوطي الشافعي إذ هنا انتهى تكميله قال : — أي السيوطي — ألفتة بمدة قدر ميعاد الكلم (22) يوم الأحد عاشر شوال سنة سبعين وثمانمائة وابتدأته يوم الأربعاء مستهل رمضان من السنة المذكورة، سبحان من جعل زمان تأليفه زمان تأليفي، ابتداءه يوم الاربعاء آخر شعبان وانتهاءه بكرة الثلاثاء سابع وعشرين من رمضان سنة تسعين ومائتين والف، فنقص لي ببركته ثلاثة عشر يوما، ولم أكتب ليلا لعدم ما أستصبح به، لأني عند من يراني لا أستحق من الأحباس ذلك... وآن أو أن أخذ عصا الشيخ العالم العلامة المحقق جلال الدين المحلي (23) إذ أول تأليفه من الكهف للناس سبحانك اللهم والحمد لله رب العالمين وربنا الرحمن المستعان المستخار المستجار وعليه التكلان.

تاريخ نُسَخِهِ عام : 1297هـ.

— الجزء الثالث من كتاب : تيسير الفرقان من تفسير القرآن للجمعوي. في الصفحة الأولى منه بعد البسملة والصلاة على سيدنا محمد ﷺ.

(20) الفاتحة.

(21) آخر آية من سورة الاسراء : 110.

(22) أي أربعون يوما، ويستفاد ذلك من قوله تعالى في سورة الاعراف، الآية : 142 [وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة]. وقوله في البقرة : [وإذا واعدنا موسى أربعين ليلة].

(23) جلال الدين المحلي عالم مصري (ت. 864هـ) سبق السيوطي الى تفسير ثلاثين حزبا من سورة الكهف إلى الناس والفاتحة وجاء جلال الدين السيوطي وفسر من البقرة إلى سورة الكهف وسمي تفسيرهما بتفسير الجلالين وهو من أكثر التفاسير ذيوعا بين ايدي العلماء المغاربة كما تقدم.

— الجزء الثاني من تيسير الفرقان في تفسير القرآن سورة الكهف مكية إلا واصبر نفسك⁽²⁴⁾ مائة وعشر آيات أو خمس عشرة آية.

ثم بدأ في تفسير هذه السورة قائلا :

«بسم الله الرحمن الرحيم (الحمد) هو الوصف بالجميل ثابت (لله) تعالى أريد به الإعلام به للايمان به والثناء به معا (الذي أنزل على عبده) محمد ﷺ.. وآخره : سورة الناس مكية أو مدنية ست آيات.

وبعد تفسيرها ختم الكتاب بدعاء طويل قال في آخره : «وكان الفراغ من نَسْخِهِ بعد مغرب يوم الاحد ثالث عشرة جمادى الثانية من عام سبعة وتسعين ومائتين وألف.»

وبهذا لم يعد خاف أن تفسير البجمعوي على غرار تفسير الجلالين من حيث الایجاز والاقتضاب، ويكفي أن نعلم أنه فسر نصف القرآن في أقل من شهر وبلاشتغال في ذلك نَهَاراً لَآ لَيْلاً لأنه كان يفتقد ما يستصبح به على حد تعبيره — رحمة الله عليه — وأنه ذكر اسمي كل من السيوطي والحلي، ولولا تأثره بعملهما العلمي في التفسير ما كان هناك من وجه لذكرهما بل وأكثر من ذلك أنه جعلهما مُتَكَاةً وَعُمْدَتَهُ في تفسيره هذا، وذلك حين أشار إلى ذلك بقوله : «هذا آخِرُ أوَانِ الْقِي به عصا الشيخ... جلال الدين السيوطي».

3 — التيسير في أحاديث التفسير

تأليف الشيخ محمد المكي الناصري.

وهو عبارة عن أحاديث في التفسير ألقاها الشيخ محمد المكي الناصري بالإذاعة الوطنية بالمغرب، ثم طبعت ببيروت بدار الغرب الإسلامي ط 14061 1986 في ستة مجلدات من الحجم المتوسط طبعة أنيقة اشتملت على تنقيحات وزيادات من المؤلف.

ومازالت حلقات هذا التفسير تلقى بالإذاعة الوطنية بالمغرب صبيحة كل يوم، ويتجاوب معها ويتبعها الكثير من المهتمين وقد سمعت أنها لقت رواجاً وتداولاً في الأشرطة بالشرق العربي الاسلامي، لتوفر العديد من المزايا العلمية فيها من اليسر والاختصار وإصابة الهدف، واعتماد مجموعة هامة من مصادر التفسير الثقلية والعقلية المتداولة في ساحة التفسير..⁽²⁵⁾ بالاضافة إلى حسن إلقاء هذه الأحاديث الذي يشد إليه انتباه كثير من الناس.

(24) الآية : 28.

(25) سيأتي المزيد من التقويم لهذا التفسير.

4 — احمد بن محمد العلمي اليملاحي المتوفى سنة (1358هـ 1939م)⁽²⁶⁾.

عالم مدينة مراكش في عصره ومدرسها، مولده ووفاته بها له تأليف منها «تفسير في عدة اسفار»⁽²⁷⁾.

5 — محمد (فتح) بن محمد بن احمد الخصاصي التازي (ت. 1354هـ)⁽²⁸⁾.

مفسر مغربي مالكي كان قاضي مدينة تازة، وتوفي بطنجة، أخذ عنه السلطان المولى عبد العزيز وكان لا يفارقه، له «تفسير» قال عنه ابن سودة⁽²⁹⁾ يقع في عدة مجلدات.

6 — أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن.

تأليف محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي (ولد سنة 1305هـ⁽³⁰⁾ وتوفي : 1393هـ).

وهو تفسير مطبوع في بيروت — عالم الكتب، دون تاريخ، في تسع مجلدات. وقد مات الشيخ محمد الأمين وقد بقي له من إتمامه ستة أحزاب أتمها تلميذه عطية محمد سالم⁽³¹⁾. ومنهج هذا المفسر ليس منهج التفسير العام «بل هو تفسير خاص على منهج مختص به، وهو تفسير ما أجمل من الآيات أيا كان سبب إجمالها من حيث اللفظ والمعنى وبيان هذا الإجمال من آيات أخر، سواء كان بالمنطوق أو المفهوم أو الفحوى، أو بسنة ثابتة ثم استتباع ذلك ببيان الأحكام التي تؤخذ من هذه الآية»⁽³²⁾.

وقد انجز الشيخ محمد الأمين هذا التفسير بالمملكة العربية السعودية، بعد أن زاول التفسير سنوات بالمسجد النبوي ودرسه لطلبته.. وكان من حصيلة علم هذا الرجل تفسيره «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن»⁽³³⁾، وقد ذهب إلى الحجاز من أجل أداء فريضة الحج،

(26) ترجمته في الاعلام لخير الدين الزركلي الجزء الأول..

(27) الذيل التابع لإتحاف المطالع لابن سودة مخطوط نقلا عن اعلام الزركلي.

(28) الاعلام للزركلي 7 : 81.

(29) الذيل التابع لإتحاف المطالع نقلا عن الاعلام للزركلي 7 : 81.

(30) هذا المؤلف درس بالمغرب ولما كانت شنقيط تابعة للمغرب ومن ثم امكنتني ادراجه في صفوف المفسرين المغاربة أما ترجمته ونسبه بتفصيل فيمكن الرجوع إليه في آخر الجزء التاسع من تفسيره وهي ترجمة وافية بقلم تلميذه عطية محمد سالم.. وقد نص على أن وفاته كانت يوم 12/17 1393هـ.

(31) يراجع الجزء الثامن من أضواء البيان ... ص : 5. ومازال الشيخ عطية يلقي دروس التفسير بالمسجد النبوي خلفا لشيخه الشنقيطي، واعتادا على ما أخذه عنه من علم نافع.

(32) الجزء الثامن ص : 5.

(33) وكذا «إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب» وهو عبارة عن رسالة صغيرة ساقها بمناسبة تفسيره لسورة «النجم» =

وطاب له المقام وبقي هناك إلى أن وافاه أجله المحتوم — رحمة الله عليه — واشتغل بالتفسير هناك حوالي ثلاثين سنة تقريبا.

وقد يؤخذ على تصنيفه في التفاسير الثامة وقد مات قبل أن يتمه فيكون الجواب مستمدا مما قاله متممه الاستاذ عطية محمد سالم، من أنه أتم ما تبقى من هذا التفسير بالاحالة على المنجز منه، وربط المتقدم السابق والمتأخر اللاحق وكذلك حصوله على إملاءات دراسية للشيخ كان قد أملاها بالرياض على كثير من السور المتبقية «فهي وإن كانت موجزة وعلى منهج التفسير العام إلا أنها بمثابة تفتيح للابواب»⁽³⁴⁾ وكذلك العناية بمناسبة السياق للآي حيث يوجد ربط كبير وتوجيه مفيد، يضاف إلى ذلك أن المتمم من أقرب تلاميذه إليه وأشدّهم تأثرا به واعترافا بفضله العلمي والتربوي عليه⁽³⁵⁾.

وقد انجز احد الخريجين من كلية الآداب بالرباط دراسة عن هذا التفسير وذلك لنيل دبلوم الدراسات العليا في الدراسات الاسلامية⁽³⁶⁾

7 — حواش على تفسير البيضاوي

لشيخ الجماعة بالرباط أبي إسحاق التادلي الرباطي⁽³⁷⁾ (ت. 1311هـ)

وهي من مؤلفات هذا العالم الضائعة وقد قال العلامة عبد الله الجراي — رحمة الله عليه — «وعليه كتب الشيخ حاشيته، والأنوار»⁽³⁸⁾ بطبعها، في أمس الحاجة الى الكتب عن بعض الآيات وفقرها ذات الطابع البلاغي الذي يضطر معه القارئ إلى مزيد من التفكير رغبة في الأصول إلى المرمى الهادف للمفسر وراء تعابيره القوية»⁽³⁹⁾.

8 — حواشي تفسير الجلالين⁽⁴⁰⁾

لأبي إسحاق التادلي الرباطي أيضا

= 7 : 709 ورسالة منع المجاز عن المنزل للتعبد والاعجاز» وفهرس للمباحث الفقهية لما جاء في انحاء متفرقة من جميع الكتاب وقد نشرت مع تفسيره في آخر الجزء التاسع.

(34) الجزء الثامن ص : 6.

(35) ينظر ما قاله عن ذلك بمناسبة ترجمته لشيخه في آخر الجزء التاسع من اضواء البيان.

(36) واسم هذا الباحث هو الاستاذ سعيد فنجوي بكلية الآداب بالجديدة.

(37) تقدم التعريف به، وقد ذكر هذه الحاشية له الاستاذ الجراي وصاحب الاغتيباط ص : 251.

(38) يقصد انوار التنزيل للبيضاوي..

(39) شيخ الجماعة العلامة ابو اسحاق التادلي الرباطي ص : 91.

(40) المرجع السابق ص : (88 — 90) الاغتيباط ص : 251.

وقد أورد الأستاذ عبد الله الجراري صورة لجذاذة مكتوبة بخط المؤلف من سورة الفاتحة ونسبها إلى حاشيته على الجلالين،⁽⁴¹⁾ ومما جاء فيها.

«قوله تعالى في سورة الفاتحة : ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ كأنه مرتب على العلم والعمل في قوله : ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾، لأنه في قوة فيك نجاهد بالعلم والعمل فاهدنا إلى الصراط المستقيم ثم وعدت في قولك في سورة النساء : ﴿ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به﴾ إلى قوله : ﴿وهلديناهم صراط مستقيماً﴾⁽⁴²⁾. وفي سورة العنكبوت : ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾،⁽⁴³⁾ وفي سورة المائدة : ﴿لستم على شيء حتى تقيموا التوراة﴾،⁽⁴⁴⁾ فإنك لا تخلف الميعاد. فالعمل يوصل للصراط المستقيم في الدنيا والصراط المستقيم في الدنيا يوصل للصراط المستقيم في عرصات القيامة حتى يمر على الصراط كالبرق أو أسرع والصراط المستقيم في القيامة يوصل للجنة، والصراط المستقيم في الدنيا هو (التصوف) وإياك نعبد بالفقه، وإياك نستعين بالتوحيد أو العكس وإياك نعبد بالتوحيد وإياك نستعين بالتوحيد والتصوف، اهدنا الصراط، الثبات على ذلك، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا الآية»⁽⁴⁵⁾.

ولعل هذا النموذج كاف لأخذ صورة أولية على نهج الشيخ أبي إسحاق التادلي الرباطي في التفسير، وقد استنتج الأستاذ عبد الله الجراري من خلال ما عثر عليه في المتبقي من أوراق هذا الشيخ أنه كان يروم وضع تفسير للقرآن.

9 - حواش على تفسير الجلالين

تأليف محمد بن ابراهيم السملالي الهرواشي البعمراني (ت. 1331هـ) وهو مخطوط عندي مع الكناشة الشخصية لهذا الفقيه عثرت عليه ضمن بقايا خزانة هذا العالم الذي هو جد والدي للأُم، وطُرُره زاخرة وكثيرة يعتمد فيها مصادر متنوعة مثل الكشاف، وابن جزري، والبيضاوي. مع التركيز على «الجمال» بصفة أخص، كما يغذي هذه الطرر بنقاش لغوي ونحوي من حين لآخر... وتلك الطرر كلها تدل على أن صاحب هذه الحاشية كان يدرس بها طلبته في المدرسة التي اشتهرت كثيرا في عهده وهي مدرسة (إسك)، وهو الذي كان مشارطا بها بجامعة تَغْزَا بآيت بعمران لَمَّا حل السلطان الحسن الأول بسوس عام 1303هـ، كما تقدمت الإشارة إليه، ويقال إن جَ على المسفيوي الذي كان عَلى رَأْس العلماء المرافقين للسلطان قد أجرى له اختبارا

(41) المرجع السابق ص : 90.

(42) النساء الآية 67.

(43) العنكبوت الآية 67.

(44) المائدة الآية 70.

(45) شيخ الجماعة العلامة ابو اسحاق التادلي الرباطي ص : 90.

علميا، فوجده متمكنا في النحو أو الحساب والفرائض والتوقيت، والفقه من باب أولى، فَذَكَرَ ذلك للسلطان فطلب منه أن يكون في ركابه، فاعتذر الهرواشي للسلطان طالبا منه الدعوات وأن يتركه في مدرسته، فأقره واستقصاه هناك بظهير حسني شريف..

10 — طرر الشيخ محمد المختار السوسي على تفسير الكشاف للزمخشري.

وتقع هذه النسخة من الكشاف في أربعة مجلدات مطبوعة في مصر الطبعة الأولى مطبعة مصطفى محمد 1354هـ. وبذيلها كتابان جليان، الأول كتاب الانتصاف للإمام ناصر الدين أحمد بن محمد ابن المنير الاسكندري المالكي (ت. 683هـ)، وقد بين ما تضمنه الكشاف من الاعتزال، وناقشه في أعاريب وأحسن الجدل مع حسن الایجاز.

الثاني : حاشية للشيخ محمد عليان المرزوقي الشافعي من أكابر علماء الأزهر وهي تتضمن التنبيه على ما بالكشاف من الاعتزال وبيان عقائد أهل السنة فيها وحل الألفاظ اللغوية الغريبة الاستعمال.

وضع القرآن بأعلى الصفحة، وتحت تفسير الكشاف وتحت كتاب الانتصاف وفي أسفل الصفحة حاشية الأستاذ محمد عليان.

وفي النسخة منصوص على انها قوبلت هذه الطبعة مع جملة نسخ من الطبعة الأميرية ونسخة خطية بمعرفة لجنة من أفاضل العلماء.

وعلى هذه النسخة طابع بداخله «خزانة جمعية علماء سوس تارودانت» وذلك لأن هذه الجمعية قد اشترت خزانة الفقيه ويظهر أن الشيخ محمد المختار السوسي خص تفسير الكشاف بعناية خاصة، فكان يقرأه ويعطيه قيمته، وأهميته العلمية، ويعلق عليه، ويلاحظ ويوثق الآيات القرآنية⁽⁴⁶⁾، والآيات الشعرية⁽⁴⁷⁾، وينبه على فوائده⁽⁴⁸⁾ وقد تجلّى كل ذلك في النسخة التي كانت بين يديه من تفسير الكشاف، فقد حلّى حواشها بطرر متنوعة بحسب ما اتفق له من الأقلام الأحمر أو الأزرق وأحيانا قلم الرصاص، وكان الذي يهّمه أن لا تمر عليه فائدة دون تحصيل وتأكيّد وتقويم⁽⁴⁹⁾ — رحمة الله عليه —

(46) بعض التوثيق، بأن يضع على الآية اسم السورة الواردة فيها.

(47) يتممها إن أورد صاحب الكشاف شطرا منها، أو يذكر قائلها إن أجهمه صاحب الكشاف وإن كان البيت من المختلف في قائله ينص السوسي على ذلك في الهامش.

(48) بان يضع عنوانا للفائدة التي ساقها الكشاف في تفسيره مثل «الفرق بين الإنزال والتنزيل» 1 : 47. «لم جعل القرآن سورا؟» 1 : 48.

(49) وما سجله الشيخ محمد المختار السوسي هو مما عَنَّ له اثناء مطالعته هذا التفسير خصوصا اللغويات والشعر وبعضا من القواعد الأصولية — 1 : 11/ يراجع في مجلة الايمان 1966 م.

11 - طرر اخرى وتعليقات

للشيخ محمد المختار السوسي على أحكام القرآن لابن العربي المعافري⁽⁵⁰⁾.

12 - ملاحظات على ابن العربي المعافري في احكام القرآن⁽⁵¹⁾

للأستاذ محمد بن تاويت التطواني.

13 - طرر على صحيح البخاري من كتاب التفسير إلى الختام⁽⁵²⁾

للشيخ محمد بن عبد الواحد بن محمد الشيبني المكناسي (ت. 1324هـ)

14 - حواش على التفسير⁽⁵³⁾

للعلمة محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي (ت. 1376هـ)

— ثانيا : تفاسير غير تامة :

وأقصد بعدم تمامها ان أصحابها نهجوا فيها نهج التفاسير (الثَّامَة)، وذلك بتفسير آيات القرآن كلمة كلمة، لكن حالت دونهم وإتمام تفاسيرهم حوائل... ويبقى — مع ذلك — أن نشير إلى أن أصحاب هذه التفاسير التي من هذا الصنف، قد سجلوا حضورهم في الساحة العلمية، وأدركوا واجبهم نحو تفسير كتاب الله وخدمته بالبيان، ومحاولة تبليغه إلى الناس ليستفيدوا منه ويعملوا به، ثم ان ما فكروا فيه من أهداف علمية في هذا الصدد يمكننا إدراكها بيسر وسهولة من خلال ما سطرته أعلامهم في محاولاتهم التفسيرية، وإن كانت غير تامة، خاصة وأن منها ما فاق تفسير ربع القرآن أو أكثر كما سنرى.

1 — إرشاد الله للمسلم الغافل بالله»

تأليف أبي بكر بن الطاهر زنيير السلاوي (ت. 1376هـ)⁽⁵⁴⁾ ولا يفوتني أن أسجل أنه بسبب وقوفي على هذا التفسير واطلاعي عليه وإقامة دراسة للتعريف به وبمؤلفه⁽⁵⁵⁾ تكونت لدي فكرة هذا البحث ككل، فرحم الله صاحبه الذي كان شعلة علمية متقدة آمالا وطموحا

(50) علمت ذلك من اسرة الشيخ محمد المختار السوسي ولم اقف على هذه الطرر والتعليقات.

(51) املاها على طلبته بدار الحديث الحسنية بالرباط في السبعينات.

(52) اتخاف اعلام الناس 4 : 285 — 286.

(53) مختصر العروة الوثقى ص : 76.

(54) تقدمت ترجمته.

(55) أقمت هذه الدراسة بحثا لنيل شهادة الدراسات الجامعية العليا في القرآن والحديث من كلية الاداب والعلوم

الانسانية بالرباط — شعبة الدراسات الاسلامية في الموسم الجامعي (85 — 1986).

في النهوض بهذا الجناح الغربي من الأمة الإسلامية الذي كان وقتها يئن تحت وطأة المستعمر، وكان هذا الفقيه العلامة من التأثيرين على سياسة المستعمر، ومن الزعماء المناهضين للظهير البربري⁽⁵⁶⁾ وغيره، وبسبب أفكاره النيرة والحرة جرد من القضاء، لكنه اعتكف في بيته لخدمة كتاب الله تعالى بالتفسير وكان يكتب ويضع ما كتبه في بيت أخته مخافة أن تعثر عليه حملات التفتيش الاستعمارية التي كانت تجوب بيوت الأحرار من حين لآخر...

ولا يخفى أن العمل العظيم إذا كان خالصا لوجه الله تعالى، فإنه عز وجل كفيل بأن يهيء له من الأسباب ما يجعل الأجر والثواب يصل إلى صاحبه، خصوصا إذا تعلق الأمر بخدمة كتاب الله تعالى وإيصاله إلى الناس.

هذا وإن تفسير أبي بكر زبير «إرشاد الله للمسلم الغافل اللاه» مازال مخطوطا عند أسرته بالرباط، فسر فيه ثلاثة أرباع القرآن الكريم من سورة الفاتحة إلى سورة الزمر وقد وقف فيه عند قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ ووافاه الأجل قبل أن يتمه — رحمة الله تعالى عليه —

وقد تمكن من تبييض ثلاثين حزبا من هذا التفسير بنفسه، وجاءت في عدة أسفار تحتفظ بها أسرته يضم السفر الأول منها خمسة عشر حزبا أي من سورة الفاتحة إلى سورة الأعراف، وبقيت له خمسة عشر حزبا ما قبل الأخيرة في المسودة يصعب إخراجها، نظرا لدقة كتابتها وتداخل الإضافات والحذف فيها، ولكن كل ذلك لا يمنع من الاستفادة من هذا التفسير الشيق الرائق الذي سار فيه مؤلفه على نهج تفسير المنار للشيخ محمد رشيد رضا... وقد نص على ذلك في ديباجة تفسيره إذ قال: «وقد رأينا الأمة المصرية أول ما دب فيها ديبب اليقظة والشعور طفق مفكروها وعلمائها يرجعون بها إلى القرآن، فيحيون فيها ذكره بالدراسة والتفسير والطبع والنشر، كإمام الهدى وعلمه، الشيخ محمد عبده رحمه الله، فإنه على ما بلغنا درسه دراسة فائقة نهج بها مناهج العصر الحاضر وأفكار أهله حسبما نقل عنه الشيء الكثير منها تلميذه الشيخ رشيد رضا في تفسير المنار، وفسر منه سورا وأحزابا على قدر حاجة الأمة إذ ذاك... فأحبينا أن نقف على بهم عسى أن يفيد تفسيرنا للأمة ما أفادته تفاسيرهم»⁽⁵⁸⁾.

(56) الذي أصدرته سلطات الحماية بالمغرب بهدف التفرقة بين سكان المغرب البربر وغيرهم، وتاريخ صدوره هو 16 ماي 1930م، وقد ثار المغاربة ضد هذا الظهير العنصري الذي يسعى إلى تطبيق سياسة فرق تسد، من خلال إزالة رابطة الدين الإسلامي التي توحد بين فئات الشعب المغربي وقد حرر أبو بكر زبير من إنشائه عريضة أهل سلا المعارضة لهذا الظهير الخسيس.

(57) سورة الزمر، الآية: 31.

(58) مقدمة تفسيره للمخطوط.

وسياتي مزيد إيضاح عن هذا التفسير في الفصل الموالي من هذا الباب.

2 — تنبيه الأنام على ما في كتاب الله من المواعظ والأحكام.

تأليف احمد بن محمد بن الحسن الرهوني التطواني (ت. 1373هـ)⁽⁵⁹⁾.

يوجد الجزء الأول من هذا التفسير في الخزانة العامة بالرباط رقم : 2/1929، د. ويشتمل على مقدمة، وتفسير سورة الفاتحة أوله بعد الحمدلة والتصلية : «لما عزمت على المذاكرة مع الاخوان في الله في محكم آيات كتاب الله...».

صفحاته 675، مسطرته 11 مقياسه 180/230 بخط مؤلفه⁽⁶⁰⁾ والذي أعرفه أن جهد هذا الرجل لم ينحصر في مقدمة التفسير وتفسير سورة الفاتحة وحدها، بل فسر ما وليها من المصحف الكريم إلى سورة الأعراف⁽⁶¹⁾ وكل ذلك ما زال مخطوطا⁽⁶²⁾ مع العلم أن تأليف الشيخ احمد الرهوني ناهزت الخمسين ما بين تأليف وشروح وحواش وتقاييد ورسائل..⁽⁶³⁾ أما باعته على الكتابة في التفسير فقد نص عليه إذ قال : «لما عزمت على المذاكرة مع الاخوان في الله في حكم آيات كتاب الله، واجتمعت عندي عدة من تفاسير الائمة الأعلام تشوفت لتلخيص ما يمكن منها. في مختصر لطيف سميت «تنبيه الأنام على ما في كتاب الله عز وجل من المواعظ والأحكام...»⁽⁶⁴⁾.

ولقد تبين لي بعض تأثره وميله إلى التفسير العلمي للقرآن وذلك في الفصل التاسع من تفسيره لسورة الفاتحة الذي عَـنَوْنَه بقوله : «في علوم الفاتحة والبسملة» وقال فيه «قد استخراج بعضهم من الفاتحة هذا العدد من العلوم وهو : 222999 وردها إلى البسملة ثم إلى الباء ثم إلى نقطتها...»⁽⁶⁵⁾.

وما يدل على ذلك أيضا إعجابه بتفسير الجواهر ونقله الحرفي والطويل عن صاحبه قال

(59) تقدم التعريف به.

(60) فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في الخزانة العامة للكتب والوثائق بالمغرب، القسم الثالث (1954 — 1957) — الجزء الأول (1973) — علم التفسير.

(61) ذكر ذلك سبطه الاستاذ العربي في استجواب معه باذاعة تطوان يوم 17 — 6 — 1986 وكان الاستجواب خاصا بالحديث عن الفقيه الرهوني وآثاره العلمية وأهم تلاميذه وعلاقاته بأهل العلم وأقواله فيهم.

(62) المرجع نفسه.

(63) المرجع نفسه.

(64) الصفحة الأولى من المخطوط المذكور.

(65) ص : 181 من المخطوط.

الشيخ طنطاوي جوهري المصري في تفسيره الذي سماه الجواهر⁽⁶⁶⁾ ما نصه :

«نزلت سورة الفاتحة لتعليم العباد كيف يتبركون باسم الله، ويحمدونه، ويستعينون به، فيبدأ القارئ قائلا، أقول مبركا باسم الله الرحمن الرحيم المنعم بجلال النعم كالسّموات والأرض والصحة والعقل، الرحيم المنعم بدقائقها كسواد العين وتلاحق شعرات أهدابها المانع من دخول الغبار المؤذي لها، مع أن النور يلمع من خلالها..»⁽⁶⁷⁾

3 — تعليقات على الكشف والبيان في تفسير القرآن⁽⁶⁸⁾.

من جمع أبي محمد عبد القادر بن أبي القاسم العراقي الحسيني الفاسي (ت. 1313هـ). جمعها من طرر جده أبي العلاء ادريس بن محمد العراقي الحسيني الفاسي (ت. 1183هـ) وزاد عليها وهي غير تامة، أولها :

«الحمد لله رب العالمين... وبعد فالغرض جمع طرر...» في محفظة من ورقات 175 — 180، مسطرة مختلفة، مقياس 190/240، مكتوبة بخط جامعها، وهو خط مغربي مليح، ملون يتخلله الضرب والإلحاق، رقمها بالخزانة العامة بالرباط 6/64 ك.⁽⁶⁹⁾

4 — فتح الرحمن الرحيم في فهم القرآن العظيم⁽⁷⁰⁾

تأليف محمد العربي الخطيب التطواني

أنجز منه سورة البقرة، وقد ذكر الاستاذ عبد الله الجراري أنه زار محمد العربي الخطيب في منزله بتطوان، فأملى عليه بعض الآيات من السورة المذكورة، وفي تلك الأثناء تأمل بعض المعاني عن بني اسرائيل، وقبض على يد الأستاذ الجراري وأخذ يكي..⁽⁷¹⁾.

(66) الشيخ طنطاوي جوهري عالم مصري معاصر فسر القرآن تفسيراً علمياً في أجلاد عدة وتفسيره الجواهر مطبوع ومتداول.

(67) نقل عنه كلاماً طويلاً استغرق من الصفحة (192 — إلى 200) من المخطوط.

(68) الكشف والبيان في تفسير القرآن هو تفسير الثعلبي المتوفى 427هـ وهو نيسابوري شيخ الواحدي النيسابوري، صاحب أسباب النزول والمتوفى 468هـ، وقد فهم فيهما الأستاذ صبحي الصالح في كتابه : «مباحث في علوم القرآن» ص : 130 وتبعه في وهمه مناع القطان في كتابه مباحث في علوم القرآن حيث جعل تاريخ وفاة التلميذ تاريخاً لوفاة الشيخ.

(69) ذ. محمد المنوني مخطوطات التفسير والحديث في الخزانة الكنانية / دعوة الحق ع : 249 رمضان 1405هـ يونيو 1985 ص : (13 — 25).

(70) ذكره في التأليف ونهضته ص : 220.

(71) و(72) المرجع نفسه.

وقد وصفه الجراري بقوله : «أبو عبد الله الخطيب من علماء تطوان الذين قاموا برسالة التبليغ بالمعهد الاسلامي هناك مدة طويلة، يعد من المثقفين النشطين في التحرير والكتابة..»⁽⁷²⁾.

5 — مقاصد الأسرار والخفي وجواهر المرضية والكاملة في نهاية الأخرى.

تأليف جَ الحسن بن محمد بن أبي جماعة البعقلي السوسي (ت. 1368هـ)⁽⁷³⁾.

وهو تفسير مطبوع في جزئين،⁽⁷⁴⁾ فسر فيه مؤلفه سورة الفاتحة والحزب الأول من سورة البقرة، وختمه بالتعرض إلى أبواب العبادات بإسهاب وتدقيق على طريقة كتب الفقه وقد ذكر في مقدمة تفسيره أنه سبهم بتبيين الأحكام الشرعية من خلال التفسير، لكنه في النهاية ترك التفسير إلى الأحكام الشرعية وفي كُل خير.

6 — جزآن في التفسير لمحمد المنتصر الكتاني

وهما من آثار المؤلف المخطوطة ذكرهما في مؤلفه «فاس عاصمة الادارسة» المطبوع بدار ادريس للتأليف والنشر والترجمة توزيع دار الفكر بيروت⁽⁷⁵⁾.

7 — تفسير إذاعي من سورة التوبة إلى سورة الصافات⁽⁷⁶⁾

للأستاذ مولاي مصطفى العلوي⁽⁷⁷⁾.

وهذا التفسير مسجل بالاذاعة الوطنية بالمغرب، ومخطوط في مكتبة مؤلفه وقد أطلعني على حلقات منه مرقونة على الآلة، وقد حاول أن يسير فيه سيرا مبسطا بصياغة المعاني بأسلوب سهل يفهمه الكثير من الناس.

(73) تقدمت الاحالة على مصادر ترجمته في فصل علوم القرآن.

(74) بالدار البيضاء ط 1 المطبعة العربية بدرب غلف 394 صفحة في جزئين، مجلد واحد.

(75) كما ذكر أن من تأليفه «مفتاح الحلي» وهو فهرست احتوى جميع ما بالحلل لابن حزم من مسائل، كما أنه حقق الرسالة المستطرفة لجده تحقيقا علميا رائعا، وشرح مسند الامام احمد في تسعة اجزاء (فاس عاصمة الادارسة) وكذا (التأليف ونهضته بالمغرب ص : 259..).

(76) يتدء هذا التفسير من قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرَّهْيَانِ...﴾ الآية 34 من سورة التوبة، وينتهي عند قوله تعالى ﴿فَبَذَنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ الآية : 145 من سورة الصافات.

(77) رئيس المجلس العلمي بمكناس ومستشار وزير الاوقاف، ومدير دار الحديث الحسنية سابقا وعضو في المجلس الأعلى للجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة من 1974 إلى 1980، ورئيس رابطة علماء المغرب والسنغال.. وغيرها من المهام العلمية والادارية التي تقلب فيها وهو خريج جامعة القرويين سنة 1945م.

8 — القرآن رسالة الله إلى جميع البشر تأليف محمد عبد السلام بن عبود.

تقدم التعريف بهذا التفسير، وقد تناول فيه صاحبه تفسير سورة الفاتحة وآيات من القرآن توضح كيف أن القرآن دعوة إلى الناس كافة وأنه حجة على الكافرين به وأن على المؤمنين بالقرآن تعلم وإتقان كيف يمشرون بالقرآن، وهذا سماه القسم الأول ومعناه أنه كان ينوي إخراج أقسام أخرى منه.

9 — زاد المسير في جمع كلام والدي في التفسير

تأليف الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني (ت. 1327هـ) (78).

ذكر ابنه محمد الباقر الكتاني «أن زاد المسير» يقع في عشرين كراسة ولم يتمه والده رحمه الله عليه (79).

10 — تفسير غير تام

للشيخ ابراهيم بن ادريس الحسيني المالكي السنوسي الفاسي (ت. 1304هـ) ذكر في هدية العارفين أنه شرع في تفسير القرآن وشرح البخاري وشرح خليل لكن وافاه الأجل قبل إتمام تفسيره. (80)

ثالثا : تفسير سور أو سورة :

أ — تفسير سور

ويأتي ما كتبه الاستاذ عبد الله كنون على رأس هذه القائمة ثم تلي جهوده جهود أخرى.

1 — تفسير سور المفصل من القرآن الكريم (81).

تأليف العلامة السيد عبد الله كنون (82).

يبتدىء هذا التفسير من سورة الحجرات وينتهي بسورة الفاتحة، ويقول مؤلفه عن تفردّه بتناول هذا القسم من القرآن الكريم : «لا أعرف أن هناك تفسيراً قاصراً على سور المفصل،

(78) «أشرف الاماني في ترجمة الشيخ سيدي محمد الكتاني» تأليف محمد الباقر الكتاني — معجم المطبوعات المغربية ص : 303 — 304 / التيارات السياسية والفكرية بالمغرب ص : 33 / التأليف ونهضته بالمغرب.. ص : 177 / معلمة القرآن والحديث ص : 38.

(79) المرجع نفسه ص : 251.

(80) هدية العارفين 5 : 44.

(81) مطبوع بالدار البيضاء ط 1 — 1401 — 1981 — دار الثقافة 429 صفحة حجم متوسط.

(82) ترجم له في «التأليف ونهضته..» ص : 367 / معجم المطبوعات المغربية ص : 168 دعوة الحق : 7، ص 21 نونبر 1980 «عبد الله كنون وأثره في الثقافة المغربية» للاستاذ مصطفى الشليح.

فيكون هذا أول تفسير مستقل له، إن اقتصر عليه، وانفراده بهذه المزية يجعل لنا عذرا في تفرده واستقلاله»⁽⁸³⁾.

ويعتبر تفسيره هذا تطبيقا لفكرة طالما راودته منذ أن اشتغل بأمر الدعوة والتبليغ وهي كتابة تفسيري في مثل حجم القرآن مرتين أو ثلاثا على الأكثر، إذ أن التفاسير السابقة، أكثر من أن يستوعبها الشخص العادي والطالب الشادي فهي إما مختصرة يصعب إدراكها لاستغلاق عبارتها أو مطولة تحرص على التعرض لمختلف الأقوال في تفسير الآية الواحدة. وهو يقترح تفسيرا سهل العبارة، خاليا من الاصطلاحات العلمية والأقوال المتعارضة مركزا على العقيدة والأخلاق، وإعداد الأمة الإسلامية لأداء رسالتها تجاه بني البشر،⁽⁸⁴⁾ كما أنه يرى أن عناصر فكرته توفرت فيما كتبه الشيخ محمد عبده في جزء عم⁽⁸⁵⁾ وكذلك الشيخ عبد القادر المغربي في جزء تبارك⁽⁸⁶⁾ إلا أنهما أطلاا النفس في الشرح والبيان ولا سيما الثاني، «فلو أنهما كتبا تفسير القرآن كله على هذا المنوال لخرج في عدة مجلدات، مما لا يفيد إلا الخواص»⁽⁸⁷⁾.

والسؤال هو : هل سلمت محاولة شيخنا في المفضل من هذا المأخذ ؟ علما بأن ما استفدناه مما ساقه عن الراغب الاصفهاني أن المفضل يشكل سبع القرآن⁽⁸⁸⁾ وقد جاء تفسيره له في مجلد، وهذا يعني أن تفسيره على النسق الذي سار عليه كان سيأتي في سبعة مجلدات، وهكذا تبقى فكرة الاختصار قائمة بسليبتها، وفكرة الطول كذلك والوسط المحمود هو عين ما قصده العلامة سيدي عبد الله كنون، سييء الله تعالى له من يقوم به، علما بأن الرجل بذل جهدا مشكورا فيما كتبه في تفسيره للمفضل.

أما منحى الرجل في تفسيره فسيأتي الحديث عنه..

2 — تفسير سورة «الكافرون» وما بعدها تأليف الشيخ محمد بن عبد السلام السائح (ت. 1367هـ)⁽⁸⁹⁾.

يقول الأستاذ عبد الله الجراري عن هذا المفسر وما كتبه في التفسير : «إذ هو الولوع

(83) تفسير المفضل ص : 8.

(84) المرجع نفسه ص : 5.

(85) مطبوع بمصر شركة مساهمة مصرية 1341 — 187 ص.

(86) مطبوع بالقاهرة مطبعة مطابع الشعب 1949. 136 ص.

(87) تفسير سور المفضل ص : 6.

(88) المرجع نفسه ص : 7.

(89) ترجمته في : من اعلام الفكر المعاصر 2 : (140 — 152) / التأليف ونهضته ص : 176 / تحاف ذوي

العلم والرسوخ ص : 205 معجم المطبوعات المغربية ص : 151..

بعرض آي التنزيل المقدس وتدبرها والسعي في تفسير سورها بما نتج عنه تكوين مجلد ضخيم، بدأه من سورة «قل يا أيها الكافرون» إلى الختم عقب ختم شيخ الاسلام المصلح السلفي أبي شعيب الدكالي⁽⁹⁰⁾ لتفسير الكتاب العزيز، وهنا أفرغ المترجم كنيته في علوم التفسير، وبسط آراء رجاله بصورة تجعل القارئ كأنه في روضة من رياض الإنقان، أو حديقة من حدائق القرآن ولكن على منهج خاص وشكل جديد — كان اطلع المؤلف عليه فطالعه وقرظه بما يناسب أهميته العلمية⁽⁹¹⁾.

3 — تفسير سورة الفاتحة، والأنعام، والفتح، للدكتور محمد تقي الدين الهلالي (ت. 1407هـ).

وقد وقفت على تفسيره للأنعام⁽⁹²⁾ والفتح⁽⁹³⁾ ومنهجه فيهما متقارب فهو يتناول شرح المفردات شرحا لغويا ثم المعنى العام للآيات التي يسوقها، وركز في سورة الانعام على جانب العقيدة، وهو الميدان الذي قضى فيه الرجل قسطا كبيرا من حياته يدعو إلى تمتينه وتقويته وإبعاد كل الشوائب عنه لأنه أساس الإسلام والأيمان.

وأسوق له نموذجا من تفسيره لسورة الأنعام عند قوله تعالى : ﴿قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن أنجيئنا من هذه لنكونن من الشاكرين..﴾⁽⁹⁴⁾ الآية ﴿المفردات : التضرع : إظهار الضراعة، وهي الذلة فالمراد بالتضرع، التذلل إلى الله تعالى في وقت الدعاء.

المعنى العام : كان المشركون في الجاهلية الأولى يوحدون الله ويخلصون الدعاء له في الشدائد لعلمهم ان الشرك لا يرضاه الله، فإذا زالت الشدة عادوا إلى الشرك، أما مشركوا هذا الزمان فإنهم يشركون بالله ويدعون معه غيره في الشدة والرخاء، بل كثيرا ما يخلصون الدعاء لشركائهم ولا يذكرون الله أصلا، هذا باللسان، وأما القلب فاعتماده على غير الله، بدليل أن الواحد منهم يمنع الزكاة وسائر الحقوق المالية ؛ وإذا أُنذر لولي من الأولياء نذرا أو التزم أن يعمل له احتفالا أو يذبح له ذبيحة لا يكاد يخلف ذلك، لأنه يخاف ذلك الولي الذي اتخذ

(90) توفي (1357هـ — 1937م) «المحدث الحافظ ابو شعيب الدكالي للاستاذ عبد الله الجبري.

(91) من اعلام الفكر المعاصر 2 : 148.

(92) مطبوع على مراحل في مجلة الجامعة السلفية التي تصدر بالهند — بنارس — المجلد الخامس عشر ع : 5 و 6 مايو يونيو 1983 رجب شعبان 1403هـ.

(93) مطبوع مع كتاب «قبسة من أنوار الوحي» السابق الذكر.

(94) سورة الأنعام، الآيتان 64 و 65.

من دون الله ما لا يخاف الله، ويرجو منه من الخير ودفع الشر ما لا يرجوه من الله، ولذلك إذا استحلفته بالله يحلف ألف مرة، وإذا استحلفته بذلك الولي، الذي جعله الله ندا، لا يحلف أبدا، وإذا كان له حق على مشرك آخر وحلف له بالله لا يصدقه حتى يحلف بالولي فقد تمادوا في الشرك حتى خرجوا منه إلى إخلاص العبادة لشركائهم فنعوذ بالله من الخذلان، واستحوذ الشيطان. قال تعالى مخاطبا رسوله صلوات الله وسلامه عليه، قل يا محمد للمشركين من ينجيكم من ظلمات البر والبحر وشدائدهما ومهالكهما تسألونه النجاة مظهرين التذلل بألستكم ومضمرينه بقلوبكم قائلين في تضرعكم ياربنا فرج عنا هذا الكرب وأنجنا من هذه المهلكة فوعزت لك وجلالك لئن أنجيتنا من هذه المصيبة لنكونن من الشاكرين لك ولا نشرك بك أحدا، ثم قال تعالى مخاطبا رسوله : قل لهم يا محمد الله ينجيكم منها وحده ويفرجها عنكم ثم أنتم بعد ذلك تشركون به، وفي هذا الكلام من التوبيخ والتبكي ما لا يخفى على من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد».

وهكذا بعد أن عالج الدكتور الهلالي الآتين معالجة لغوية خفيفة عرج بهما على ساحة الواقع المعيش حيث ذكر بالفرق بين شرك أهل الجاهلية وشرك الناس اليوم، وكيف أن أهل الجاهلية مشركون في الرخاء موحدون في الشدة بينما أهل هذا العصر مشركون فيهما معا وهذا من أغرب الغرائب، وطمس البصائر.

ولا يخفى أن عملية جر الآية إلى صعيد الواقع لمعالجة قضاياها ومشاكله تعد غاية كبرى من غايات تفسير القرآن الكريم في العصر الراهن..

4 — التفسير المختصر للمدارس الابتدائية⁽⁹⁵⁾ تأليف الأستاذ ابراهيم حركات.

وقد جاء هذا التفسير في أربعة أجزاء صفحاتها على التوالي (137، 142، 143) وقد فسر فيه أربعة أحزاب من المصحف الكريم وهي (تبارك... وقل أوحى... وعم... وسبح...).

5 — الدين الخفيف لمستوى السنة الأولى⁽⁹⁶⁾ تأليف الأستاذ ابراهيم بن علي الالفي

تحدث فيه عن الآداب الإسلامية، وأتى بآيات كريمة كالفاتحة وفسرها حسبما يستسيغه مستوى الأطفال.

6 — التفسير الواضح⁽⁹⁷⁾ تأليف الأستاذ ابراهيم بن علي الالفي

في ثلاثة أجزاء يبدأ بالتفسير ويشي بـ «الدين» و«الأخلاق» و«الأحاديث النبوية»

(95) مطبوع بالبيضاء مطبعة النجاح توزيع دار الرشاد الحديثة 1965.

(96) التأليف ونهضته بالمغرب ص : 278. وإبراهيم الالفي هو شقيق المختار السوسي.

(97) البيضاء دار الثقافة.

ب — تفسير سورة :

وما ألف في هذا الإطار يرتكز على سورة الفاتحة والاخلاص بالدرجة الأولى، وسُورٍ أخرى غيرهما بالدرجة الثانية.

1 — تفسير سورة الفاتحة تأليف جَ عبد الوهاب بن محمد لوقش التطواني.

مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم : 2813 ك، في دفتر مدرسي، صفحاته المكتوبة 70 صفحة بخط مغربي جيد مع بعض الضرب داخل السطور وفي الطرر، لكنه خفيف لا يضر.

بدايته : «اعلم أن القديم سبحانه لا يحمد الا بالقدم...

ونهايته : «... هذا ما يسر وقضى وقدر ودبر سبحانه وتعالى من تفسير فاتحة كتابه العزيز على يد أفقر الوري الحاج عبد الوهاب لوقش التطواني المغربي القرشي الأموي، وكان إخراج هذه النسخة الثانية من المبيضة بعد نسخة أولى أرسلت قبلها بنحو شهور ثمانية أو تسعة وفي 23 من جمادى الثانية عام 1321هـ. اللهم اغفر لامة سيدنا محمد.. وصل عليه صلاة لا غاية لها ولا انقضاء وسلم تسليمًا. هـ.

والنسخة مكتوبة بطنجة على يد محمد بن علي الخطيب يوم الجمعة 12 جمادى الأولى عام سبعة وثلاثين وثلاثمائة والف⁽⁹⁸⁾.

ومنزع صاحب تفسير هذه السورة صوفي محض ويتعمق في معاني الآيات ويفسرها تفسيراً مرتبطاً بالوجود من حيث دلالاته على الموجد..

قال في تفسيره (رب العالمين) «(رب) ومرئي وربِّي ويربي (العالمين) الملكوتية القبضية كلها والروحانية كلها والملكية كلها العلوية والسفلية العرشية والفرشية الأرضية والسماوية الدنياوية والأخراوية ربها بالتدرج من عالم الجبروتية الكنزي الأصلي الذي لا حد له لعالم القبضية الملكوتي الحمدي الأكبر لعالم الأرواح يوم أُلْسْتُ بربكم قالوا جميعاً بَلَى أنت ربنا لعالم الملك الفرقي من حيث الأواني الجمعي من حيث المعاني تربية تامة كاملة دائمة أبَد الآبدِين لا يعلم كنهها وحقيقتها إلا هو سبحانه.»⁽⁹⁹⁾

(98) الصفحة الأخيرة من المخطوط.

(99) الصفحة الأولى من المخطوط.

2 — تفسير الفاتحة

تأليف جعفر بن ادريس الحسني الكتاني (ت. 1323هـ) (100).

3 — إفادة الأمير والرعية والوزير بأسرار فاتحة الكتاب المنير.

تأليف الشيخ ماء العينين بن محمد فاضل بن مامي (ت. 1328هـ) (101).

مخطوط في وسط مجموع خطي رقمه بالخزانة الصبيحية بسلا 1656 في حدود 52 صفحة من الحجم المتوسط بخط مغربي مقروء، انتهى العمل من كتابته يوم الاثنين 8 ذي القعدة 1308هـ.

بعد الحمدلة والتصلية قال : «وبعد، فهذا تعليق لطيف جعله عبد ربه ماء العينين ابن شيخه الشيخ محمد فاضل بن مامي على أسرار الفاتحة ليشفع به الخلق أجمعون، وقد جعلته في مقدمة وثلاثة ابواب وخاتمة جعله الله خالصا لوجهه الكريم ومنتفعا به في كل زمن وإقليم من معرفة في بيان أن الفاتحة جامعة لكل ما يحتاج الانسان إليه معرفة البدء والوسط والميعاد».

«والباب الأول في بيان فضلها المروي عنه ﷺ وعن بعض مشاهير الأئمة. والباب الثاني في خواصها جملة وتفصيلا وفيه ثلاثة فروع، الأول في خواص البسملة، الثاني في خواص الفاتحة جملة، الثالث في خواص حروفها حرفا حرفا، والباب الثالث في أدعيتها، والخاتمة في خواص الحروف الساقطة منها».

وقد افتتح بمقدمة لخصها مما قاله الفخر الرازي في تفسير الفاتحة، وفي رأيي أنها أهم ما جاء في هذه الرسالة، وبعدها أفاض المؤلف في فضائل الفاتحة سائقا لأقوال غير محررة، ثم أفاض من نفحته الصوفية ما أفاض، سائقا للعديد من الأدعية وما يحصل بها..

(100) ترجمته في الفكر السامي 4 : 141/ ومختصر العروة الوثقى للحجوي ايضا، ص : 52 وفهرس الفهارس 1 : 131، 219، 362 وغيرها/ ومعجم المطبوعات المغربية ص : 295 — 297.

(101) اسمه الشخصي محمد مصطفى نزيل تزيت والمتوفى بها في 24 شوال 1328هـ «تاركا من التلاميذ والأولاد والحشم والكتب والجمال والفساطيط ما جعل حوله أبهة في أنظار أهل تلك الجهة (من كلام المختار السوسي في كتابه «طاقة رُيحان من روضة الافان» ص : 11) وينظر في ترجمته سوس العالمة ص : 140/ و«إظهار المحامد في التعريف بمولانا الوالد» لمحمد بن محمد الموقت طبع على الحجر ص : 24، وقد ترجم ماء العينين لأنه شيخ والده / دليل مؤرخ المغرب الأقصى 1/ 43 — 44/ معجم المطبوعات المغربية ص : 195 (مع ذكر 47 مؤلفا من مؤلفاته) معلمة القرآن والحديث في المغرب الأقصى ابن عبد الله ص : 35 — 36 / وقد ذكر المؤلف نسبه منظوما في أول كتابه «نعت البدايات».

4 — هداية المنان الكبرى على السبع المثاني⁽¹⁰²⁾

تأليف محمد المهدي بن زكير اغا (ت. 1347هـ) وأول نسخة «هدية المنان» الحمد لله الذي أظهر فضله على المتقين وآخرها : «وما لاح بدر التمام، آمين بجاه سيد المرسلين». توجد بالخزانة الحسينية مخطوطة تحت رقم 6402 بخط مغربي واضح بمداد أسود وأحمر، وقع الفراغ من كتابتها في 20 من ذي القعدة عام 1307هـ.

10 ق 25 × 18,5 سم 24 س⁽¹⁰³⁾

5 — تفسير الفاتحة

تأليف العلامة محمد الرضى السناني الفاسي المالكي (ت. 1385هـ)⁽¹⁰⁴⁾

تفسيره لهذه السورة مطبوع مع مقدمة في علوم القرآن وسمى الكل بـ «إبداء التيسير لقراء التفسير» من باب إطلاق الجزء الأكبر والأهم على الكل، والا فالكتاب قد تضمن مقدمة في علوم القرآن، وتفسير سورة الفاتحة وترجمة لأبي شعيب السارية دفين أزموور من علماء وصوفية القرن السادس الهجري. هذا، وقد أجاد السناني — رحمه الله — في تفسيره وتحرير نقوله رغم افاضاته العلمية الدالة على موسوعيته وتمكنه وقدرته على البحث والتقصي، واعتماد عيون التفاسير مصادر له، وقد تناول السورة من خلال المراحل الآتية :

فضائلها، نزولها، هل البسملة من الفاتحة ؟ عدد آياتها،⁽¹⁰⁵⁾ أسماؤها، ثم تكلم على آياتها

(102) فهارس الخزانة الحسينية بالقصر الملكي (الرباط) المجلد السادس ط 1. 1987 ص : 328 تأليف (محمد العربي الخطابي).

(103) نقلا عن فهارس الخزانة الحسينية المجلد السادس ص : 328.

(104) ترجمته في تحاف ذوي العلم والرسوخ.. ص : 199 / ومعجم المطبوعات المغربية ص : 162 والتأليف ونهضته ص : 149 / «والشذرات..» وهو من أهم كتبه يلمع فيه إلى حياته وتقلباته وأفكاره ونزغته الانطوائية الصوفية، من ذلك على سبيل المثال [1 : 15 / 2 : 89] وفيها يقول : (شذرة 87) «وهذه صورتنا، فقد هجم علينا زمان منسلخ عما كنا نعهده علما ونسكا، وحياء، ومحبة، وتعظيما، وتعلima، إلى غير هذا مما لا يحمله أحد فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»، وفي نفس الاحالة (2 : 89) يتحدث عن فضل والده عليه..

(105) رد على أبي بكر بن العربي المعافري في قوله بأن عدد آي الفاتحة خمس آيات بالبسملة قائلا : «أما قوله فيها خمس آيات فصدوره من الامام ابن العربي عجيب أمّا أولاً : فإن هذا شيء لم أر له ذكرا في كتب التفسير، ولا في كتب علم التفسير، ومن أعظم الأدلة على أنه لا وجود له خلو كتاب الإتيان من ذكره، وسبق لك نصه مع أن عادة الرجل — رحمه الله — استيعاب أقوال ما يتعرض له من المسائل الخلافية، وأما ثانيا : فإن الفاتحة لا يستقيم أن تكون خمس آيات والحالة أن البسملة آية منها كما هو الفرض عنده...» [إبداء التيسير ص : 50].

تفسيرا وقال قبل الشروع في ذلك داعيا إلى خطته في التفسير التي يرى فيها أن يتكلم على الآية «من جهة اللغة ثم من جهة القراءات ثم من جهة الإعراب، ثم من جهة المعنى التركيبي، فينبغي للمفسر أن يتمشى في كل آية على هذا المنوال، وإن كان في الآية شيء آخر زاده كما إذا كان فيها ما يرجع إلى المعاني والبيان والبدیع أو المنطق أو غير ذلك من العلوم الستة عشر التي بينها سابقا...»⁽¹⁰⁶⁾.

6 — الكليات الأساسية من تفسير الفاتحة

تأليف الفقيه العربي بن مبارك السوسي خطيب بالمسجد الكبير بأزميز سابقا⁽¹⁰⁷⁾.

مطبوع بالدار البيضاء دار الطباعة الحديثة 1391 — يونيو 1971 مقياس $23,5 \times 15,5$ سم، عدد صفحاته 113، وليس للكتاب فهرس موضوعات ولا فهرس تصويب الأخطاء المطبعية التي تكثر فيه، ولا فهرس المصادر والمراجع.

ويبتدىء بمقدمة في خمس صفحات يذكر فيها تاريخ بدء تأليف هذا الكتاب وهو يوم الأحد فاتح جمادى الأولى 1390 هـ، وبواعثه على ذلك والتي منها :

— رغبته في إبداء كليات أساسية من تفسير الفاتحة لأنها «السورة المختارة للتكرار في كل صلاة، والتي لا تصح بدونها صلاة، وفيها على قصرها الكليات الأساسية في التصور الاسلامي، والتوجيهات الشعورية المنبثقة من ذلك التصور...»⁽¹⁰⁸⁾.

— شعوره بمسؤولية الاستخلاف والتي تتجلى له بصفته عالما مكلفا بإبداء آرائه ومعارفه للناس..

— ما فتحته معركة الفكر في العصر الحديث وفي القرن العشرين — أعجوبة القرون للانسان من آفاق تعرف بالصانع البديع الذي لا إله غيره..

— أن يكون تفسيره لسورة الفاتحة مرآة للقراء يشاهدون فيها الحقائق التوحيدية، ومصادره في هذا العمل يحصرها فيما قرأه من كتب المفسرين، مع اضافته بعض السوانح من النفحات الربانية.

ومما قاله في «الحمد لله رب العالمين» «إن فاتحة الكتاب مصدرة بهذا التنبيه ليشعر العاقل

(106) المرجع نفسه ص : 57.

(107) لا أعرف عنه إلا أنه كان يقطن بمراكش وتولى إمامة المسجد المذكور وبعد ذلك توفي..

(108) الكليات الاساسية ص : 7.

(109) المرجع نفسه ص : 11.

بأن العالم أجمع من نعم الله على الانسان، فلا غنى له عن أحدها وهي جميعا من ضروريات الحياة وكالياتها، فالعالم كلها متصلات بالإنسان، وهو محتاج إليها، فلا كوكب ولا سحاب ولا هواء، ولا رياح، ولا شمس، ولا قمر، ولا نبات، ولا حيوان، إلا لها اتصال بالانسان وفقير إليها، وذلك طبعاً يدعوه إلى التفكير فيها، فالإنسان إذن يجب عليه أن يوجه وجهه تلقاء العالم كلها...»⁽¹⁰⁹⁾ ويظهر أنه يميل إلى التفسير العلمي ويستدل بما يكتبه الدكتور احمد زكي في مجلة العربي كما في ص : 12 من تفسيره المذكور كما أنه يصرح بما حققه العلم الحديث من تقدم في مجال الاختراعات والابتكارات.⁽¹¹⁰⁾

7 — فتح الرحمن في تفسير أم القرآن : (111)

تأليف الدكتور محمد تقي الدين الهلالي

8 — تفسير سورة الفاتحة⁽¹¹²⁾.

تأليف الاستاذ محمد العثاني

9 — تفسير سورة الفاتحة

تأليف أبي بكر زنيبر

منشور بمجلة دعوة الحق عددي (8 — 9) السنة 6، ماي ويونيو 1963 وهو جزء من تفسيره السابق الذكر.

10 — تفسير سورة الفاتحة⁽¹¹³⁾.

للأستاذ الحسن العبادي.

وقد ألقى تفسيرها على طلبة كلية الشريعة بأكادير في الموسم الجامعي 1978 — 1979، وهو يركز على آيات الأحكام في السورة مع تحقيقات علمية عالية ورصينة.

11 — تفسير سورة الضحى⁽¹¹⁴⁾.

تأليف محمد بن عبد الكبير الكتاني (ت. 1327هـ)

(110) الكليات الاساسية ص : 6.

(111) مجلة الفرقان ع 10، س 4 ذو القعدة / الحجة 1407هـ / يوليوز / غشت 1987 ص : 7.

(112) مخطوط عند مؤلفه الاستاذ محمد العثاني الأديب الشاعر الفقيه السوسي الألمي (ت. 1416 — 1996).

(113) مذكرات أستاذنا في كلية الشريعة ونائب العميد بها الدكتور الحسن العبادي العالم المتمكن والمتواضع : مازال يؤدي رسالته العلمية بالتدريس والتأطير بنفس الكلية.

(114) معجم المطبوعات ص : 303.

12 - تفسير سورة الاخلاص⁽¹¹⁵⁾

تأليف محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي (ت. 1376هـ)⁽¹¹⁶⁾.

الفقيه محمد بن الحسن الحجوي علم من أعلام المعرفة في المغرب المعاصر، كان نشيطا في البحث والتأليف والتدريس، ومن بين ما ولع به تفسير القرآن الكريم، فقد زاوله بالضريح الادريسي بفاس بين العشاءين حيث أُملى سنة 1339هـ خمسة عشر درسا في تفسير سورة الاخلاص ختمةً لدروسه التفسيرية، كما فسر القرآن بمراكش والرباط، وَحَيْثُمَا حَلَّ متقلدا مهمة من مهام الدولة إلا ويستأنف دروسه العلمية ومن بينها تفسير القرآن الكريم وحتى في إجازاته وعودته لمسقط رأسه فاس يستأنف مجالسه التفسيرية⁽¹¹⁷⁾ وفي رحلته إلى تونس عام 1336هـ فسر عشر آيات من سورة المومنين أمام علماء الزيتونة وبالحاح منهم عليه، وكان قد وصل إلى ذلك في دروسه التفسيرية بفاس التي حضرها أحد علماء تونس بالمغرب وطلبوا من الفقيه الحجوي لما حل بديارهم أن يتحفظهم بدرس في التفسير ففعل وأجاد وقرّط درسه في الحال بقصيدة شعرية ارتجالية⁽¹¹⁸⁾ وطبع درسه بتونس⁽¹¹⁹⁾ بعناية أهل العلم هناك..

والحجوي مفسر ومحدث ومشارك في علمي المعقول والمنقول ومرجع في الفروع والأصول، وفي أفكاره نفحة إصلاحية تجديدية مع دعوة إلى الاجتهاد بما يوافق العصر من التطور والتغيير، ونَفْسُهُ الإصلاحية هذا تجلّى في كتابه الفكر السامي، ولم يتجل في تفسيره للقرآن، فهو في تفسير سورة الاخلاص عالم تقليدي يطغى عليه حشد المعلومات العلمية والفقهية والحديثية قصد إظهار البراعة والتمكن في ذلك، أما ربط الآية بواقع الحال، فهذا منعدم فيما خلفه من

(115) مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم 115 ح، بخط مؤلفه في 72 صفحة من الحجم المتوسط، استنسختها باليد وأنوي إخراجها وتحقيقها نموذجاً لحالة التفسير بالمغرب في النصف الأول من ق 14هـ، وقد قطعت في ذلك شوطاً لا بأس به.

(116) ترجمته بقلمه في كتابه الفكر السامي 4 : 200، وقد ترجم له الشيخ عبد العزيز القاري في مقدمة الفكر السامي طبعة المدينة المنورة 1396هـ، وبرز معالم شخصيته وفكره من خلال ثنايا كتابه الفكر السامي/ التأليف ونهضته... ص : 138/ معجم المطبوعات المغربية ص : 96 - 97 دليل مؤرخ المغرب الاقصى 1 : 49 / مختصر العروة الوثقى فهرست شيوخه وتحدث فيه كثيرا عن نفسه وشيوخه والوسط الذي ترقى فيه كما ذكر في آخره أن تأليفه فاقت التسعين تأليفا.

(117) ذكر ذلك في الفكر السامي 4 : 387.

(118) ارتجلها السيد محمد الناصر الصدام (الفكر السامي 2 : 255).

(119) المطبعة الرسمية العربية بتونس 1336 في ثلاثين صفحة من الحجم الصغير ومنه نسخة مشدودة مع مجموع يضم مجموعة من كتبه المخطوطة خ.ع. 115 ح. الرباط.

تفسير، ولعله كان محتاطا في ذلك، لذلك عبر عن رؤاه وأفكاره النيرة في كتابه الفكر السامي الذي لو لم يكن له غيره لكفاه.

ومسلك الحجوي في تفسير سورة الإخلاص انبنى على تناولها من خلال العناصر الآتية :
أسماء السورة — كونها مكية أو مدنية — آيها، كلمها، حروفها، وقوفها، مناسبتها لما قبلها من السور — فضلها — سبب نزولها — الكلام عليها من جهة العلوم الآلية (اللغة، النحو، الصرف، الاشتقاق، البيان، المعاني، البديع، المنطق، الوضع، القراءات...) — الكلام على السورة من جهة علم التصوف والأذواق.

بدايتها (الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا... أسماء سورة الإخلاص، لها أسماء كثيرة، لأن كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى غالبا...) نهايتها : (هذا ما فتح الله به على العبد الضعيف محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي الجعفري..)

13 — تفسير سورة الاخلاص

تأليف ج الحسين الافراني (ت. 1328هـ) (120).

14 — بغية ذوي الفتح والنصر في بعض ما يتعلق بتفسير سورة والعصر (121).

تأليف ابي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله المسفيوي المراكشي (ت. 1370هـ).

15 — حول تفسير سورة قل أعوذ برب الفلق (122)

للأستاذ محمد الطنجي (123).

(120) ذكر له هذا التفسير، العلامة المختار السوسي في سوس العالمة ص : 220، ووصفه بيعسوب التيجانية في سوس.. ومع ذلك فقد تميز ج الحسين الافراني بأخلاق العلماء علما وجودا، وسعة صدر وسماحة — رحمة الله عليه — وقد توفي بتزيت وصلى عليه الشيخ محمد مصطفى ماء العينين، ولم يفصل بين موتها إلا حوالي أسبوعين من الزمن، وفي نفس الشهر ففي 4 شوال 1328هـ توفي الافراني وفي 22 منه توفي ماء العينين (يراجع : طاقة ريجان.. ص : 55، ص : 9/ المعسول 4 : 29 وما بعدها/ أخبار الحاج الحسين الافراني تأليف ابي الحسن علي بن احمد السوسي الإسيكي (ت. 1364هـ) مخطوط في كراستين ذكره ابن سودة في دليل مؤرخ المغرب الأقصى 1 : 178.

(121) معجم المطبوعات المغربية ص : 339 مع ترجمة لمؤلفه.

(122) منشور بمجلة دعوة الحق ع 12 ديسمبر 1965 ص : (3 — 4).

(123) ترجمته في التأليف ونهضته ص : 109.

16 — تفسير سورة النور

للدكتور عبد الهادي التازي

كتب المؤلف تفسير هذه السورة بتاريخ 18 رجب 1965 هـ واهداه للسلطان محمد الخامس — رحمه الله عليه — وطبعته وزارة الأوقاف⁽¹²⁴⁾ مؤخرا بدون إحداث أي تعديل عما قرره فيه سابقا، وهو نموذج حي لتفسير معاصر، من حيث المسلك والعبارة وليت واضعه واصل السير والنهج على منوال سورة النور خدمة لكتاب الله ولو فعل لأدى قسطا من الدين الملقى على عاتق الأمة الإسلامية في شأن تفسير كتاب الله وإجلاء معانيه للفتات العريضة من معتقدي الشريعة الإسلامية، والراغبين في فهم كتابها، ولكن الأستاذ الحيوي النابغة⁽¹²⁵⁾ أتى من الأمر ما هيأته الأقدار له وقد أصاب حزه المفصل حين وقع اختياره على سورة النور التي تتضمن حدود الزنا والقذف، واللعان، والإفك والاستئذان، وغض الأبصار، والزواج، وتحرير الرق.. وغيرها. وقد تناول كل هذه العناصر حسب التقسيم الذي سار عليه في تفسيره للسورة، ثم آية ﴿الله نور السماوات والأرض﴾ وما بعدها من آيات..

17 — محاولة لدراسة سورة العلق

إعداد الأستاذ الشاهد البوشيخي⁽¹²⁶⁾.

فبعد أن قدم للسورة وعرف بمكانتها من حيث اشتغالها على أول ما نزل من القرآن، سائقا

(124) بأمر من صاحب الجلالة الحسن الثاني 1405 — 1984 في 100 صفحة حجم 24 × 17 سم مطبعة فضالة.

(125) زرته يوم 24 ... 12 — 1985 بمكتبه بالمعهد العلمي الجامعي التابع لجامعة محمد الخامس بالرباط، زيارة علمية فاستقبلني استقبالا يفيض حرارة وتقديرا، مثل ما يفيض شخصه حيوية ونشاطا، وقد انكب الرجل على أعماله باهتمام بالغ مزيلا عنه معطفه مشمرا على مساعد الجد فدارت في خلدي فكرة منجزاته العلمية وموسوعاته التاريخية، وعندها أيقنت أن عزيمة الرجل ونشاطه وحركيته — وهو من مواليد 1921 كما سمعته من لسانه بإذاعة طنجة يوم 1987/3/3 على الساعة 12,35 د. ليلا — كفيلة بأن تذلل صعاب إخراج جهود علمية تنوء بها العصابة أولو القوة، بارك الله في جهوده، وقلت في نفسي بعد ذلك من ذا الذي يدري أن يعود هذا العالم خريج جامعة القرويين في يوم من الأيام بخبرته العلمية التي اكتسبها في البحث العلمي والتأليف والتضلع في اللغات الأجنبية والخبرة في مجالات مهمة دبلوماسية وتاريخية ويعتكف على إخراج تفسير للقرآن الكريم في حلة علمية مصطبغة بصيغة العصر، ومعالجة لأوضاع المسلمين وآفاق مستقبلهم انطلاقا من القرآن الكريم؟ وحتى إن تطلب المشروع لجنة علمية فهو في موقع علمي يسمح له بذلك بأنه مدير مؤسسة من مؤسسات البحث العلمي بوطننا العزيز وليت الهمم تشد نحو هذا العزم الخالد.

(126) أستاذ بجامعة سيدي محمد بن عبد الله — كلية الآداب بفاس.

الحديث المروي في شأنها في الصحيحين، منها على تناسق جسم السورة مضمونا وشكلا رغم تأخر نزول بعض آيها، معتبرا ذلك وجها من وجوه الإعجاز القرآني، تعرض إلى معنى السورة الاجمالي، ومنه إلى دراسة السورة مضمونا وشكلا..

وللاستاذ الشاهد البوشيخي محاولة أخرى لاختصار تفسير الطبري⁽¹²⁷⁾ والرجل يتوفر على منهجية رصينة في البحث، مع تمكن واطلاع واسع، وقد استفدنا منه كثيرا في هذا المجال، وهو لا يخل بعلمه وذخائر خزانته، كما أن طموحاته في البحث العلمي تستحق التقدير والاهتمام.

18 — تفسير سورة الحديد

للاستاذ عبد الجليل القباچ

وهو ضمن سلسلته التهديبية التي خصص الجزء الحادي عشر منها لتفسير ما يقارب نصف سورة الحديد، والجزء الثاني عشر لبقية السورة، وتناول في الحلقة بيان ما اشتملت عليه هذه السورة من الحكم المتعلقة بتقويم سلوك الانسان وإرشاده إلى الصدقة، الجهاد، والإيمان بالله ورسله⁽¹²⁸⁾.

19 — تأملات في سورة البقرة.

للاستاذ محمد عز الدين توفيق.

ينشرها تباعا على صفحات جريدة الإصلاح في ركن خاص بالتفسير⁽¹²⁹⁾.

رابعا : تفسير آيات أو آية :

أ — تفسير آيات :

1 — تقايد وتحريرات في التفسير⁽¹³⁰⁾

لأبي عيسى المهدي بن الطالب بن سودة (ت. 1294هـ)

(127) مجلة الهدى العدد الأول، جمادى الثانية 1402هـ — 1982 ص : (5 — 6).

(128) الكتاب المغربي ع. 4، مارس 1986 ص : 25.

(129) على سبيل المثال اعداد : رقم 10 من السنة الأولى 6/نوفمبر 1987/ ورقم 11 من نفس السنة 4/دجنبر 1987، ورقم 13 من نفس السنة فبراير 1988... الخ.

(130) معجم المطبوعات المغربية ص : 172.

2 — رسالة في تفسير قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ...﴾ (131).

تأليف محمد بن عبد الكبير الكتاني (ت. 1327هـ).

3 — تقايد على كلام أبي المواهب السائح على آيات قرآنية (132).

لتلميذه أحمد بن موسى السلاوي الحسناوي (ت. 1328هـ).

4 — رسالة المتجهدين

تأليف محمد بن أحمد العزوزي الورياعلي (توفي شهيدا في حرب الريف)

فسر فيها آيات قرآنية بكلام أهل التصوف مما يشهد بغزارة علمه وسعة اطلاعه على أقوال الأئمة... (133).

5 — تفسير الآي العشر الأول من سورة المومنين (134)

للعلامة محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي (ت. 1376هـ).

وهو درس تفسيري القاه على علماء الزيتونة بتونس يوم الأحد رابع ذي القعدة الحرام سنة 1336هـ، وقد تناول درسه وفق المراحل الآتية :

القراءات — علم أسباب النزول وذكر مكانه — علم اللغة — علم النحو الصرف والاشتقاق — علم البيان والمعاني والبديع — علم الوضع — علم المنطق — علم الأصول — علم الفقه — علم التوحيد والتصوف — والاخلاق — والاجتماع البشري، وعلم التفسير.

6 — أضواء على آيات قرآنية

للمرحوم أبي بكر زنيير

نشر من تفسير أبي بكر زنيير في مجلة دعوة الحق سورة الفاتحة — كما تقدم الذكر — كما نشر منه تفسير 29 آية الأولى من سورة البقرة في حلفتين بمجلة دعوة الحق ع 10 السنة 6 صفر 1383 يوليوز 1963 ص : (26 — 30) / والعدد الأول من السنة السابعة، جمادى

(131) معلمة القرآن والحديث ص : 38 / معجم المطبوعات المغربية ص : 304.

(132) من اعلام الفكر المعاصر 2 : 73 والمقصود بأبي المواهب السائح هو سيدي العربي السائح شيخ محمد المدني بن الحسن بن شيخ الجماعة بالرباط ومحدثها وعالمها في الفترة المعاصرة (ت. 1959م).

(133) يراجع كتاب «حرب الريف التحريرية ومراحل النضال ص : 418 — 419.

(134) مطبوع بالمطبعة العربية الرسمية بتونس 1336 في حوالي 30 صفحة من الحجم الصغير.

الأولى 1383، أكتوبر 1963 ص : (17 — 22). من قوله تعالى ﴿لم ذلك الكتاب لا ريب فيه.. إلى قوله : قال إني أعلم ما لا تعلمون﴾.

7 — أضواء على آيات قرآنية

للاستاذ حسن بغدادي القادري

في خمس حلقات تناول ثلاث آيات وهي قوله تعالى : ﴿إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون﴾ من سورة الواقعة في حلقين منشورتين، بمجلة دعوة الحق على التتابع ع 3 س 5، جمادى الثانية 1381هـ، دجنبر 1961 (ص : 16 — 18) وقد انتهى في هذه الحلقة إلى «أن آية «لا يمسه إلا المطهرون» لا علاقة لها بنهي أصحاب الأحداث من البشر عن مس المصحف المعلوم حتى يتطهروا الطهارة الشرعية الخاصة».

وفي الحلقة الثانية عضد موقفه بأدلة قرآنية وأحداث من السيرة ومراحل الدعوة ثم بين أن النهي عن مس المصحف بالنسبة للمحدث وارد في السنة لا في الكتاب !

(دعوة الحق ع 4، س 5، شعبان 1381 — يناير 1962 ص (24 — 27).

وفي الحلقة الثالثة فسر الآية : 28 من سورة الأنعام وهي قوله تعالى : ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾ وبين أن هذا لا يعني أن كل شيء مودع في القرآن كما يفهمها كثير من الناس وإنما المقصود بالكتاب (اللوح المحفوظ).

(دعوة الحق ع 5 س 5، رمضان 1381هـ فبراير 1962. (26 — 30).

وفي الحلقة الرابعة عضد رأيه بأقوال مشاهير المفسرين وقد نشرت بالعدد 6، س 5 شوال 1381 — مارس 1962 ص : (18 — 21) من نفس المجلة.

وفي الحلقة الخامسة والأخيرة فسر قوله تعالى : ﴿ويا أدم اسكن أنت وزوجك الجنة إلى... من الظالمين﴾ سورة الأعراف الآية : 19 مستدلاً على أن آدم عليه السلام لم يسكن جنة الخلد.. (دعوة الحق ع 10 س 5، صفر 1332 — يوليو 1962 ص : (27 — 30).

8 — شرح آيات من سورة النور

للأستاذ عبد الله الجراري

تناول المرحوم الأستاذ عبد الله الجراري تفسير قوله تعالى من سورة النور : ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض... إلى قوله : هم الفاسقون﴾ وهي الآية الثالثة والخمسون من هذه السورة، وقد نشر تفسيره لها بمجلة دعوة الحق العدد 3 السنة 8 رمضان 1384 — يناير 1965 (ص : 18 — 19).

ثم تناول من نفس السورة تفسير قوله تعالى : ﴿ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج..﴾ الآية، إلى قوله : ﴿لعلكم تعقلون﴾، وهي الآية التاسعة والخمسون من سورة النور وقد نشر بنفس المجلة العدد الرابع السنة الثامنة شوال 1384 يراير 1965 (ص : 25 — 27).

9 — دروس في مادة التفسير لتلامذة السنة السابعة من التعليم الثانوي الأصيل الشعبة الشرعية الادبية.

إعداد الأستاذ اليزيد الراضي⁽¹³⁵⁾.

وهي مذكرة مرقونة بالآلة أعدها الأستاذ المذكور لتلامذته بصف الباكلوريا الشرعية بثانوية محمد الخامس للتعليم الأصلي بتارودانت «لتسد الفراغ الذي يعانون منه نتيجة غياب الكتاب المدرسي، ولتذلل لهم بعض الصعوبات التي تواجههم عندما يُعودون إلى كتب التفسير القديمة فتفرقهم في الاستطرادات والمباحث الهامشية التي لا يهتم بها عادة ولا يستفيد منها — بعد الاهتمام — إلا المختصون المتمكنون».

ومنهجية الأستاذ في تناوله الآيات المقررة على طلبة هذا المستوى كما يقررها :

- 1 — كتابة النص القرآني في بداية كل درس.
- 2 — شرح مفرداته التي تحتاج إلى شرح، مع تجنب الإطالة والتفصيل.
- 3 — ذكر سبب النزول، ان كان للنص المدرس سبب خاص.
- 4 — تقسيم الدرس إلى عناصره الأساسية، وكتابتها مرقمة ومتابعة.
- 5 — تحليل العناصر واحدا بعد الآخر.
- 6 — ختم كل درس بمجموعة من الأسئلة لتُعين التلميذ على الاستذكار والمراجعة والتلخيص.

10 — تفسير بعض آيات الاحكام من سورة النحل والاسراء. والنور والأحزاب.

اعداد الأستاذ الحسن العبادي⁽¹³⁶⁾.

(135) والاستاذ اليزيد الراضي متمكن من الثقافة العربية الاسلامية متخرج من كلية اللغة التابعة لجامعة القرويين ومن كلية الحقوق بالرباط، ومن كلية الاداب بالرباط ايضا ودرس مادة التفسير بالمعهد الاسلامي بتارودانت مدة عشر سنوات، وهو الآن أستاذ جامعي بكلية الاداب والعلوم الانسانية بأكادير..

(136) سابق الذكر.

وهي مذكرات مرقونة اعدّها الاستاذ الباحث لطلبته بكلية الشريعة بأكادير وكنت ممن أخذ عنه التفسير من هذه المذكرات وهو يعتمد فيها على مجموعة هامة من المصادر، مع حسن الانتقاء والاختيار لأجود الاقوال ونسبتها إلى أصحابها.

1 — تفسير آيات من القرآن الكريم تحت عنوان «مباحث في القرآن»⁽¹³⁷⁾

للدكتور محمد تقي الدين الهلالي

تناول بالتفسير الآية : 53 من سورة فصلت وهي قوله تعالى ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم﴾ وآيات أخرى من الواقعة (71 — 74) ﴿أفرأيتم النار التي تورون...﴾ الآيات وقد تطرق من خلال آيات الواقعة إلى تطور استخدام النار وطاقاتها في العصر الحاضر، وآيات أخرى من سورة الرحمن والأنعام.. وقد نحا فيها منحى علميا مع إضافة معلومات من خلال حصيلته وثقافته وتجربته ومشاهداته.

12 — الجواهر الشفافة الغالية في تفسير بعض الآيات القرآنية⁽¹³⁸⁾.

تأليف الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني (ت. 1327هـ)

13 — تفسير آيات من سورة الزمر⁽¹³⁹⁾

للاستاذ عبد الجليل القباچ

14 — أجوبة على آيات قرآنية⁽¹⁴⁰⁾ للشيخ المفضل بن السيد الهادي بن احمد بن

المجذوب (ت. 1319هـ).

وهي أجوبة تدل على نفاذ بصيرته في فهم القرآن، وقد ساقها له ابن زيدان نموذجا عن سرعة بديته واستحضاره...

ب — تفسير آية :

1 — مجلي أسرار الفرقان في قوله سبحانه : ﴿وإذا قرىء القرآن﴾.

تأليف محمد عبد الحي الكتاني (ت. 1382هـ)⁽¹⁴¹⁾

(137) المقال مرقون مما يدل على انه سبق نشره وقد اخذت منه نسخة من الاصل باذن المؤلف رحمه الله عليه.

(138) اشرف الاماني في ترجمة الشيخ محمد الكتاني تأليف محمد الباقر الكتاني ص : 251 / التأليف ونهضته ص : 177.

(139) تهذيب الاخلاق من خلال القرآن لنفس المؤلف الجزآن 11 — 12.

(140) اتحاف اعلام الناس 4 : 318.

(141) ترجمته في مقدمة الجزء الأول من معجمه فهرس الفهارس.

يقع تفسيره لهذه الآية من سورة الأعراف، وهو قوله تعالى ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾⁽¹⁴²⁾ مخطوطاً في مجموع بالخزانة العامة بالرباط رقم: 2/1929 د. يتبدى من الصفحة 15 وينتهي في الصفحة 50 من المجموع وقد تكلم فيه عن الآية من خلال أربع درر كما سماها.

الدرّة الأولى : أي قرآن هذا ؟، الدرّة الثانية : أي وقت يتعين له الانصات وحسن الاستماع ؟ الدرّة الثالثة : ما على من لم ينصت حالة تلاوته، الدرّة الرابعة : من له أوراد هل يذكرها بحضرة التالي أم لا ؟

بداية المخطوط : [فبعد التحسبل والتحوقل والاحتماء...] ونهايته : [وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً عدد ما في علم الله من الرحمت.].

2 — القول المعلوم في إباحة النظر في النجوم⁽¹⁴³⁾.

تأليف الشيخ أبي زيد عبد الرحمن التتيفي الجعفري (ت. 1385هـ)⁽¹⁴⁴⁾.

وهو تفسير قوله تعالى : ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾⁽¹⁴⁵⁾.

3 — مناهج الرجال في الرد على الشيخ رحال⁽¹⁴⁶⁾

تأليف الشيخ أبي زيد عبد الرحمن التتيفي الجعفري.

وقد رد فيه على الشيخ الرحالي الفاروق في تفسيره للآية الكريمة : «وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم»⁽¹⁴⁷⁾ ورأى أنه جائب الصواب.

4 — الأبحاث الينات فيما قاله عبده ورشيد رضا في تعدد الزوجات⁽¹⁴⁸⁾.

لنفس المؤلف أقصد العلامة ابا زيد عبد الرحمن التتيفي.

(142) الأعراف، الآية 204.

(143) مجلة الفرقان ع : 16، س 5. محرم / صفر 1409هـ شتنبر 1988 ص : 12.

(144) ترجم له الشيخ محمد زحل في مجلة الفرقان ع : 15 س 4 شوال 1408 — يونيو 1988 ص (22 — 26). والعدد السابق الذكر ص : (10 — 14) وهو شيخ أستاذي الحاج محمد الشاتي الذي ذكر لي أنه لازمه مدة ست سنوات متوالية وأخذ عنه العديد من العلوم منبنيها التفسير.

(145) النحل، الآية : 16. ودروس هذا الشيخ في التفسير على المنهج الأثري بالبيضاء تحدث عنها العام والخاص

(146) مجلة الفرقان ع : 16، س 5، محرم / صفر 1409هـ شتنبر 1988 ص : 13.

(147) النحل، الآية 44.

(148) المرجع السابق ص : 13.

- 5 — تفسير قوله تعالى : ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا...﴾⁽¹⁴⁹⁾
 محمد العياشي بن المكي أبو الشمع المكناسي (ت. 1294هـ)⁽¹⁵⁰⁾
- 6 — الكشف والتبيان عما خفي على الأعيان وسر آية ﴿ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان﴾⁽¹⁵¹⁾ (152).
- تأليف محمد بن عبد الكبير الكتاني (ت. 1327هـ).
- 7 — تشریح أسرار الشريعة في قوله تعالى : ﴿ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾⁽¹⁵³⁾ (154).
- تأليف محمد بن عبد الكبير الكتاني (ت. 1327هـ)
- 8 — تقييد في قوله تعالى : ﴿انما يخشى الله من عباده العلماء﴾⁽¹⁵⁵⁾.
- للعامة محمد بن رشيد العراقي (ت. 1348هـ)⁽¹⁵⁶⁾.
- 9 — رسالة اهل الفضل والشرف بتفسير بعض كبراء المالكية لآية من المصحف⁽¹⁵⁷⁾.
- تأليف فتح الله بناني (ت. 1353هـ)⁽¹⁵⁸⁾.
- 10 — تعظيم الاتفاق في آية أخذ الميثاق⁽¹⁵⁹⁾
- تأليف العلامة احمد بن محمد بن ناصر السلاوي.

-
- (149) فاطر، الآية : 32.
- (150) أستاذ محمد بن عبود المكناسي ثم السلاوي / ينظر انحاف اعلام الناس 4 : 259.
- (151) الشورى الآية : 49.
- (152) معلمة القرآن والحديث.. ص : 38 / التأليف ونهضته ص : 178.
- (153) النحل الآية، 125.
- (154) نفس المرجعين السابقين.
- (155) فاطر الآية : 28.
- (156) ترجمته في : مختصر العروة الوثقى للحجوي ص : 5 / معجم المطبوعات ص : 237.
- (157) مطبوعات بالرباط، المطبعة الوطنية (د.ت) في 3 صفحات معجم المطبوعات.. ص : 42.
- (158) ترجمته في : من اعلام الفكر المعاصر 2 : 377 / معجم المطبوعات ص : 42.
- (159) معجم المحدثين والمفسرين لعبد العزيز بن عبد الله ص : 17.

11 — ينبوع الدر الثمين من آية الصدقة للفقراء والمساكين⁽¹⁶⁰⁾.

تأليف العلامة محمد بن أحمد العبدى الكانوني (ت. 1357هـ)⁽¹⁶¹⁾.

12 — هداية القرآن⁽¹⁶²⁾.

للاستاذ عبد الرحمن الغريسي⁽¹⁶³⁾.

فسر تحت هذا العنوان قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾⁽¹⁶⁴⁾ وقال في نهاية كلامه : ﴿ولما أقعدتنا القيود عن مجارة الأمم، صار أولئك الذين خرجوا بنا عن أصول الكتاب والسنة فريقين، فريقا رضوا بالعود ظنا منهم أنهم محافظون على الاسلام، وفريقا قلدوا غير المسلمين، فكان كل من الفريقين بجهله حجة على الاسلام في الظاهر والاسلام حجة على الجميع في الحقيقة...﴾⁽¹⁶⁵⁾.

13 — تفسير قوله تعالى ﴿وَمَارَبِكَ بِظُلَامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾⁽¹⁶⁶⁾ للعلامة محمد الرضى السناني

(ت. 1385 هـ)⁽¹⁶⁷⁾.

وقد ذكر أن تفسيره للآية فريد، وأنه راجع بعده التفاسير فوجدها لم تصل إلى ما وصل إليه، وفسرت الآية ونظراءها تفسيراً ظاهرياً، ولم تدقق في الأمر الذي بقي معلقاً، وهو هل يجوز الظلم عليه تعالى أو يستحيل وهو استوفى الكلام في ذلك بما ينفي الظلم عنه تعالى نفياً واجباً وجوباً عقلياً.

كما أشار إلى ما ذهبت إليه المعتزلة من أن الانسان مجبر على فعل الذنوب... ورد عليهم بما فسر به الآية ومثيلاتها من قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾⁽¹⁶⁸⁾ ﴿وَلَا يَظْلَمُ

(160) ذكره في كتابه : جواهر الكمال في تراجم الرجال ص : 150.

(161) معجم المطبوعات المغربية ص : 232.

(162) دعوة الحق ع 3، س 1، صفر 1377هـ، شتنبر 1957 ص : 6.

(163) من علماء القرويين تقلد مناصب عالية في القضاء، وتولى التدريس بدار الحديث الحسنية /يراجع اتحاد ذوي العلم والرسوخ محمد بن الفاطمي ص : 72.

(164) النحل الآية : 90.

(165) المقال السابق ص : 6.

(166) الآية 45 من سورة فصلت.

(167) ذكر ذلك في كتابه الشذرات.. 2 : (49 — 51).

(168) النساء الآية : 40.

ربك أحداً (169).

18 — يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول.. (170) الآية الرحالي الفاروق (171).

19 — ووجدك ضالاً فهدى (172).

للأستاذ التهامي الوزاني (173).

20 — حقائق التأويل، التقوى والفرقان كما ورد في القرآن (174).

تفسير قوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا. الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم.

للشيخ محمد زحل.

21 — رسالة في البسمة (175).

تأليف محمد المديني بن علي بن جلون الكومي (ت. 1298هـ).

مخطوط بالخزانة الحسنية رقم : 10422.

أول النسخة : «إن أحسن ما ينشط الطالبين ويشنف آذان السامعين الحمد لله رب العالمين...

آخرها : «وفي الصباح المسفر عن يوم الجمعة 23 رجب عام 1298هـ... والحمد لله رب العالمين.

النسخة غير مسفرة بخط مغربي معتاد، كتبها المؤلف بنفسه. مقياسها : $23,4 \times 18,6$ سم،

33 سطراً، 21 ورقة.

22 — تحرير المقال من غير اعتساف في الرد على من بسمل في الفرض تورعاً للخروج

(169) الكهف، الآية 48.

(170) الانفال، الآية : 27.

(171) دعوة الحق ع : 5 س 14 ماي 1971 ص (13 — 15).

(172) الضحى، الآية : 7.

(173) دعوة الحق ع : 2 س 4 نونبر 1960 (ص : 19 — 18).

(174) مجلة الفرقان ع : 2، س 1، ذو القعدة — ذو الحجة 1404هـ، غشت — شتنبر 1984 صفحات : (6 — 10).

(175) فهارس الخزانة الحسنية 6 : 28 / معجم المطبوعات ص : 73.

من الخلاف⁽¹⁷⁶⁾.

تأليف أحمد بن الطالب بن سودة (ت. 1321هـ)⁽¹⁷⁷⁾.

23 — تكميل تحرير المقال في البسمة لحسم مادة القيل والقال في المسألة⁽¹⁷⁸⁾.

تأليف أحمد بن الطالب بن سودة (ت. 1321هـ).

24 — كواكب البسمة⁽¹⁷⁹⁾.

للمفضل بن العدل الزكي السيد الهادي بن أحمد بن المجذوب⁽¹⁸⁰⁾ (ت. 1319هـ).

25 — الخلاف الفقهي في البسمة مبني على اختلاف القراء في قراءتها⁽¹⁸¹⁾.

محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي (ت. 1376هـ).

26 — مؤلف في البسمة في الصلاة⁽¹⁸²⁾.

محمد بن العربي الادوزي الباعقلي السوسي (ت. 1323هـ).

27 — تجريد التحرير في البسمة⁽¹⁸³⁾.

تأليف محمد (فتحاً) كنون (ت. 1326هـ).

28 — تقييد في فضل البسمة وإعرابها⁽¹⁸⁴⁾.

للفقيه التهامي بن المدني كنون (ت. 1321هـ).

29 — تفسير البسمة⁽¹⁸⁵⁾.

للشيخ محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي (ت. 1376هـ)

(176) معجم المطبوعات.. ص : 167 / الاعلام للزركلي 1 : 139 / التأليف ونهضته ص : 38.

مطبوع على الحجر بفاس 1311هـ في 14 صفحة.

(177) ترجمته في نفس الاحالة السابقة.

(178) مطبوع على الحجر بفاس 1311 هـ 48 صفحة / معجم المطبوعات ص : 167.

(179) اتحاف اعلام الناس 4 : 318.

(180) المرجع نفسه والجزء والصفحة.

(181) مختصر العروة الوثقى ص : 74.

(182) سوس العالمة ص : 204.

(183) الاعلام للزركلي 7 : 77.

(184) الاعلام للمراكشي 3 : 95 — 96.

(185) مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم : 115 ح.

30 — شرح البسملة⁽¹⁸⁶⁾.

للشيخ محمد عبد الحي الكتاني (ت. 1382هـ).

31 — من المقصود بالسفهاء في قوله تعالى :

﴿وَلَا تَتَوَتَّأِ السَّفَهَاءُ أَمْوَالِكُمْ...﴾⁽¹⁸⁷⁾ للاستاذ أحمد بزوي.

32 — حياة الشهداء عند ربهم.

﴿وَلَا تَحْسِنَ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ.. يَرْزُقُونَ﴾

للاستاذ محمد الطنجي⁽¹⁸⁸⁾.

خامسا : رسائل جامعية في التفسير :

هناك مجموعة قليلة من الأعمال الجامعية في هذا الصدد، فضلت أن أعرضها على قلتها، إيفاء بجوانب البحث وهي دراسات أقيمت على التفاسير السابقة من أجل إبراز مزاياها وإظهار بعض المآخذ عنها...

1 — أبو الحسن الحارثي المراكشي آثاره ومنهجه في التفسير.

إعداد محمادي الخياطي.

إشراف : الأستاذ محمد إبراهيم الكتاني.

قدمت هذه الرسالة بدار الحديث الحسنية ونوقشت من أجل نيل دبلوم الدراسات الإسلامية العليا بتاريخ 6 صفر 1401 — 14 دجنبر 1980.

2 — التفسير المنسوب إلى ابن عربي.

إعداد الأستاذ محمد كوكب.

رسالة دبلوم بدار الحديث الحسنية، نوقشت بتاريخ 27 ربيع الأول 1399 — 24 يرباير

1979.

3 — المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات⁽¹⁸⁹⁾.

إعداد الأستاذ محمد بن عبد الرحمن المغراوي

(186) مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم : 2930 ك.

(187) مقال في حلفتين منشور بجمريدة الإصلاح 16 شتنبر 1988/7 أكتوبر 1988 ص : 7، ص : 6.

(188) دعوة الحق ع : 2، س 11، دجنبر 1967 ص (23 — 26).

(189) مطبوع بالرياض ط 1، دار طيبة 1405 — 1985 في سفرين.

رسالة دبلوم مقدمة بالجامعة الإسلامية وقد تتبع فيها الباحث سقطات كبار المفسرين القدامى والمحدثين فيما يخص تفسيرهم آيات الصفات، قال : «والمسلمون قديما وحديثا قد اعتنوا بتفسير كتاب الله لكن اختلفت مشاربهم وتخصصاتهم وحاول كل مفسر ان ييדי تخصصه في تفسيره، وكانت عقائدهم في تفسيرهم تابعة لتخصصاتهم ومشاربهم، فمن كانت عقيدته سلفية أبداها وأظهرها، ومن كان مذهبه التأويل ذكره وأبداه...»⁽¹⁹⁰⁾.

4 — أثر الواقع الثقافي في أهم التفاسير الحديثة للقرآن الكريم.

اعداد الاستاذ أحمد بزوي الضاوي⁽¹⁹¹⁾.

رسالة ماجستير قدمت بكلية دار العلوم — قسم الشريعة بجامعة القاهرة تحت إشراف الدكتور رفعت فوزي ونوقشت بتاريخ 27 — 6 — 1987.

وقد تناول الأستاذ الباحث في القسم التطبيقي من رسالته ثلاثة نماذج هامة من التفاسير المعاصرة وهي تفسير المنار لمحمد رشيد رضا، وفي ظلال القرآن لسيد قطب، والتفسير الحديث لمحمد عزة دروزة.

وانتهى إلى أن المفسر لكتاب الله تعالى في العصر الحديث كان يحارب روح الخرافة والتواكل والجزرية المهيمنة على حياة المسلمين، ويحارب في نفس الوقت النزعة المادية المتعاطمة، مما جعله يقع في هفوات أحيانا... كما انتهى إلى أن كل تفسير من التفاسير الثلاثة يمكن أن يعتبر مشروعا حضاريا، فتفسير المنار اتجه صوب التوفيق بين معطيات المدنية الحديثة ومبادئ الدين الإسلامي حفاظا على الشخصية الإسلامية من الذوبان في الشخصية الأوربية، والتفسير الحديث لمحمد عزة دروزة اتجه صوب تفسير القرآن حسب نزول سُورِهِ من أجل إعادة تربية الأجيال الإسلامية الحاضرة على نمط تربية جيل الصحابة، ورغبة في جعل المسلم المعاصر يعيش في البيئة التي كان ينزل فيها القرآن الكريم.

وأما تفسير في «ظلال القرآن» فقد بين أنه لا طريق للخلاص والتقدم والعزة إلا الطريق الذي اختاره الله تعالى لعباده، ومن ثم فلا مجال للتوفيق بين دين الله وغيره من النظم والأفكار، والمبادئ والقيم، مع توضيح أن هذا لا يتعارض مع ضرورة الاستفادة من الإنجازات العلمية والتكنولوجية التي حققتها الدول الغربية⁽¹⁹²⁾.

(190) المرجع نفسه ج : 1 ص : 8.

(191) أستاذ بكلية الآداب بالجديدة.

(192) جريدة الاصلاح السنة 2 ع : 21 الجمعة 16 ذو القعدة 1408 1 يوليوز 1988 ص : 13.

5 — القراءة الجديدة للقرآن الكريم في ضوء ضوابط التفسير إعداد الأستاذ عبد الرزاق هرماس.

رسالة دبلوم قدمت بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط شعبة الدراسات الإسلامية تحت إشراف الدكتور فاروق حمادة، نوقشت في يوليو 1988.

وقد احتوت الرسالة على جهد علمي رصين ينم عن قدرة الباحث على الاستيعاب والتناول لمجموعة كبيرة من النتاجات العلمية المتعددة الاتجاهات والمجالات (لسانية، فلسفية، أدبية، اجتماعية...) وتخصيصه الجزء الأول من الرسالة لعرض وجهات النظر التي يريد أن يتعقبها، لذلك ظل دقيقا في تدخلاته، ووجيزا، احتراما للخطة التي سلكها... وفي الجزء الثاني كان مقوما للآراء التي عرضها، منتقدا لتهجمات أصحابها... (193)

(193) وأخونا الدكتور عبد الرزاق هرماس أستاذ بكلية الآداب ببني ملال ناقش أطروحته في التفسير العلمي للقرآن، وهو نشيط في البحث والنشر يُنبئ اعتكافه على ذلك بمستقبل علمي مشرف إن شاء الله.

الفصل الثاني دراسة نماذج من تفاسيرهم

تمهيد :

لقد تم عرض مؤلفات المغاربة في التفسير في القرن الأخير، وتبين أن منها نماذج مختلفة كما وكيفا، ففيها التفاسير التامة، وغير التامة، وتفسير سور وتفسير سورة، وتفسير آيات، وتفسير آية..

وحضور كل هذه المستويات من مشاركاتهم العلمية في التفسير في المائة سنة الأخيرة فيه أكبر دليل على اهتمامهم بكتاب الله وعنايتهم بتفسيره والولع بفهم مافيه..

وبما أن خطة هذا البحث لا تسمح لي بدراسة شاملة لكل أثر من آثارهم التي عرضتها في الفصل السابق، فإنني مع ذلك سأنتقي بعض النماذج منها التي يمكن من خلالها أن نتعرف على باقي النماذج الأخرى التي قد تلتقي معها على الأقل في الاتجاه إن لم يكن في المنهج أو الطريقة.

وهذه النماذج التي ارتأيت دراستها حسب الإمكان هي :

1 — «تفسير سور المفصل من القرآن الكريم» للاستاذ عبد الله كنون.

2 — «إرشاد الله للمسلم الغافل اللاه» لابي بكر زنيبر.

3 — «التيسير في أحاديث التفسير» لمحمد المكي الناصري.

وسأعرض هذه النماذج انطلاقا من النقاط الآتية :

— تعريف عام بالكتاب.

— مصادره.

— السمات العامة لمنهجه.

— اتجاهه.

— قيمته العلمية.

1) تفسير سور المفصل من القرآن الكريم للاستاذ عبد الله كنون⁽¹⁾

أ - تعريف عام بالكتاب :

ويشمل هذا التعريف نقطتين، الأولى تتعلق بتوثيق الكتاب وقد تقدمت أثناء عرضه في الفصل الأول من هذا الباب، والثانية : الباعث على تأليفه.

فقد ذكر المؤلف في مقدمة تفسيره أن الباعث له على كتابة هذا التفسير هو ما لاحظته منذ أن اشتغل بامر الدعوة والتبليغ من أن التفاسير الموجودة بين أيدي المسلمين إما أن تكون كبيرة أكثر من أن يستوعبها الشخص العادي والطالب الشادي⁽²⁾، وإما أن تكون مختصرة اختصاراً شديداً يؤدي إلى استغلاق عبارتها بسبب حرصها على التعرض لمختلف الأقوال في تفسير الآية الواحدة⁽³⁾، مع ضغط التعابير ضغطاً يجعل من الصعب على غير المختص الاستفادة منها..

فكان يطمح إلى أن تتحقق غاية تقريب القرآن من الناس بكتابة تفسير في مثل حجم القرآن مرتين أو ثلاثاً على الأكثر، على شرط أن يكون سهل العبارة خالياً من الاصطلاحات العلمية، والأقوال المتعارضة⁽⁴⁾، مركزاً على الأسس الثلاثة التي قامت عليها دعوة الإسلام، وهي تصحيح عقيدة التوحيد بتطهيرها من الشوائب، وتركيز النفوس بالأخلاق... واعداد المسلمين لقيادة الإنسانية إلى ما فيه صلاح معاشها ومعادها.⁽⁵⁾

ثم إنه لَمَّا تصفح بعض التفاسير المعاصرة التي ظهرت مبكراً في أوائل القرن الرابع عشر الهجري مثل ما كتبه الشيخ محمد عبده⁽⁶⁾، وعبد القادر المغربي⁽⁷⁾، وفريد وجدي⁽⁸⁾ رأى أنها لم تف بالمراد، فما كتبه الأولان قد أُلْمَ بعناصر الفكرة، لكنهما أطالا النفس في الشرح والبيان ولا سيما الشيخ عبد القادر المغربي في تفسيره لجزء تبارك.

(1) تقدمت الاحالة على ترجمته.

(2) تفسير سور المفصل ص : 5.

(3) المرجع نفسه.

(4) المرجع نفسه.

(5) المرجع نفسه.

(6) في تفسيره لجزء عم مطبوع بمصر 1341هـ شركة مساهمة مصرية 187 ص.

(7) الشيخ عبد القادر المغربي تلميذ محمد عبده فسر جزء تبارك المطبوع بمصر مطابع الشعب القاهرة 1949 — 136 صفحة .

(8) له المصحف المفسر، طبع مرات عديدة (منها الطبعة 6 — محمد علي صبيح وأولاده بالأزهر مصر 1372هـ — 1953) وهناك المصحف الميسر لعبد الجليل عيسى، مصر دار النصر. 1969.

أما الأستاذ محمد فريد وجدي في المصحف المفسر فلم يزد في نظر الأستاذ كنون — عن كونه شقق الألفاظ للمتعلمين المبتدئين، ولم يوافق تفسيره تصور الأستاذ عبد الله كنون.. كل هذه البواعث جعلت المؤلف يدخل في تجربته لتطبيق فكرته، مبتدئاً في هذا التطبيق بسور المفصل من القرآن الكريم باعتبار أنه يشكل سبع القرآن الكريم «فإذا لم تنجح التجربة في السبع، فإنها لن تنجح في الكل...»⁽⁹⁾.

ب — مصادره :

تعد المصادر التي يعتمد عليها المؤلف أو المفسر من أساسيات عمله العلمي فعليها يتكىء، ومنها يستقي، وإليها يرجع لتذليل ما يعترضه من عقبات، وما يصادفه من مشكلات، واختيار هذه المصادر من بين مجموعة من كتب التفسير فيه دلالة على اتجاه المفسر، والمنحى الذي يفضل في تفسيره، وقد تطول لائحة هذه المصادر وقد تقصر، حسب الهدف الذي يروم المؤلف تحقيقه وحسب حاجته منها...

ونجد العلامة سيدي عبد الله كنون يحدد في مقدمة تفسيره أهم المصادر التي اعتمدها قائلاً، وكان اعتمادنا في الغالب على تفسير ابن جزري، وابن كثير، والجلالين مع الرجوع في بعض الأحيان إلى تفسير الطبري، والقرطبي وابن عطية، والفخر الرازي، والثعالبي، لاستجلاء المعنى وتبين المراد حين يشكل الأمر، ويجب تقديم الآية بما يوافق العقل والنقل⁽¹⁰⁾.

هذه عبارته في تحديد مصادره، لكننا نجد بين ثنايا عمله التفسيري، ذكرنا مجموعة أخرى من التفاسير مثل تفسير البضاوي⁽¹¹⁾ وتفسير البغوي⁽¹²⁾ والكشاف⁽¹³⁾ للزمخشري، وتفسير الثعلبي⁽¹⁴⁾، والدر المنثور⁽¹⁵⁾ للسيوطي، وحاشية العلامة الصاوي⁽¹⁶⁾ على الجلالين،

(9) تفسير سور المفصل ص : 7 فسر فيه 67 سورة من الحجرات إلى الفاتحة.

(10) المرجع السابق ص : 9.

(11) استشهد بكلامه في الحكمة من إقامة الرقيب على الانسان المستفاد من قوله تعالى في سورة ق، الآية 18 ﴿وما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾.

(12) ساق عبارته في ثلاثة مواضع : الطلاق الآية : 12 — المearج، الآية : 11 — 39.

(13) الحاقة الآية : 12، الفلق، الآية : 4.

(14) الجن الآية : 10.

(15) القمر، الآية : 14، الواقعة، الآية 79.

(16) الملك الآية : 5 العصر الآية : 5.

وتفسير جزء عم للشيخ محمد عبده⁽¹⁷⁾ وغيرها، لكنه أشار في كلامه إلى ذكر ما يعتمد عليه في الغالب.

ومن بين مصادره التي اعتمدها كثيرا، وساق منها حرفيا في غير ما موضع كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي، فقد استشهد بكلامه ثمان مرات⁽¹⁸⁾ منها قوله، في تفسير الآية التاسعة من سورة نوح ﴿وَاللّٰهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بَسَاطًا﴾ «قال ابن جزي : وأخذ بعضهم من لفظ البساط أن الأرض بسيطة غير كروية خلافا لما ذهب إليه أهل التعديل، وفي ذلك نظر»⁽¹⁹⁾.

ومنها ما ساقه لابن جزي في تفسير قوله تعالى : ﴿إِلَّا مَنْ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ﴾⁽²⁰⁾ قال : «قال ابن جزي : واستدل بها — يعني الآية — على نفي كرامات الأولياء الذين يدعون المكاشفات فإن الله خص الاطلاع على الغيب بالرسول دون غيرهم، وفيها أيضا دليل على إبطال الكهانة والتنجيم، وسائر الوجوه التي يدعي أهلها الاطلاع على الغيب لأنهم ليسوا من الرسل»⁽²¹⁾.

والمثال الأخير من استعماله هذا المصدر يتعلق بإيراد رأيه في قوله تعالى : ﴿وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾⁽²²⁾.

قال ابن جزي : «الترتيل هو التمهّل، والمد وإشباع الحركات وبيان الحروف، وذلك معين على التفكير في معاني القرآن بخلاف الهمد الذي لا يفقه صاحبه ما يقول..»⁽²³⁾.

أما تفسير ابن كثير فقد جاء ذكره في تفسير المفصل خمس مرات⁽²⁴⁾ منها في سورة النجم عند تفسير قوله تعالى : ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾⁽²⁵⁾ قال : (ما زاغ البصر) منه ﷺ

(17) الطارق، الآية : 14.

(18) ق، الآية 2 : 23، التحريم، الآية : 1 الحاقة : 9، نوح الآية : 19، الجن، الآية : 27 المزمل، الآية : 4، البلد، الآية : 2.

(19) التسهيل.. 4 : 151 تفسير سور المفصل.. ص : 257.

(20) الجن، الآية : 27.

(21) التسهيل.. 4 : 155، تفسير سورة المفصل.. ص : 270.

(22) المزمل، الآية : 4.

(23) التسهيل.. 4 : 157، تفسير سور المفصل ص : 272.

(24) النجم، الآية : 17، (39 — 40 — 41) الحشر، الآية : 10، الغاشية، الآية : 22، الفجر، الآية : 8.

(25) النجم الآية : 17.

أي مال عن مقصوده (وما طغى) أي جاوز ما أمر به ولا سأل إلا ما أعطى، قاله ابن كثير⁽²⁶⁾.

وهذه الصيغة التي وردت في آخر النص، وهي قوله : «قاله ابن كثير» تدل على تصرف قليل في كلام ابن كثير وسوق مراده بمعناه، لا كما مر في الأمثلة الأخرى.

وفي نفس السورة ساق نصا لابن كثير لما كان بصدد تحديد ما يستنبط من قوله عز وجل : ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى وَأَنْ سَعِيهِ سَوْفَ يَرَى ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَى﴾⁽²⁷⁾ قال : «وقال ابن كثير : «ومن هذه الآية استنبط الشافعي — رحمه الله — ومن اتبعه أن القراءة لا يصل ثوابها⁽²⁸⁾ إلى الموقى، لأنه ليس من عملهم ولا كسبهم ولهذا لم يندب إليه رسول الله ﷺ أمته، ولا حثهم عليه، ولا أرشدهم إليه بنص ولا إيماء، ولم ينقل عن أحد⁽²⁹⁾ من الصحابة — رضي الله عنهم — ولو كان خيرا ما سبقونا إليه⁽³⁰⁾ وباب القربات يقتصر فيه على النصوص، ولا يتصرف فيه بأنواع الأقيسة والآراء، فاما الدعاء والصدقة فذلك⁽³¹⁾ يجمع على وصولها⁽³²⁾، منصوص⁽³³⁾ من الشارع عليها⁽³⁴⁾»⁽³⁵⁾.

ثم أضاف الأستاذ عبد الله كنون قائلا : «وهو مذهب مالك أيضا — رحمه الله»⁽³⁶⁾. وفي سورة الحشر عند تفسيره الآية العاشرة منها وهي قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ..﴾ الآية قال : «وقال ابن كثير : وما أحسن ما استنبط الإمام مالك — رحمه الله — من هذه الآية الكريمة أن الرافضي الذي يسب الصحابة ليس له في مال الفيء نصيب لعدم اتصافه بما مدح الله به هؤلاء في قولهم :

(26) المرجع السابق ص : 61.

(27) النجم : الآيات 39 — 40 — 41.

(28) في تفسير ابن كثير (ط 1 دار الفكر 2400هـ — 1980) المجلد السادس ص : 462 ورد «لا يصل إهداء ثوابها».

(29) ورد : «ولم ينقل ذلك عن أحد».

(30) ورد «سبقونا إليه».

(31) فذاك.

(32) «وصولهما» بالثنية.

(33) بالواو «ومنصوص».

(34) «عليهما» بالثنية أيضا، ولعل هذا الاختلاف آت من النسخة أو الطباعة والله اعلم.

(35) ابن كثير 6 : 462، تفسير سور المفصل ص : 67.

(36) نفس المرجع والصفحة.

﴿ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان﴾ (37).

وقد ساق له في موطنين آخرين من تفسير سور المفصل لكنه يظهر أن هذا المصدر مما يعتمد عليه الشيخ عبد الله كنون في مواطن الحسم والخروج من الأقوال والآراء التي لا تستند إلى دليل، فنجدّه يعتضد بكلامه في تفسيره لقوله تعالى في سورة الفجر : ﴿ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد﴾ (38) يقول : ﴿وما يورده بعض المفسرين والقصاص عن مدينة ارم ذات العماد، والعجائب التي فيها، زاعمين أنها المراد في الآية الكريمة هو ما لا أصل له ولا سند، وقد أنكره الحافظ ابن كثير، وقال : «لو كان ذاك هو المراد لقال التي لم يعمل مثلها في البلاد، ولم يقل لم يخلق﴾ (39).

ونجد الأستاذ عبد الله كنون أحيانا أخرى يبههم ويكتفي بقوله : «وقال بعض المفسرين» (40) ولما يكون بصدد الترجيح فإنه يقول : «قال جمهور المفسرين» (41) كما ورد في تفسيره ذكر لكتب أخرى مثل كتاب صحيح البخاري (42) والعاقبة لعبد الحق الاشبيلي (43)، وبعض كتب الغريب (44)، والراغب الاصفهاني (45)، كما أورد نصين من التوراة والانجيل (46) مورد الاستدلال والاستشهاد بما جاء فيهما في شأن البشارة بالنبي محمد ﷺ، كما ذكر كتاب الإتيان في مقدمة تفسيره (47) وكذا كتاب أقرب المسالك إلى موطأ الإمام مالك (48).

وقد كان جهد المؤلف في حسن تعامله مع المصادر ينم عن خيرة واسعة بالتأليف فهو يعرف كيف يضع الدهان على النقاب ويحكم قبضته على مادة مصادره ويوجهها كيف يشاء، دون أن يتركها توجهه أو تجعل منه حائرا في خضم المادة العلمية، فهو حكيم يعرف كيف

(37) المرجع السابق ص : 143.

(38) الفجر الآيات : 6 — 7 — 8.

(39) المرجع السابق ص : 362.

(40) نفس المرجع صفحات : 361 (ورد مرتين) 368 — 369 — 387.

(41) المرجع نفسه ص : 410.

(42) صفحتي : 87، 258.

(43) ص : 245.

(44) صفحات : 233، 272، 280، 373، 334.

(45) ص : 7 : 337.

(46) ص : 165، 166، 384.

(47) ص : 6.

(48) ص : 8.

يستقي مراده من المصادر، وكيف يوفق بين تلك الاستفادة والمنهج الذي رسمه لنفسه في تفسيره.

وذليل ما قلته هو أن لائحة المصادر الآتفة الذكر سواء التي ذكرها في مقدمة تفسيره أو التي جاءت في مواطن معينة من كتابه، على طولها النسبي وتنوعها، فإنك لن تجد لها أي ظهور واضح يجعل منها حاجزا دون القارئ والمؤلف، فإذا فتحت كتاب الأستاذ كنون، فإنك لن تجد مخاطبا آخر في التفسير، ومحلا ومناقشا ومبديا ما يراه سوى الشيخ سيدي عبد الله كنون فهو يرافق قارئ كتابه ويحاول أن يشده إليه ويزيل أمامه الصعاب، ولن يتركه لمفسر آخر يحدثه، وهذا في نظري نجاح كبير في كيفية التعامل مع المصادر وحسن الاستفادة منها، خاصة في موضوع شائك مثل تفسير كتاب الله عز وجل.

ج — السمات العامة لمنهجه :

تقدمت الإشارة إلى أن مطمح الأستاذ عبد الله كنون في تفسيره أن يكتب تفسيراً في مثل حجم القرآن مرتين أو ثلاثاً على الأكثر، وأن يكون هذا التفسير سهل العبارة، خالياً من الاصطلاحات العلمية، والأقوال المتعارضة، مركزاً على الأسس الثلاثة التي قامت عليها دعوة الاسلام، وهي تصحيح العقيدة وتركيز النفوس بالاخلاق الفاضلة واعداد المسلمين لقيادة الإنسانية إلى ما فيه صلاح معاشها ومعادها.. وما عدا ذلك من التفاصيل والجزئيات فهو تابع لهذه القواعد الكلية مندرج تحتها، ويختص بعلمه المشايخ المنقطعون للدراسات الاسلامية العليا(49).

«وعليه فلم يكن بد من هذه التجربة لتطبيق الفكرة بالمنهجية المذكورة»⁽⁵⁰⁾، هذا ما سطره في مقدمة تفسيره مما له ارتباط بمنهجه نظرياً، أما عملياً فإن الأستاذ كنون يبدأ بذكر اسم السورة المراد تفسيرها، وهل هي مكية أو مدنية ثم يأخذ منها آية أو آيات تكتب في إطار خاص بمعزل عن التفسير بخط بارز برواية ورش عن نافع. وأرى أنه لو كتبت هذه الآيات المراد تفسيرها بالرسم التوقيفي، لكان أفضل وأحسن إتماماً لجهد الرجل الموفق.

ثم يشرع في التفسير مقدماً لبعض السور بمقدمات هامة تلقي الضوء على مضامينها، وما

(49) مقدمة كتابه ص : 5 — 6.

(50) المرجع نفسه ص : 6.

اشتملت عليه من تعاليم ومقاصد⁽⁵¹⁾ ثم يذكر أسباب النزول وأحيانا يورده كقصة مقدمة وكاشفة عن أهم قضايا السورة⁽⁵²⁾، ثم يعرض لتفسير الآية واقفا عند الكلمات المفاتيح فيها، مستخلصا منها ما تتضمنه من أحكام⁽⁵³⁾ وآداب، وأخلاق⁽⁵⁴⁾ وقضايا سياسية⁽⁵⁵⁾ واجتماعية⁽⁵⁶⁾ مطبقا الآية على واقع الحال الذي يعرفه المجتمع الاسلامي⁽⁵⁷⁾ والمغربي منه على الخصوص، كما يقف وقفات متكررة عند قضايا العقيدة⁽⁵⁸⁾. التي يكثر القرآن المكي من التعرض لها، وأكثر سور المفصل مكية — كما نعلم —.

كما أنه لا يترك فرصة مناسبة دون رد بعض الشبه التي تلصق بالدين الاسلامي⁽⁵⁹⁾ أو التعرض لتصحيح المفاهيم المقلوبة في أذهان بعض الناس⁽⁶⁰⁾ كما يرد على أهل الكتاب⁽⁶¹⁾ لكنه لا يطيل في كل ما ذكر.

وله وقفات عند بعض الاشارات التاريخية⁽⁶²⁾ ويعرض عن التوسع فيما يعرف بالتفسير العلمي للقرآن، ولا يخوض فيه إلا بما يجلي بعض الحقائق القرآنية⁽⁶³⁾.

أما القراءات القرآنية فإنه يعرض لها لما في مواطن معدودة من تفسيره، مع ذكر الشاذ

(51) الحجرات ص : 11، الطلاق ص : 192، التحريم ص : 201، نوح ص : 253، الجن ص : 261، البروج ص : 345.

(52) الحجرات، المجادلة، البروج...

(53) الحجرات، الآية : 6 المنافقون، الآية : 10، الواقعة الآية : 77 — 78 — 79 — الطلاق كلها.

(54) الحجرات من آية (2 — 5).

(55) الحجرات الآية : 9 — 10 — 13، الحديد، الآية : 25.

(56) الحجرات (2 — 5)، 9 — 10 — 11 — 12 — 13، الذاريات، الآية : 46 المجادلة 16 — 17 —

— 22، الحديد 25، الحشر 21، المتحنة 1، التغابن 14 — 15.

(57) المجادلة 16 — 17، الحجرات 2 — 5 — 9 — 13 الواقعة 27 — 28.

(58) الذاريات الآيات 50 — 51 — 56 — 57 — 58 — 59 الطور 24 — 43، الرحمن 26 — 27 —

— 46 — 47 — 77، الحديد 3 — 4 — 5 — 6 الحشر 22، الطلاق الآية 12.

(59) صفحات : [192 — 207 — 241 — 243] من تفسيره.

(60) صفحتي : 209 — 214.

(61) ص : 33.

(62) صفحات : 42 — 76 — 235 — 214.

(63) الرحمن الآيات : (14 — 18) (19 — 25)، الانشقاق 1 — 5 الفيل (1 — 5) له رأي في التفسير

العلمي بسطه في كتابه : مفاهيم اسلامية ص : 50.

منها،⁽⁶⁴⁾ كما ينبه أحيانا على مذهب مالك عقيدة وفقها⁽⁶⁵⁾ وله إشارات إلى الاعجاز البياني للقرآن⁽⁶⁶⁾ والاعجاز بالتحدي⁽⁶⁷⁾ لكنه لا يفرق كثيرا ولا يوظف علم البلاغة ومصطلحاته،⁽⁶⁸⁾ وفق ما اشترطه على نفسه في منهجه من الابتعاد عن مصطلحات الفنون والعلوم، لكنه يتذوق كثيرا بلاغة القرآن وسر إعجازه، ويعبر عن ذلك بعبارات تختلف في اللفظ وتتفق في المضمون مثل قوله : «فما أحكم أسلوب القرآن»⁽⁶⁹⁾ فما أبلغ القرآن وأحكم أسلوبه⁽⁷⁰⁾ ! وقوله : «فتبارك الله، ما أعظم كلماته وأبلغ آياته»⁽⁷¹⁾ !

وبالجملة فإن المنهج العام للشيخ عبد الله كنون في تفسيره للمفصل منهج موفق يعتمد فيه على تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالحديث وأقوال السلف مع الأخذ بظاهر النصوص، فهو لا يخرج عن ظاهر الآية ولا يصرفها عن وجهها، ولا يعتضد بغير المأثور في بيان المعنى المراد أو قول السلف رضوان الله عليهم⁽⁷²⁾.

وقد وجدته في ثانيا تفسيره يقول : «وما يستفاد من ظواهر الآيات القرآنية، فهو مما لا ينبغي للمفسر أن يتوقف فيه والعلم لله»⁽⁷³⁾.

وقال أيضا في شأن القاعدة الأصولية المعروفة في التفسير : «والقرآن بعضه يفسر بعضا، وهو في إجماله وتفصيله قمة البيان، ومعجزة اللغة العربية»⁽⁷⁴⁾.

كما أن هناك خصيصة أخرى تظهر في العمل التفسيري للأستاذ عبد الله كنون، وهو حرصه على ربط التفسير بما يمكن بالواقع المعيش للمسلم المعاصر عقيدة وسلوكا وتوعية، ومعالجة للعديد مما يتخبط فيه من مشاكل من خلال القرآن بطريقة ذكية وموفقة، ومن ثم كان منهجه في التفسير منهجا موفقا إلى حد بعيد، لأنه رام فيه التفسير دون غيره من العلوم الأخرى،

(64) الحجرات، الآية : 6، النجم 11، القمر 14 — الحاقة 9 المعارج 1، المرسلات 17. ألفاتحة 4.

(65) صفحات : 110 — 315، 344.

(66) صفحات 198 — 240 — 360.

(67) عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين﴾ الطور 34.

(68) وقفت له على ايراد مصطلح بلاغي واحد هو «الاكتفاء» الذي يرى أنه متحقق في الآية 9 من سورة الاعلى.

(69) ص : 76.

(70) ص : 83.

(71) ص : 234.

(72) مقدمة تفسيره ص : 9.

(73) ص : 349.

(74) ص : 360 من تفسيره.

ولم يسقط فيما وقع فيه العديد من المفسرين من جمع كل ما يمت بصلة إلى الآية القرآنية من قريب أو بعيد دون مراعاة ما ينتج عن ذلك من حجب معاني القرآن عن قارئ ذلك التفسير والمتطلع إلى الاستفادة منه...

د - اتجاهه السلفي :

الأستاذ عبد الله كنون في تفسيره يسير على نهج أهل السنة والجماعة فهو يتحرى ما جاء عن السلف من التفسير في الآيات المتشابهة والتي لها صلة بالعقيدة الإسلامية، ولا مجال فيها للعقل أو التأويل، من ذلك ما التزم به من تجلية العقيدة الإسلامية في تفسيره وتصحيحها من الشوائب فكان كلما أته فرصة يتعرض فيها لعقيدة السلف ويبين فهمهم الصحيح لمعنى التوحيد...

ففي تفسيره لقوله تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾⁽⁷⁵⁾ يقول : «المراد بها العبادة الحقيقية، وهي إفراده بالتوحيد والتعلق والدعاء، لا الصورية وهي الإقرار بربوبيته، والتعلق بغيره رغبة أو رهبة كما كان كفار قريش (...) فمعنى الآية أي ما خلقت الخلق وركبت فيهم العقل والادراك وجعلتهم مهيتين لمعرفة وتوحيدي ليشركوا بي غيري ويتعلقوا بما سواي، فتلك عبادة الجهال غير العاقلين والمشركين غير الموحدين...»⁽⁷⁶⁾.

وقد تقدم له ذكر هذا المعنى وهو بصدد تفسير قوله تعالى ﴿فَفَرُّوا إِلَى اللَّهِ إني لَكُمْ منه نذير مبين﴾ الآية⁽⁷⁷⁾ حيث قال : «المطلوب من العباد أن يلجأوا إلى مولاهم وخالقهم ورازقهم، وأن يفردوا الوجهة إليه قولاً وعملاً واعتقاداً ولا يتركوا معه غيره في شيء من العبودية والطاعة لأن كل من تعلق بشيء غير الله فقد جعله الها، وذلك مناف لتوحيد الربوبية الذي هو مراد الله من خلقه، وقد عبر عن هذا الغرض السامي بعارة لا أبلغ منها ولا أنص على المراد، وهي قوله عز وجل ﴿فَفَرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾...»⁽⁷⁸⁾.

وهو يميل إلى التفويض والتنزيه خصوصاً في الغيبات فنجده يقول عند تفسيره قوله تعالى : ﴿وَيُطَوِّفُ عَلَيْهِمْ غُلَمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ﴾⁽⁷⁹⁾ (ويطوف عليهم غلمان) من خدم الجنة

(75) الذاريات، الآية : 56.

(76) تفسير سور المفصل.. ص : 46.

(77) الذاريات، الآية : 50.

(78) المرجع السابق ص : 44 — 45.

(79) الطور، الآية : 24.

(كأنهم لؤلؤ مكنون) حسنا ولطافة، وان كان ما في الجنة كله مما يقصر عنه الوصف»⁽⁸⁰⁾.
 ويزيد هذا المعنى تأكيدا كلما عرض لآية تصف الجنة ونعيمها ففي سورة الرحمن يقول :
 «(ذواتا أفنان)⁽⁸¹⁾ أي أغصان صفة للجنيتين، ولا يخفى أنَّ ما ذكر في صفتها هو على سبيل
 التقريب والتنظير بما هو معهود، وإلا ففي الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر
 على قلب بشر، قال ابن عباس رضي الله عنهما : ليس في الدنيا مما في الآخرة إلا
 الأسماء»⁽⁸²⁾.

وفي تفسير آيات الصفات نجد الأستاذ كنون يقول في تفسير قوله تعالى : ﴿ثم استوى
 على العرش﴾⁽⁸³⁾ استواء يليق به كما هو مذهب السلف، وقد سئل عنه مالك — رحمه الله
 — فقال : «الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والسؤال عن هذا بدعة»⁽⁸⁴⁾.

وهو في هذا يردد مقالة السلف الصالح دون زيادة ولا نقص، فهو يدعو إلى الإيمان بما
 جاء في القرآن مما لا نعرف كنهه بوسائل إدراكنا القاصرة، ففي تفسيره قوله تعالى : [الله
 الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن]⁽⁸⁵⁾ يورد قوله لابن عباس قال : «لو حدثكم
 بتفسيرها لكفرتم، وكفرتم : تكذيبكم بها» ونحن نقول : أي — الأستاذ عبد الله كنون —
 إن السماوات السبع والأرضين السبع قد تعدد ذكرها في القرآن وتواترت فيها الأحاديث
 فيجب الإيمان بها، ولا داعي للخوض في كنهها ليلا يؤدي ذلك إلى التكذيب المؤدي إلى
 الكفر...»⁽⁸⁶⁾.

وهكذا يسير بحذر وحيطة في الآيات التي لها صلة بالمعتقد، ولربما أدى الخوض فيها إلى
 الخروج عن الجادة دون التفطن لذلك الخروج، فعدم الخوض فيها أسلم وأحوط اقتداء بالسلف
 الصالح للأمة، وصونا للدين والمعتقد من الزلل والعبث.

لكننا نجد للأستاذ عبد الله كنون التفاتات أخرى صوب المجتمع يُقوِّم فيها إما العقيدة كما

(80) المرجع السابق ص : 51.

(81) الآية : 48.

(82) المرجع نفسه.

(83) سورة الحديد الآية : 4/ أورد له تفسير هذه الآية، الدكتور فهد بن عبد الرحمن الرومي في أطروحته :
 «اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر» 1 : 99.

(84) تفسير سور المفصل.. ص : 110.

(85) الطلاق الآية الأخيرة 12.

(86) المرجع نفسه ص : 200.

تقدم أو السلوك أو الفهم الخاطئ لبعض تعاليم الإسلام الخفيف وهي على اقتضاها تكون مركزة وهادفة.. من ذلك ما قاله عقب تفسيره لقوله تعالى : ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون﴾⁽⁸⁷⁾ قال : «فالواجب التفكير في آيات الله والاعتبار بما تضمنته من الأمثال والحكم، والعمل بأوامرها والوقوف عند حدوده وزواجره، لا تلاوته باللسان فقط، والتعبد بقراءته مع تعمّد مخالفته، فإن ذلك من عدم الإيمان به، وقد ورد «رب قارئ يقرأ القرآن والقرآن يلعنه»⁽⁸⁸⁾، وما حل بالإسلام وأمه ما حل من المسخ في الهمم والعقول وتسليط الجبابة عليهم والاستهانة بأقدارهم إلا من إهمالهم لشأن القرآن وعدم قيامهم بدعوته وتعطيلهم لأحكامه، فحق عليهم الوعيد الذي كان ينتزل على الكفار، ولا يستنقذهم منه إلا مراجعة سيرتهم الأولى والتمسك بكتائبهم العزيز...»⁽⁸⁹⁾.

ومن ذلك تعرضه لموقف الاسلام من المرأة الذي هو موضوع أثر في هذا العصر،⁽⁹⁰⁾ وكان الفتنة النائمة وتعرضه لنكاح ما ملكت اليمين من السبي وإعلانه انتهاء بانتهاه ظروفه وكل ما يقدمه بعض المتساهلين في هذا الصدد اليوم باطل كما ذكر⁽⁹¹⁾.

كما تعرض للحكمة من تحريم الاسلام للتأثيل وبناء القرب على القبور⁽⁹²⁾ وتعرض لما يفعله بعض المسلمين اليوم مما له صلة بالجن والسحر، وبين أنه أثر من أثر الجاهلية⁽⁹³⁾ كما تعرض لحال بعض المسلمين اليوم مع شعائر الدين خصوصا صلاة الجمعة التي يتهاونون في أدائها..⁽⁹⁴⁾.

وهكذا مزج الأستاذ عبد الله كنون في تفسيره بين تصحيح العقيدة والدعوة إلى إصلاح النفوس والمجتمع المسلم الذي أصابه الخور والضعف في الفترة الأخيرة وأصبح متساهلا في مقوماته الدينية التي لا ربح بعد خسرانها.

ويمكننا أن نصنف معه في هذا الاتجاه الذي سار عليه في التفسير، أي الاتجاه السلفي

(87) سورة الحشر، الآية : 21.

(88) لم أقف عليه.

(89) المرجع السابق ص : 149.

(90) المرجع نفسه صفحات : 160 — 161 — 162.

(91) المرجع نفسه ص : 249.

(92) تفسير سور المفضل ص : 258 — 268.

(93) المرجع نفسه ص : 264.

(94) المرجع نفسه ص : 177.

الدكتور محمد تقي الدين الهلالي في تفسيره لسورة الأنعام⁽⁹⁵⁾، وقد سقت له نموذجاً منها في الفصل الأول من هذا الباب، وكذلك تفسيره لسورة الفتح وغيرها والقاسم المشترك بينهما في عملهما التفسيري هو التركيز على تصحيح المعتقد من خلال توضيح وإبراز العقيدة السلفية التي أساسها توحيد الألوهية، أما توحيد الربوبية فكل الناس يقرون بأن خالقهم هو الله، ولكن هذا وحده لا يكفي، إذ لو كان كافياً لما جاء الإسلام لأن القرآن يحكي عن حال المشركين أنهم كانوا يعرفون توحيد الربوبية بدليل قوله تعالى : ﴿وَلئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله﴾⁽⁹⁶⁾.

أما توحيد الألوهية فيمكن فهمه من آيات قرآنية عدة منها قوله تعالى : ﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له...﴾⁽⁹⁷⁾ وقد أفرد له الإمام أحمد ابن تيمية مجلداً خاصاً من فتاويه.

وظل الدكتور محمد تقي الدين الهلالي — رحمه الله — يشرح للناس في كتبه ومقالاته ومجالسه الدعوية عقيدة السلف وما معنى توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية، ويتوجه إلى أوضاع المجتمع المسلم بالنقد والتصحيح، حتى يتمكن المسلمون والامة الإسلامية من أداء الدور المنوط بهم في مجال ترقية الانسان والانسانية بهذا الدين الحنيف، وكذلك كان شأن عبد الله كنون السلفي المصلح.

هـ — قيمته العلمية :

لا يخفى أن الأثر العلمي هو جزء من صاحبه يعكس شخصيته وثقافته ومنهجه العلمي وَلَمْ لَا عقيدته وقناعاته ؟ ويكفي أن يعكس لنا «تفسير سور الفصل» للأستاذ عبد الله كنون هذه الجوانب من شخصية مؤلفه العلمية ونزعت السلفية التي أعتبرها متأصلة في بيتهم الكنوني فجده سيدي محمد المدني كنون المتوفى في مطالع القرن الرابع عشر الهجري يكفي مثالا عن الباقيين بما كان يتميز به من شجاعة أدبية وجهر بالحق وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر وإن أدى ذلك إلى سجنه وتجمهر طلبته من أجل إطلاق سراحه بالقرويين، فهذا بيت من بيوت العلم المغربية التي أعطت علماء متمكنين قولاً وعملاً، لا يخافون في الله لومة لائم..

أما قيمة هذا التفسير المتحدث عنه فتتجلى في الفكرة السامية التي انطلق منها مؤلفه وكانت

(95) «الإلهام والإنعام في سورة الأنعام» (تقدم توثيقه وقد سألت مرة الدكتور الهلالي في بيته عن اجود التفسير وأحسنها فرد علي : ابن جرير وابن كثير، وكل ما وجدته في التفسير الأخرى زنه بميزانها).

(96) الزخرف، الآية : 87.

(97) سورة الأنعام، الآية : 162.

باعثه على التأليف وهي إيجاد تفسير لكتاب الله يقرب الناس من القرآن ويقرب القرآن من الناس وييسط لهم عقائد دينهم ويدلهم على ما فيه من قيم واخلاق لو تمسكوا بها لسادوا على الامم، ولما عرفوا الذلة والهوان..

كما أنه أول تفسير، لسور المفصل⁽⁹⁸⁾ ولم يعرف عن أحد أنه سبق إلى الكتابة في هذا القسم من سور القرآن.

وبما أن المؤلف كان من أهدافه طرق مسائل العقيدة، فقد تجمع له في سور المفصل ما يلي رغبته، فهي في معظمها مكية، والغالب على القرآن المكي هو تعرضه إلى مسائل العقيدة، حتى إن علماء القرآن والتشريع ينعتون المرحلة المكية بمرحلة تثبيت العقيدة، فقد وجد الشيخ ضالته في سور المفصل، وسار يوضح ويعالج مسائل العقيدة من خلال القرآن الكريم، وهو خير مصدر لها فالعقيدة الصحيحة هي المستمدة من الكتاب والسنة المطهرة..

ولم يكتف بتوضيحها بل وضع ايضا توابعها ومتعلقاتها من تطبيق وتشريع.

كما أنه ذكر مجموعة من الترجيحات والتوضيحات والتحقيقات توصل إليها في تفسيره معتمدا فيها على البحث والفكر عند تشعب الأنظار ؛ منها التحقيق العلمي الذي أشار إليه في تفسير آية ﴿يُخْرِجُ مِنْهَا اللَّوْثُ وَالْمَرْجَانُ﴾⁽⁹⁹⁾ وهو يثبت أن اللؤلؤ يخرج من البحرين الحلو والمالح معا، ومنها ما قاله في تفسير آية : ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾⁽¹⁰⁰⁾ وآية ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾⁽¹⁰¹⁾ وآية : ﴿وَأَخْرَجَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾⁽¹⁰²⁾ وما كتبه عن بقايا سفينة نوح،⁽¹⁰³⁾ وما قاله في تفسير قوله عز وجل ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾⁽¹⁰⁴⁾ وقوله : ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾⁽¹⁰⁵⁾ وقوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾⁽¹⁰⁶⁾ وما طرقه من احتمال في تفسير آية ﴿فَلَا يَخَافُ عَقَابَاهَا﴾⁽¹⁰⁷⁾ وما حققه

(98) تفسير سور المفصل.. ص : 5 — 6.

(99) المرجع نفسه ص : 8.

(100) الرحمن الآية : 22.

(101) نفس السورة : الآية : 78.

(102) الجمعة، الآية : 3.

(103) المرجع السابق ص : 76.

(104) المعارج، الآية : 4.

(105) المدثر، الآية : 30.

(106) البروج، الآية : 10.

(107) الشمس الآية : 15.

في تفسير ليلة القدر من أنها ليلة التقدير، ورد ما يعتقد بعضهم في ليلة النصف من شعبان، وكل هذا كفيف بأن يجعل لهذا التفسير قيمته العلمية ويثاب عليه مؤلفه..

2 — «إرشاد الله للمسلم الغافل اللاه» لأبي بكر بن الطاهر زنير⁽¹⁰⁸⁾.

أ — تعريف عام بالكتاب :

ويتناول الكلام فيه نقطتين : الأولى تتعلق بتوثيق الكتاب، وقد تقدمت أثناء عرض الكتاب في الفصل الأول من هذا الباب، والثانية تتعلق بالباعث على تأليفه هذا التفسير.

إن كل عمل يقوم به الإنسان لابد وأن يكون وراءه باعث ودافع هو الذي يدفع الشخص إلى القيام به ساعيا من وراء ذلك إلى تحقيقه. وإن أمرا عظيما كأمر تفسير كتاب الله تعالى أوكد وأجدر بأن يكون وراءه باعث أو بواعث حقيقية، تهز النفس هزا، لأنه أمر يحتاج إلى عزيمة قوية، وجهد متواصل دؤوب، وبذل نفيس العمر وثمين التفكير لتحقيق شيء يذكر بعد الإنسان في هذا المجال الصعب الذي يتهيبه العلماء الكبار.

وقد ولج أبو بكر زنير هذا الدرب، مقتحما صعبه وملبيا نداء الواجب العلمي الذي كان يستشعره في قرارة نفسه، ذاكرا من بواعث إقدامه على هذا الشأن ما يأتي :

1 — إن تفسير القرآن الكريم ما زال دينا على الأمة لم يؤد بعد من جميع الوجوه حسبا وقف عليه من التفاسير مثلما «أدى الإمامان الجليلان، حافظا السنة : النووي⁽¹⁰⁹⁾، وابن حجر⁽¹¹⁰⁾ دين الحديث في شرحيهما الصحيحين شرحا مستوفيا لكثير من الوجوه...»⁽¹¹¹⁾.

2 — إنه أراد أن «يكون القرآن الكريم في عصرنا الحاضر كطبيب في وصف الأدوية وعلاجها ماهر، ويكون تفسيرنا بإزائه بمثابة الترجمان له الحاذق في كيفية الترجمة والتعبير، وإن كان قاصرا عن تأدية مراميه كلها.

(108) تقدمت ترجمته والإحالة على مصادرها.

(109) بشرحه صحيح مسلم بن الحجاج.

(110) ابن حجر العسقلاني صاحب كتاب «فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري».

(111) مقدمة تفسير أبي بكر زنير — المخطوط ص : 5. بالنسبة لابن حجر الأمر مسلم، وبالنسبة للنووي فهناك من تفوق عليه مثل القاضي عياض في إكمال المعلم وهو عمدة النووي في شرحه كما لا يخفى، وهناك «المفهم» للقرطبي المحدث وليس المفسر، ومصادر ابن حجر معظمها من شرح الصحيحين بالغرب الإسلامي ولا ينزع ذو علم في هذه الحقائق، وهي عنوان اعتناء أهل المغرب بمصادر السنة النبوية المطهرة إلى جانب اعتنائهم بالقرآن.

وهذا هو السبب الأقوى الحامل لنا على وضع هذا التفسير، فإننا لما تأملنا حالة الأمة الإسلامية عموماً، والمغرب الأقصى خصوصاً، وما كان لهما من ذلك العز الشاخص، والسود الباذخ، ثم ما صار إليه فيما بعد من الخمول، والخنوع، والذبول، ثم دخولهما في أكناف أمم كانت قبل هذا التاريخ أقل منهما جاهاً، وأحط قدراً، وأنقص قوة، ثم ما فرطنا فيه من الاعتناء بكلام الله نشرًا وتأليفًا، وتدريسًا، وتحكيماً له في كثير من أحوالنا، علمنا أن الداء كل الداء الذي أصابها إنما أتاها من إهمالها للكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيلاً من حكيم حميد»⁽¹¹²⁾.

.. كما علمنا أنه لا يصلح حالها الآن إلا على ما صلح عليه حال أولها وهو القرآن، فإن هذا القرآن دخل على أمة جاهلة، خاملة، لا وحدة لها ولا دين ولا مذهب فأيقظها بعد الخمول، وأنقدها من جهالتها، وألف وحدتها وجمع شتاتها، ورسم لها ديناً ومذهباً ذهبت عليه، ففاقت جميع الأمم»⁽¹¹³⁾.

وهكذا كان الرجل يحمل هموم أمته الإسلامية عموماً وبلده خصوصاً ويرى ويعيش بوعي ما آل إليه أمرها من الازدلال والخنوع، فأراد أن يصلح حالها بما صلح به حال أولها، وذلك بتقريب الدواء الذي هو هدي القرآن إلى النفوس العليلة التي أصابها ما أصابها بسبب الابتعاد عنه وعدم تحكيمه في أحوالها.

3 — إن التفاسير السابقة تباينت نزعاتها، فمنها المقتصر على حل بعض الألفاظ حلاً لغوياً من غير تعرض إلى ما يرمي إليه القرآن مما وراء ذلك. وذلك طلباً للاختصار، وبعضها توسع في النقل، وذكر الخلافات الواردة في التفسير، وبعضها استطرد في دراسات فروع بعض العلوم النقلية من نحو وصرف وبيان، والعقلية مثل الهيئة والمنطق وغيرها حتى نسوا القرآن، وأنسوه للمطالع، ثم إن كل تفسير منها ألف بنفس العصر الذي ألف فيه، وبقدر إدراك أهله وهمهم، وأحوالهم السياسية والاجتماعية وغيرها، فكان مجموع هذه الأشياء يقرب لهم مقاصد تلك التفاسير ويعينهم على فهم ما فيها، فلما تباعد زمانهم من زماننا، وتبدلت أحوالنا عن أحوالهم كثيراً، فَقَدْ نَا دَيْنُكَ التقريب والمعونة للذين كانوا لهم، واحتجنا إلى استئناف التفاسير على ذوقنا وإدراكنا، وما يحيط بنا من الأحوال»⁽¹¹⁴⁾.

4 — تأثره بحركة زعماء الإصلاح في مصر، وبالدور الذي كان لهم في إحياء القرآن

(112) المرجع نفسه ص : 6.

(113) مقدمة تفسيره المخطوط ص : 7.

(114) المرجع نفسه ص : 4.

وذكره بالدراسة والتفسير والطبع والنشر، ويشير إلى ذلك قائلا : «... فأحبينا أن نفتدي بهم عسى أن يفيد تفسيرنا للأمة ما أفادته تفاسيرهم»⁽¹¹⁵⁾.

5 — ومن ذلك اقتداؤه بملك البلاد في حب الخير لبلده : «... فقد اقتدينا به في حب الخير لبلادنا والسعي وراء التحصيل على سعادتها بهذا التفسير وإيقاظها به من سنة غفلتها بتطبيق الكتاب العزيز على أحوالها»⁽¹¹⁶⁾.

ب — مصادره :

يحدد أبو بكر زنير في ديباجة تفسيره أهم مصادره، كما يذكر جملة من التفاسير التي اطلع عليها، وبين مزاياها، وكذا مآخذه عليها، فمن التفاسير التي كانت عمدته ومن أهم مراجعه، يذكر تفسيرين «لعلمي الهدى وآيتي التحقيق النظار الأصولي الجامع بين الشريعة والحقيقة، الإمام النيسابوري في تفسيره المسمى ب «غرائب القرآن ورغائب الفرقان»⁽¹¹⁷⁾ والذي هو أحد عمدي، ومن أهم مراجعي في تفسيري هذا.

ومحيي السنة، الذاب عن الاسلام بمؤلفاته، وأقواله وأفعاله العَلَمَ الفَرْد في زمانه الشيخ رشيد رضا — رحمه الله — الشامي ثم المصري في تفسيره المسمى ب «تفسير المنار» الذي أستخدم منه كثيرا روح العصر ونَفْسَه، وما تتطلبه حالة الأمة المحمدية من إصلاح في المجتمع والسياسة وغير ذلك»⁽¹¹⁸⁾.

ولم يصرح بالأخذ عن التفاسير الأخرى التي ذكرها وإنما حدد مزاياها وتعقبها بالتقويم، وذلك حين قال : «وقد طالعت بفضل الله مع طول الزمان ما تيسر من بعض التفاسير المتداولة المشهورة كتفسير حجة الاسلام وفخره الامام الطبري المسمى «جامع البيان» الذي قال الامام السيوطي عن ابي بكر الباقلاني في حقه : إنه من أجل التفاسير وأعظمها.

ولعمري إنه لكَذَلِكَ، فإنه لا يترك شاذة ولا فاذة من جملة أو تركيب أو مفرد يحتاج إلى الشرح والبيان إلا ويتعرض له، ويحلله ويشفي فيه الغليل، ويصور لك كيفية ارتباط الكلام ونظم بعضه ببعض، ويستقرىء الروايات الواردة في التفسير أو في القراءات ويرجع منها ما

(115) المرجع نفسه ص : 7.

(116) المرجع نفسه : ويقال إنه أهدى نسخة من تفسيره لجلالة الملك محمد الخامس — رحمه الله — والله أعلم.

(117) غرائب القرآن لنظام الدين الحسين بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، مطبوع بهامش تفسير ابن جرير الطبري بمصر 1323 هـ الطبعة الأولى، بولاق.

(118) الديباجة ص : 2.

يظهر له ترجيحه مع بيان وجه الترجيح، وبالجملة فتفسيره آية من آيات الله الدالة على نضوج الأفكار في وقته، وهو القرن الثالث الهجري، وما بلغته الأمة الإسلامية إذ ذاك من رقي. وكتفسير ابن كثير والبغوي والنسفي، والأحكام لابن العربي المعافري، وكتفسير أبي حيان المسمى بالبحر ومختصره المسمى بالنهر، وتفسير الجلالين المحلي والسيوطي وتفسير المنار، وقد كنت أدرس هذا التفسير الأخير ببعض مساجد مدينة سلا من المغرب الأقصى حرسه الله» (119).

ويرى أبو بكر زبير أن هذه التفاسير مع ما فيها من محاسن وتحقيقات يحق لها أن تكتب بسواد العين وما في بعضها من الاعتناء بنقل السنة والأثر، وتفسير الكتاب العزيز بهما فإننا في بعض المواضع نجد أن نفس القرآن العالي، وما يرمي إليه قد يحتجب، وفي ذلك يقول: «فكنت إذا تناولت القرآن وحده بالتلاوة والتدبر في ذلك الموضوع وجدت في تعبيره من الطلاوة وفي تلميحاته من الخلاوة، وفي طي تراكيبه وجمله من المواد الغزيرة، والبحار الزاخرة ما لا يُكَيَّف، فإذا تناولت تفسيراً من التفاسير للاستزادة من هذه الخيرات قصرت بي عبارته عما كنت أجده في تلاوته وحده، وانكملت نفسي من هذا القصور» (120).

— وله مأخذان هاما على هذه التفاسير هما :

1 — أنها تفاسير ألّفت لعصور تباعد حالها عن حال عصرنا ومن ثم فنحن في حاجة إلى تفاسير تمثل ذوقنا وإدراكنا وما يحيط بنا من أحوال.

2 — إنها إما أن تطلب الاختصار فتضيع منها مرامي القرآن ومعانيه كما فعل الجلالان، وإما أن تتوسع في النقل وذكر الخلافات الواردة في التفسير كما فعل ابن جرير وغيره، وإما الاستطراد في دراسة بعض فروع العلوم النقلية أو العقلية كما فعل الفخر الرازي.

«مع أنه كان ينبغي أن يجرد التفسير من دراسة هذه العلوم، ويقتصر فيه على مجرد الإشارة إلى قواعدها العامة إذا مسّت ضرورةً إلى ذلك جداً، إذ دراسة هذه العلوم لها كتب خاصة بها يرجع فيها إليها عند الحاجة، ولا يملأ بها تفسير كلام الله، لأن ذلك يصير التفسير صعب الإدراك على العامة والمتوسطين في الفهم أمثالنا الذين هم سواد الأمة، والذين تجب العناية من المفسرين بهم أكثر من غيرهم.

على أن القرآن رحمة من الله مهداة للكافة من الطبقات، فينبغي أن ينهج في تفسيره ما

(119) المرجع نفسه ص : 4.

(120) نفس المرجع.

يقربه إلى تلك الطبقات كلها بعبارة سهلة خالية من التعبيرات الفنية الاصطلاحية التي لا يفهمها إلا الخواص...»⁽¹²¹⁾.

وما يمكنني أن أقوله عن كيفية استفادته من مصادره بصفة إجمالية، أنه يأخذ من مصادره ويتصرف فيما يأخذه منها، ويعمل على تلخيص عبارته التفسيرية واقتضاها مع إيفائها بالغرض وما أخذه من منهج صاحب المنار هو الانطلاق من الآي لمعالجة القضايا الاجتماعية والسياسية والتشريعية والاقتصادية، متى سنحت الفرصة بذلك وقد لاحظت بالاستقراء أن أبا بكر زبير فيما يتوسع فيه في تفسيره متحرر من مصادره، ولا سلطة لها عليه فهو ذو رؤية ناضجة فيما يذهب إليه بل يرد أحيانا على صاحب المنار⁽¹²²⁾ وله زيادات وإشراقات قل أن توجد عند غيره من المفسرين وهو حريص على إبرازها وإبداء استقلاله فيما يكتب من التفسير، لأنه يرى أن لكل عصر من العصور طائفة من الناس يقال لهم العلماء، ويوصفون بالعلم فيه، وهم أجدر بأن يكتبوا للناس في التفسير بما يناسب وقتهم وزمانهم رغم صعوبة الخوض في التفسير ورغم ما يتطلبه هذا الغرض السامي عن كل غرض من مشاركة وتبحر في كثير من العلوم...⁽¹²³⁾.

ج - السمات العامة لمنهجه :

سلك أبو بكر زبير في تفسيره طريقة مدرسة المنار، وهي المدرسة التي ظهرت في الربع الأول من القرن الرابع عشر الهجري بمصر، وكان لها الفضل في ظهور لون جديد من التفسير عرف باللون الاجتماعي⁽¹²⁴⁾ وقد حفل ركب هذه المدرسة بما انضم إليها من المفسرين في كل جهة من جهات العالم الإسلامي⁽¹²⁵⁾ وكان أبو بكر زبير من زمرة المتأثرين بهذه المدرسة، والمعجبين بما أنتجته من تفسير القرآن، خاصة تفسير المنار⁽¹²⁶⁾ الذي احتك به كثيرا، وكان يدرسه في أحد مساجد مدينة سلا⁽¹²⁷⁾.

(121) المقدمة ص : 5.

(122) الآية : 136 من سورة البقرة، فرق فيها الشيخ محمد عبده بين الإنزال والإيتاء، ورد أبو بكر زبير هذه التفرقة ولم ير لها وجها.

(123) ديباجة تفسيره ص : 8.

(124) محمد حسين الذهبي : التفسير والمفسرون : 3 : 214/ عفت الشرقاوي : قضايا انسانية في اعمال المفسرين ص : 80 وما بعدها [بيروت دار النهضة العربية للطباعة 1980].

(125) عبد الغفار عبد الرحيم : الامام محمد عبده ومنهجه في التفسير ص : 322.

(126) ذ. محمد المنوني : مخطوطات مغربية في علوم القرآن. والحديث، مجلة دار الحديث الحسنية ع : 3 1402 — 1982، ص : 64.

(127) مقدمة تفسيره ص : 4.

وقد بدت ملامح هذه المدرسة في الأسس التي انطلق منها في تفسيره، كما صرح بأنه سيقنتدي في تفسيره بأعلام هذه المدرسة، وذلك حين قال :

«وقد رأينا الأمة المصرية أول ما ذب فيها ذبيب اليقظة والشعور بعد الغفلة والذهول اللذين أصابا كافة الأمم الاسلامية، طفق مفكروها وعلمائها يرجعون بها إلى القرآن، فيحيون فيها ذكره بالدراسة والتفسير والطبع والنشر كما إمام الهدى وعلم الدين الشيخ عبده فإنه — رحمه الله — درسه دراسة وافية نهج بها مناهج العصر الحاضر وأفكار أهله حسبما نقل عنه الشيء الكثير منها تلميذه الشيخ رشيد رضا في تفسير المنار وفسر منه سوراً وأحزاباً على قدر حاجة الأمة إذ ذاك. وكذلك تلميذه الشيخ رشيد رضا في تفسيره المنار وكالشيخ فريد وجدي صاحب التآليف العديدة المفيدة للإسلام التي منها تفسيره الوجيز وكالشيخ طنطاوي جوهرى صاحب التفسير الكبير الغريب المثال، فأحببنا أن نفتدي بهم عسى أن يفيد تفسيرنا للأمة ما أفادته تفاسيرهم»⁽¹²⁸⁾

إن هذا النص يحدد لنا الإطار المنهجي الذي أراد أن يتحرك فيه أبو بكر زبير، ولم يبق أماناً، بعد هذا التصريح الواضح منه، أي مجال للشك أنه كان في تفسيره يسير على خطى مدرسة المنار ومن أتباعها المعجبين بما أنتجته في ميدان التفسير، بل من الساعين إلى وضع لبنة أخرى في صرح هذه المدرسة بتفسيره.

وقد بدا لي في شأن دراسة منهجه أن أقسم الحديث عنه إلى نقطتين : الإطار النظري لمنهجه، ثم الإطار التطبيقي.

1 — الإطار النظري لمنهجه :

يرى أبو بكر زبير أن القرآن الكريم في جملة سهل المأخذ ظاهر المعنى واضح الدلالة في كثير من عباراته وجملة وتراكيبه تحقيقاً لقوله تعالى ﴿وَلَقَدْ يَسْرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾⁽¹²⁹⁾.

كما يرى أن القرآن الكريم رحمة مهداة لكافة الطبقات، فينبغي أن ينهج في تفسيره ما يقربه لتلك الطبقات كلها بعبارة سهلة خالية من التعبيرات الفنية الاصطلاحية التي لا يفهمها إلا الخواص، وإن القرآن الكريم على الرغم من تعدد مشاربه وتنوع مأخذه، وتشعب علومه ومراميه، له هدف واحد يرمي إليه، ويوجهه عناية الناس به : «هو تقويم الاخلاق من اعوجاجها

(128) المرجع نفسه.

(129) القمر، الآية : 17.

والنهوض بها من كبوتها...»⁽¹³⁰⁾. وهذا الهدف الاخلاقي للقرآن هو محور منهج أبي بكر زنيير، لأنه يرى أن الانسان إذا سلمت أخلاقه، وغلب صوابه على خطئه، فإن ذلك سينعكس على مجتمعه وأمته بالنهوض والرقى، ولم يفته أن ألح على هذا الجانب مرارا، سواء في الجانب النظري أو التطبيقي منه تفسيره كما سنرى، أضف إلى ذلك أن عنوان تفسيره يبرز جزءا من مقصده فيه، إذ اختار له اسمين كلاهما تتجلى فيه فكرة كون القرآن كتاب هداية وإرشاد⁽¹³¹⁾.

وقد عبر أبو بكر زنيير عن ما اهتم به في تفسيره حين قال : «وقد اعتنيت فيه دراسة آيات الأحكام وتطبيقها فقها على مذهب إمام الأئمة، إمامنا مالك — رحمه الله ورضي عنه — وذكر نوع تشريعها هل هي من القسم الديني أو الاجتماعي أو السياسي أو غير ذلك، وإحصاء أعدادها الترتيبية»⁽¹³²⁾ وجريت فيه ايضا على ما قدمناه فيما قبل من محاولة تطبيق نصوص الكتاب الكريم على أحوالنا الأخلاقية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية وغير ذلك كي يكون القرآن الكريم في عصرنا الحاضر كطبيب في وصف الأدوية وعلاجها ماهر، ويكون تفسيرنا بازائه بمثابة الترجمان الحاذق في كيفية الترجمة والتعبير وإن كان قاصرا عن تأدية مراميه كلها⁽¹³³⁾.

وبعد هذا الايضاح منه لمنهجه وللخطة التي رسمها لنفسه في تفسيره يبقى أن ندخل معه إلى رحاب هذا التفسير لنرى الجانب التطبيقي في هذا المنهج ونرى هل ظل وفيا لروح ما سطر في مقدمته أولا.

2 — الإطار التطبيقي :

لا أدعي في هذه المرحلة أنني استقرأت استقراء تاما منهج الرجل في كل ما كتبه في التفسير، وليت الفرصة سنحت لي لأفعل، ولكن من خلال ما تسنى لي الاطلاع عليه لاحظت أن عملية التفسير لديه تمر بمراحل سأعرض أهمها :

(130) المقدمة ص : 5.

(131) قال في هذا الصدد : «وسميت تفسيري هذا [إرشاد الله، للمسلم الغافل اللاه] وإن شئت فسمه : [هداية الرحمن للفقيلين الانس والجنان] ص : 6.

(132) بدأ هذا الاحصاء الترتيبي من آية القبله واعطاها رقم (1) أي قوله تعالى : [قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها] البقرة الآية 144 واعتبر آية النسخ مقدمة لها، واعتبر الثانية السعي بين الصفا والمروة والثالثة مسألة التبليغ المستفادة من الآية 159 من سورة البقرة.

(133) المقدمة ص : 6.

2 - 1 - عملية التفسير لديه :

قبل أن يصل أبو بكر زينير إلى المقصد الأول عنده من التفسير الذي هو تقويم الأخلاق من اعوجاجها وبيان مقاصد القرآن والحكمة من تنزيله والأحكام التي تضمنها، يمر في عمله التفسيري عبر مراحل أهمها، ذكره :

2 - 2 - اسم السورة :

يذكر أولاً اسم السورة المراد تفسيرها، وإن كانت لها أسماء أخرى يوردها، كما فعل عند تفسيره لسورة الفاتحة، ويذكر هل هي مكية أو مدنية قال عن سورة الفاتحة : «الأصح أنها نزلت بمكة وبالمدينة، فنزلها في مكة كان حين فرضت الصلاة، ونزلها بالمدينة كان حين حولت القبلة إلى الكعبة، ولها أسماء كثيرة (أم القرآن) (الواقية) الكافية (سورة الكنز) (سورة الشفاء) (الشافية) (سورة المثاني) إلى غير ذلك من الأسماء»⁽¹³⁴⁾.

وقد يذكر سبب تسميتها إن كان ثابتاً كما فعل في سورة البقرة، حيث قال : «وقد سماها بذلك مَلَكٌ نزل على النبي ﷺ، وبحضرته جبريل كما في صحيح مسلم»⁽¹³⁵⁾.

ثم حكمة تسميتها بذلك، وقد ساق سبب تسمية سورة البقرة بهذا الاسم، مستدلاً بما جاء في التورات حيث قال : «ولعل حكمة تسميتها بذلك قصد الإفشاء والتذكير بقصة البقرة المذكورة فيها والمعجزة التي وقعت لسيدنا موسى عليه السلام ببعض تلك البقرة، كما سميت هذه السورة سورة البقرة وذلك لأن هذه القصة غير مذكورة بعينها في التوراة التي بيد بني اسرائيل الآن، نعم قد ذكر فيها حكم ما إذا جهل القاتل وهو أن تذبح بقرة غير ذلول، في واد دائم السيلاں ويغسل جميع شيوخ المدينة القرية من محل المقتول أيديهم على المحلة التي كسر عليها عنق البقرة في الوادي ثم التنكيث على اليهود في إنكارهم معجزات النبي عليه السلام الدالة على نبوته، فكأنه يقال لهم : كما سميت هذه السورة سورة البقرة، إذا كنتم تنكرون معجزاته عليه السلام فما لكم لا تنكرون معجزة البقرة التي وقعت لموسى عليه الصلاة والسلام بين أظهر سلفكم مع أنه ما وقعت له هذه المعجزة في غفلة منهم، بل في حضورهم وتشبههم في أمرها وإلحاحهم بالسؤال عن هذه البقرة ووصفها حتى كانوا على بينة من أمرها»⁽¹³⁶⁾.

(134) علق ابن عاشور في تفسيره «التحرير والتنوير» 1 : 131 على أسماء الفاتحة التي أوصلها السيوطي إلى نيف وعشرين قائلاً : «ولم يثبت في السنة الصحيحة والمأثور من أسمائها إلا فاتحة الكتاب، والسبع المثاني وأم القرآن أو أم الكتاب».

(135) صحيح مسلم 6 : 91.

(136) مطلع تفسيره لسورة البقرة ص : 23 من المخطوط.

وبعد ذلك يذكر أين نزلت هذه السورة، وهل هي مكية أو مدنية كما يهتم بذكر عدد آيات السورة ويحدد متنهاها، ثم يدخل بعد ذلك في تفسير الآيات مباشرة أحيانا بعبارة أو عبارتين، وأحيانا يسهب، خاصة إذا استظهر من أمر الآية رأيا أو بدت له نكتة إما من التشريع الديني أو السياسي أو الاجتماعي.

2 - 3 - الألفاظ الواردة في مفتاح بعض السور :

يعترف أبو بكر زبير بأن الألفاظ الواردة في مفتاح بعض السور مثل : ألم⁽¹³⁷⁾، المص⁽¹³⁸⁾، كهيعص⁽¹³⁹⁾... الخ بأنها ألفاظ مبهمة لم تتضح دلالتها ولا مسمياتها اتضاحا لغويا ولا شرعيا، حيث لم يرد من قبل الشرع تفسيرها.

لكن ظهر له في لفظة (طه) على الخصوص «على قراءة من أمال الهاء إمالة كاملة كقراءة ورش أن (طا) مسهلة مختزلة من لفظ طأطىء بمعنى طاطىء رأسك، ولفظ هي ضمير مبتدأ خبره محذوف تقديره حضرة القدس، وبعد الأمر للنبي بالطأطأة على ما فهمنا من لفظ طه وإشعاره بأنه في حضرة القدس، وذلك شيء يوجب الرهبة والرعب ذكر له عليه السلام ما يؤنسه، ويذهب عنه روعه ودهشته، وذلك قوله تعالى : ﴿ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكرة لمن يخشى﴾⁽¹⁴⁰⁾ هذا التأنيس والتطمين أعيد للنبي عليه السلام ذكر جلال الله مصحوبا بجماله، قوله تعالى : ﴿تنزيلا ممن خلق الأرض والسماوات العلاء﴾⁽¹⁴¹⁾ فهذا الجلال والجمال قوله تعالى ﴿الرحمن على العرش استوى﴾⁽¹⁴²⁾ أي هورحمان في ملكه وإن كانت له شارات الملوك العظام، وخواصها الرموز إلى جميعها بالعرش، ثم أعيد ذكر ما يقتضي الجبروت والجلال، وذلك قوله تعالى : ﴿له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى﴾⁽¹⁴³⁾ ثم يذكر مستنده في هذا التخريج وهو «قرينة قصة سيدنا موسى عليه السلام المذكورة بإثرها ومخاطبة الله له بقوله : ﴿إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد

(137) وردت ست مرات في القرآن الكريم [البقرة، آل عمران، العنكبوت، الروم، لقمان، السجدة].

(138) مرة واحدة سورة الاعراف.

(139) مرة واحدة سورة مريم وهناك رموز أخرى مثل [الر، المر، طه، طسم، طس، يس، حم، حم، عسق، ص، ق، ن].

(140) سورة طه الآية : 2.

(141) الآية : 4.

(142) الآية : 5.

(143) الآية : 6.

(144) ذكر هذا الاستطراد وهو بصدد تفسيره الآية الأولى من سورة البقرة.

ثم تأخذ أبا بكر زنبر هيبة القرآن وعظمته ويلجأ إلى الاحتياط قائلاً : «ومع ذلك فإني لا أجزم بأن هذا المعنى هو المراد من لَفْظ (طه) وأقول كما قال الأئمة رضي الله عنهم في مثل هذا الأمر الله أعلم بمراده من ذلك، فإن العجز عن الإدراك إدراك» (١٤٦).

وبما أنه مشدود الي ربط التفسير بالعصر وما يروج فيه، فلم يقنع بما خاض فيه في شأن الحروف المقطعة بل عاد إليها يقول : «ومعلوم أن الله مالك الملوك سبحانه، والملوك لهم مع خواصهم أسرار لا ينبغي أن يطلع عليها عوام الناس، فيمكن أن يكون القرآن قد استعمل هذه الألفاظ رموزاً للنبي عليه السلام على أسرار بينه وبين ربه هذه مدة من نحو ثلاثة عشر قرناً وسبعين سنة، ثم نرى اليوم الدول المتمدنة تنهج عن هذا النهج الذي نهجه القرآن مع أخص خواص الله وهو النبي ﷺ في مخاطبة خواص الموظفين بالتلفون والتلغراف، فانها مخافة أن يتصور بعض الناس على أسرارها، ويطلع عليها بالتدليس سواء من رعاياها أو من الأجانب، تصطلح كل يوم على لفظة تفتح بها مخاطبتها تليفونيا وتعلنها بين اولئك الموظفين الكبار حتى لا يقبل تليفون بسر من اسرار عات من اولئك الموظفين لم يفتح بتلك اللفظة الرمزية المصطلحة، فإذا تم ذلك اليوم ألغيت تلك اللفظة الرمزية وعوضت بلفظة أخرى وهكذا وقل مثل ذلك في ألفاظ الحكومات الرمزية التلغرافية، فإنها اسرار بين الحكومات وموظفيها لا يطلع عليها إلا الخواص منهم...» (١٤٧).

ويستدل على هذا المعنى الذي ذهب إليه «بتقسيم الأئمة رضوان الله عليهم ما نزل على النبي عليه السلام من قبل ربه إلى ثلاثة اقسام : قسم نزل عليه لمصلحة الخلق وارشاده، وهو مأمور بتبليغه اذ لا تتم مصلحة الوحي به الا بالتبليغ، وقسم نزل عليه لغير ذلك وأمر بكتمه ومنه معاني هذه الرموز، وقسم خير فيه بين التبليغ وعدمه، ويظهر أن التخيير في هذا القسم إنما هو بحسب ما يظهر للنبي عليه السلام من استعداد الأمة لقبول تبليغه، وعدم استعدادها، وذلك كالصحيفة التي حاول النبي عليه السلام عند موته أن يكتبها فلما تنازع الصحابة رضي الله عنهم في كتبها أمسك عن ذلك، وعلم أنهم غير مستعدين لها، وبذلك يعلم أن معنى قوله تعالى فيما بعد ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم﴾ (١٤٨) ليس على عمومته، بل

(١٤٥) طه الآية : ١٢.

(١٤٦) ص : ٢٤ من تفسير المخطوط.

(١٤٧) إرشاد الله... ص : ٢٤.

(١٤٨) النحل الآية : ٤٤.

انما يشمل القسم الأول والثالث فقط الذي فيهم استعداد لقبوله»(149).

إن أبا بكر زبير دعا في خطبة تفسيره إلى أن تستأنف تفاسير على ذوقنا وادراكنا وما يحيط بنا من أحوال، ولعله بهذه الاستنتاجات والتوضيحات يروم الوفاء لدعوته، ولما سطره كذلك في المنهج الذي سيسلكه في تفسيره، وهو تطبيق نصوص القرآن على أحوالنا الأخلاقية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية كما أنه يلتمس لرأيه الأدلة من الكتاب والسنة وأقوال الأئمة.

2 - 4 - تفسير السورة :

يتعرض أبو بكر زبير إلى ذكر ما تضمنته السورة بصفة إجمالية إشارة إلى الترابط بين أجزائها وبينها وبين باقي سور القرآن، فقد جرت عادة المفسرين أن يعدلوا فاتحة الكتاب بمثابة خطبة الكتاب العزيز أما بالنسبة له، فلم يسر في هذا الاتجاه، وإنما اعتبر الحزبين الأولين من المصحف الكريم معا هما خطبة الكتاب العزيز وفي ذلك يقول : «وقد اهدت بفضل الله إلى إدراك أنه من أول السورة إلى قوله سبحانه ﴿سيقول السفهاء من الناس...﴾»(150). هي خطبة الكتاب العزيز إذ في هذه القطعة إجمال لما فصل في جميعه.. إذ قسمت هذه القطعة البشر إلى ثلاث فرق مومنين بالغيب الذي جاء به الإسلام... وكافرين مجاهرين بالكفر وبضد ما جاء به الإسلام، ومنافقين مذبحيين، غير أن الفريقين الأولين لما كانت أحوالهما ظاهرة للعيان لا لبس فيها ولا تدليس أوجز القرآن في ذكرهما ووصفهما أيما إيجاز... ولما كان الفريق الثالث بالتوائه وتروغه في أقواله وأفعاله قد تخفى أحواله، وما يضمره على كثير من الناس، وكان أشد ضررا من فريق الكفار الصرحاء، لأنه بمكره وخداعه، وانتسابه للإسلام ظاهرا ومحالطته للمسلمين لا يمكن التحرز من أذاه إلا بمشقة عظيمة، بل ربما كان في بعض الأوقات لا يمكن التحرز منه فيضر بالإسلام والمسلمين، من أجل ذلك فهو مثل الفريق السري المعبر عنه في اصطلاح الدول المتعدنة بـ (الطابور الخامس).

لما كان بهذه المثابة كلها أظن القرآن في وصفه وذمه وتبيين مبادئه وضرب الأمثال فيه، تحقيرا لشأنه وإضعافا لما يتخذ من الحيلة والحذر لنفسه، وذلك من قوله تعالى : ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمومنين﴾(151) إلى قوله تعالى : ﴿ياأيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم...﴾(152).

(149) المرجع نفسه ص : 24.

(150) البقرة الآية : 142.

(151) البقرة، الآية : 8.

(152) البقرة، الآية : 21.

... ثم لما كان بنو إسرائيل من الفريق الثاني الذي جهر بالكفر ضد الإسلام، وكان لهم إذ ذاك في جزيرة العرب قدم راسخ وتفوق على غيرهم من العرب المشركين... فقد كانوا أصحاب الثروة والزراعة في مثل المدينة المنورة وفدك وخيبر، وكان كثير من العرب عالة عليهم يعملون في ثروتهم ومكاسبهم، لما كان بنو إسرائيل بهذه المثابة كلها التي ربما أثرت على عقول العرب وادخلت لهم الشك في الدين زيادة على ما عرفوا به من الدهاء والإمعان في الحيل، والمكر لكسب ضمائر الناس وعقولهم تصدى القرآن في هذه الخطبة لخطابهم بالخصوص ولَا يَنْتَهُمْ مرة وخاشنهم أخرى إظهاراً لطويتهم وما في خفايا بواطنهم كي لا تنطلي حيلهم على القلوب والضمائر وذلك من قوله تعالى : ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ (153). إلى قوله تعالى : ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ﴾ (154).

وبذلك انتهت الخطبة ودخل القرآن في دور العمل والتشريع والتقنين وذكر القصص والإرشاد وما يكمل الأخلاق ويبعث على إيقاظ العقول، وتقوية الغرائز والعواطف الحسنة إلى غير ذلك من المقاصد... (155). إلى أن يقول : «أَلَا فليتفطن الذين يتلون كتاب الله لأسراره وحكمه وما انطوى عليه من المقاصد والوجوه» (156).

إن هذا التقسيم الذي جاء به أبو بكر زبير للطوائف التي تحدثت عنها الآية موجود ومتداول بين المفسرين، وقد تعرض له صاحب المنار ووقف في تقسيمه أيضاً عند الآية : 141 من سورة البقرة وقد سلكه العديد من أتباع هذه المدرسة، ويقصدون من ورائه تبيان الوحدة الموضوعية للسورة وتلخيص أهم الأغراض التي طرقتها، وتقديمها للقارئ بادیء ذي بدء، حتى يكون على بينة منها، وهذا مما يدخل في منهج مدرسة المنار في التفسير عموماً (157).

إذا فتعرضه للفئات الذين تتحدث عنهم السورة ليس جديداً، وإنما الجديد عنده — في نظري — هو اعتباره الحزبين الأولين من سورة البقرة خطبة للكتاب العزيز وهذا التقسيم — كما نص عليه — اهتدى إليه بفضل الله وتوفيقه. وفي ضوء ما توصل إليه من اعتبار الحزبين المذكورين مقدمة للقرآن عرضت له آية النسخ (158) فاعتبرها بكيفية ذكية تمهيداً للتشريع

(153) البقرة الآية : 40.

(154) البقرة الآية : 144.

(155) إرشاد الله ص : 26.

(156) نفس المرجع.

(157) نجد هذا عند تفسير صاحب المنار، وعند سيد قطب، وعند الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور وغيرهم.

(158) البقرة، الآية : 106.

الذي سيرد بعدها في شأن القبلة، معضدا رأيه بقوله تعالى بعد آية النسخ (ومن اظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها) (159) وكذلك بتعرض القرآن لبناء سيدنا ابراهيم للكعبة وقوله في شأن تمجيدها ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا وَاتَّخَذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ (160).

كل هذه الآيات قرائن عضد بها القاضي أبو بكر زبير ماذهب إليه في شأن اعتبار الحزبين الأولين من سورة البقرة خطبة لكتاب الله عز وجل وقد يعد هذا من جديده في التفسير إذا سلّم له، لأن شأن القرآن الإيجاز والإعجاز، واعتبار حزينين خطبة فيه ما فيه والله أعلم.

2 - 5 - تفسيره للآيات :

الطابع العام لتفسيره للآيات تتجلى فيه السهولة واليسر، وعدم الخوض في اصطلاحات العلوم والفنون، وإذا لم يرد توظيف الآية، وتطبيقها على واقع الحال، فإنه يوجز إيجازا يقارب إيجاز تفسير الجلالين أحيانا، ومن ثم جاء تفسيره للآيات وسطا بين الطول والإيجاز، لكنه لما يتعرض للناحية السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية يطنب ولا يسهب أي أنه ييسط الكلام مع كثرة الفائدة ولا ييسطه مع قلتها، ومن هنا كان تفسيره ممتعا مشوقا يشد القارئ إليه شدا. وغالبا ما يربط تفسيره بالعصر وما يجري فيه كما يهتم بمعالجة الأمراض الاجتماعية المتفشية في المجتمعات الإسلامية عموما بمختلف طبقاتها ومستوياتها (161) ويتعرض لتصحيح المفاهيم ومحاربة الخرافة.

فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ (162) قال : «العبادة غاية التذلل والخضوع المشعرين بكون العابد تحت قدرة ونفوذ المعبود وحده إيجادا وإعداما ونفعا وضرا، وهو هنا الله سبحانه حيث لا موجد ولا معدوم ولا نافع ولا ضار إلا هو وحده.

وما كانت العامة ومازالت تعتقده من أن بعض خواص الخلق من النبيئين والمرسلين، والملائكة والمقرئين، وعباد الله الصالحين، فسببه الجهل بقواعد الإسلام ونصوصه القاطعة بكذب ذلك المعتقد، ألم يكن من قواعد التوحيد العامة أن الله واحد لا شريك له في ذاته،

(159) البقرة، الآية : 114.

(160) البقرة الآية 125.

(161) عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿لَهُم فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ الآية 114 من سورة البقرة، طبقها على المسلمين لما تخلفوا عن دينهم واهتموا بالشهوات، وحل بهم ما حل من تدهور أحوال كما كان من قبلهم.

(162) الفاتحة، الآية : 4.

ولا في صفاته، ولا في أفعاله التي من جملتها الایجاد والاعدام للأشياء والنفع والضرر والإسعاد والإشقاء...

نعم وردت آيات وأحاديث بشفاعة خواص الخلق لمكانتهم عند الله ولكن غالب تلك الشفاعات مقيدة بإذن الله لهم فيها، حتى لا يعطل الناس العمل اتكالا على الشفاعات...» (163).

ثم يسوق نصوصا، وينتقل إلى قوله تعالى : ﴿وإياك نستعين﴾ (164) الاستعانة طلب المعونة من الله وهو الإقذار على الأشياء التي في طوق البشر كسبها وفعلها والمراد على الإقذار الباطني الخاص بالله بجلب الأسباب، وصرف الموانع فلا ينافي أن بعضنا قد يستعين ببعض على الأشياء الداخلة في طوق البشر للمعونة عليها، وقد أذنت الشريعة صراحة في التماس العون فيها كقوله تعالى : ﴿وتعاونوا على البر والتقوى﴾ (165) وضمنا كقوله تعالى : ﴿نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا﴾ (166).

وهكذا يصحح العقيدة، ويحارب التواكل، ويدعو إلى التعاون موظفا الآية في خدمة هذه الجوانب، وكل ذلك من قوله تعالى : ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ ؛ ونجده يقتصد كثيرا حينما يفسر الآية التي بعدها «صراط الذين أنعمت عليهم» فيقول : برضاك ثم أبدل من الذين أنعمت عليهم قوله تعالى (غير المغضوب عليهم فكأنه فسرهما بكلمة (برضاك) فقط، وهكذا كما قلت يسيّر في تفسيره للآيات، تارة يطنب وتارة يوجز جدا، وقد يكون إنجازاه على حساب البيان والاطناب.

ونجده لما يتعرض إلى الفقه وما يستفاد من الآيات من أحكام، يتوسع، ويسعف قلمه كثيرا، ويسوق من الشواهد والأقوال والآراء المتعددة ويستشهد على الفقه المالكي بالشيخ خليل، وبالطيطية وغيرها من مصادر الفقه المالكي وشرح المختصر وما إلى ذلك (167).

ويتعرض لتاريخ الأمم والشعوب، وأسباب صعودها وهبوطها في صفحات عدة مثل ما فعل وهو بصدد تفسير قوله تعالى ﴿ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم﴾ (168) فبعد جولته وتبعه

(163) إرشاد الله ص : 20.

(164) الفاتحة الآية : 5.

(165) المائدة الآية : 2.

(166) الزخرف الآية : 32.

(167) عند تفسيره للآيات : 239 — 217 — 219.. من سورة البقرة وغيرها من السور الأخرى فهو يكثر من فقه الفروع.

(168) البقرة : 343.

لأحوال الأمم في الصعود والهبوط وإطالته في ذلك قال : ﴿ولو تتبعنا أحوال الأمم في الصعود والهبوط وامتلأ بعضها زمام البعض الآخر، وإرثها له كلما بدرت منه بادرة ضعف لخرجنا عن موضوع التفسير وولجنا أبواب التاريخ ودراسة فلسفة الأمم...﴾ (169).

وقد كان يروم من كل تلك الفذلكة التاريخية التي ساقها تطبيق التفسير على واقع حال المغرب آنذاك الذي ما عرف الذلة والهوان إلا بعد ما أصابه من ضعف مهد للاستيلاء عليه واحتلاله مما جعله يفقد حريته واستقلاله وكل دولة وكل شعب استكان يهان، وتلك سنة الله في خلقه.

وفي نفس السياق يتعرض لقوله تعالى : ﴿وزاده بسطة في العلم والجسم﴾ (170) قال : «... وبخلتي العلم والجسم تساس الأمم عادة وتضان كرامتها، وحقوقها اذ بخلة العلم يعلم مواضع قوة الأمة وضعفها ومواضع قوة العدو وضعفه فيحتاج لكل الأمرين كل الاحتياط، ويتخذ له الأسباب الكافية لتدارك الفتن فيه، وبخلة الجسم وهو عافيته وكال قواه يتمكن من الأعمال المحتاج إليها في إصلاح شؤون الأمة، سواء في الأخذ أو العطاء...» (171).

وبين كيف أن الأمم الراقية اليوم تهتم ببنية أبنائها الجسمية قبل الزواج باختيار الزوجة المناسبة وبعده أثناء الحمل والتغذية الصحية، ومزاولة الرياضات التي تقوي الجسم، وتجعله قادرا على التحمل، والعقول السليمة في الأجسام السليمة.

قال : «وقد كان الكثير منا يجهل فضل قوة الجسم وفائدته تمام الجهل، فيهمل ذلك في تربية نفسه وأولاده، حتى خالطنا الأمم الأورباوية فوجدناها تهتم بذلك لأولادها مثل ما تهتم لهم بالغذاء والكسوة، فتدبر أمر صحتهم وقوة جسمهم تدبيرا عالي الشأن، سواء في المأكل والمشرب والملبس والمفرش واليقظة والمنام، فتعرضهم للشمس مثلا في الوقت المناسب، وتعرضهم للبرد القارس كذلك، وتختار لهم من الأطعمة والكسوة ما يناسب سنهم وقوة أجسامهم وزمانهم ومكانهم، بل لقد بلغنا عنهم من الاحتياط في هذا الباب أنهم يحتاطون لأولادهم قبل أن يكونوا في أرحام أمهاتهم، فإنه لا يقترن الزوج منهم بالزوجة حتى يفحص كلا منهما الطبيب فيجدهما ملائمين لطبيعة للاقتان وقد صارت الرياضة البدنية عندهم علما من العلوم تدرس وتطبق على الأعمال سواء في المدارس أو غيرها فلتنبه الأمة المغربية لهذا كله ولتعمل به في نفسها وفي أولادها، وليعمل به الرؤساء منهم من أمهم وليشجعوها عليه

(169) إرشاد الله ص : 78.

(170) البقرة، 247.

(171) إرشاد الله.. ص : 79.

بكل ما أمكن فإنه لا غنى لنا عن هذه الأمور إن شئنا مجازاة الوقت ومحاذاة الأمم الراقية، والاحتكاك بها أخذاً ورداً..» (172)

وهذا النص وحده كاف لإبراز سعة أفق العلامة المصلح القاضي أبي بكر زنيير — رحمه الله — فهو يسعى إلى جلب كل خير لأمته وكل رقي لأبنائها يجعلها في مَصَافِّ الأمم المتقدمة الراقية، مع الحفاظ على مقوماتها الشخصية من عقيدة وتشريع فهو ينافح في تفسيره ويكافح من أجل إبراز القوة التشريعية الموجودة في القرآن، ومن أجل ذلك صرف جهوداً إضافية في تصنيف التشريع من خلال القرآن إلى ديني وسياسي واجتماعي واقتصادي، حتى لا يستغني عن هذا التشريع بدعوى قصوره وعدم استجابته لمتطلبات الدولة العصرية...

د — اتجاهه الإصلاحي :

لا يخفى أن ظهور اتجاهات متعددة في تفسير القرآن الكريم في الفترة المعاصرة كان وليد عهد يقظة المسلمين على إثر اتصالهم بالحضارة الغربية، وقد جاءت هذه الاتجاهات الحديثة في التفسير لتجيب عن عدة أسئلة طرحت نتيجة التفاعل الحضاري والعلمي الذي طبع هذا العصر.

وقد تبنى القيام بالدعوة إلى تفسير القرآن الكريم تفسيراً يتناسب مع واقع المسلمين نخبة من علماء المسلمين كانوا منبئين هنا وهناك من جهات العالم الاسلامي، ولا تخفى ريادة الشيخ محمد عبده المصري في هذا المجال، فقد اقتدى بجهوده العديد من العلماء الذين رأوا أن علاج حال المسلمين يكمن في رجوعهم إلى العمل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، كما رأوا أن القرآن الكريم الذي قدم الدواء الشافي للسابقين مازال صالحاً وقادراً على تقديمه لللاحقين، لكن يبقى الأمر متوقفاً على من يستطيع تقديم هذا الدواء بكيفية تجعله شافياً لأن معضلة المسلمين كانت ومازالت تكمن في حاجتهم إلى من يقربهم من كتاب الله عز وجل القرآن الكريم، ومن يقرب هذا القرآن منهم ويجعل القرآن يحكم واقعهم وواقعهم يحتكم إلى القرآن.

وقد كانت هذه هي الناحية التي شددت اهتمام مفسرنا المغربي أبي بكر زنيير، وتقدم من تصريحاته ما يكفي دليلاً على أنه فضل السير في تفسيره على نهج مدرسة المنار، وقد عرف الاتجاه الذي غلب على هذه المدرسة بالاتجاه الاجتماعي أو اللون الاجتماعي، أي أن المفسر يطبق الآيات على الناحية الاجتماعية ويركز على معالجة الأمراض التي تفشت في المجتمع المسلم من خلال القرآن، ويوازن بين ما يدعو إليه القرآن من هدي وأخلاق، وبين ما آلت إليه

(172) نفس المرجع والصفحة.

الشعوب الاسلامية من تدهور وذوبان، وابتعاد عن القرآن الكريم والسنة النبوية وما فيهما من تعاليم ومبادئ صالحة لكل زمان ومكان.

ومن مقومات الاتجاه الاجتماعي في التفسير: (173)

- 1 — ان القرآن له مقصد أعلى ينبغي للمفسر أن يهتم بكشفه وتوضيحه وهو كونه كتاب هداية وإرشاد يسعى لتحقيق سعادة الانسان في الحال والمآل.
- 2 — لا نحتكم إلى العقل في المسائل الغيبية لعجزه عن أن يمدنا بمعرفة يقينية نعتمد عليها، وإنما مدارنا على النصوص التوجيهية التي مصدرها الوحي الإلهي...
- 3 — لا نؤول القرآن ليشهد على ما في أدمغتنا من عقائد وإنما تؤخذ العقيدة السليمة من القرآن، لانه أصل، وحاكم لا محكوم عليه، ونصوص العقيدة هي قطعية الدلالة فيما هو معلوم من الدين بالضرورة.
- 4 — النظر إلى القرآن نظرة شمولية تحليه على أنه كل لا يتجزأ، ولا ينبغي الايمان ببعضه، ومن ثم الاهتمام بالوحدة الموضوعية للقرآن التي تظهر في سوره.
- 5 — عدم وجود تعارض بين القرآن والعلم.
- 6 — القرآن يحث المسلمين على دراسة الظواهر الكونية والطبيعية.
- 7 — على المفسر أن لا يجعل العلوم التي تساعد على مهمته تطغى عليه ويتحول عمله إلى استطرادات في علوم أخرى تحجب معاني القرآن.
- 8 — احترام العقل والابتعاد كلية عن التقليد والخرافة.

هذه أهم المبادئ التي يسير عليها المفسر في ضوء ما يعرف بالاتجاه الاجتماعي في التفسير، الذي هو اتجاه حديث — كما نعلم — برز من خلال دروس الشيخ محمد عبده في التفسير والتي سجل منها العديد تلميذه الشيخ محمد رشيد رضا في تفسير المنار (174) وقد كانت هذه الدروس تنشر بمجلة المنار التي كانت تصل إلى العلماء الأحرار المستنيرين في كل جهة من جهات العالم الاسلامي بما فيها المغرب، مما جعل لهذه الدعوة تأثيرا في العديد من كبار العلماء

(173) جولد زهر : مذاهب التفسير الاسلامي ص : 337 / التفسير والمفسرون 3 : 213 / الامام محمد عبده ومنهجه في التفسير ص : 167.

(174) وقف عمل الشيخ محمد عبده في تفسير المنار عند الآية : 125 من سورة النساء، ثم واصل السيد رشيد رضا باقي التفسير إلى سورة يوسف التي أتمها الشيخ بهجة البيطار بعده.

فقد تأثر بها الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور في تونس وألف تفسيره التحرير والتنوير.⁽¹⁷⁵⁾ وتلميذه الشيخ عبد الحميد بن باديس الذي ختم تفسير القرآن في خمس وعشرين سنة وكانت مجالس التذكير،⁽¹⁷⁶⁾ وكتب أبو بكر زبير في المغرب الأقصى تفسيره «إرشاد الله للمسلم الغافل اللاه» معلنا تجاوبه مع دعوة المنار في التفسير مؤديا دينا على علماء الغرب الاسلامي بما سطره قلمه من علم غزير في تفسيره الذي نأمل أن يرى النور في القريب العاجل بإذن الله..

هـ — قيمته العلمية :

يكفي أن يوجد بالمغرب الأقصى تفسير على غرار تفسير القرآن الحكيم للشيخ محمد عبده ورشيد رضا، يعكس طموحات المسلمين المغاربة وتطلعاتهم إلى كل ما يجد في الساحة العلمية العربية الاسلامية وحتى الغربية، وذلك في وقت كان الشعب المغربي يمر بمحنة يسعى فيها المستعمر إلى تضيق الخناق على العلماء الأحرار والمفكرين من أبناء الأمة شبابا وكهولا وشيوخا، إلى حد جعل العديد من المطلعين والباحثين يشك ويستبعد أن يكون هناك فكر إصلاحي يمكنه أن يصل إلى مستوى التأصيل والتنظير انطلاقا من العودة إلى كتاب الله وتفسيره تفسيراً يسائر الأحداث ويستجيب للتطلعات...⁽¹⁷⁷⁾.

وإني أرى أن تفسير أبي بكر زبير «إرشاد الله..» ذخيرة علمية هامة ذات أبعاد مختلفة، ففيه التفسير بمعناه الاصطلاحي، وفيه التشريع الديني والاجتماعي والسياسي والاقتصادي، وفيه معالجة العديد من القضايا التي تعترض سبيل نهوض الأمة المغربية خاصة والاسلامية عامة. ويمكننا أن نعرف من خلال هذا التفسير الذي هو سجل حافل، أحداثا تاريخية واجتماعية واقتصادية وسياسية منها ما يهم مجتمعنا المغربي وبنيتة ومنها ما يهم الأسرة العربية الاسلامية ومنها ما يهم الأسرة الدولية فقد كان أبو بكر زبير عالما ذا أفق واسع في التفكير، يعرف

(175) لي بحث عرفت فيه بالشيخ محمد الطاهر ابن عاشور ومنهجه في التفسير، بذلت فيه جهدا لا يستهان به واجتازت به امتحان السنة الأولى من التكوين (84 — 1985) ثم أنجزت فيه أطروحة الدكتوراة في سنة 1995.

(176) تراجع خصائص التفسير الباديسي في مقدمة «مجالس التذكير» بقلم الشيخ البشير الابراهيمي ص : 19 وما بعدها.

(177) حضرت وسمعت وقرأت العديد من الأبحاث التي تتحدث عن الفكر الاصلاحي بالمغرب سواء بمعناه السياسي أو الديني ولم اسمع من احد منهم مؤرخا أو سوسيولوجيا أو أدبيا أن عرف شيئا عن تفسير أبي بكر زبير المخطوط الذي هو تفسير مليء بمادة خام ثمينة في هذا المجال لم توظف بعد، وبنى الأحكام دون وضعها في عين الاعتبار.. مع أن المخطوط مصور بالمكروفيلم بالخرزانة العامة لأنه نال إحدى جوائز وزارة الثقافة للمخطوطات.

مسؤولية العالم وأمانة العلم، ويعرف في نفس الوقت الأوضاع الداخلية والخارجية لبلاده ويسعى إلى إسعادها وإيجاد الحلول للخروج بها مما كانت عليه من هوان تحت سلطة المستعمر.. ولو لم يكتب لنا أبو بكر زنيير هذا التفسير الذي جاء في عدة أجلاد، واكتفى فقط بما سطره في مقدمته لهذا التفسير، لكننا أمام عالم مقتد في مجال كتابة تفسير القرآن الكريم في القرن الرابع عشر الهجري يبين لنا أهمية دراسة القرآن الكريم وتفهم معانيه وإدراك مراميهِ ومقاصده التي تصدق في الجملة على بعض الناس ويصرح لنا بأن القرآن اليوم وقبل اليوم بأزمان ينقصه المتوجهون إليه بعناية وعزم قوي وبذل نفيس العمر وثمان التفكير من أجل دراسته وإبراز حقائقه للناس.

وينبه على مزايا عبارة القرآن، وأن العديد من التفسيرات أساءت إلى معاني القرآن وحجبه على الناس بحيث لو ترك القارئ أمام القرآن وجها لوجه لاستفاد أكثر. ويقوم التفسير، ويحدد موقفه منها، ويتحدث عن أهمها وأجودها، ويبين أن القرآن الكريم والشرائع السماوية السابقة ما كان قصدها استئصال الشر وإنما جاءت لتغلب جانب الخير عليه والحث على مكارم الأخلاق التي بدونها يتحول الإنسان إلى شيء آخر أخط وأنذل.

إلى غير ذلك من المعلومات العلمية القيمة التي ضمنها ديباجة تفسيره ومن بينها رأيه في تطور التشريع الاسلامي وتكوين علماء يتعاطون الاجتهاد والتشريع بما يوافق حاجات الأمة دون الوقوع في تعطيل الشريعة الاسلامية.(178).

هذا إلى جانب التحقيقات العلمية التي تضمنها تفسيره، والفتاوي(179) القيمة في المشكلات التي تعترض سبيل المسلم من جراء التطورات التي حصلت نتيجة طغيان الحضارة المعاصرة بنتائجها ووسائلها العلمية المتطورة.

وليس غريبا أن نجد مادة دسمة في تفسير أبي بكر زنيير وهو الرجل الشغوف بالبحث والاطلاع، الذي لم يكن له من شغل سوى ذلك حتى قيل عنه إنه كان يقيم مشتغلا في مسألة واحدة يبحث فيها شهورا حتى يخرج منها بنتيجة ورأي حاسم، وقد كانت تاتيه أسئلة من كل جهة بل من علماء المشرق، فكتب إليه الباحث د. عمر فروخ يسأله عن تاريخ التعليم بالمغرب وافريقيا الشمالية فكان هذا السؤال سببا في تأليف أبي بكر زنيير كتابا في تاريخ التعليم

(178) بسطت الكلام في هذا المجال في فصل من البحث الذي أقمته عنه — والمشار إليه سابقا — تحت عنوان : «آراؤه ومواقفه» (32 صفحة).

(179) في الطلاق الثلاث في كلمة واحدة، وفي رؤية الهلال وغيرها.

وقد سجل في تفسيره التقلبات التي كان يعرفها العالم نتيجة الحريين الكونيتين خاصة وأنه كان يشتغل بكتابة تفسيره والحرب العالمية الثانية مندلة⁽¹⁸¹⁾ وفي كل يوم يجد جديد، والدعاية تصم الآذان عبر وسائل الإعلام، والتجمعات والمؤتمرات والمساعي من أجل إنهاء الحرب، كل ذلك نجد له أثرا واضحا، بل نجد له استخداما في تفسير بعض ما يدل عليه القرآن وذلك لأن أبا بكر زبير كان عالما مجاهدا للاستعمار بنفسه وعياله وقلمه، يطمح إلى اليوم الذي يرى فيه بلاده وقد تحررت من رُبقة المستعمر وسائر الشعوب المستضعفة لأنه يرى أن الأوان قد حان لإنهاء عهد القوة والقهر، إذ لا يمكن بناء مستقبل الشعوب واقتصاديات العالم على شريعة الغاب بل إن الضرورة تقضي بالتعاون لتشابك مصالح الأمم والشعوب، وقد سبق رحمه الله إلى هذه الفكرة وتنباؤها واستنتجها ولما تضع الحرب العالمية الثانية أوزارها، ومازال العالم لحد الساعة لم يجد بديلا لهذه الفكرة وأصبحت في وقتنا هذا ضرورة ملحة لا خيار له بعدها، وقد ربط أبو بكر زبير ذلك بتشابك مصالح الأمم على هذا الكوكب الأرضي نتيجة التقلبات التي حدثت على العالم حتى «صارت الكرة الأرضية اليوم بمثابة دار واحدة في القديم يسكن بكل قسم منها عائلة مستقلة (...) ولا يحدث بإحدى تلك العائلات حادث إلا وبلغ أثره باقي العائلات الأخرى...»!!⁽¹⁸²⁾.

هذا هو تفسير أبي بكر زبير باختصار شديد وإلا فلا مجال لمعرفة معرفته حقيقة إلا بالوقوف عليه وقراءته والنهل منه.. ولكن ما لا يدرك كله لا يترك بعضه.

3 — «التيسير في أحاديث التفسير»

تأليف الشيخ محمد المكي الناصري⁽¹⁸³⁾.

أ — تعريف عام بالكتاب :

لقد تقدم التعريف بهذا التفسير من حيث التوثيق⁽¹⁸⁴⁾ وتبين أنه عبارة عن تلك الأحاديث

(180) وقفت عليه مخطوطا عند أسرة مؤلفه...

(181) وقفت له على تسويد لمقدمة تفسيره كتبه في دفتر صغير مع سورة الفاتحة والحزب الأول من سورة البقرة قال فيه وقد تجاوزت بفضل الله الثلث في تفسير القرآن الكريم حيث إننا اليوم أثناء تبييض سورة يونس عليه السلام «صرح به أبو بكر زبير» وأرخ ذلك بمم الحرام عام 1364هـ.

(182) تفسيره للآية 243 من سورة البقرة.

(183) تقدمت ترجمته في الفصل الثاني من الباب الثاني من هذا البحث مع الاحالة على مصادرها.

(184) الفصل الأول من الباب الثالث من هذا البحث.

الإذاعية التي تفضل الشيخ المكي بتسجيلها بالإذاعة الوطنية ، وبعد أن أنهى المصحف الكريم تفسيراً بهذه الأحاديث، وأذيعت مرات عديدة، فضل مؤلفها أن يقدمها للطباعة بعد أن أدخل عليها بعض التعديلات الطفيفة، وأخرجتها دار الغرب الإسلامي بيروت في طبعة ممتازة ذات حلة قشبية كتب فيها النص القرآني المفسر معزولاً عن التفسير بخط جيد وواضح احترمت فيه معظم قواعد الرسم التوقيفي وبرواية ورش عن نافع من طريق الأزرق إذ هي الرواية المعتمدة عند المغاربة منذ عدة قرون، كما احترمت فيها التقسيم المعروف بالمغرب للأرباع والأثمان والأحزاب.

إن عملاً علمياً كهذا الذي انجزه أحد شيوخ العلم بالمغرب الأقصى يستحق في نظري التقدير والتبويه ويستحق كذلك أن تعطى له منزلته ومكانته في منظومة التواليف القرآنية المعاصرة التي عرفتها الساحة الإسلامية خاصة، وإننا نطمح إلى المزيد من العطاء في هذا الجانب الذي تفتقر المكتبة المغربية فيه إلى عمل علمي معاصر رصين يستجيب لتطلعات الأمة، وأيضاً لتطلعات الباحثين والدارسين..

فما هي البواعث التي جعلت الشيخ محمد المكي الناصري يؤلف في التفسير ؟ ما من شك أن الشيخ المكي من المتمرسين بالتفسير، وتلقاه عن شيوخ كبار كما تقدم في ترجمته، وهو ممن نهل من النهضة العلمية التي عرفتها الرباط وسلا في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري، ونظراً لهذا الشروط العلمية التي توفرت فيه سواء من إتقانه للقديم وتسليحه بالحديث. كان ممن وقع الاختيار عليه لإلقاء دروس إذاعية في التفسير لما دعت الحاجة إلى ذلك، وفي ذلك يقول : «وذاًت يوم من أسعد أيام الستينات تلقيت دعوة ملحة من الإذاعة الوطنية بالمغرب للقيام بإلقاء أحاديث يومية في تفسير القرآن الكريم لفائدة المواطنين والمواطنات، وكافة المومنين والمومنات (...) فوجدت هذه الدعوة النبيلة هوى في النفس، وحنينا في القلب واستجابة روحية كاملة...» (185).

وبذلك كانت هذه الدعوة من الإذاعة الوطنية هي الباعث له على تأليف أحاديثه في التفسير، وهي دعوة نبيلة حقاً كما وصفها.

ب — مصادره :

كان من المنتظر أن نجد ذكراً لمصادر الشيخ محمد المكي الناصري في أحاديثه التفسيرية ضمن عناصر مقدمة هذه الأحاديث، لكنه لم يتناول في هذه المقدمة بالحديث إلا ثلاثة عناصر، وهي : الظروف التي أوحى له بوضع تلك الأحاديث، والغاية المتوخاة منها، والطريقة المتبعة

(185) التيسير في أحاديث التفسير 1 : 6.

في إملائها،⁽¹⁸⁶⁾ ولم يتعرض للمصادر التي اعتمدها فيها، جريا على سنن المفسرين الذين يذكرون — غالبا — في مقدمات تفاسيرهم أهم المصادر التي اعتمدها..

ومع ذلك فإننا نجد بين ثنايا أحاديثه التفسيرية أقوالا واستشهادات تكاد تفوق العدد والحصص، تنوعت ينابيعها من اعتماد القرآن نفسه، فهو كثيرا ما يوظف المصدر الأول من مصادر التفسير، وهو تفسير القرآن بالقرآن،⁽¹⁸⁷⁾ والمصدر الثاني وهو تفسير القرآن بالسنة،⁽¹⁸⁸⁾ معتمدا على الصحيحين⁽¹⁸⁹⁾ في الغالب، وغيرهما من كتب السنن المعتمدة⁽¹⁹⁰⁾ وموطأ الإمام مالك⁽¹⁹¹⁾، والمأثور عن الصحابة⁽¹⁹²⁾ والتابعين والأئمة المجتهدين⁽¹⁹³⁾.

وتأتي أقوال المفسرين عنده بعد ذلك، فهو يكثر من إيراد أقوال أساطين التفسير، ولا سيما القاضي أبو بكر ابن العربي المعافري⁽¹⁹⁴⁾ وابن جرير وابن كثير⁽¹⁹⁵⁾ والزمخشري⁽¹⁹⁶⁾ وأبا حيان⁽¹⁹⁷⁾، والقشيري⁽¹⁹⁸⁾، والقاضي عبد الجبار⁽¹⁹⁹⁾، والرازي⁽²⁰⁰⁾، وغيرهم.

ويأتي في طليعة مصادره الأساسية كتاب أحكام القرآن لابن العربي المعافري فهو يتكئ عليه كثيرا في الأحكام الشرعية وفي المروي فيها، ولا يستنكف من ذكر اسمه المرة تلو الأخرى بقوله : «قال القاضي أبو بكر (ابن العربي)، ومن موطأ الإمام مالك بروايتي يحيى بن يحيى

(186) التيسير.. 1 : 10.

(187) المرجع نفسه 1 : 8، 210، 2 : 69.

(188) المرجع نفسه 1 : 8.

(189) البقرة، الآية 201 — 201 — 202، 233/ النساء، الآية : 103 على سبيل المثال.

(190) أبو داود، الترمذي، والنسائي، وابن ماجة، ومسنند الإمام احمد، وسنن البيهقي، والمستدرک.

(191) يعتمد في الأحكام.

(192) خصوصا ابن عباس وعلي بن أبي طالب وعمر بن الخطاب الذي يصفه بالخليفة العباسي (1 : 142) وابن مسعود.

(193) التيسير 1 : 329 — 330، 2 : 208.

(194) استشهد بأقواله أكثر من مائة مرة موزعة على أجزاء التيسير منها حوالي عشرين مرة في الجزء الأول وأكثر من أربعين مرة في الجزء الثاني.

(195) أحيانا يقول «وحكى ابن جرير وابن كثير» 1 : 151 — 377، 4 : 517.. وغيرها.

(196) ذكره حوالي خمسين مرة.

(197) جاء ذكره في التيسير ما يقارب 20 مرة.

(198) أكثر من 20 مرة.

(199) نحو عشرين مرة.

(200) أكثر من 10 مرات.

الليثي، ومحمد بن الحسن الشيباني،⁽²⁰¹⁾ وبداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد الحفيد،⁽²⁰²⁾ فضلاً عن المحرر الوجيز لابن عطية،⁽²⁰³⁾ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي⁽²⁰⁴⁾، والتسهيل لابن جزي،⁽²⁰⁵⁾ والتحرير والتنوير لابن عاشور وغيرها⁽²⁰⁶⁾.

كما ذكر تفاسير أخرى مثل تفسير الخازن⁽²⁰⁷⁾، وتفسير النسفي⁽²⁰⁸⁾، وفي ظلال القرآن،⁽²⁰⁹⁾ وزاد المسير لابن الجوزي⁽²¹⁰⁾ وأحكام القرآن للجصاص⁽²¹¹⁾، والمنتخب في تفسير القرآن الكريم⁽²¹²⁾.

ومن غير التفاسير وكتب السنة وشروحها وكتب السيرة النبوية⁽²¹⁴⁾ اعتمد بعض المصادر من أصول الدين⁽²¹⁵⁾ وأصول الفقه⁽²¹⁶⁾ وعلم السلوك (أو التصوف)⁽²¹⁷⁾ ومصادر إسلامية لباحثين معاصرين⁽²¹⁸⁾ وكتب اللغة⁽²¹⁹⁾ والمعاجم⁽²²⁰⁾ والموسوعات⁽²²¹⁾.

(201) التيسير 1 : 128 — 373، 2 : 28.

(202) المرجع نفسه 2 : 32.

(203) المرجع نفسه 4 : 274.

(204) المرجع نفسه 1 : 32، 4 : 247، 278.

(205) أكثر من عشر مرات.

(206) مرة واحدة 4 : 100، 101.

(207) التيسير 4 : 88 — 185 — 516.

(208) المرجع نفسه 3 : 376 — 413 — 429.

(209) ذكره بوصف (المرحوم المفسر الشهيد) (3 : 377) وبوصف (المفسر الشهيد) 5 : 346.

(210) التيسير.. 3 : 151.

(211) المرجع نفسه 3 : 151.

(212) المرجع نفسه 6 : 372.

(213) اقتبس من فتح الباري في الجزء الثاني من التيسير ص : 247 والتمهيد لابن عبد البر (4 : 51 من التبر).

(214) التيسير 4 : 185 (إشار إلى ابن اسحاق)... وذكر ابن هشام (6 : 52) وزاد المعاد ذكره 6 : 466.

(215) ذكر كتاب أصول الدين لأبي منصور التيمي البغدادي واقتبس منه في التيسير 4 : 62.

(216) يعتمد كتاب الموافقات للإمام الشاطبي، ولهذا الكتاب أثر واضح على طريقة تناوله القرآن بالتفسير في العبارة والكيفية ذكره في (2 : 105، 281 / 4 : 11).

(217) اعتمد كتاب أحياء علوم الدين للغزالي في الجزء الثاني من التيسير ص : 211 — 236 — 247 والجزء 3 ص 142. والفتوحات المكية ورد ذكره في 4 : 432.

(218) أصول النظام الاجتماعي للشيخ — محمد الطاهر ابن عاشور ذكره في (2 : 281) وكتاب العقاد «حقائق الإسلام وأباطيل خصومه ذكره في الجزء الأول من التيسير ص : 328.

وفي كل ما ذكر كان الناصري لا يُوردُ أقوال غيره إلا لتعزيد ما يرجحه ويذهب إليه في المواطن المستعصية ويأتي بنقله مقتضبة ومركزة ومنتقاة أحسن ما يكون الانتقاء كما أنه يضع كلام غيره مميزاً عن كلامه بوضعه بين مزدوجين، وهو شغوف فيما يورده من أقوال المفسرين بلطائف التفسير التي تكون فيها جدة وطرافة في الغالب، مما يجعلها تضيف حلة ورونقاً على ما يقدمه الشيخ المكي الناصري في أحاديثه من جهود في الشكل والمضمون..

وبهذا التنوع في المصادر، وحسن انتقائها، والتحكم في مادتها، والتدرج بها وفق تصميم علمي محكم ومدروس، أمكن للشيخ محمد المكي الناصري أن يوفق في سبك أحاديثه التفسيرية وأن ينسجها على غير مثال سابق، مستعيناً بما يستقيه من مصادره، ممهداً للنصوص التي يسوقها بالشرح والبيان، حتى يضعها في نسق واضح من الكلام يجعلها توتي أكلها وتعم فائدتها.

ج — السمات العامة لمنهجه :

لقد اُخْتُطَّ الشيخ الناصري لأحاديثه التفسيرية نهجاً تسير عليه في تقديم معاني القرآن إلى الجمهور المسلم، خالصة من جميع الشوائب التي تتنافى مع روح القرآن، ويمكن تلخيص السمات العامة لمنهجه في التفسير في النقاط الآتية.

1 — مقارنة الآيات القرآنية : وهو المنهج المعروف عند المفسرين من السلف وغيرهم بتفسير القرآن بالقرآن، وهو ما كان يرجع إليه الصحابة الكرام في التعرف على معاني القرآن الكريم، ولا يمكن اعتباره عملاً آلياً لا يقوم على شيء من النظر، وإنما هو عمل يقوم على كثير من التدبر والتعقل إذ ليس حمل الجمل على المبين، أو المطلق على المقيد أو العام على الخاص، وتوضيح ما قد يعرض في فهمه من إشكال أو غموض أمراً هيناً يدخل تحت مقدور كل إنسان وإنما هو امر يعرفه اهل العلم والنظر خاصة⁽²²²⁾.

إن القرآن «بمجموعه وبكافة سوره يكون «وحدة» متلاحمة لا تقبل التناقض ولا تعرف الاختلاف»⁽²²³⁾.

(219) من ذلك تحقيقاته اللغوية 1 : 386، 2 : 218، 219/ واستفادته من كتاب تهذيب الأسماء واللغات

للإمام النووي (2 : 234 — 235) ولسان العرب لابن منظور (3 : 336).

(220) معجم البلدان لياقوت الحموي ذكره في (4 : 320) من التيسير.

(221) من ذلك دائرة معارف القرن العشرين لمحمد فريد وجدي ذكرها في (4 : 443) من التيسير.

(222) التفسير والمفسرون 1 : 41.

(223) التيسير.. 1 : 8.

وقد نص على أهمية هذا العنصر في فهم القرآن في غير ما موضع من تفسيره⁽²²⁴⁾.

2 — تقديم مدخل تمهيدي للآيات المراد تفسيرها :

وحتى يصل الشيخ محمد المكي الناصري بالمستمع إلى الغاية المرجوة من أقصر الطرق وأيسرها، فإنه يقدم مدخلا تمهيدا للآيات المراد تفسيرها، ويعطيه نظرة عامة عليها، ويبين له على ماذا تتمحور من أولها إلى آخرها، ولا يفوته في هذا المدخل التمهيدي أن يدل على معاني بعض الكلمات التي تحتاج للشرح والايضاح حتى يجعل مستمعه يواجه آيات الحصة بمنتهى الوعي وبكامل الادراك وتحصل له الفائدة المرجوة.⁽²²⁵⁾

وهو يقدم هذا المدخل احيانا على شكل أفكار أساسية للربع المراد تفسيره⁽²²⁶⁾ ثم ينتقي من هذه الأفكار جملة يوضحها ويمحور حديثه حولها..

3 — توفيقه بين الوقت والعمل التفسيري :

عندما يضيق الوقت المخصص في الاذاعة لحصة التفسير فان الشيخ يسلك طريقة التركيز على قسم من الآيات ويؤجل القول فيما تبقى إلى مناسبة اخرى في نفس السورة أو ما يماثلها في غيرها من السور، فيتناول السابق منها واللاحق بالتفسير الكافي والشرح الوافي..⁽²²⁷⁾.

4 — إعراضه في أحاديثه عن الاستطراد :

يتجنب الشيخ محمد المكي الناصري في أحاديثه التفسيرية الخوض في الموضوعات الجانبية، والخلافات المذهبية والجدل والفضول وكثرة القيل والقال، وإيراد المصطلحات العلمية مخافة أن يتشعب القول وتخرج الأحاديث عن الغرض الذي من أجله وقع التفكير في إملائها، وهو المساهمة العملية واليومية في التثقيف الشعبي والديني الذي هو حق كل مسلم ومسلمة واعداد برنامج إذاعي خاص، للتعريف كل يوم برسالة القرآن الجامعة، وهدايته النافعة «ولكل مقام مقال»⁽²²⁸⁾.

5 — فهمه مبنية على قواعد العلوم :

يؤكد مؤلف أحاديث التفسير أن عدم اهتمامه بإيراد المصطلحات العلمية والقواعد الضابطة

(224) المرجع نفسه : 1 : 8، 210، 2 : 69.

(225) المرجع نفسه.. 1 : 8.

(226) المرجع نفسه 1 : 245، 246، 294، 295..

(227) التيسير 1 : 8، 9.

(228) المرجع نفسه 1 : 9.

لفروع الثقافة الإسلامية لا يعني أنه لا يحتكم إليها في فهمه وإيضاحاته التفسيرية إذ بدونها وتجاهلها لا يمكن لأحد أن يضرب في علم التفسير بسهم، ولا أن يفهم كتاب الله فهما صحيحا لا لغويا ولا شرعيا⁽²²⁹⁾.

6 — أسلوبه في أحاديثه التفسيرية :

يرتبط أسلوبه شأن باقي نقط المنهج بالهدف المتوخى في هذه الأحاديث، وهو التيسير والتبسيط، كما يصف الأسلوب الذي اختاره لها بأنه أسلوب وسط يفهمه الأمي ويرتاح إليه المتعلم لا ينزل حتى يتنزل عند الخاصة، ولا يعلو حتى يصعب على العامة يتجافى استعما الوحشي والدخيل والغريب ويتفادى كل ما فيه تعقيد أو غموض... ويتحدث إلى أهل العصر بلغة العصر، ويضع نفسه في جو المشاكل التي يتخبط فيها العصر⁽²³⁰⁾ وقد بناه على أحد أهداف القرآن، وهو تيسير القرآن الكريم للذكر مصداقا لقوله تعالى، ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾⁽²³¹⁾.

تلك كانت الحلقات التي سطرها بقلمه عن منهجه في أحاديثه التفسيرية ومع ذلك فإن هناك سمات أخرى لمنهجه تبقى في ثنايا أحاديثه التفسيرية، كما أن هناك مناسبات أخرى يتعذر معها تطبيق ما سطر نظريا في المنهج.

فبالنسبة لما أراه من سمات أخرى تظهر في منهج الرجل ولم يشر إليها في النقاط المذكورة ما يلي :

1 : اهتمامه بالتناسب بين الآيات والسور :

قال : «مما يلاحظه القارئ المنتبه أن أول آية في هذا الربع وهي قوله تعالى : ﴿قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ إلى آخر الآية،⁽²³²⁾ مرتبطة كل الارتباط ومتناسبة كل التناسب، مع آخر آية وردت في الربع الماضي الذي تناولناه بالأمس، وهي قوله تعالى : ﴿زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين... إلى قوله حسن

(229) المرجع نفسه.

(230) المرجع نفسه 1 : 10.

(231) القمر الآية : 17 / نلاحظ أن فكرة «التيسير» نجدها عند (الجمعي) (تيسير القرآن...) وعند الرضى السنانى (إبداء التيسير...)، وعند أبي بكر زبير، وعند المكي الناصري، وهي تمثل قاسما مشتركا بين المفسرين المغاربة وغيرهم، نظرا لما تقتضيه ظروف العصر.

(232) آل عمران الآية : 15.

وهذا مثال من عدة أمثلة لما ذكره من التناسب بين الآي (٢٣٤)، أما التناسب بين السور فقد عرض له في نهاية سورة التوبة وبداية سورة يونس وفي نهاية سورة هود وبداية سورة الرعد، وفي نهاية سورة المؤمنين وبداية سورة النور...

2 — استعراضه لمخاور السور :

ونجده في مطلع السورة المراد تفسيرها يحدد اسمها، وهل هي من المكّي أو المدني، ويشير إلى مضامينها والقضايا التي تتناولها إجمالاً، مع ذِكر فضائلها (٢٣٥)، كما في سورة البقرة وآل عمران والمائدة والأعراف وغيرها...

3 — الاحتكام إلى السياق في فهم بعض الآيات :

هذه خصيصة وقفت عليها وأعجبتني له، وذلك عند تفسيره لقوله تعالى في سورة آل عمران ﴿وليس الذكر كالأنثى﴾ (٢٣٦) : «قوله تعالى : على لسان امرأة عمران ﴿وليس الذكر كالأنثى﴾ لم يرد في سياق التنقيص من المرأة أو الخط منها، بل إن السياق العام الذي جاءت فيه نفس هذه الآية هو على العكس من ذلك سياق تكريم للمرأة وتمجيد لها في شخص امرأة عمران أم مريم، وفي شخص مريم أم عيسى...» (٢٣٧)، كما يهتم بعنصر التقديم والتأخير (٢٣٨)، وتحكيم القواعد الشرعية والأصولية في فهم بعض الآيات (٢٣٩).

أما بالنسبة للتغيرات التي طرأت على منهجه في التفسير فتعود إلى اقتصاره على الثمن بدل الربع لما وصل إلى الآية 26 من سورة التمل، واستمر على ذلك حوالي حزب من القرآن أي إلى الآية 28 من سورة القصص، وكان في هذا القسط من القرآن يفسر القرآن تفسيراً عادياً يتناول الثمن آية آية، لما تجاوز ذلك عاد إلى المنهج المعتاد في أحاديثه التفسيرية بتناول ربع من القرآن في كل حصة حسب ما ذكر.

(233) نفس السورة الآية : 14.

(234) يقابل بين مطلع سورة البقرة وخاتمتها ليدل على التناسب الحاصل بينهما (التيسير 1 : 200).

(235) سورة النساء، تعرّض لفضائل بعض آياتها في خاتمة تفسيره لها (2 : 18 — 19).

(236) الآية : 36.

(237) التيسير.. 1 : 219.

(238) المرجع نفسه 2 : 200.

(239) المرجع نفسه 1 : 120، 139، 169، 200، 267 / 4 : 250 وغيرها.

إن المستمع لأحاديث الشيخ محمد المكي الناصري أو القارئ لها بعدما طبعت أخيراً، أو المتأمل في الغرض الذي من أجله وضعت، سرعان ما يدرك صلة هذه الأحاديث بالمجتمع الاسلامي والتطورات الحاصلة فيه.

والشيخ محمد المكي الناصري ينص في ديباجة تفسيره على الاتجاه الذي يريده لهذه الأحاديث قائلاً : «... فقد تبين لي بما لا يدع مجالاً للشك أن المهمة الجلى والكبرى التي يجب أن تؤديها «أحاديث التفسير» لجمهور المسلمين الكبير — بصفتها أحاديث يومية عامة — هي وضع أيديهم، كل مطلع فجر على الكنوز التي أودعها الله في القرآن، وتذكيرهم بالرسالة «الأصلية» للقرآن التي هي رسالة الحياة في كل يوم، رسالة التوجيه الإلهي والتربية الربانية، التي يجب أن يتجلى أثرها الطيب والدائم في حياتهم اليومية، ذلك أن آيات القرآن الكريم ليست قصة من قصص الماضي السحيق يكتفي بحكايتها والتبرك بها في فترات الراحة والاسترخاء، ولا خبراً من أخبار الغابرين يقتصر على التلهي بها في مجالس التسلية والسمر، وإنما هي رسالة الحياة المتجددة في كل عصر وجيل وقصة اليوم والغد الحاضر والمستقبل، وهي مرآة المسلم الصافية التي يجب أن ينظر وجهه فيها كل مطلع شمس ويعير سلوكه بمعيارها، ويكيف حياته بها في كل حين ﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾ (240)» (241).

ولذلك نجد في احاديثه التفسيرية لا يدع فرصة تمر دون التوجه إلى ربط الآيات بالواقع الاجتماعي، ومعالجة هذا المجتمع الذي تفتشت فيه الكثير من العادات السيئة وتدهورت فيه القيم والأخلاق، وقل من يزن سلوكه بميزان الشرع، وفي تفسيره أمثلة كثيرة من تطبيقه الآية على الواقع، من ذلك تركيزه الكلام على فئة الفاسقين المشار إليهم في قوله تعالى : ﴿يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً وما يضل به إلا الفاسقين الذين ينقضون عهد الله من بعث ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون﴾ (242).

قال بعد أن تعرض إلى أوصافهم التي حددتها الآية : «... وأما فساد الفاسقين وإفسادهم في الأرض، فيتجلى في سعيهم إلى تحطيم جميع المقدسات، وفي استهانتهم الظاهرة والباطنة بجميع القيم، وفي اعتدائهم المتوالي على حقوق الأفراد والجماعات، وفي إجبارهم للغير على الرضى

(240) الاسراء، الآية 9.

(241) التيسير.. 1 : 7.

(242) البقرة، الآيتان : 26 — 27.

بالفساد والعيش في ظله، ويتجلى بالأخص في محاربتهم لأوامر الله وانتهاكهم لحرماته، والعمل بالخصوص على إقصاء تعاليمه وطردها من جميع مجالات العيش ومواكب الحياة.

وهذه الصفات الثلاث التي وصف الله بها الفاسقين من خيانة للعهد وقسوة في القلب وإفساد في الأرض، كانت ولا تزال هي شعار «الفاسقين» لا تتخلف واحدة منها عن الأخرى في أي عصر ولا في أي جيل»⁽²⁴³⁾.

وفي تفسيره قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾⁽²⁴⁴⁾ قال : «... فالتعقيب على الاصطفاء والاختيار بقوله تعالى ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾ تنبيه إلى أن بيئة الصلاح والتقوى والبر وتقدير المسؤولية التي يعيش فيها الأبناء إلى جانب آبائهم، تؤثر في أبنائهم أبلغ، وأعمق تأثير، وتطبعهم بطابع الاستقامة واليقظة (...). وعلى العكس من ذلك بيئة الفساد والفسق والشر، والانحلال والاهمال، التي يعيش فيها الأبناء إلى جانب آبائهم (...). وهكذا يحسن الأب الفاضل، والأم الفاضلة إلى نفسيهما وإلى ذريتهما أكبر إحسان ويسيء الأب والأم المتكرران للفضيلة إلى نفسيهما وذريتهما في حياتهما ومن بعد موتهما أكبر إساءة»⁽²⁴⁵⁾.

وفي تفسير قوله تعالى : ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾⁽²⁴⁶⁾ يرى أن القرآن يتحدث عن العدل الإلهي المطلق نحو كل إنسان كيفما كان وعن إحصاء عمل الانسان وتسجيله في حياته وبعد وفاته كيفما كان هذا العمل حسنا أو سيئا «سواء كان ذلك الأثر من قبيل الحسنات كعلم نافع علمه، أو رباط للجهاد أسسه، أو كان ذلك الأثر من قبيل السيئات، مثل حان هيأة لتناول الخمر أو ناد زخرفه للقمار، أو ما تحور أعدده للفسق والفجور، فكلما تجددت منفعة الأثر الحسن، كتب لصاحبه من الحسنات بقدرها، وكلما تضاعفت مضرة الأثر السيء كتب لصاحبه من السيئات بقدرها بناء على الأصل الاسلامي الثابت في السنة النبوية الشريفة «من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة»⁽²⁴⁷⁾.

وفي مجال العقيدة في هذا التفسير لا يخفى أن الشيخ محمد المكي الناصري يعن في عقيدة

(243) المرجع نفسه 1 : 33 — 34.

(244) آل عمران، الآية : 33 — 34.

(245) التيسير.. 1 : 218.

(246) يس، الآية : 12.

(247) التيسير 5 : 253.

السلف، ويجليها حسب ما يقول به اهل السنة والجماعة، قال عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿الرحمن على العرش استوي﴾⁽²⁴⁸⁾ «... وتفاديا من أن يفهم معنى الاستواء على وجه فيه تجسيم وتكليف أجاب الإمام مالك بن أنس من سألته عن الاستواء في هذه الآية، فقال : «الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة، والايمان به واجب»⁽²⁴⁹⁾.

وكذلك ما ساقه في تفسير قوله تعالى : ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾⁽²⁵⁰⁾ وقوله : ﴿وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون﴾⁽²⁵¹⁾ وغيرها من الآيات المتعددة كسورة الأنعام مثلاً..

ونجده في العديد من المواقف يعبر عن نفسه الإصلاحية ويستشهد بأقوال جمال الدين الأفغاني الذي يسميه بحكيم المشرق، وأحمد بن خالد النصاري،⁽²⁵²⁾ وكل هذا يشير إلى أن الشيخ محمد المكي الناصري حلقة في سلسلة العلماء الذين تشبعوا بروح الإصلاح والتجديد التي دعت إليها جهود الأفغاني وعبد رزاق رشيد رضا والدكالي، وابن عاشور وابن باديس ومحمد ابن العربي العلوي والقاضي زبير وغيرهم كثير من علماء المشرق والمغرب الذين دافعوا عن الدين الاسلامي بمواقفهم وأقلامهم ودعوتهم، وما تزال آثار جهودهم يستنار بها في هذا المجال..

هـ — قيمته العلمية :

إن فكرة التفسير الاداعي للقرآن الكريم من الأفكار الجديدة التي جاءت بها الفترة المعاصرة، وشكلها أن يتقدم هذا التفسير تلاوة قرآنية عبر الاذاعة، يعقبها نوع من التفسير يعطي فكرة إجمالية عن القرآن المتلو حتى يكون السامع للقرآن الذي يتلى عليه متفهماً لمراميهِ واعياً لمقاصده، ملماً باطرافه مدركاً لمغزاه⁽²⁵³⁾.

ويشاء الله أن تكون أحاديث التفسير للشيخ محمد المكي الناصري أول تفسير تآم إذاعي للمصحف الكريم، وتنطلق هذه المكرمة من هذا البلد الأمين، ولا يخفى ما في مثل هذا العمل الجليل من منافع، وما له من آثار في توعية جماهير المسلمين بكتاب الله الذي شغلهم عنه

(248) طه الآية : 5

(249) المرجع السابق 4 : 60.

(250) سورة يوسف، الآية : 106.

(251) الذاريات الآية : 56.

(252) المرجع نفسه 2 : 324.

(253) التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ص : 12.

الشواغل وأدّتهم عنه الدواهي، وصارت أوامره ونواهيهم بينهم شيئا زائدا من شاء عمل بها ومن شاء استغنى عنها ولا ضيّر في ذلك...!

ففي هذا العمل زيادة على جهد صاحبه فيه من حيث التوثيق والتحقيق وتنقية ساحة القرآن الكريم مما علق بها من شوائب — دليل راسخ على أن رسالة القرآن متجددة في أهل هذا البلد الذي يمثل الجناح الغربي من الأمة الإسلامية ولذلك تتجدد مهمة النهوض بها على يد الأجيال، وهذه المرة بمسؤولية أخطر وأكبر فتبليغ رسالة القرآن عبر الإذاعة ليسمعه كافة البشر حقيقة أو حكما، فيه نوع من تحقيق جانب من الإعجاز القرآني المتجلي في معنى إرسال الرسول إلى الناس كافة فيكاد مفهوم الكافة يتحقق في مجال تبليغ الرسالة القرآنية مفسرة عبر الاذاعات، وفيه برهان ساطع على أن العلم الحق يخدم الدين الحق، ولا تعارض ولا تنافي بينهما بل هناك تآزر وتضافر وتكامل، فوسيلة الإذاعة والإعلام التي هي من بنات هذا العصر ومن اختراعاته يتحقق بواسطتها سماع كافة الناس إلى رسالة القرآن الخالدة، ومن ثم إقامة الحجة والبرهان على الناس في كل أصقاع الدنيا، إذ بإمكانهم أن يسمعوا كلام الله غضا طريا، واضح العبارة جلي الأهداف والمقاصد، هذا فضلا عن باقي الوسائل الأخرى من طبع ونشر، وتوزيع، وترجمة وإعلاميات وتعلم لغات التي هي من ميزات هذا العصر كذلك، ومن هنا يظهر أن القرآن ينال حظه من غنيمة هذا العصر ومن مكتشفاته، ومن تطور وسائله العلمية والتقنية ويسايرها ويندمج فيها، ويؤدي دوره المنوط به في مجال توجيه الإنسان والاصلاح من حاله ومعالجة قضاياها النفسية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية في لها وجوهرها، وإعطائه القاعدة الصلبة والسليمة للبناء والاتجاه نحو الصراط المستقيم والغد الأفضل.

وبذا يسجل كتاب الله حضوره الدائم والمستمر في صفحات البشرية الحالية رغم التحديات، وتنبؤ تباشيره في الأفق على أنه يسجل هذا الحضور في الصفحات البشرية استقبالا بكيفية أفضل وأحسن مصداقا لقوله تعالى : ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا﴾ (254).

(254) الفتح، الآية : 28.

الخاتمة

وبعد هذه الجولة التي عرفتنا على الكثير من آثار المغاربة في الدراسات القرآنية ومظاهر عنايتهم بالقرآن الكريم لم يبق إلا ترصد أهم ما توصلت إليه من نتائج مع إبداء ما أراه من اقتراحات، علما بأنني كنت أثناء كل مناسبة أقوم الجهود وأترصد الآفاق.. وأربط السابق باللاحق، وأكشف عن مظاهر التطور الحاصلة في هذا المجال..

ولا أدعي لنفسني أنني استوفيت للبحث كافة شروطه العلمية، خصوصا وأن عملية الجمع والترتيب التي اضطلعت بها في البحث لأعطي من خلالها صورة واضحة عن نشاط علمي معين، هي عملية مضنية كما لا يخفى، لكنني اضطرت عليها معتقدا تمام الاعتقاد بأن جهدي سيقدم مادة خصبة للدارسين والباحثين والمهتمين في مجال التأويلات والاجتهادات والمناقشات، ذلك أن العديد من الناس لا يكادون يصدقون بأن للمغاربة اهتماماً كبيراً بالدراسات القرآنية في القرن الأخير، خصوصا تفسير القرآن، فقد كشف هذا البحث على جهود طيبة لهم في هذا المجال سواء منه الشفوي أو المكتوب.

ومما توصل إليه البحث من نتائج أن المغاربة يتميزون بالاعتناء بكتاب الله من جميع جوانبه منذ القديم وإلى اليوم، وقد تجسد هذا الاعتناء في القرن الأخير في مظاهر شتى أهمها :
— مواصلة الاهتمام بتلقين القرآن للناشئة وتحفيظه لهم كلا أو بعضا، وقد تتخذ هذه الظاهرة وسائل أخرى مثل الجمعيات ودور القرآن.

— الاهتمام بمدارس القراءات القرآنية، وفتح مدارس أخرى والاعتناء بالمتبقى منها، مع إدخال القراءات إدخالا نسبيا في التعليم العالي.

— إصلاح نظام التدريس بالقرويين وإحداث كليات حديثة تابعة لها.

— طبع التراث القرآني المنجز منه بالغرب الاسلامي على الخصوص وتحقيقه بدءا بالتفسير وكتب القراءات القرآنية والتجويد وغيرها.

— طبع المصحف الكريم طبعة حسنية فريدة، وطبعات أخرى لوزارة الأوقاف توزع مجانا داخل المغرب وخارجه على المؤسسات العلمية والهيئات المختصة.

— تأسيس دار الحديث الحسنية التي تؤدي دورها في البعث والإحياء وتكوين العلماء والباحثين.

— إحياء الكراسي العلمية في أهم مساجد الجهات والأقاليم.

— وضع تفسير إذاعي نموذجي للمصحف الكريم يعتبر الأول من نوعه في العالم الإسلامي، وإذاعة حصتين يوميتين منه باستمرار.

— التفكير في وضع معجم قرآني مع الشروع في إنجاز بعض منه، وحَبْدًا لو أعيد إحياء فكرته دعماً لرصيدنا اللغوي والاستعمالي الأصيل.

— إحداث اثني عشر (12) شعبة للدراسات الإسلامية موزعة على جميع كليات الآداب والعلوم الإنسانية بالمغرب، وهي شعب أعطت نفساً جديداً للبحث وتساهم في إنقاذ تراث الأجداد العلمي الحافل والذي كاد أن يضيع.

كل هذا يعكس مظاهر اعتنائهم بشكل عام، أما الجهود الفردية للعلماء والمبادرات التي قاموا بها في هذا المجال، فإنها تجسد تجاوب علماء المغرب مع واقع الأمة الإسلامية عامة في نهضتها ورقيا، وحاولوا أن يؤديوا دورهم التوجيهي لشؤون الحياة داخل المغرب وخارجه، فمعظم المستنيرين منهم، لم يقفوا عندما تلقوه من العلوم العربية والإسلامية شأن غالبية شيوخهم، وإنما أضافوا إلى ذلك اطلاعا على الثقافة الأوروبية الحديثة، من خلال ما ترجم منها في المشرق عن طريق الكتب والموسوعات والمجلات. وهناك طبقة أخرى من هؤلاء العلماء حصلت على شهادات من مؤسسات الأوربيين وجامعاتهم، واكتسبت خبرة لا يستهان بها في مجال البحث والمنهجية وكل هذا استفادت منه الدراسات القرآنية بالمغرب واستفاد منه الطلبة الذين عليهم المعول في ارتياد آفاق البحث العلمي الجاد في هذه البلاد.

ومع ذلك كله، فإنني أسجل ضعفا ملحوظا في مجال الدراسات القرآنية وتهميشا لها في البحث العلمي الجامعي والتنكر لوجودها في مجاله من بعض ناقصي النظرة، فلئن كانت الثلاثون سنة الماضية من البحث العلمي قد انصرفت الجهود فيها إلى مجالات عدة، فإن الدراسات القرآنية لم تنل حظها في هذا الجانب، وبذا فهي متأخرة عن ركب البحث العلمي بالمغرب بعقدين من الزمن وزيادة ولا أتحدث هنا عن الجهود الفردية والتلقائية.

وَلَئِنْ كان المغرب المعاصر قد نهل من ميادين عدة، ومن حياض عدة وكلها في الغالب من صميم الحضارة المعاصرة، لكن تشبعه بشخصيته الإسلامية ومقوماته الحضارية كان أقل إذا ما قورن بمجالات أخرى، نعم وفق المغربي المعاصر في تقديم التلمذة على غيره ليضمن السير المستقبلي، وتكونت للبلاد أطر عالية ذات كفاءات مرموقة في مختلف الميادين وضرب

المغاربة المعاصرون رقما قياسيا في إجادة اللغات الأجنبية حتى صاروا فيها أساتذة لغيرهم حتى من أبناء تلك اللغات، وهذه منجزات ليس من السهل تحقيقها، خاصة إذا علمنا أن لغز الحضارة المعاصرة يكمن في تكوين الشخصية العلمية ذات المردود العلمي والاقتصادي الصالحة لأن تكون لبلدها بمثابة العُملّة الصعبة أينما حلت وتوجهت.

لكن هذا المقصد لا يتعد كثيرا عن نتائج البحث في مجال الدراسات القرآنية التي هي أساس وأم المعارف والتي مَنْ تَضَلَّعَ بها أصبح مفتوحا عليه في المجال العلمي والعمل لكن من حقنا أن نسأل ونتساءل محاسبة لأنفسنا ولنهجننا ما نصيب العلوم الإسلامية عامة من هذه النهضة المباركة التي يعرفها المغرب، إذ استثنيا ما ذكر من جهود خلال قرن وزيادة من الزمن ؟ علما بأن هذا المجال هو عين نقطة الضعف في كيان الحضارة المعاصرة، فما عجزت لحد الآن عن تداركه هو مصير الشخصية والهوية والأخلاق، مما جعل مرض الانقسام والتفكك والتحلل يطغى على الساحات الاجتماعية ولا تجد لدفعه وإبعاده وليا ولا نصيرا.

أقول هذا وأنا أعلم أن بلدنا بلد معطاء، وخلاق، فمهما نتحدث فيه عن السلبات فإن ذخائره ومكنوناته لا تلبث أن تفاجئنا بالإيجابيات وبالخير الكثير والنفع العميم، خصوصا إذا ارتبط الأمر بمجال القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ومع ذلك فالواجب يقتضي منا تفكيراً جماعيا في هذا الميدان الذي هو أول الميادين المؤثرة في بذرة الشخصية العربية المتشربة أصولها وينابيعها من معين القرآن الكريم الذي لا ينضب.

وختاما فإن عملي المتواضع هذا لا يخلو من هفوات تخفى على بصري الضعيف، ويلمحها النقاد البصراء بيسر وسهولة وحسبي أنني حاولت جاهدا أن أوفق بين متطلبات البحث على عدة واجهات لأخرج بما خرجت به راجيا منه سبحانه وتعالى أن يجعله خالصا لوجهه الكريم ويثيني به دنيا وأخرى ويجزي كل من ساعدني بقول وعمل، وسهر من جهته على أن يخرج هذا العمل في المستوى اللائق ويحقق شطرا من الأمل المعقود عليه وهو دعم مسيرة القرآن الكريم في هذا البلد خاصة وفي بلاد المسلمين عامة، والله تعالى ولي التوفيق وهو نعم المولى ونعم النصير، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

لائحة المصادر والمراجع^(*)

- 1 — القرآن الكريم.
- 2 — إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس تأليف مولاي عبد الرحمن بن زيدان — الرباط — المطبعة الوطنية، الطبعة الأولى 1350 (5 مجلدات).
- 3 — إتحاف ذوي العلم والرسوخ بتراجم من أخذت عنه من الشيوخ تأليف محمد بن الفاطمي ابن الحاج السلمي / الدار البيضاء دار الطباعة الحديثة، الطبعة الأولى 1398 هـ — 1978 م.
- 4 — الاتحاف الوجيز «تاريخ العدوتين» تأليف محمد بن علي الدكالي، تحقيق مصطفى بوشعراء. الرباط، المعارف الجديدة 1406 — 1986.
- 5 — اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر. تأليف الدكتور فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي. المملكة العربية السعودية طبع بإذن إدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد، الطبعة الأولى 1407 — 1986 (3 مجلدات).
- 6 — الإتيقان في علوم القرآن تأليف جلال الدين السيوطي بيروت، المكتبة الثقافية. 1973.
- 7 — أحاديث عن الأدب المغربي الحديث للأستاذ عبد الله كنون البيضاء دار الثقافة ط 3/ 1402 هـ — 1981 م.
- 8 — أزهار الرياض في أخبار عياض. تأليف شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التلمساني طبع اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي بين حكومة المملكة المغربية وحكومة دولة الامارات العربية المتحدة.
- 9 — أصول التشريع الإسلامي/ تأليف ذ. علي حسب الله. مصر دا المعارف، ط 5. 1396 هـ — 1976 م.
- 10 — أعلام المغرب العربي/ لعبد الوهاب بن منصور. المطبعة الملكية 1399 هـ — 1979 م.

(*) رتبته حسب الترتيب المغربي للحروف العربية واقتصرت فيها على ذكر ما لم أوثقه من الكتب في متن وهوامش البحث.

- 11 — آسفي وما إليه قديما وحديثا/ تأليف محمد بن احمد العبدى الكانوني. مصر 1353هـ.
المكتبة التجارية الكبرى.
- 12 — أشرف الأماني في ترجمة الشيخ محمد الكتاني/ تأليف محمد الباقر الكتاني. المغرب —
مطبعة الفجر 1962.
- 13 — بغية المتتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس/ تأليف احمد بن يحيى بن احمد بن عميرة
الضبي (ت. 599هـ) طبع في مدينة مجريط بمطبعة روخس 1882م.
- 14 — البداية والنهاية/ للامام الحافظ المفسر المؤرخ عماد الدين اسماعيل بن كثير (ت.
774هـ). لبنان دار الكتب العلمية ط. 3 1407هـ — 1987م.
- 15 — البرهان في علوم القرآن/ تأليف بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت. 794هـ)
تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، بيروت، دار الفكر الطبعة الثالثة (د.ت.).
- 16 — البليوغرافيا العالمية لترجمات القرآن الكريم/ مركز الابحاث للتاريخ والفنون والثقافة
الاسلامية استانبول (1986).
- 17 — ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك/ تأليف القاضي عياض
بن موسى بن عياض السبتي (ت. 544هـ) المغرب وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية
مطبعة فضالة — المحمدية (د.ت.).
- 18 — تنزيه القرآن عن المطاعن للقاضي عبد الجبار، وبآخره مقدمة التفسير للراغب
الاصفهاني/ مصر، المطبعة الجمالية — الطبعة الأولى 1329هـ.
- 19 — تذكرة الحفاظ لأبي عبد الله محمد الذهبي دار إحياء التراث العربي (د.ت.م.).
- 20 — تاريخ الضعيف تأليف محمد الضعيف الرباطي (1165 — 1233هـ) تحقيق الاستاذ
احمد العماري/ المغرب الرباط دار الماثورات الطبعة الأولى 1406 — 1986.
- 21 — تنبيه الإخوان على ترك البدع والعصيان/ تأليف محمد بن علي ابراهيم الاندزالي السوسي
(مخطوطة خاصة).
- 22 — تعطير الأنفاس في التعريف بالشيخ ابي العباس محمد بن محمد المؤقت المراكشي.
وبهامشه : إظهار المحامد في التعريف بمولانا الوالد لنفس المؤلف طبعة حجرية فاسية.
- 23 — تاريخ تطوان للأستاذ محمد داود، طبعة تطوان، دار كريميس (د.ت)
- 24 — تاريخ رباط الفتح/ تأليف ذ. عبد الله السويسي الرباط — مطبوعات دار المغرب
للتأليف والترجمة والنشر سلسلة التاريخ (9) 1399 — 1979.
- 2 — التحرير والتنوير في التفسير/ للشيخ محمد الطاهر ابن عاشور تونس الدار التونسية
لنشر 1984 (15 مجلدا)

- 26 — التفسير ورجاله تأليف الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور تونس، دار الكتب الشرقية الطبعة الأولى 1966.
- 27 — التفسير والمفسرون للشيخ محمد حسين الذهبي مصر دار الكتاب العربي الطبعة الأولى 1960 (3 أجزاء) وكذا طبعة بيروت دار احياء التراث العربي (د.ت) (في مجلدين).
- 28 — التأليف ونهضته بالمغرب في القرن العشرين (1900 — 1972) للاستاذ عبد الله الجراري البيضاء مطبعة النجاح الجديدة الطبعة الأولى. 1406 — 1985م.
- 29 — التيارات السياسية والفكرية بالمغرب/ من خلال قرنين ونصف قبل الحماية، مطبعة الدار البيضاء ط 1. 1405 هـ 1985، تأليف الاستاذ ابراهيم حركات.
- 30 — التفسير الموضوعي للقرآن الكريم/ تأليف الدكتور احمد السيد الكومي. والدكتور محمد احمد يوسف القاسم، مصر... دار الهدى الطبعة الأولى 1401 — 1980.
- 31 — التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي الكلبي/ دار الفكر (د.ت) (في مجلدين).
- 32 — التمهيد في علم التجويد لابن الجزري/ بيروت مؤسسة الرسالة ط/1/1407هـ 1986م.
- 33 — الترجمة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا لأبي القاسم الزباني/ تحقيق وتعليق عبد الكريم الفلالي/ المغرب وزارة الانباء مطبعة فضالة — المحمدية 1387 — 1967.
- 34 — جذوة المقتبس في ذكر ولاية الاندلس للحميدي، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي مصر 1372هـ.
- 35 — جامع القرويين المسجد والجامعة بمدينة فاس / تأليف الدكتور عبد الهادي التازي، بيروت — دار الكتاب اللبناني الطبعة الأولى 1972 (3 مجلدات).
- 36 — جواهر الكمال في تراجم الرجال/ تأليف أبي عبد الله محمد بن احمد العبدى الكانوني هو القسم الثاني من تاريخ آسفي وما إليه، الدار البيضاء — المطبعة العربية الطبعة الأولى. 1356هـ.
- 37 — الجدل الثقافي بين المغرب والمشرق/ تأليف عبد الملك مرتاض/ بيروت دار الحداثة ط 1. 1982.
- 38 — الجهود اللغوية خلال القرن الرابع عشر الهجري/ للدكتور عفيف عبد الرحمن، العراق بغداد دار الحرية للطباعة 1981.
- 39 — حديث المغرب في المشرق تأليف الاستاذ علال الفاسي القاهرة، المطبعة العالمية الطبعة الأولى 1956.
- 40 — حرب الريف التحريرية ومراحل النضال/ تأليف احمد عبد السلام البوعياشي، طنجة مطبعة دار أمل (د.ت) الجزء الأول.

- 41 — حسن النظرة في احكام الهجرة/ تأليف مولاي احمد بن المامون البلغيثي مصر، المطبعة البهية المصرية (د.ت).
- 42 — الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين/ تأليف الدكتور محمد حجي، دار المغرب 1396 — 1976.
- 43 — حاشية فتح الصمد للعلامة الشيخ علي بن مبارك الروداني ثم الادريسي على شرح الفقيه سيدي محمد الاغظف بن الشيخ احمد الولاتي الحوضي لمنظومة مولاي عبد الحفيظ المسماة (السبك العجيب لمعاني حروف مُعني اللبيب) مصر — الاميرية — الطبعة الأولى 1325هـ.
- 44 — خلال جزولة/ تأليف العلامة محمد المختار السوسي المغرب — تطوان (د.ت).
- 45 — دليل الحيران في شرح مورد الظمان مع تنبيه الخلان إلى شرح الإعلان لابن عاشر تأليف إبراهيم المارغني التونسي/ نشر مكتبة الكليات الأزهرية (د.ت).
- 46 — دليل مخطوطات دار الكتب الناصرية بتمكروت/ تأليف ذ. محمد المنوني/ المغرب — وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية 1405 — 1985.
- 47 — دليل مؤرخ المغرب الأقصى/ تأليف عبد السلام بن عبد القادر بن سودة المري الدار البيضاء — دار الكتب الطبعة الثانية 1960.
- 48 — دراسات في القرآن للدكتور السيد احمد خليل بيروت دار النهضة العربية 1969.
- 49 — الديباج المذهب في معرفة اعيان علماء المذهب لابن فرحون المالكي (ت. 799هـ). تحقيق وتعليق د. محمد الأحدي أبو النور، القاهرة، دار التراث للطبع والنشر، مطبعة دار النصر (د.ت).
- 50 — الدر الثمين والمورد المعين شرح المرشد المعين على الضروري من علوم الدين لابن عاشور/ تأليف الشيخ محمد بن احمد ميارة المالكي، وبهامشه شرح خطط السدد والرشد، على نظم مقدمة ابن رشد للعلامة التتائي، بيروت دار الفكر (د.ت).
- 51 — الأدب العربي في المغرب الأقصى/ محمد بن العباس القباج — الطبعة الأولى 1347 — 1929م
- 52 — ذكريات من ربيع الحياة/ تأليف محمد الجزولي، الرباط مطبعة الأمنية ابريل 1971.
- 53 — رسالة ابن أبي زيد بشرح أبي الحسن وحاشية العدوي مصر البابي الحلبي (د.ت)
- 54 — رياض الورد إلى ما انتهى إليه هذا الجوهر الفرد ل محمد الطالب بن حمدون بن الحاج (مخطوط، خ ع. الرباط رقم : 111 د).

- 55 — الرحلة المراكشية او مرآة المساوي الوقتية أو السيف المسلول على المعرض على سنة الرسول تأليف محمد بن محمد المؤقت/ الدار البيضاء، دار الرشاد الحديثة، (د.ت).
- 56 — طبقات المفسرين تأليف جلال الدين السيوطي بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى 1403هـ، 1983م.
- 57 — طاقة ربحان من روضة الافنان/ تأليف محمد المختار السوسي، مطبعة الساحل، ط. 1. 1404هـ — 1984م.
- 58 — كتابة تاريخ العدوتين منشورات النادي الجرازي — 2 — الرباط — المعارف 1407 — 1987.
- 59 — الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها/ تأليف مكّي بن أبي طالب القيسي، تحقيق د. محيي الدين رمضان، بيروت، مؤسسة الرسالة ط. 4. 1407 — 1987.
- 60 — مباحث في علوم القرآن للدكتور صبحي الصالح بيروت، دار العلم للملايين ط. 15. 1983.
- 61 — مجالس الانبساط بشرح تراجم علماء وصلحاء الرباط/ تأليف محمد بن علي بن احمد دنية الرباطي. الرباط، مطابع الاتفاق، ط 1. 1406 — 1986.
- 62 — مجالس التذكير للشيخ عبد الحميد ابن باديس دار الفكر ط. 3 — 1399 — 1979.
- 63 — مختصر العروة الوثقى في مشيخة أهل العلم والتقى لمحمد بن الحسن الحجوي/ المغرب — سلا مطبعة الثقافة (1357هـ — 1937).
- 64 — مدارك التنزيل وحقائق التأويل/ تأليف الامام عبد الله بن احمد بن محمود النسفي (ت. 701هـ) بيروت، دار الكتاب العربي (د.ت) (4 اجزاء في مجلدين).
- 65 — مدارس سوس العتيقة نظامها — أساتذتها/ للعلامة محمد المختار السوسي، طنجة، مؤسسة التغليف والطباعة والنشر والتوزيع للشمال ط. 1. 1407هـ — 1987.
- 66 — مذاهب التفسير الاسلامي/ تأليف جوله زهير، ترجمة د. عبد الحليم النجار، مصر، دار الكتب الحديثة 1955.
- 67 — مناقب الحضيكي تأليف محمد بن احمد الحضيكي (ت. 1189هـ) الدار البيضاء المطبعة العربية بدرب غلف، ط 1. 1355هـ.
- 68 — مناقب أبي زيد عبد الرحمن الجشتيمي (مخطوطة خاصة).

- 69 — منجد المقرئين ومرشد الطالبين/ تأليف محمد بن محمد ابن الجزري، بيروت، دار الكتب العلمية 1400 — 1980م.
- 70 — مناهل العرفان/ للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني، مصر البابي الحلبي (د.ت).
- 71 — من أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين الرباط وسلا تأليف الأستاذ عبد الله الجراري. الجزء الأول طبع بالرباط، مطبعة الامنية ط 1391/1 — 1971 الجزء الثاني (د.ت.م).
- 72 — معالم التنزيل تأليف ابي محمد الحسين بن مسعود البغوي/ مطبوع على هامش تفسير الخازن بمصر المكتبة التجارية الكبرى 1381هـ.
- 73 — معجم مفردات الفاظ القرآن للراغب الاصفهاني/ تحقيق نديم مرعشلي/ بيروت دار الفكر (د.ت)
- 74 — معجم المطبوعات المغربية تأليف ادريس بن الماحي القيطوني — مطابع سلا تابريكت (د، ت).
- 75 — معجم مصنفات القرآن الكريم تأليف الدكتور علي شواخ اسحاق/ الرياض — دار الرفاعي — ط 1 1983 (4 مجلدات).
- 76 — معجم المؤلفين تأليف عمر رضا كحالة/ دمشق مطبعة الترقى 1376هـ — 1957.
- 77 — مفاهيم اسلامية تأليف الاستاذ عبد الله كنون/ بيروت، دار الكتاب اللبناني ط 1. 1964.
- 78 — مقدمة ابن خلدون/ بيروت، دار القلم (د.ت).
- 79 — مقدمة في أصول التفسير/ لشيخ الاسلام احمد بن تيمية، تحقيق الدكتور عدنان زرزور، بيروت مؤسسة الرسالة ط 2. 1392 — 1972.
- 80 — الامام محمد عبده ومنهجه في التفسير/ تأليف الدكتور عبد الغفار عبد الرحيم، المركز العربي للثقافة والعلوم (د.ت.م).
- 81 — المحدث الحافظ ابو شعيب الدكالي/ سلسلة شخصيات مغربية رقم 1، تأليف الأستاذ عبد الله الجراري، البيضاء — دار الثقافة ط 2 1399 — 1979.
- 82 — الملك المصلح سيدي محمد بن عبد الله العلوي/ حياته — حركته السلفية — نهضته العلمية والاصلاحية، تأليف الاستاذ الحسن العبادي، الدار البيضاء، مؤسسة بنشرة للطباعة والنشر بنميد (د.ت).
- 83 — المصحف المفسر لمحمد فريد وجدي/ مصر، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده بالأزهر 1372 — 1953.

- 84 — المعجب في تلخيص اخبار المغرب تأليف عبد الواحد المراكشي — تحقيق محمد سعيد العريان — ومحمد العربي العلمي، الدار البيضاء — دار الكتاب ط 7. 1978.
- 85 — المعسول تأليف محمد المختار السوسي/ الدار البيضاء — مطبعة النجاح 1380 — 1960.
- 86 — المعهد الاسلامي بتارودانت والمدارس العلمية العتيقة بسوس/ تأليف عمر الساحلي المتوكل، طبع دار النشر المغربية 1986.
- 87 — الموافقات للإمام الشاطبي/ مصر — السلفية 1341هـ.
- 88 — المقتطف اليانع من روض الحديث الجامع/ تأليف احمد بن محمد النصيحي السلاوي، مصر، الباجي الحلبي 1353هـ — 1934.
- 89 — نعت البدايات وتوصيف النهايات/ تأليف الشيخ محمد مصطفى ماء العينين وبهامشه «فاتق الرتق على راتق الفتق» وهو شرح لمنظومة في اللغة لنفس المؤلف، ومذيلا بأجوبة وديوان لنجل المؤلف أحمد الهية، طبع على نفقة مولاي الكبير بن السلطان مولاي الحسن الأول وذلك سنة 1324 دون ذكر مكان الطبع.
- 90 — نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني/ تأليف محمد بن الطيب القادري، فاس طبعة حجرية. 1310هـ.
- 91 — النبوغ المغربي في الأدب العربي/ تأليف الأستاذ عبد الله كنون، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ط 2 1961.
- 92 — النظام الاداري بالمغرب تأليف عبد الحميد بن أبي زيان بنشهو/ الرباط مطبعة الأمانة ط 4. 1382 — 1963.
- 93 — النسمات الندية من نشر ترجمة الإمام أبي العباس السيد أحمد دُثَيْه/ تأليف محمد بن علي الأندلسي ثم الرباطي، الرباط — المطبعة الاقتصادية 1355هـ.
- 94 — النشر في القراءات العشر/ تأليف محمد بن محمد ابن الجزري/ بيروت، دار الكتب العلمية (د.ت.).
- 95 — صحيح مسلم بشرح النووي/ بيروت، دار الفكر 1401 — 1981.
- 96 — الصلة في تاريخ أئمة الأندلس/ تأليف الشيخ أبي القاسم خلف بن عبد الملك المعروف بابن بشكوال، مصر، مكتب نشر الثقافة الاسلامية لعزة العطار 1374هـ. 1955.
- 97 — على هامش تاريخ القرويين/ تأليف ذ. الحسن السائح، البيضاء — النجاح الجديدة، ط 1. 1399 — 1979.

- 98 — العبر، وديوان المبتدأ والخير في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر للعلامة عبد الرحمن ابن خلدون/ المجلد السادس (د.ت.م).
- 99 — الاعلام بمن حل مراکش وأغمات من الاعلام/ تأليف العباس بن ابراهيم، تحقيق عبد الوهاب بن منصور الرباط المطبعة الملكية 1974.
- 100 — الاعلام للزركلي/ بيروت دار العلم للملايين ط 4. 1979، كما اعتمدت ط. 5 لنفس الدار 1980.
- 101 — العلامة الاستاذ عبد الله الجراري/ الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة ط 1. 1402 — 1982.
- 102 — العالم المجاهد عبد الله بن العباس الجراري/ تأليف الدكتور عباس الجراري، بشخصيات مغربية (7)، البيضاء — دار الثقافة ط 1 1405 — 1985.
- 103 — العقل وفهم القرآن للحارث المحاسبي/ تحقيق وتقديم حسين القوتلي، ط 2. دار الكندي، دار الفكر 1978.
- 104 — العواصم من القواصم لأبي بكر بن العربي المعافري بيروت مكتبة أسامة بن زيد 1399 — 1979.
- 105 — غاية النهاية في طبقات القراء/ لمحمد بن محمد ابن الجزري، عني بنشره ج. برجستراسر، مصر الناشر الخانجي، مطبعة السعادة 1351 — 1932.
- 106 — الاغبطا بتراجم اعلام الرباط/ تأليف محمد بوجندار، الرباط، مطابع الاطلس 1407 — 1987.
- 107 — فتح الباري بشرح صحيح الامام ابي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري/ للامام الحافظ احمد بن علي بن حجر العسقلاني الرياض — مكتبة الرياض الحديثة.
- 108 — فاس عاصمة الادارسة لمحمد المنتصر الكتاني/ مطبوع بدار ادريس للتأليف والنشر والترجمة (د.ت) توزيع دار الفكر بيروت.
- 109 — فهرس الفهارس والأثبت للشيخ عبد الحي الكتاني بيروت، دار الغرب الاسلامي ط. 2 1982.
- 110 — فهرس مخطوطات خزانة تطوان قسم القرآن وعلومه تأليف المهدي الديرو، ومحمد بوحيزة/ الرباط وزارة الثقافة.
- 111 — فهارس الخزانة الحسينية بالقصر الملكي (الرباط) تأليف ذ. محمد العربي الخطابي المجلد السادس الفهرس الوصفي لعلوم القرآن الكريم الرباط، ط 1. 1407 — 1987.

- 112 — فهرس الاطروحات والرسائل (1953 — 1984) تأليف مجموعة من الاساتذة/ منشورات الجمعية المغربية للتأليف والنشر الرباط 1987.
- 113 — الفتاوي للحاج محمد المذكوري كنوني/ البيضاء، دار الطباعة الحديثة (د.ت).
- 114 — الفكر السامي في تاريخ الفقه الاسلامي/ تأليف محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي، خرج احاديثه وعلق عليه الشيخ عبد العزيز عبد الفتاح القاري، المدينة المنورة — المكتبة العلمية ط 1 1396هـ.
- 115 — الفكر والثقافة المعاصرة في شمال افريقيا تأليف أنور الجندي/ القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر 1385 — 1965.
- 116 — الفهرس العلمي تأليف الفقيه السيد رشيد المصلوت الدار البيضاء — النجاح الجديدة ط 1. 1405 — 1983.
- 117 — قبيلة زعير قديما وحديثا/ تأليف محمد بن عمر ابن سودة المري/ الدار البيضاء، دار الكتاب 1977.
- 118 — الجامع للامام الحافظ أبي عيسى الترمذي حققه وصححه عبد الوهاب عبد اللطيف/ بيروت دار الفكر ط 1. 1403 — 1983.
- 119 — سراج القاريء المبتدئ وتذكرة القاريء المنتهي/ تأليف علي بن عثمان بن محمد المعروف بابن القاصح مصر، شركة التمدن الصناعية 1330هـ.
- 120 — سلوة الانفاس تأليف محمد بن جعفر الكتاني فاس — طبعة حجرية 1357هـ.
- 121 — سبيل التوفيق في ترجمة عبد الله بن الصديق تأليف عبد الله بن الصديق/ مصر مطبعة دار البيان 1985.
- 122 — سوس العالمة لمحمد المختار السوسي/ مطبعة فضالة — المحمدية 1380 — 1960.
- 123 — الاستقصا لاجبار دول المغرب الأقصى/ تأليف احمد بن خالد الناصري، البيضاء دار الكتاب 1956.
- 124 — السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية تأليف محمد بن محمد الموقت المراكشي/ البيضاء — دا الطباعة الحديثة ط 2. (د.ت).
- 125 — شرح ابن بري المسمى/ «المختار من الجوامع في محاذاة الدرر اللوامع في اصل مقراء الامام نافع»، تأليف عبد الرحمن الثعالبي المفسر، الجزائر المطبعة الثعالبية 1324هـ.
- 126 — شجرة النور الزكية في طبقات المالكية/ تأليف محمد بن محمد مخلوف، بيروت دار الكتاب العربي (أوفست) عن الطبعة الأولى 1349هـ بالمطبعة السلفية.

127 — شيخ الجماعة العلامة أبو اسحاق التادلي الرباطي/ تأليف الأستاذ عبد الله الجراري، سلسلة شخصيات مغربية (5)، الدار البيضاء — النجاح الجديدة ط 1 1400 — 1980.

128 — شيخ الاسلام محمد بن العربي العلوي/ تأليف ذ. عبد القادر الصحراوي، الدار البيضاء، دار النشر المغربية د.ت.

129 — شيخ الجماعة العلامة محمد المكي البَطَّاءُوري الرباطي/ البيضاء — النجاح الجديدة ط 1. 1398 — 1978.

130 — الشذرات والتقاط الفوائد و غرر العوائد/ تأليف محمد الرضي السناني، البيضاء — مطبعة النجاح (د.ت).

131 — هدية العارفين/ تأليف اسماعيل باشا البغدادي، استانبول مطبعة البهية سنة 1951، طبعة بالالوفست مكتبة المثنى — بغداد.

132 — وحدة المغرب المذهبية خلال التاريخ/ للدكتور عباس الجراري، البيضاء دار الثقافة ط 1. 1396 — 1976.

133 — الوسيط في تراجم أدباء شنقيط/ تأليف أحمد بن الامين الشنقيطي، مصر مطبعة السنة ط 3. 1380 — 1961.

المجلات والدوريات والحواليات والجرائد

— أذكر أسماءها، وقد تقدم توثيقها في ثانيا البحث.

المجلات :

1 — مجلة البيئة

2 — مجلة البلاغ.

3 — مجلة الجامعة السلفية — الهند — نارس.

4 — حواليات كلية الاداب والعلوم الانسانية عين الشق البيضاء.

5 — مجلة دعوة الحق تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية بالمغرب.

6 — مجلة دار الحديث الحسنية.

7 — مجلة الكتاب المغربي.

8 — مجلة كلية الشريعة — فاس المغرب.

9 — مجلة المنار.

10 — مجلة معهد المخطوطات بالقاهرة.

11 — مجلة المورد.

12 — مجلة الهدى.

13 — مجلة المسلم المعاصر.

14 — مجلة المناهل.

15 — مجلة العربي.

16 — مجلة الفرقان.

17 — مجلة الفيصل.

18 — مجلة الايمان.

19 — مجلة اللسان العربي.

الجرائد :

— جريدة العهد الجديد.

— جريدة الميثاق.

— جريدة السنة.

— جريدة الاصلاح.

فهرس الموضوعات

المقدمة : 5

الباب الأول عناية المغاربة بالقرآن الكريم

تمهيد : 9

الفصل الأول التلقين والتحفيظ

- 1 — تمهيد في أصالة الظاهرة وعراقتها إسلاميا ومغربيا 11
- 2 — اختيار المغاربة لرواية ورش عن نافع المدني وعلاقة ذلك باختيارهم مذهب مالك 12
- 3 — عنايتهم بتلقين القرآن وتحفيظه لناشئتهم في سن مبكر 13
- أ — رأي أبي بكر بن العربي المعافري في ذلك 13
- ب — رأي ابن أبي زيد القيرواني 14
- ج — رأي ابن خلدون 14
- د — استمرارهم على ما ذكره ابن خلدون حتى منتصف ق. 14هـ 15
- تعرض الامام الشاطبي في موافقاته لمزية هذه الخصيصة 15
- 4 — هل مجرد حفظ القرآن وحده يكفي ؟ 15
- 5 — خطة المغاربة في التحفيظ 16
- أ — الكتاب ودوره التربوي 17
- ب — إشراف الآباء على الكتاتيب 18
- ج — رسالة والد إلى معلم ولده القرآن الكريم واقترحاته التربوية فيها 18
- د — التنافس في التحصيل والإشراف 19
- هـ — برنامج الكتاب ووسائله التعليمية 20
- و — حرص الآباء وتشجيعهم أولادهم على حفظ كتاب الله تعالى 20
- 6 — ظاهرة التلقين والتحفيظ وآراء بعض العلماء المعاصرين فيها 21
- رأي محمد المختار السوسي 21
- رأي محمد بن أحمد العبدى الكانوني 21
- أساس ظاهرة التلقين والتحفيظ 22

- 23 — تحديات في وجه القرآن ولغته
- 24 — دور المدارس الحرة في رد الاعتبار
- 25 — بين الكتاب والمدرسة العصرية

الفصل الثاني القراءات القرآنية

- 27 تمهيد :
- 27 1 — تعريف بالقراءات القرآنية
- 27 2 — القراءات سنة متبعة
- 28 3 — الفرق بين القارئ والمقرئ
- 28 4 — القراءات لا تضبط إلا عن شيوخها وأئمتها
- 28 5 — الفرق بين القراءة والرواية والطريق والوجه
- 30 اهتمام المغاربة بالقراءات القرآنية في ق. 14هـ
- 31 أولا : دواعي اهتمام المغاربة بالقراءات القرآنية
- 31 1 — مكانة كتاب الله في نفوسهم
- 32 2 — وفرة المقرئين بينهم
- 32 3 — أثر النصوص (الحديثية) الواردة في الترغيب في حفظ القرآن الكريم وتحفيظه
- 33 4 — تشجيعات المجتمع وأولي الأمر
- 35 5 — استساغتهم لنقلية القراءات
- 36 6 — دواعي المنافسة والغيرة
- 36 7 — التخوف من آفة النسيان
- 36 8 — التأثير بالاقارب
- 37 9 — دافع الرحلة
- 37 10 — الرغبة في الحفاظ على كتاب الله كما أنزل
- 37 ثانيا : مظاهر عنايتهم بالقراءات القرآنية
- 37 أ — التأليف :
- 37 تمهيد في بيان أصل المدرسة المغربية في القراءات وأهم شيوخها المؤلفين
- 41 1 — ما ألف في الفن ابتداء
- 42 أ — ما ألف في الرسم والضبط والخط
- 52 ب — ما ألف في القراءات
- 65 ج — ما ألف في التجويد
- 78 2 — ما ألف في إطار البحث العلمي الجامعي
- 79 أ — الأطروحات

80	ب — الرسائل
81	3 — ماكتب في شكل مقالات علمية
91	ب — التعليم :
92	1 — المدارس
104	2 — الشيوخ
106	3 — الطلبة
109	— خاتمة الفصل

الفصل الثالث علوم القرآن

110	تمهيد :
110	1 — تعريف بعلوم القرآن
110	2 — تقسيمها إلى قسمين :
110	أ — مؤرخة للقرآن
111	ب — مساعدة على فهمه
111	3 — تدرج التأليف فيها عبر العصور إلى العصر الراهن
115	— تصنيف جهود المغاربة المعاصرين في التأليف في علوم القرآن
116	أولا : التأليف والتحقيق :
116	أ — مقدمات التفاسير
129	ب — مؤلفات في علوم القرآن
139	ج — تحقيق مؤلفات في علوم القرآن
142	ثانيا : الرسائل والاطروحات الجامعية
145	ثالثا : المقالات العلمية

الفصل الرابع مباحث قرآنية

154	تمهيد :
154	تصنيف نتاجاتهم في المباحث القرآنية إلى :
154	أ — كتب
166	ب — رسائل جامعية
168	ج — مقالات
168	1 — تتعلق بالقرآن عموما

173 2 — تتعلق بترجمة القرآن الكريم

الباب الثاني درس التفسير بالمغرب

177 تمهيد :

الفصل الأول درس التفسير بالقرويين

180 1 — مكانة جامعة القرويين

182 2 — محاولات إصلاحية مبكرة

183 — بعث السلطان سيدي محمد بن عبد الله لكتب السنة

— تجارب نجله السلطان مولاي سليمان مع الحركة السلفية بنجد وإحيائه لدرس

183 التفسير

183 — ظهور إصلاحية للسلطان مولاي عبد الرحمن

185 — رسالة أحد طلبة القرويين إلى والديه ودلائلها العلمية والتاريخية

187 — وصول بوادير اليقظة وما يتفاعل في المشرق إلى المغرب

189 3 — درس التفسير

190 — تمهيد في عوامل ركوده وانحساره

191 أ — أصالته

..... — نموذج من ق. 10هـ

..... — تفاعل مشرقى ومغربى

..... — وصف لدرس التفسير في ق. 12هـ

..... — إنتعاش التفسير في ق. 13هـ

..... — وصف لدرس التفسير في ق. 13هـ

195 ب — أهم شيوخ درس التفسير بالقرويين في ق. 14هـ

..... تمهيد :

196 1 — أبو عيسى المهدي بن سودة

197 2 — محمد بن المدني كنون

198 3 — ابراهيم بن إدريس الحسني السنوسي الفاسي

198 4 — أحمد بن الطالب بن سودة

198 5 — محمد (فتحاً) بن محمد بن عبد السلام كنون

199 6 — الفضيل بن الفاطمي

199 7 — محمد بن عبد الكبير الكتاني

200	8 — أحمد بن الخياط الزكاري
	— نموذج من تفسيره
204	9 — أحمد بن المامون البلغشي
205	10 — محمد الطاهر الكتاني
205	11 — عبد الله السنوسي
205	12 — أبو شعيب الدكالي
206	13 — محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي
208	14 — محمد بن العربي العلوي
209	15 — محمد بن عبد السلام السائح
210	16 — علال الفاسي
210	— دعوته للسلفية
211	— رأيه في تفسير الشيخ محمد عبده
212	— اعتراضه على فهم أمين الخولي لمقصد عبده
213	17 — الحسين العراقي
213	18 — الحسن مزور
213	19 — محمد بن إبراهيم
214	20 — محمد بن أحمد بن الحاج السلمي
214	21 — محمد بن محمد بن عبد القادر ابن سودة
214	22 — الحبيب المهاجي
214	23 — عبد العزيز بن أحمد بن الخياط
214	24 — العباس بن أبي بكر بناني
214	25 — عبد الكريم الداودي
215	26 — عبد الله الداودي
215	ج — المصادر المعتمدة فيه
216	د — أثره العلمي والديني والاجتماعي

الفصل الثاني درس التفسير بالعدوتين (الرباط وسلا)

220	نهيد :
221	أ — الحياة العلمية بالعدوتين
226	ب — درس التفسير
228	1 — المنتصبون لإقراءه :
229	1 — أبو إسحاق إبراهيم بن محمد التادلي

231	2 — أحمد بن خالد الناصري
235	3 — أبو شعيب الدكالي
237	4 — محمد بن عبد السلام السائح
238	5 — محمد بن المدني بن الحسيني
240	6 — أبو بكر بن الطاهر زبير
241	7 — زين العابدين بن عبود
242	8 — محمد المكي الناصري
	9 — آخرون
245	2 — المصادر المعتمدة فيه

الفصل الثالث درس التفسير بمراكش

252	تهيد :
253	أ — الحياة العلمية بمراكش
260	ب — درس التفسير بمراكش
264	ج — شيوخه
264	1 — أبو الحسن علي بن سليمان الدمناتي/ البجمعوي
266	2 — محمد بن المعطي السرغيني
267	3 — محمد السوداني
268	4 — محمد بن عزوز الرباطي المراكشي
268	5 — محمد (فتح) بن محمد أزنيط
269	6 — محمد بن محمد العلوي المدغري
270	7 — محمد بن محمد (فتح) الماسي
271	8 — محمد بن إبراهيم السباعي
272	9 — أحمد بن محمد العلمي اليملاحي
272	10 — العباس بن إبراهيم
274	11 — محمد بن محمد المؤقت
	12 — آخرون
276	د — مصادره
277	هـ — تقويم

الفصل الرابع درس التفسير بسوس والصحراء

279	يهد :
-----	-------

280	1 — الحركة العلمية بسوس والصحراء
285	2 — درس التفسير بسوس
288	أ — أهم شيوخه :
289	1 — محمد بن العربي الأدوزي
292	2 — الحاج الحسين الافراني
293	3 — محمد بن مسعود المعدري
296	4 — عبد العزيز الادوزي
301	ب — المصادر المعتمدة فيه
305	ج — التقويم
307	3 — درس التفسير بالصحراء

الباب الثالث إسهامات المغاربة في التفسير

314	تمهيد :
-----	---------------

الفصل الأول مؤلفات في التفسير

317	تمهيد :
318	أولا : التفاسير التامة والحواشي
330	ثانيا : تفاسير غير تامة
335	ثالثا : تفسير سور أو سورة
335	أ — تفسير سور
339	ب — تفسير سورة
347	رابعا : تفسير آيات أو آية
347	أ — تفسير آيات
351	ب — تفسير آية
357	خامسا : رسائل جامعية في التفسير

الفصل الثاني دراسة نماذج من تفاسيرهم

360	تمهيد :
361	1 — تفسير سور الفصل من القرآن الكريم للاستاذ عبد الله كنون

361	أ — تعريف عام بالكتاب
362	ب — مصادره
366	ج — السمات العامة لمنهجه
369	د — اتجاهه السلفي
372	هـ — قيمته العلمية
374	2 — «إرشاد الله للمسلم الغافل اللاه لأبي بكر بن الطاهر زنيير
374	أ — تعريف عام بالكتاب
376	ب — مصادره
378	ج — السمات العامة لمنهجه
379	1 — الاطار النظري لمنهجه
380	2 — الاطار التطبيقي
381	— عملية التفسير لديه
381	— اسم السورة
382	— الالفاظ الواردة في مفتتح بعض السور
384	— تقسيم السورة
386	— تفسيره للآيات
389	ن — اتجاهه الإصلاحى
391	هـ — قيمته العلمية
393	3 — «التيسير في أحاديث التفسير للشيخ محمد المكي الناصري
393	أ — تعريف عام بالكتاب
394	ب — مصادره
497	ج — السمات العامة لمنهجه
411	د — اتجاهه
403	هـ — قيمته العلمية
405	— الخاتمة
409	— لائحة المصادر والمراجع

الأبحاث والمقالات المنشورة للمؤلف

- التفسير وعلوم القرآن بالغرب الإسلامي من ق.2 إلى ق.8هـ. (الجزور والتفاعلات والحصيلة)، نشرته مكتبة الملك عبد العزيز بالرياض ضمن أعمال ندوة الأندلس.
- الشيخ عبد الله كنون مصلحا ومفكرا إسلاميا، نشرته شركة (أونا) المغربية ضمن سلسلة أعلام المغرب العدد (2).
- المدارس العلمية العتيقة بإقليم الصويرة (منطقة الشياظمة نموذجاً)، نشرته كلية الآداب — أكادير ضمن أعمال ندوة الصويرة.
- أثر القرآن الكريم في الدراسات البلاغية، منشور في حلقتين بمجلة الفرقان.
- الشيخ محمد سالم المجلسي وتفسيره «الريان في تفسير القرآن»، منشور بمجلة دعوة الحق.
- التربية الخلقية من خلال فريضة الصيام، نشرته مجلة الفرقان ثم مجلة الإرشاد.
- كلمة في حق شيخ الباحثين المغاربة الأستاذ محمد المتوني، منشورة بين يدي الدرس الافتتاحي الذي ألقاه بكلية الآداب — أكادير.

* أعمال أخرى مخطوطة في طريقها للطباعة :

- الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور مُفسِّراً (أطروحة الدكتوراه).
- القاضي أبو بكر زبير وتفسيره «إرشاد الله...».
- تفسير سورة الفاتحة.
- تفسير سورة النجم.
- تفسير سورة الكهف.
- محاضرات في آيات الأحكام.
- تعليقات على أحاديث نبوية من صحيح الإمام البخاري.

- عربية القرآن وعالميته (بحث قدم في دورة تكوينية للأساتذة الباحثين بكلية الآداب — أكادير ماي 1997).
- تحقيق سورة الإخلاص للشيخ محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي.
- تحقيق مقدمة تفسير الراغب الأصفهاني.
- إخراج وتحقيق لتعاليق الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور على دلائل الإعجاز.
- تحقيق رسالة اللقاني في بيع الخلّو (مفتاح الدكان).
- تحقيق كتاب أصول الخطابة والإنشاء للشيخ محمد الطاهر ابن عاشور مع ما أضافه من طرر على طبعة الكتاب الأولى.
- الاتجاهات الحديثة في تفسير القرآن الكريم.
- دراسة عن كتاب المسند للإمام أحمد بن حنبل.
- بحث في الناسخ والمنسوخ في الحديث.
- الإمام الزهري وأثره في تدوين الحديث.
- الأبعاد التربوية والتشريعية في افتتاح القرآن بالبسملة.
- دراسة في تقويم مصادر القراءات القرآنية بالغرب الإسلامي.
- الأخطاء المطبعية الواردة في تفسير ابن عاشور.
- قضايا منهجية في تدريس القرآن وعلومه بالجامعة المغربية.

مؤلف الكتاب

- ☐ إبراهيم بن أحمد الوافي.
- ☐ من مواليد 1374هـ/1954م بإقليم الصويرة بالمملكة المغربية.
- ☐ تلقى دراسته الابتدائية بما فيها حفظ القرآن بمسقط رأسه بأقرمود وأتم الحفظ بمسقط رأس والده بآيت بعمران قبيلة آيت النص.
- ☐ درس علوم العربية والفقه بمدرسة مولى تڭلي العتيقة بتكاظ إقليم الصويرة.
- ☐ التحق بالمعهد الديني التابع لوزارة الأوقاف بالبيضاء في شتنبر 1972.
- ☐ أتم دراسته الثانوية بثانوية الأرميطاج بالبيضاء وحصل على الباكلوريا في يونيو 1978.
- ☐ التحق بالمركز التربوي الجهوي بآسفي قسم الأدب العربي وتخرج منه أستاذا في يونيو 1980.
- ☐ عين أستاذا بإعدادية سيدي عبد الكريم بآسفي لمدة أربع سنوات.
- ☐ حصل على الإجازة في الشريعة من كلية الشريعة بأكادير في يونيو 1982.
- ☐ تخرج أستاذا جامعا إثر سنتين من التكوين في جامعة محمد الخامس بالرباط في يونيو 1986م.
- ☐ عين أستاذا مساعدا في كلية الآداب — أكادير في شتنبر 1986 وأسندت إليه مهمة التدريس وتسيير قسم الدراسات الإسلامية ومازال على ذلك إلى الآن.
- ☐ حصل على دبلوم الدراسات الجامعية العليا في الدراسات الإسلامية من جامعة محمد الخامس بالرباط بميزة حسن جدا في ماي 1989.
- ☐ حصل على دكتوراه الدولة في الدراسات الإسلامية من جامعة محمد الخامس بالرباط في يونيو 1996 بميزة حسن جدا.
- ☐ عين برسالة مولوية عضوا في المجلس العلمي الإقليمي بتزيت في أبريل 1998.
- ☐ يزاول الخطابة والوعظ في العديد من مساجد ولاية أكادير الكبرى.

هذا الكتاب

يهتم كتاب "الدراسات القرآنية بالمغرب في القرن الرابع عشر الهجري"، كما يتضمّن من عنوانه، برصد أوضاع علوم أصيلة وعريقة في المجتمع المغربي المسلم، وتتبع مجالات الاعتناء بها، سواء تعلّق الأمر بتلقين القرآن وتحفيظه، أو بقراءته ورسمه وتجوّده، أو بعلومه ومباحثه وترجمته أو تفسيره، مع اعتبار كافة مظاهر هذا الاعتناء ودواعيه.

كما أنّه جاء حلقة كانت تفتقر إليها عملية الرصد والتقويم لجهود علماء المغرب وباحثيه في القرن الهجري الأخير، وعمل على إبراز جهودهم في خدمة كتاب الله على كافة الأصعدة وما أُرذوا الوصول إليه في كل تعدّد الرؤى والمشارب وتنازع الآذواق والمذاهب، علماً بأن كتاب الله هو دستور الأمة الإسلامية الغالد، ونبراس الإنسانية متى شاءت لصريق الهداية إلى ربها سبيلاً.

ولأن ما يعكسه هذا الكتاب من كبير العناية والاهتمام ليؤكد مدى تجذّر رسالة القرآن الكريم ودعوته في قلوب أهل هذا البلد الذي عاش سلفه وخلفه مع القرآن وهو ما يدعو إلى ضرورة التفكير الدائم والجداد في كميّات النهموض بهذه المسؤولية الجسيمة، وضمان استمرار مهمة القيام بها، والنهموض بعينها على أحسن وجه وأتمّه، لا سيما وقد أصبح ما يحيط بنا من تصور الوسائل يناهز بالتعجيل ولا يسمح بتأنا بالتردد والتأخير، وفي هذا الأمر مع خلوص النيات، ونبل المقاصد ما يجعل رسالة القرآن والإسلام للكافة يسري مفعولها ويتجدد نهمها وتأثيرها، وما ذلك على ذوي الهمم العالية ببعيد.